

سلسلة التراث الفقهية

حيون الأخبار وفنون الدين

« في فضائل الأئمة الأطهار »

السبع السادس

تأليف

الداعي المطلق

إدريس عماد الدين القرشي

المتوفى سنة ٨٧٢ هـ / ١٤٦٧ م

حقيقه وكتب مقدمته

الدكتور مصطفى غالب

دار الإنجاز

للطباعة والنشر والتوزيع

حيون الأختبار وفنون الآثار

الطبعة الثانية
١٩٨٤م - ١٤٠٤هـ

جميع الحقوق محفوظة
دار الأندلس - بيروت، لبنان
هاتف: ٣١٧١٦٢ - ٣١٦٤٠١ - ص.ب: ٤٥٥٣ - تلکس ٢٣٦٨٣

مقدمة

السبع السادس من الموسوعة التاريخية عيون الأخبار وفنون الآثار في فضائل الأئمة الأطهار تأليف الداعي المطلق إدريس عماد الدين القرشي ، الذي نضيفه إلى ما أصدرناه من هذه الموسوعة الهامة من أجزاء لاقت التقدير والاعجاب في كافة الأوساط العلمية في جميع أنحاء العالم ، كونها الموسوعة التاريخية الوحيدة التي تؤرخ للعهد الفاطمية في المغرب ومصر وبعض البلدان الإسلامية التي انتشرت دعوتهم فيها .

ومما يعطي هذه الموسوعة التاريخية مكانتها العلمية ، كون مؤلفها الداعي المطلق إدريس عماد الدين القرشي اعتمد وهو يدونها على ما لديه من وثائق سرية محفوظة في بيت الدعوة الاسماعيليه ، باعتباره الداعي المطلق لطائفة الاسماعيليه المستعلية في اليمن ، وعلى ما تركه كبار الدعاة الذين تقدموه من نصوص وأقوال ، أتاحت له أن يعالج الموضوع بأسلوب المؤرخ الملتزم الهادف إلى الكشف بروية وإمعان عن الحقائق الغامضة ، فسرد الوقائع والأحداث بتاريخها وأسرارها وأشخاصها ، بإطار محكم من الصدق والأمانة ، مما أضفى على هذه الموسوعة التاريخية أهمية فكرية عقلانية قيمة ، قلما نعثر عليها في مصنفات التاريخ المعروفة التي أرخت لهذه الفترة .

وفي ضوء الوقائع التاريخية وما تبعها من أحداث يمكننا أن نعتبر السبع السادس الذي تقدمه للعلماء والباحثين من أوثق المصادر التاريخية التي يحتاجها الباحث في تاريخ الدولة الفاطمية التي لعبت دوراً هاماً في تاريخ العالم الإسلامي بصورة عامة ، والعالم العربي بصورة خاصة .

ففي هذا السبع يتحدث المؤلف عن مسير القائد جوهر الصقلي إلى مصر على رأس جيش كبير ضخم ، وما رافق مسيره من أحداث ووقائع ، وعن انتقال الخليفة الفاطمي المعز لدين الله إلى القاهرة ، وحروبه مع الأموي في الأندلس ، والروم ، والقرامطة ، وغيرهم ممن شقوا الطاعة ، وادعوا الخلافة والإمامة . كما استعرض عهود الخلفاء الذين تعاقبوا على الخلافة الفاطمية في مصر بعد وفاة المعز لدين الله . فالعزیز بالله وما جرى في أيامه من أحداث داخلية وخارجية ، وما تعرض له من حروب وأخطار ، ويسر ورخاء وتسامح ديني وثقافة . وعهد الحاكم بأمر الله وأدوار خلافته ، والسياسة التي انتهجها في حكم البلاد الخاضعة لنفوذه . وكذلك بالنسبة لعهد الظاهر لإعزاز دين الله واشتغاله بالعمل في ضبط الأمور في داخل البلاد وخارجها .

ويأتي دور الخليفة المستنصر بالله الذي تمتعت مصر في عهده بالرخاء والطمأنينة فترة طويلة من الوقت ، كما خطب له في كثير من البلدان الإسلامية .

تحقيق الكتاب

رغم المحاولات العديدة ، والانصالات الكثيرة التي قمنا بها لم نتمكن من العثور سوى على نسختين خطيتين من السبع السادس لعيون الأخبار وفنون الآثار . النسخة الأولى رمزنا إليها بالحرف (ب) قدمتها لنا الجمعية الإسماعيلية النزارية في باكستان عدد صفحاتها ٤٨٩ صفحة قياس ٢٣ × ١٣ سم وفي كل صفحة ١٦ سطراً ، وفي كل سطر ٩ كلمات . جاء في نهايتها أنه انتهى من نسخها سنة ١٣٢٩ هـ في عصر داعي الله الأمين أبي محمد طاهر سيف الدين في بندر سورت في القبة المنورة ، وقد نسخ الكتاب عن الأصل المكتوب بخط المؤلف .

وهذه النسخة كثيرة الأخطاء ، رديئة الخط ، فيها تقديم وتأخير وإعادة ، وعدم تنسيق في القصائد الشعرية ، ومع ذلك فقد استفدنا منها كثيراً في المطابقة والمقابلة ، فشكراً لرئيس المجلس الإسماعيلي الأعلى في باكستان السيد قاسم علي

لتفضله بوضع هذه النسخة تحت تصرفنا ، جزاه الله عنا وعن العلم والمعرفة كل خير .

أما النسخة الثانية التي رمزنا إليها بالحرف (ج) فقد حصلنا عليها ضمن الموسوعة كاملة من مدينة بمباي في الهند قدمها لنا أحد الأصدقاء من مشايخ طائفة البهرة السليمانية وشاء أن يظل اسمه مكتوماً لأسباب خاصة . عدد صفحاتها ٤٩٩ صفحة قياس ٢٣ × ١٥ سم وفي كل صفحة ١٥ سطراً ، وفي كل سطر ١٠ كلمات . جيدة الخط ، قليلة الأخطاء ، مرتبة ومنسقة ، كتبت العناوين بالحبر الأحمر . اعتبرناها الأصل في التحقيق .

ورد في نهاية النسخة (ج) ما يلي : كان الفراغ من نساخة هذا السبع السادس من عيون الأخبار في اليوم الثامن من شهر ذي القعدة إحدى شهور سنة ثمانية وأربعين ومائتين بعد الألف من الهجرة ، صلوات الله عليهما في عصر داعي الله الأمين في بندر سورت في القبة المنورة ، نسخ من الكتاب الذي نسخ من الأصل بخط مصنفه وقل بحسب الطاقة قدس الله روحه ، ونور ضريحه ، ورزقنا شفاعته ، أمين ، بخط الأقل عبید عبیده ، الراجي عفو ربه حميد بن علي حسين محسن الجليل اليعبري .

وفي نهاية المطاف أقدم جزيل الشكر والامتنان للآنسة سميرة حسين عاصي صاحبة دار الأندلس في بيروت التي شاءت أن تتولى إخراج هذه الموسوعة من عيون الأخبار خدمة للعلم والحقيقة ، وفقنا الله لما فيه الخير والسعادة والسلام .

مصطفى غالب

بيروت في ١/٥/١٩٧٨

السبع السادس من عيون الأخبار

١١

الحمد لله الجاعل أوليائه لخلقه أسباب النجاة ، القائل في كريم كتابه :
﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ
دَرَجَاتٍ ﴾^(١) وصلى الله على رسوله محمد الوسيلة إلى الله الذي بفضلته استجاب
الدعوات ، وعلى وصيه علي بن أبي طالب وأهلها أفضل السلام ، وأسنى
التحيات .

ذكر نبذ من الأخبار مما كان في أيام المعز لدين الله أمير المؤمنين معد أبي تميم بن
اسماعيل المنصور بالله ع . م وعلى آبائه أجمعين .

قد ذكرنا في أخبار الإمام المنصور بالله سلام الله عليه ما يأتي ذكره من أخبار
ولده المعز لدين الله ع . م ونذكر الآن من بعض ما أتاه الله من فضله ، وخصه جل
جلاله به ، وما كان من الفتوح في أيامه ، ونأتي بنبذ من القول نختصرها ، ونأتي
منها بجملها ، وبالله نستعين ، وعليه نتوكل وهو سابع أسبوعين^(٢) من أئمة دور
النبي محمد (ﷺ) القائمين بعد الوصي أمير المؤمنين علي ع . م ، ورابع / أربعة
من أئمة الظهور^(٣) الذين أولهم جده أمير المؤمنين أبو محمد الإمام المهدي ع . م
أجمعين . وكان القاضي النعمان بن محمد مما تقدمت له القدم في خدمة الإمام المهدي

(١) سورة : ٢٥٣/٢

(٢) يقصد المؤلف بقوله سابع أسبوعين : أي الإمام الرابع عشر ، ويتمتع بقوة تعادل قوة من
تقدمه من الأئمة بمقتضى ترتيبات وتنظيمات الدعوة الاسماعيلية وحسب تحركات الكواكب
والأفلاك : ولهم في هذا أفكار عقلانية عرفانية .

(٣) الظهور : الظاهر في جـ

بالله في آخر خلافته ، وكان قد ظهر فضل القائم بالله له ولغيره ؛ ثم أطلعه الإمام المهدي بالله على فضل ولد ولده الإمام المنصور بالله ، وانه ثالث الأئمة في الظهور ، قال : يا أمير المؤمنين ثلاثة أئمة في عصر واحد يستكبر ذلك : فأراه الإمام المهدي بالله المعز لدين الله وهو صبي في مهده وقال : هذا رابعنا يا نعمان ، وقد اجتمع في وقت إبراهيم الخليل النبي أربعة وهم : ابراهيم الخليل النبي المرسل في دوره الذي أوصى الله إليه فقال : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ﴾^(١) فكان معه إسماعيل وإسحق ويعقوب . ثم كان في وقته موسى بن عمران ، وكان معه أخوه هارون ، ويوشع بن نون ، وفيحاس بن هارون . ثم في وقت نبينا محمد خير الأنبياء وخاتمهم الذي ختم به الله بنبوته النبيين ، وبرسالته المرسلين ، وفضله / على خلقه أجمعين . وجعل شرعه باقياً إلى يوم الدين ، وكان في عصره أخوه وناصره^(٢) ومعاضده على إقامة دين الله ومظاهرة ، وأبو الأئمة من ذريته ومظاهرة^(٣) علي وصيه أمير المؤمنين ، وخاتم الوصيين ، وإبناهما الحسن والحسين ع . ٢٠٠

وكان اجتمع مع جعفر الصادق ، وإسماعيل بن جعفر ، ومحمد بن إسماعيل ع . م ثلاثة أئمة في عصر واحد ، وكان كذلك المهدي بالله ، والقائم بأمر الله ، والمنصور بالله ، والمعز لدين الله ، ولا تكون الإمامة إلا في واحد بعد واحد هو المختص بفضلها ، والحائز لشرف^(٤) محلها ، يشير إلى الخليفة من بعده وينص عليه لأهل دعوته ، القائم مقامه ، ويسلم إليه ، لكنه يبين له من كان في عصره يترشح لها ويجعله الله أهلها ، فكانت تظهر في المعز لدين الله معد بن إسماعيل الفضائل وتقدمه باستحقاقه لخلافة آبائه الطاهرين الدلائل ، وقد آثر القاضي

(١) سورة : ٢ / ١٢٤ ﴿ قال لا ينال عهدى الظالمين ﴾

(٢) ناصره : سقطت في ب

(٣) ومظاهرة : مطهرة في ج

(٤) لشرف : إشراف في ج

النعمان بن محمد فيما رواه عن الإمام المعز لدين الله قال^(١) : إني لأذكر من أمير المؤمنين المهدي بالله يوماً حملت فيه إليه وأنا يومئذٍ فطيم أعقل الكلام ، وأحفظ ما يكون فتناولني وقبلني وأدخلني تحت ثوبه / وكشف عن بطني وأصقها ببطنه ، ثم أخرجني وبارك عليّ ، وسألني عن حالي ، وأجلسني في حجره ، ودعا لي بما أكل فأتيت بطبق من فضة [مذهب]^(٢) فيه موز وتفاح خريفي وعنب ، فوضع بين يدي فلم أتناول منه شيئاً ، فأخذه بيده وناولنيه فأخذته بيدي فقال : إمض به فكل أنت ما فيه ، [وأعط الطبق فلانة]^(٣) وذكر بعض البنات ، وهي يومئذٍ في مثل سني ، فقلت : [بل آخذ أنا]^(٤) الطبق وأعطيها ما فيه ، فضحك وتعجب من انتباهي لذلك ، ودعا لي بخير ، وقال للخادم احمله فحملت وحمل الطبق بين يدي ، وقال : سيكون له نبأ ومثل هذا الكلام .

وقال القاضي النعمان : لم أضبطه أنا عن المعز ع . م . ثم قال المعز : كان^(٥) المهدي واحد الزمان ، وخبيثة آل محمد عليه وعليهم السلام ، وعالم^(٦) علمهم ، وكاشف جلباب المحنة عنهم . قال القاضي النعمان بن محمد : وكان المعز لدين الله يحل من جده القائم قدس الله روحه وصلى عليه وعلى الأئمة من آبائه وذريته الطاهرين محلاً خصيصاً منذ نشأته ، وكان يقربه ويدنيه ، / ويسر إليه دون أبيه ، وكان رسوله وسفيره إلى الناس فيما يأمر به ، وينهي عنه ، ويحتاج إليه ، فإذا خلا كان بين يديه ، ومتى غاب عنه أرسل إليه .

وكان المنصور من جده المهدي بهذه المنزلة ، لا يكاد يفارقه إذا خلا به ،

(١) المجالس والمسائرات للقاضي النعمان المجلد الثاني صفحة ٤٦٠ مخطوط

(٢) مذهب : مذهبي في ب

(٣) وأعط الطبق فلانة : وأعطاني الطبق فلاني في ج

(٤) بل آخذ أنا : لها بلا أخذت في ج

(٥) كان : سقطت في الأصل ونقلناها عن المجالس والمسائرات

(٦) وعالم : وعالمهم في ب

ويحدثه سراً ، ولا يعلم أحد ما يجري بينهما ، فأخبرني^(١) بعض من كان يدخل إلى المهدي بالله في أكثر الأوقات لما لا بد له منه ، أنه لم يكن قط دخل إليه في خلوة إلاً وجد المنصور بالله بين يديه يناجيه ، فإذا رآه تنحى من بين يديه حتى يقضي ذلك الرجل حاجته ، فإذا خرج عاد إليه . قال : وما سمعت قط ما يجري بينهما ، وما علمت أحداً ممن يقرب من المهدي بالله كان يحل محل المنصور ، ولا رأينا أحداً يخلو معه فأدخل عليه على ذلك إلاً كلمه بكلمة بحضرتي ، وسمعت ما يجري بينهما ، إلاً المنصور بالله . وقال : فذكر المعز لدين الله يوماً مثل هذا من حاله ، وأن المهدي بالله كان يغذيه بالحكمة ، ويرشحه للإمامة ، بحسب ما كان القائم بالله يفعل به هو .

وعنه قال : وسأيرت^(٢) الإمام المعز لدين الله في بعض أسفاره فذكر القائم / ع . م / واختصاصه إياه ، ومحبته له ، وقربه منه ، وما كان امتحن به^(٣) المنصور بالله من طول ستر أمره ، وترك إظهاره إلى أن قرب وقت انتقاله ، فقال المعز : دخلت إليه بعد أن أظهر المنصور ونصبه^(٤) للناس بعد مدة اثنتي عشرة سنة من يوم أفضى إليه بذلك الأمر ، وذلك قبل^(٥) وفاته بثلاثة أيام ، وعنده بعض حرمه فأمرها ففتحت^(٦) عنه ، ثم أدناني من نفسه ، وضممني إلى صدره ، وقبل بين عيني ، وبكى فبكيت لبكائه ، ولا أدري ما أبكاه ثم قال لي : يا بني إن مولاك ومحبك مفارقك بعد [ثلاثة أيام]^(٧) وعقدها بيده . قلت : بل يبقي الله أمير المؤمنين ويمد في عمره ، ويقدمنا قبله . قال : إسمع ما أقول لك : إن أخوف ما أتخوفه عليك من

(١) فأخبرني : فخببرني في ب

(٢) سايرت : سائر في حـ

(٣) امتحن به : امتحانه في جـ

(٤) ونصبه : وصابه في جـ

(٥) قبل : قبلات في ب

(٦) فتحت : فمحت في ب

(٧) المجالس والمسائرات للقاضي النعمان جـ ٢ ص ٣٥٠ وقد جاء بالنص ما يلي : « بعد ثلاث وعقدها » . مخطوط في مكتبة المحقق الخاصة .

أبيك ما أعلمه^(١) من إيثاري إياك ، وإيثارك أمري على أمره ، وميلك إليّ دونه ، وما أعلمه من ميله إلى أمهات أخوتك فأخشى خشية المشفق عليك أن يعدل بهذا الأمر عنك^(٢) إلى غيرك منهم كلا لا يفعل / ذلك إنشاء الله . / ٧

لكن متى رأيت منه أثره عليك ، أو ميلاً عنك فاصبر صبر من أحلّه الله محلك ، وأقامه مقامك ، فأنت والله صاحبها ، ولولا صغرسك اليوم ما عدتكَ ، وعن قريب تصير إليك ، فأوصيك بتقوى الله واحتمال ما حملت ، والصبر على ماض ما يؤتى إليك ، [وإخوتك إخوتك]^(٣) فاحكم أمر معاملتهم في يومك وغدك . ثم أدركه ضعف وبهر^(٤) فقطع الكلام ساعة ، ثم تنفس الصعداء ، وقال : الأخوة وما الإخوة إلا إخوة يتهول ع . م أمرهم لما كان ناله من المشقة في سياسة أمرهم ، ثم خفق ، ورأيت أن الكلام أجهره ، فقممت عنه وخرجت ، فإذا بالمرأة من وراء الباب تسمع ما جرى من الكلام ، وهي بعض أمهات الأولاد ، فهنأتني بما سمعت ، وقبض ثالث ذلك اليوم . فحين أفضيت خلافة الله إلى المنصور بالله ورأى الخير كله في ولده الإمام المعز لدين الله عهد إليه بعهدته ، وأطلع على ذلك خلصاء أهل ولايته ووده ، وأقام جوذر خادم له في قصره بالمهدية ، وفوض إليه جميع أموره / بالكلية ، وخرج لحرب الدجال حتى فتح الله عليه ، فأظهر النص فيه على المعز لدين الله ، وأشاع ذكره ، وأعلى أمره ، وكان قرينه في سفره وحضره ، وخليله في كل أمره ، وموضع أمانته وسره ، ولم يكن أحد يصل^(٥) إليه من الأبواب ، والدعاة ، وأهل المملكة ، إلا على يد المعز لدين الله وتسببه إليه ، وكان يظهر له فيه من غيايل الفضل ، ويشاهد فيه من علو القدر ما يزيد منه قرباً وعلواً ، ورفعة لديه ، وسمواً .

(١) ما أعلمه : ما أعلم في جـ

(٢) عنك : سقطت في جـ

(٣) وإخوتك إخوتك : وإخوتك في بـ

(٤) وبهر : سهر في جـ

(٥) يصل : يواصل في جـ

وقد جاء عن القاضي النعمان بن محمد قال^(١) : خرج أمير المؤمنين المنصور باقي أيامه لبعض ما كان يخرج إليه من اطلاع الحال فانتهى إلى طنباس^(٢) وخرج المعز لدين الله معه ، وكنت فيمن خرج معها ، فانتهى إلى وادي يجري فيه ماء المطر فيسقي^(٣) أراضي كثيرة المنازل شتى ، فإذا فيه [سد عظيم فلما]^(٤) انتهى إليه ، ووقف عليه ، [وقف إليه]^(٥) رجلا من [وكلاء الضياع]^(٦) فذكر أحدهما أن الآخر سد [بذلك السد عن الضياع التي يتولاها ما كانت]^(٧) تشرب منه من سيل المطر ، وذكر الآخر أن ذلك من حقه ، وبما يجب له أن يفعله ، واحتج / كل واحد منهما في ذلك بحجج كثيرة ، وعلت أصواتهما واعتكر الكلام بينهما ، وطال تنازعهما ، والمنصور بالله في كل ذلك لم يفصل بينهما ، والمعز لدين الله ع . م . قائم على فرسه ناحية ، والناس بالبعد ركوباً على دوابهم ، وقيام ينظرون إلى ذلك ، ويسمع أكثرهم كلام الرجلين ، وكنت فيمن يسمع ذلك ولا أرى وجهاً [لفصل ما]^(٨) بينهما ، وكلما قلت في نفسي قد قامت الحجة لأحدهما أدخل الآخر عليه حجة ، فقال لي بعض من كان^(٩) في الموكب ممن قرب مني : أما تسمع ما دار بين هذين ؟ قلت : نعم . قال : فما ترى فيه ؟ قلت : والله ما وقفت من ذلك على حقيقة أمر أقطع القول به ، ولقد اشتبه علي أمرهما ، وحسبك ما ترى من توقف أمير المؤمنين عن الفصل بينهما ، ولكني أقول : إنهما لو وقفا بين يدي الأمير أعني المعز لدين الله لفصل بينهما^(١٠) . قال : ومن أين

(١) المجالس والمسائرات للنعمان ج ١ ص ٢٥

(٢) طنباس : طينة في ب

(٣) فيسقي : فيقى في ب

(٤) سد عظيم فلما : أمد خطير في جـ

(٥) وقف إليه : سقطت في جـ

(٦) وكلاء الضياع : رجال السياح في جـ

(٧) سقطت الكلمات المحصورة من النسخة جـ

(٨) لفصل ما : يفصل في جـ

(٩) كان : سقطت في ب

(١٠) بينهما : أحدهما في جـ

قلت ذلك ؟ قلت : لعلمي به ، والله ما ضاق عليّ أمر منذ رأيته ، ولا اشتبه عندي وجه الحق فيه فرفعته إليه إلاّ أجنبي عنه قبل استيفائه آخره ، أو عندما يستوفيه بجواب ما خطر ببالي بعد الروية له ، والفكر فيه الأيام الكثيرة ، والليالي العديدة ؛
/ ١٠ [سنذكرها وغيرها مما يجري مجراها في كتابي هذا]^(١) فإني لعلّي ذلك أحدثه وهو يتعجب مما هيئته الله له ، وما يهديه من الصواب إليه في ذلك إذ نظرنا إلى الرجلين قد انصرفا من بين يدي المنصور بالله ع . م إليه ، فوقفا بين يديه ، وكان أقرب إلينا من المنصور بالله^(٢) ع . م فما هو إلاّ أن وقفا بين يديه حتى انصرفا إلينا وما سمعنا لهما كلمة .

وجاء أحدهما حتى وقف بيني وبين الرجل الذي كنت أخاطبه ورأيت وجهه يتهلل ، فقلت له : ما كان من أمركما ؟ فقال : انقطع كلامنا وفصل الأمير بيننا في كلمة واحدة بعدما سمعت مما كان بيننا بين يدي [مولانا ع . م]^(٣) . فقلت له : وكيف ذلك ؟ ونظرت إلى الرجل الذي كنت قلت له [فيه ما قلت]^(٤) وقلت له : ألم أقل لك . ! قال له الرجل : وكيف كان ذلك ؟ قال له : إنه لما طال مقامنا وكثر كلامنا بين يدي [أمير المؤمنين ع . م]^(٥) [قال لنا إذهبا]^(٦) إلى مولا كما ينظر فيما بينكما . فإنصرفنا إليه فلما مثلنا بين يديه وأردنا أن نتكلم قال : أسكتا أكفيكما^(٧) / ونفسي ، ثم نظر إلى صاحبي فقال : أليس هذا الوادي وما يجري^(٨) فيه من الماء وما يسقي من الأرض لنا ؟ قال : نعم . قال : وأنتما تنازعتما في هذا

(١) سقطت الكلمات المحصورة من ب

(٢) بالله : سقطت من ج

(٣) مولانا ع . م : أمير المؤمنين في ب

(٤) فيه ما قلت : قلت له من ذلك في ب

(٥) أمير المؤمنين : مولانا في ج

(٦) قال لنا إذهبا : قال أنا أذهب في ب

(٧) أكفيكما : كفيكما في ج

(٨) يجري : روي في ب

السقي يطلب كل واحد منكما توفير ما يجري لنا على يديه . قال : نعم . قال : فأخبرني لو كنت وكيلاً^(١) على الموضعين جميعاً أكنت تسقي موضعاً وتدع موضعاً بلا شرب ؟ فسكت . فقال : قل لا إن كنت تؤثر قول الحق ؟ قال : لا والله يا مولاي ما كنت أفعل ذلك . قال : [صدقت فما لم تكن تفعله لنفسك]^(٢) فلا تلزمه لغيرك ، اذهب فأزل السد واسق أنت ما عندك ، وهذا ما عنده بحسب ما يعطيك الله الماء ويعطيه . فحكمت لي بما طلبت فانصرفت .

قال : فنظر إليّ الرجل الذي كنت خاطبته [وقال لي : كأنما والله كشف لك]^(٣) عن غيب هذا الأمر ؟ ! قلت : ما ذاك إلا بما جربته وعرفته [بما قدمت عندك ذكر بعضه]^(٤) . قال القاضي النعمان : ثم نظرت في هذه القضية العجيبة التي ألهمه الله ع . ج إياها وسترها عن الإمام فذكرت قول الله ع . ج ﴿ وَدَاوُدَ / ١٢ / وَسَلِيمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَاهُمْ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾^(٥) الآية .

وما رواه الرواة لنا عن أئمتنا ع . م في ذلك من أن رجلين اختصما إلى داود النبي (ص) في غنم لأحدهما وقعت في زرع الآخر فأفسدته^(٦) . فقال داود في ذلك قولاً ثم صرفهما إلى سليمان لينظر بينهما ، فقال سليمان : إن كان صاحب الغنم تعمّد إرسالها في الزرع فهو ضامن لما أفسدته ، وإن لم يتعمّد ذلك وأفلتت من غير إرادة منه ولا قصد ذلك فلا شيء عليه ، والعجماء جبار ، والعجم البهائم ، والجبار الهدر يعني ما أصاب البهائم من ذات أنفسها فهو هدر . قال : وهذا إنما

(١) وكيلاً : أنت الوكيل في جـ

(٢) صدقت فما لم تكن تفعله لنفسك : الصدقة ما كنت لا تفعله لنفسك في جـ

(٣) وقال لي : كأنما والله كشف لك : كأنما كشف الله لك والله في جـ

(٤) بما قدمت عندك ذكر بعضه : ذكر البعوضة في بـ

(٥) سورة ٢١ / ٧٨ - ٧٩

(٦) فأفسدته : حتى أفسدته في جـ

يكون في النهار وعلى أهل^(١) الحوائط [حياطة حوائطهم]^(٢) بالنهار ، فأما إن أفلتت في الليل فصاحبها ضامن لما أصابت تعمد ذلك أم لم يتعمده ، لأن أهل المواشي عليهم أن يحفظوا^(٣) مواشيهم ليلاً ويمنعوها من الخروج من منازلهم ، وليس على أهل الحوائط^(٤) أن يحفظوا حوائطهم ليلاً . فهتم الله ع . ج سليمان هذه القضية في حياة أبيه وحجبها عنه ليريه فضله/ في حياته ، ويسره بما أودعه من حكمته ، وكذلك فهم المعز [لدين الله]^(٥) هذه القضية في حياة أبيه المنصور وحجبها عنه ليريه فضله في حياته ، ويسره بما ألهمه من الحكمة ، وبين له ما أتاه ليقربه عينه . وكما روى الرواة لنا أيضاً عن أئمتنا ع . م أن اعرابياً أتى إلى مسجد رسول الله ﷺ^(٦) في أيام عمر فقال له : إني رجل محروم مررت على بيض نعام فجريت وشويت وأكلت . فقال عمر : ما عندي في هذا علم ، ولكن اجلس فالساعة يجيء من عنده علم ذلك . فجلس حتى أقبل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ع . م فقال عمر : سل هذا ؟ وكان الحسن بن علي غلاماً مع أبيه علي بن أبي طالب فأتى الاعرابي علياً فأعاد عليه السؤال . فقال له علي ع . م سل هذا ؟ وأومى إلى الحسن . فقال الاعرابي يا ويلتاه مالي ولكم يا أصحاب محمد أعجزتم عن الجواب ؟ كلما سألت أحداً منكم أحوالي على الآخر !! فقال له عبد الله بن مسعود : سله يا أعرابي فإنه من^(٧) أهل بيت النبوة . فسأله الاعرابي ، فقال له الحسن : يا أعرابي ألك إبل ؟ قال : نعم . قال : فخذ بعبدة البيض نوقاً فاضربهن بالفحل/ فما حمل منهن وفصل من أولادهن فاجعله هدياً . فقال^(٨)

(١) أهل : أصحاب في ب

(٢) حياطة حوائطهم : أن يحوطوها في ج

(٣) يحفظوا : يحوطوا في ب

(٤) الحوائط : الحراية في ب

(٥) لدين الله : سقطت في ج

(٦) صلى الله عليه وآله : سقطت في ب

(٧) من : وفي ج

(٨) فقال : سقطت في ب

الاعرابي : فرجت عني فرج الله عنك ، وقام فاستقبله عمر فقال : ما الذي قال لك ؟ فأخبره . قال له : ارجع إليه^(١) فقل له : أما علمت أن النوق يزلقن ؟ فقال له الحسن : قل للذي قال لك هذا أو ما علمت أن البيض يمزقن ؟ فقام إليه أبوه علي فقبل بين عينيه وقال : ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم . فقال عبد الله بن مسعود : إن الذي فهم هذا الغلام هذه القضية [العجمية هو]^(٢) الذي فهم سليمان بن داود تلك القضية ، والذي أنطق هذا الغلام بالحكمة هو الذي أنطق يحيى بن زكريا بالحكمة ، والله لو رد هذا^(٣) الأمر في نصابه لأكلوها خضراء خضرة إيمانهم وعن شمائلهم ! فقال له عمر : أتؤلب الناس علينا يا ابن مسعود ؟ قال الحسن : كنت تفتيه ولا ترشده إلينا !! فهذه القضية أيضاً كانت من الحسن بحضرة علي إلهاماً من الله له ليقرب به في حياته عينيه^(٤) كما ذكرنا في قضية المعز ع . م ، ودل قول الاعرابي أنه شوى البيض وأكلهن على أنه لم يكن فيهن/فراخ ، فأمره الحسن / ١٥ ابن علي لذلك بأن يرسل الفحل في [عدة نوق كعدة]^(٥) ما أصاب من البيض فما حمل من ذلك الضرب ونتاج أهدها ، وإن لم [يحمل أو حمل]^(٦) بعضها لم يكن عليه غير هدي ما نتج ، لأن البيض كذلك قد يفسد كما ذكر الحسن بن علي ، وإن كان فيها فراخ لم تنشأ فيها الأرواح كان عليه أن يضرب النوق بالفحل حتى يتبين حملها فما نتج منها كان هدياً ، وإن كانت الأرواح قد نشأت فيها كان عليه أن يضرب النوق بالفحل حتى تحمل وتتحرك أجنحتها في بطونها فما نتج منها بعد ذلك أهدها ، وما مات في بطونها لم يكن عليه بدله لأن الفراخ كذلك قد تموت في البيض .

وقول المعز لدين الله للرجل : ما لم تكن تفعله لنفسك [فلا تلزمه لغيرك

(١) إليه : سقطت في جـ

(٢) العجمية هو : سقطت في ب

(٣) هذا : وا في ب

(٤) عينيه : عليه في جـ

(٥) عدة نوق كعدة : نوق عدة في جـ

(٦) يحمل أو حمل : تحمل أو في ب

من قول آبائه (ص) أحب للناس ما تحب لنفسك [١] وحسبك أدباً لنفسك ما كرهته من غيرك ، ومن قول بعضهم لبعض من سأله عن نكاح المتعة فقال له : هل ترضى لنفسك أن تنكح ذات محرم منك [عن نكاح متعة ؟ قال : لا والله . قال : فكفالك بهذا لا ترضى لغيرك إلا ما ترضاه لنفسك] [٢] وكلام أولياء الله كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، ويشهد بعضه لبعض ، لأنهم بنور الله [يستبصرون ومنه يقتبسون] [٣] وبحكمته ينطقون ، وعن أسلافهم يأخذون ، فهم حجج الله سبحانه في الأرض ، وهو كما قال الله تعالى : ﴿ ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [٤] .

هذا قول القاضي النعمان بن محمد رضوان الله عليه ، إلى أن قال :
 ١٦ / حدثني / بعض إخواننا عن المنصور بالله أنه قال [٥] : أردت أن أستعمل على بعض الثغور عاملاً فأجلت فكري في اختيار من أراه يصلح لذلك ، فلم يقع اختياري إلا على رجل سباه لي الرجل ، قال : (فلما لم أر) اختياري كلما أجلته ، وفكري كلما صرفته ، لا يقع إلا عليه ، علمت أن ذلك من توفيق الله ، فأردت امتحان ما عند الله لمن رجوته لمقامي ، وآثرته بأمري ، فكتبت اسم الرجل الذي [خطر ببالي] [٦] في رقعة ، وختمت عليها ووضعتها بين يدي ، ودعوت به يعني المعز لدين الله ، فسلم ، ثم وقف . فقلت : يا بني إني أردت إخراج عامل إلى بلد كذا وكذا ، وذكرت البلد ، فمن تراه يصلح لذلك ؟ فقبل الأرض ، وقال : يا مولاي وأي رأي لي مع رأيك ، والله يمدك بالتوفيق ؟ فقلت : قل عليّ ذلك ! فامتنع من القول ، وجعل يعتذر [٧] ويستعفي . فقلت له : لا بد من أن

(١) سقطت الكلمات المحصورة من ب

(٢) سقطت الكلمات المحصورة من ب

(٣) يستبصرون ومنه يقتبسون : يستضيئون في جـ

(٤) سورة : ٣ / ٣٤

(٥) المجالس والمسائرات جـ ١ ص (٤٠ - ٤١) مخطوطة في مكتبة المحقق

(٦) خطر ببالي : سقطت في جـ

(٧) يعتذر : يعذر في ب

تقول في ذلك ، فإنني ذكرت رجلاً واسمه في هذه الرقعة ، فخذ أنت رقعة واكتب من تراه . قال : فلما لم يجد من ذلك بدأ ، تناول قلماً ورقعة وكتب ، ودفع إليّ الرقعة ، فإذا فيها اسم الرجل الذي وقع اختياري عليه ، فحمدت الله تعالى على ما أنعم به عليّ فيه ، ورميت إليه بالرقعة التي كتبتها^(١) وفيها ذلك الإسم وقلت له : فكها وانظر ما فيها . ففعل ، فلما رأى ما وافق من ذلك من رأي ، حمد الله تعالى واستبشر ، وتهلل وجهه لذلك .

قال القاضي النعمان بن محمد^(٢) : وهذا مما قدمت^(٣) ذكره وكررت [في هذا الباب وفي الباب الذي قبله]^(٤) من إدخال السرور على أولياء الله^(٥) بما يريهم في من أقاموه مقامهم ، وفوضوا إليه أمرهم . ثم أخبرني المعز لدين الله بهذا الخبر بعد ذلك . وفيما رواه أيضاً عن المعز لدين الله قال : وسمعت يقول ع . م^(٦) : انتهت إلى الإمام القائم بأمر الله في آخر أيامه ، وفاة داع من دعائه ببعض جزائر المشرق ، وتنازع وصيته رجلان من أهل دعوته ، كلاهما زعم أنه أوصى إليه ، فلم يمض القائم ع . م من أمرهما شيئاً حتى قبض قدس الله روحه ، واشتغل المنصور ع . م بما كان فيه من أمر الحروب إلى أن أخذ الله نار تلك الفتنة ، وأزال به المحنة ، وكتب الدعاء فاحتاج إلى إثبات داع بتلك الجزيرة ، وكان لكلا^(٧) الرجلين اللذين ادعيا وصية الداعي المتوفى رسول بالحضرة أتى من عنده بكتاب يذكر أنه وصي ويسأل إطلاقه . فقال لي يوماً : من تراه يصلح من هذين الرجلين لهذه الجزيرة؟ فقلت : الله ووليه أعلم . قال : قل عليّ ذلك / فتوقفت واستعفيت . فقال : لا بد من أن تقول وقد قلت أنا في ذلك ولكنني أردت أن أعلم ما عندك فيه

(١) كتبتها : ختمت عليها في المجالس والمسائرات ج ١ ص ٤١

(٢) المجالس والمسائرات ج ١ ص ٤٢ مخطوطة في مكتبة المحقق الخاصة .

(٣) قدمت : قدرت في ب

(٤) في هذا الباب وفي الباب الذي قبله : سقطت في ب

(٥) أولياء الله : أوليائه في ج

(٦) المجالس والمسائرات ج ٢ ص (٣١ - ٣٢)

(٧) لكلا : سقطت في ب

هل يوافق ما قلته أو يخالفه ؟ فقلت : ينظرني أمير المؤمنين . فقال : أنظرتك . فانصرفت فجولت فكري وأدرت نظري فوق اختياري على أحدهما فكتبت اسمه في رقعة وجئت بها إليه فوضعتها بين يديه : فقال : ما هذه ؟ فقلت : إسم الرجل الذي وقع اختياري عليه . فتركها مكانها وأخرج رقعة مدرجة فقال : وفي هذه اسم من وقع اختياري أنا عليه منها . وفتحها فإذا اختباره واختياري قد وقع على رجل واحد ، فسرت بذلك وحمدت الله تعالى عليه . ثم جثته بعد ذلك ، فقال : أسرك موافقتك ليأي من أمر الرجل ؟ قلت : وكيف لا يسرني موافقة مولاي ؟ قال : أفأزيدك سروراً ؟ قلت : أن تفضل أمير المؤمنين ، فأخرج إليّ رقعة فيها توقيع القائم بخطه باختيار ذلك الرجل ، وقال : قلبت كتبه فمرت بي على غير تعمد ، ورأيت الرقاع الثلاث^(١) التي كتب القائم والتي كتب المنصور والتي كتبت أنا ، فكأنها كتبت من نسخة واحدة تقابل^(٢) بعضها بعضاً ، وكان ما فيها : ادعى وصيه فلان وفلان فنظرت إلى كتاب كل واحد منها فرأيت أن فلاناً أحق بذلك لوجه كذا ولوجه كذا لم يزد ما في رقعته منها على أخرى . قال : فأدنانني المنصور بالله إلى نفسه ، واعتقني ، وضممني إلى صدره ، وقبل صفحة^(٣) عنقي وألصق خده إليها مدة طويلة ، وهو يبكي حتى بل بدموعه أطواقني ، وبكيت لبكائه ولا والله ما علمت ما كان معنى ذلك البكاء حتى قبض ، فعلمت حينئذ^(٤) أن ذلك كان وداعاً منه لي ، وأنه رأى ما رآه^(٥) أن في ذلك أجله ، قد قرب لما رآه انتقل إليّ من التأييد .

قال القاضي النعمان بن محمد^(٦) : وليس هذا الذي قاله المعز بخلاف ما قاله من انتقال ما عند الماضي ، وإنما ينتقل إلى الباقي في آخر دقيقة تبقى من نفس

(١) الثلاث : سقطت من ب

(٢) تقابل : سقطت في ب

(٣) صفحة : لمحة في ج

(٤) حينئذ : سقطت من ب

(٥) ما رآه : لما رآه في ج

(٦) المجالس والمسائرات للقاضي النعمان ج ٢ ص ٣٣ .

الماضي ، إنما ذلك في إكمال^(١) الأمر ، واستحقاق الإمامة ، ووجوب الطاعة ، لأن ذلك لا يكون في اثنين باقين ، فأما الدلائل والبراهين والقوة / والتأييد فإنها توجد في الحجاج في حياة الأئمة كما ذكر ﷺ وتزيد حالاً بعد حال إلى وقت الكمال ، كلما قرب أجل الإمام^(٢) تقوى به^(٣) أسباب حجته ، وظهرت علامته ، ولذلك ما كان من بكاء المنصور لما نظر إلى المعز قد [وافقه ووافق]^(٤) القائم علم أن ذلك من قوة الدلائل ، وأن أجله قد قرب ، وعلى مثل هذا تجري أمور أكثر العالم ، لا ينتقل الشيء إلى الشيء دفعة واحدة ، ولا يكون ذلك إلا على التدرج والنمو شيئاً بعد شيء كنمو الخلق ، ودخول الفصل^(٥) من الزمان في الفصل حتى يتقضى^(٦) الشيء من الشيء ويخلص بنفسه ، ويتبين بحالته ، وينسخ^(٧) ما قبله ومن ذلك ما روي عن جعفر ع . م أنه قال : قال علي ع . م : عالم هذه الأمة ، ونحن نتوارث علمه ، وليس يهلك منا هالك حتى يرى من أهله من يعلم مثل علمه . وفي مثل بكاء المنصور ع . م لما رأى من اتصال المادة بالمعز ع . م . قال بعض الحكماء : من سره بنوه ساءته نفسه . يعنون أن بكمال الولد زيادته يكون نقص^(٨) الوالد وانحطاطه / ، وفي ذلك يقول بعض الشعراء :

إذا الرجال ولدت أولادها واضطربت من كبر ، أعضادها^(٩)
وجعلت علائها تعتادها فهي زروع قد دنا حصادها

فإذا كان هذا في ظاهر خلق الأبدان ، وما يداخلها من الزيادة والنقصان

(١) في إكمال : كمال في جـ

(٢) الإمام : الأول في جـ

(٣) تقوى به : تقوت في بـ

(٤) وافقه ووافق : وافق في بـ

(٥) الفصل : الفضل في بـ

(٦) يتقضى : ينقضي في جـ

(٧) وينسخ : وينتج في جـ

(٨) يتقضى : نقصان في جـ

(٩) أعضادها : أجسادها في بـ

فكيف به في باطن علم الأديان ؟

وفيا رواه عن المعز ع . م القاضي النعمان عليه من الله الرحمة والرضوان
قال : وسمعته ع . م يقول^(١) : لما احتضر المنصور بالله ع . م جعل يوصيني بما
أعمل عليه [بعده ، وهذا قائم ، وأومى إلى رجل من عبيده كان قائماً بين يديه ،
قال : ثم نظر إليه وقد دمع فقال : والله لتعابن من مولاك]^(٢) هذا ومن جميل
أفعاله وسيرته ، وما يجريه الله ع . ج من الخير على يديه ، ويصنعه من الجميل
إليه ، ويؤيده به ، ويمكته [له ، ويفتحه]^(٣) عليه ما لم تر [ولا سمعت]^(٤) قط
مثله ، فقال [له الرجل :]^(٥) : يا مولاي وأي شيء بقي له [من ذلك]^(٦) لم
تفعله أنت ؟ قال : كثير والله جداً هو في القوة لم يظهر بعد إلى الفعل ، يظهره الله
له ويجري على يديه . وقال القاضي النعمان بن محمد رضي الله عنه^(٧) : قال الإمام
المعز ع . م : شهدت مشهدين لو حملت الجبال ما حملته لما أطاقته ، وهي وفاة
القائم بأمر الله ، والمنصور بالله . وحين أفضت خلافة/الله إلى أمير المؤمنين الإمام
المعز لدين الله معد بن إسماعيل أبي تميم ع . م قام بالأمر ، والتزم بالصبر ، على
جليل المصيبة ، وعظم الرزية ، كما قال القاضي النعمان بن محمد . هذه بعض ما
أتى عنه ، وقد ذكرناه ، وهو قول المعز ع . م فبينما كنت أخشى من الوجد عليه إذ
صار يعزيني عنه ع . م ، وأنا أعلم من مكانه عنده ، ومحل له ، وموقعه من
قلبه ، ما قد كنت أخاف عليه إن حدث به حدث من أجله ، فرأيت من العزاء ،
والصبر ، والتجلد ، وجميل الأمر ، ما قد أيقنت أن ذلك لانتقال الإمامة إليه ،

/ ٢٢

(١) المجالس والمسائرات للقاضي النعمان ج ١ ص (٨١ - ٨٢)

(٢) سقطت الكلمات المحصورة من كلا النسختين وأخذناها من المجالس والمسائرات ج ١ ص
٨١ .

(٣) له ، ويفتحه : ويفتح في ج

(٤) ولا سمعت : سقطت في ج

(٥) له الرجل : سقطت في ب

(٦) من ذلك : سقطت في ب

(٧) المجالس والمسائرات للقاضي النعمان ج ١ ص ٨٥ .

ورأيت تأثيرها ومخائلها فيه ، لتأييد الله له ، وتوفيقه إياه ، وما وهبه له من جميل المادة وأجراه عليه من حسن العادة^(١) .

وكتتم أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م وفاة والده المنصور صلوات الله عليهما ، من آخر شهر شوال يوم وفاته إلى عاشر ذي الحجة يوم النحر ، وقد خرج لصلاة العيد ، وعليه شعار السكينة ، وهيبة الإمامة ، فصلى صلاة العيد ، ثم / ٢٣ ارتقى المنبر، وخطب / خطبته التي أظهر فيها وفاة أمير المؤمنين المنصور بالله ع . م وسلامه ، ورحمته ، وبركاته ، فقال: ^(٢)

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله ، والله أكبر ، الأعز الأقدر ، الخالق المدبر ، ذو الكبرياء والجبروت ، والعزة والملكوت ، الأحد الصمد ، الفرد المتفرد ، الأعلى القاهر ، الباطن الظاهر ، الأول الآخر ، مبدع^(٣) السموات والأرض بالقدرة ، ومالكها بالعزة ، ومدبرها بالحكمة ، وخالقها بما فيها من عجائب الفطرة ، وبدائع التركيب والصنعة ، الذي كل شيء من موات وهي ناطق بالدعاء إليه ، والدلالة عليه ، والشهادة له بالتوحيد ، والتعظيم ، والتمجيد ، فتكوينه^(٤) الأشياء كلها من عدم شاهد بأن لا شيء قبله ، وانتهاءها إلى الغايات دليل على ألا غاية له ، وإحاطته^(٥) بحدودها منبئ بأن لا حد له ، فالضعف ، والعجز ، والفقر ، والنقص الذي لم يخل منه مخلوق / أفصح ناطق ، وأصدق شاهد / ٢٤ للخالق ، وحده جل ثناؤه بالالهية ، والفردانية ، والقدرة ، والربوبية ، والتمام ، والكمال ، والأزل ، والدوام ، تبارك الله رب العالمين ، أحسن كل شيء خلقه ،

(١) المجالس والمسائرات للقاضي النعمان ج ١ ص ٦٣

(٢) سيرة الأستاذ جوذر صفحة ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨

(٣) مبدع : سقطت في ب

(٤) فتكوينه : كأنه في جـ

(٥) وأحاطته : وحاطه في ب

وتكفل لكل حي رزقه ، ثم هدى بالعقل الذي قامت به حجته ووجبت طاعته ،
والكتب والرسول الذين تمت بهم حكمته ، فصلى الله عليهم أجمعين ، وعلى محمد
سيد المرسلين الذي رفع ذكره ، وأعلى قدره ، فأكرمه^(١) بالوسيلة ، واختصه بكل
فضيلة ، وابتعثه هادياً للعباد ، ونوراً في البلاد ، [علم به من الجهل ،]^(٢) وهدى
به من الضل ، وكثر به القل ، وأعز به من الذل ، فألف به بعد الشتات ، ونور به
دياجير^(٣) الظلمات ، صلوات^(٤) الله عليه وعلى آله المهديين ، الأخيار الطيبين .

يا أيها الناس : إن الله لم يخلقكم عبثاً ، ولم يهلككم^(٥) سدى ، ولم يجعل
عليكم في الدين حرجاً ، ولم يضرب الذكر عنكم صفحاً ، [للعبادة خلقكم ،
وبطاعته وطاعة رسوله أمركم ، وجعل للطاعة]^(٦) أعلاماً منصوبة ، وفروضاً
مكتوبة ، ومن أفضل أعلامها ، وأكرم أيامها ، يوم الحج الأكبر إلى البيت العتيق
/ ٢٥ / مبعث إبراهيم خليل الله ، وقبله محمد رسول الله ﷺ ، فتقربوا إلى الله بما أمركم
به ، ورزقكم إياه ، من بهيمة الأنعام ، مقتدين بسنة محمد نبي الرحمة
والهدى ، مستشعرين لله التقوى ، فإن الله ع . ج يقول : ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا
وَلَا دِمَائُهَا وَلَكِنَّ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾^(٧) فبالتقوى تقبل الأعمال ويدرك الأمل ،
وكبروا الله على ما هداكم وأشكروه على ما أولاكم ، ألا وأن خير الهدى الإبل ،
وخير الإبل إنائها ، وكذلك من البقر ثم الفحول من الضأن ، وسلامة الضحايا
سلامة العين والأذن ، وأن تكون من حلال الأموال ، نسأل الله لنا ولكم قبول

(١) فأكرمه : فالزمه في ب

(٢) علم به من الجهل : علم به من بالجهل في جـ

(٣) دياجير : دياجي في جـ

(٤) صلوات : سقطت في جـ

(٥) يهلككم في ب

(٦) سقطت الكلمات المحصورة في كلا النسختين وأخذناها من سيرة الأستاذ جردر ص ٧٧ .

(٧) سورة : ٢٢ / ٣٧

العمل بامتنانه^(١) وبلوغ الأمل من رضوانه ، ورحمته ، وإحسانه . ثم جلس
جلسة خفيفة ، وقام للمخطبة الثانية : فقال :

[بسم الله الرحمن الرحيم] "٢"

الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله ، والله أكبر ، الله أكبر شأناً وأعظم سلطاناً ،
وأوضح آيات وبرهاناً ، عن أن تنكر^(٣) العقول توحيده ، أو تروم تحديده ، خالق
السموات والأرض ، [ومالكها ومدبرها]^(٤) الفرد الصمد ، الواحد الأحد ،
الذي لا شريك له ولا ند ، الخالق القدير ، الرحمن الغفور ، النافذ قضاؤه ،
الكائن ما يشاؤه ، المتقن / كل شيء صنعاً ، الواسع كل شيء رزقاً ، والمحيط / ٢٦
بكل شيء علماً ، أحمده وأستعينه وأستغفره وأستهديه^(٥) ، وأفوض إليه وأتوكل في
كل الأمور عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً خيرته
من عباده ، ونجيبه من بريته ، وصفوته من المتطهرين ، ورسوله إلى كافة
العالمين ، وبعيثة^(٦) بالإمامة إلى الثقلين ليبلغ حجة الرب ، ويوضح حجة^(٧)
الحق ، فأدى رسالة الله ورحم [ورأف بعباد]^(٨) الله ، وصبر على الكبار من مكر
الكفار إلى أن أдал الله للحق على الباطل ، [والهدى على الأضائل]^(٩) محمد ﷺ
وأله أفضل الصلاة وأزكاها وأكملها وأتمها ، وأخلدها وأبقاها ، وعلى الأئمة من
عترته المهديين الكرام الأبرار الذين اختارهم الله للخلافة ، وارتضاهم للإمامة ،
وأكد بوصية الرسل حججتهم وأوجب في التنزيل طاعتهم ، بعد تفضيله إياهم على

(١) بامتنانه : منانه في ب

(٢) سقطت الكلمات المحصورة من سيرة الأستاذ جوذر ، وربما كانت إضافة من الناسخ

(٣) تنكر : تفكر في جـ

(٤) ومالكها ومدبرها : ومالكها ومدبرها في جـ

(٥) وأستهديه : وأشهد به في ب

(٦) وبعيثة : وبعثه في جـ

(٧) حجة : حجة في ب

(٨) ورأف بعباد : وأراد بعباد في جـ

(٩) والهدى على الأضائل : سقطت في جـ

العلمين بأبوة محمد سيد المرسلين ، وعلى أفضل الوصيين ، [وعلى أمه]^(١) سيدة النساء ، وخامسة أصحاب الكساء ، صلى الله عليهم أجمعين ، وعلى أمير المؤمنين المهدي بالله / والقائم بأمر الله ، سيدي الوري وإمامي^(٢) الهدى ، اللذين أعلن^(٣) الله بهما دعوة الحق ، وأنطق بهما الإيمان والمؤمنين ، وأقام بهما معالم^(٤) الدين ، وأزهق بحقهما باطل المدعين ، وأكاذيب المتخرصين ، وقطع بسيوفهما دابر الظالمين ، صلوات الله ورحمته وبركاته ورضوانه وتحياته عليها اللهم أخصص الإمام الفاضل ، والوصي العادل ، والبر الفاضل ، والغيث الوابل ، ذا الآيات الباهرات ، والمعجزات النافذات ، الباذل نفسه الكريمة في حين^(٥) الأزل والكربات ، الصابر في البأساء والضراء حتى طهر الأرض من جبابرة الأعداء ، عبدك ووليك ونجيبك وصفيك أبا الطاهر المنصور بك ، والمتوكل عليك ، والمفوض إليك ، العامل بما يرضيك ويقرب إليك ويزلف لديدك ، الذي فجعتنا بفقدته ، وأوحدتنا من بعده ، وأفردتنا منه وأوحشتنا فقبلت دعاءه ، وأجبت ندائه ، وجمعت بينه وبين أحبته في مستقر جنتك وسعة رحمتك ، وإن القلق وشدة الحرق عليك يا أبتاه ، [يا سيده ، يا إسماعيله ، يا أبا الطاهراه ،]^(٦) / يا بحر علوم الأئمة الطاهرين الهداة المهديين ، يا بقية أبناء الرسول ، وأولاد الوصي والظاهرة البتول ، يا إمام الأئمة ومفتاح باب الرحمة ، يا سراج الهدى وشمس الوري ، ومجلى [الطجباء ، يا مخصوصاً]^(٧) من الله بتعجيل الكرامة ، عظم والله علينا المصائب بك ، وحل البلاء ، وعدم العزاء لفقدك ، وقصرت الألسن عن

(١) وعلى أمه : ومن أهمهم في ب

(٢) وإمامي : وإمام في ج

(٣) أعلن : أعلى في ب

(٤) معالم : علم في ج

(٥) حين : فهو في ب

(٦) سقطت الكلمات المحصورة من كلا النسختين فأخذناها من سيرة الأستاذ جوذر ص ٧٩ .

(٧) الطجباء : الصحباء في ج ومعنى الطجباء : الليلة المظلمة .

إدراك إحصاء فضائلك^(١) ، وتعداد مناقبك ، فوالذي^(٢) اختصك بكرامته ،
 وحبك بجزيل عطايه ، وشرفك بأبوة رسوله ، لولا ما أوعزت إليّ به وأكدته عليّ ،
 من القيام بحق الله والذب عن أمة جدك رسول الله (ﷺ) ، واستنقاذهم من غمرة
 الجهالة ، وبحار الضلالة ، ومهادي الفتن ، ومعاطب^(٣) المحن . وما تقرر^(٤)
 عندي ، ورسخ في صدري من الجزاء بمقدار الوفاء لله ولرسوله ، ولأئمة الهدى
 لضربت على وجهي سائحاً في البلاد ، قالياً للمهاد^(٥) ، راضياً ببلغة من الزاد ، إلى
 أن يلحقني الموت سريعاً بك ، فأفوز بقربك ، ورحمة بك ، لكنني فكرت / ٢٩
 ونظرت وتدبرت فلم أر لي وجهاً استوجب به درجتك واللاحق بشرفك سوى الصبر
 والاحتساب ، فتجلدت ، وصبرني ربي فصبرت ، وغلب عليّ البين^(٦)
 فأمسكت ، فأقول إنا لله وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي
 العظيم الرحمن الرحيم ، له الحمد على ما أبلى ، والشكر على ما أولى . معاشر
 أوليائنا ، والقائلين بطاعتنا ، والمتمسكين^(٧) بولايتنا هذه والله المحن الشداد ،
 المنضجة^(٨) للأكباد ، هذه الزلازل العظام التي لا تثبت لها الأقدام ، هذه المشاهد التي
 لم يالكم أئمتكم لها تبيئاً^(٩) ، ولم تزل راغبة إلى الله في تثبيت أقدامكم وعصمة
 قلوبكم عند حلولها بكم ، ووقوع المحنة فيها عليكم ، فثبّتوا تسلموا ، ولا تضلوا
 لتندموا فلن يخلي الله أرضه وعصره في كل زمان من قائم لله بالحقّ شاهد على
 الخلق ، يقر به المؤمنون ، ويحجده الكافرون الضالون الأخسرون ، إن الله بحمده
 خالق الخلق من غير حاجة كانت منه إليهم ، لكن لعبادته وإظهار فضله وجوده

(١) فضائلك : شمائلك في جـ

(٢) فوالذي : فوحي في جـ

(٣) ومعاطب : ومعاطي في بـ

(٤) تقرر : تقرب في بـ

(٥) للمهاد : سقطت في بـ

(٦) البين : اليقين في جـ

(٧) والمتمسكين : والمتوسلين في بـ

(٨) المنضجة : المستجدة في جـ

(٩) تبيئاً : تبيئاً في بـ

عليهم ، وجعل الحياة فيهم قوة عاملة ، والموت كأساً دائرة ، وما بعد الموت جزاء / ٣٠
 للعمل وبين لهم بين هذين / نهج^(١) السبيل برسله المنتجبين^(٢) ، وبأئمة الهدى المختارين ، وجعل ثوابهم^(٣) وحظهم على مقدار بلاغهم وقيامهم ، واضطلاعهم بأمره وإرشاد خلقه ، وجعل بينهم درجات في الفضل فقال جل ثناؤه : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ، فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾^(٤) ، تبارك الله رب العالمين ، الذي لم يرض بالدنيا ثواباً للمؤمنين ، ولا عقاباً للكافرين .

يا أيها الناس : ما من حي إلا وهو رهين بالموت ، ولا موت إلا وبعده نشور ، ولا نشور إلا بحساب ، فثواب أو عقاب ، وطوبى لمن لقي الله متمسكاً بحجزة أوليائه ، معتصماً بعصمتهم ، قائماً بلوازم الطاعة المفترضة عليهم بحججه وأصفيائه ، متفياً بظلال ألوية عترة رسوله محمد سيد المرسلين ، يوم لا ينجي^(٥) إلا الدين ، ولا ينفع إلا صحة اليقين ، ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا ، وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ، وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾^(٦) .

يا أيها الناس : إنما الأعمال بخواتمها ، والجزاء / من الله بحسب الوفاء لله / ٣١
 ورسوله ، ولأئمة الهدى من ذرية^(٧) الرسول ، وقد شاهدتم سيد الأئمة وراعي الأمة وسراج الدجنة في مواطن ومشاهد قضى فيها فرض ربه عليه ، وأدى وديعة جده محمد لديه ، وبين لكم من سنته ما إن اقتديتم^(٨) به لن تضلوا ، ولن تبت

-
- (١) نهج : نحو في ب
 (٢) المنتجبين : المجتبيين في ب
 (٣) ثوابهم : فعالهم في ج
 (٤) سورة : ٣٥ / ٣٢
 (٥) لا ينجي : لا ينفع في ب
 (٦) سورة : ٣ / ٣٠
 (٧) ذرية : آل في ب
 (٨) ما إن اقتديتم : اقتديتم في ب

أيديكم من رحمة الله ، ولن تعشو أبصاركم عن قصد السبيل الأقوم ، والتمسك بالدليل الأعظم ، وما من ولي سالف إلاً وبعده وصي خالف قائم الله بحقه [منخر ثوابه^(١)] ، عامل بما يرضيه حسب طاقته ، ومنتهى استطاعته ، ولا يكلف الله نفساً إلاً وسعها ، ولا يرتضي للقيام بدينه وهداية خلقه ورعاية أمة نبيه إلا الأفاضل الأعماد ، [الأحاد الأفراد]^(٢) ، ذوي الهمم العالية ، والأخلاق الرضية والنفوس الأبية من خالص الذرية ، وقد جرت سنة الله في خلقه ، ونفذ في حكمه ما لا يستطيع له جحد ، ولا للقول به رد ، من مواصلة الرسل لتبيين السبل في الزمان بعد الزمان ، وإعلان دينه حسب الإمكان ، وأوجب للعباد الثواب بطاعتهم وإجابة دعوتهم وقبول هدايتهم ، والعقاب بإسقاطهم وجحدهم وإنكارهم ، وليس المؤمن بأولهم جاحداً^(٣) آخرهم ، ولا ينفخ جاحداً أولهم / تصديق آخرهم / ٣٢ / للثواب والرحمة ، من العذاب الأليم والخزي المقيم ، وقد قرن الله طاعة أئمة الهدى بطاعة الرسل ، وطاعة الرسل بطاعته ، قال الله تعالى : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾^(٤) كذلك جرت عادته في الأنبياء والأوصياء^(٥) ﴿ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾^(٦) ﴿ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾^(٧) وهل لمقر بنبوة موسى ورسالة عيسى عليهما السلام حاجة بتفضيل محمد سيد^(٨) النبيين وخاتم^(٩) المرسلين إذا أنكر نبوته ، وهل له انتفاع بأعماله أو ثواب لعبادته ؟ النور أيها الناس فينا مصون ، وعطاء ربكم لنا غير ممنون ، فأين تذهبون ، وفي أي أرض تتيهون ، هيهات هيهات لما توعدون فأطيعونا تهتدوا ، وتمسكوا بحبلنا ترشدوا ، واعملوا بما

(١) منخر ثوابه : بمستنجو ثوابه في ب

(٢) الأحاد الأفراد : الأفراد في ج

(٣) جاحداً : جحد في ب

(٤) سورة : ٤ / ٥٨

(٥) الأوصياء : المرسلين في ب

(٦) سورة : ٣٣ / ٦٢

(٧) سورة : ٣٥ / ٤٣

(٨) سيد : خاتم في ب

(٩) خاتم : سقطت في ج

تفوزون في أخراكم^(١) تسعدوا ، ولا تجعلوا أكثرهمكم دنياكم ، فإن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أبا الأئمة المهديين صلوات الله عليه وعليهم أجمعين قال : « إن الله أحلّ حلالاً وأعان عليه ، وحرم حراماً وأغنى عنه » . فدعوا ما قل لما كثر ، وما ضاق لما اتسع ، فقد أمركم بالعمل ، وتكفل لكم بالرزق ، فلا يكون طلب المضمون لكم أولى بكم من طلب المفروض عليكم . اللهم أوزعني^(٢) شكر نعمتك ووفقي لما يرضيك ويقرب إليك ، ويوجب المزيد [من فضلك ، والذخر عندك]^(٣) بإتمام نعمتك عليّ في الدنيا والآخرة . إله الخلق رب العالمين ، اللهم أيدني بنصرك ، وافتح لي على أعدائك فتحاً ميبناً^(٤) تحمي به الدين ، وتعز به ملة محمد سيد المرسلين ، وارزقنا زيارة قبره والارتقاء^(٥) على منبره ، وحلول داره ع . م ، وقضاء الحج إلى بيتك الحرام ، والوقوف بتلك المشاهد العظام برياتنا ، وقد جددت لنا العز ولأوليائنا ، وقد أيدتنا وإياهم بالنصر ، وأكرمتنا بالظفر وأظهرتنا على القوم الظالمين ، وأخضعت لنا رقاب العصاة ، وقد تقدم منك الميعاد للأباء والأجداد ، ولا خلف لوعدك ، ولا رادّ لأمرك ، والرضا والتسليم بما قضيت ، عجلت أو أجلت . اللهم اجعل ما مننت به من إحسانك ، وما تجدد لي من فضلك ونعمتك عليّ وعلى العباد رحمة منك ، اللهم واقرن بكل عز تجده لي ذلاً تسكنه قلبي لعظمتك وجلالك وهيبتك ، فلا عز إلا في الخضوع والعبودية لك ، ولا غنى إلا في الفقر إليك ، ولا أمن إلا في خوفك^(٦) ، ولا سعادة في الدنيا والآخرة إلا برضاك ، يا رب العالمين ، اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات واخصص أولياء دولتنا وأنصار دعوتنا المجاهدين الصابرين الشاكرين من رحمتك بما استوجبوه من طاعتك ، وقضاء فرضك ،

(١) اخراكم : أخرتكم في ب

(٢) اللهم أوزعني : سقطت في جـ

(٣) من فضلك ، والذخر عندك : سقطت في ب

(٤) ميبناً : باناً في جـ

(٥) والارتقاء : والارتقاء في ب

(٦) خوفك : خافك في جـ

وموالاة أوليائك ، ومعاداة أعدائك ، وصل الله على محمد سيد المرسلين في الأولين / ٣٤ / والآخرين . اذكروا الله العظيم / يذكركم ، [واستغفروا الله لي ولكم ، وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله] (١) .

وخرج أمير المؤمنين المعز لدين الله بعد انقضاء عيد الأضحى بشريف نفسه ، وقد أوعز إلى كتامة فجاءته منهم جنود عظيمة ، وجمع جنوده وعبيده فاجتمع الكل يوم الأضحى ، وسمعوا خطبته ، وذلك في سنة اثنين وأربعين وثلاثمائة ، وقصد جبل أوراس على حصانته ، ومنعته ، وكثرة أهله ، والناس بعد فتنته وأطراف المملكة على سبيل المعصية ، والسبيل خائفة ، ولهب نار الفتنة لم [يحمد ، وحرها] (٢) لم يبرد ، ورؤساء القبائل [الذين هاجوا] (٣) الحرب وعتوا ، واستكبروا ، وتمادوا في آثار الفتنة والشغب ممتنعون في معاقلهم في الجبال والأطراف ، فنهض إليهم أمير المؤمنين بجنوده المنصورية ، وأعلامه المشهورة ، فأنزلهم من معاقلهم (٤) ودان له دانيهم وقاصيهم ، وقذف الله الرعب في قلوبهم ، وملك عليهم جبل أوراس عنوة ، فأخذهم بالعفو على عظيم الذنب والقوة ، وسار فيهم بالصفح والعدل ، وأجرى فيهم من حسن السياسة ما اعترفوا جميعهم له بالفضل ، فدانوا / له خاضعين ، وأهبطوا لأمره متواضعين ، وكان له في ذلك الفتح العظيم ، والفضل العميم ، وحقق الدماء ، وسكنت الدهماء ، وأمنت الروعات ، واطمأن الناس ، وألف الله له قلوب العباد ، وقطع به أسباب الفساد ، فلم يعرض له عارض ، ولم يبق له معارض ، وأناه محمد بن خنزر (٥) أخو

(١) سقطت الكلمات المحصورة في ب وربما كانت زيادة أضافها النساخ .

(٢) يحمد ، وحرها : يحمدها في جـ

(٣) الذين هاجوا : الذي هاجرا في جـ

(٤) معاقلهم : هياجهم في جـ

(٥) هو محمد بن الحسن بن خنزر المغراوي أشعل نار الثورة في بلاد المغرب فأرسل إليه المعز قائده زيري بن مناد ، فلم ير هذا التأثير بدأ من التسليم . فوصل إلى المعز مستأمناً في شهر ربيع الثاني سنة ٣٥٩ هـ ، وطلب الدخول في طاعته فقبل منه المعز ذلك ، وفرح به ، وأجرى عليه رزقاً كثيراً . الكامل لابن الأثير جـ ٨ ص ٢١٥ .

معبد أمير البربر ، وابن أميرها ، ومن له رياستها وسياستها ، فألقى بيده إليه ، وتطارح بنفسه عليه ، وأراه الله طريق رشده ، وأطلعت له طوالع سعده ، فدخل في دعوة الإمام ع . م ، وأخذت عليه البيعة ، وعاد بعد النصب إلى رأي الشيعة ، موالياً لعلي بن أبي طالب ع . م أمير المؤمنين ، والأئمة من ذريته الطاهرين ، فشملة من تطول الإمام المعز لدين الله ع . م وأنعامه ، وجوده ، وإكرامه ، ما صار^(١) به له كأحد العبيد المملوكين ، وهو في ذلك عند الإمام ع . م وفي المكان المكين لم تتضع رياسته ولا تدنو مكانته وأبائه المملكون على البربر^(٢) من قبل الإسلام ولهم الانقياد إليهم وهم فيها جاروا الأحكام ونقل عياله / أولاده / ٣٦ وأهل بيته إلى باب أمير المؤمنين ع . م وحضرته وحل عنده ومعه في قراره ودار مملكته راضياً في ذلك أشد الرغبة جاعلاً طاعة إمامه إلى الله وسيلة^(٣) وقربه وسار معه قواد البربر ووجوههم ، والمشهورون بالرياسة منهم ، كأيوب بن سياك والي المعز ، ومستويه ، وغيرهم طائعين غير مكرهين مستسلمين ، عازمين^(٤) الكون في جملة الإمام ع . م ، والحلول في دار مملكته ، لما شملهم من الأفضال ، والأنعام .

وانصرف أمير المؤمنين ع . م من سفره ظافراً قاهراً ، قد دانت له الجبابة ، وذلت له العظماء صاغرة ، ووصل إلى دار مملكته بالمنصورية سالماً غانماً ، ثم وصل ع . م إلى المهديّة مدينة جده ع . م فأقام بها أياماً وأقبل^(٥) على الأستاذ جوذر إقبالاً حسناً ، وأفضل عليه إفضالاً واسعاً ،^(٦) وراجع الأستاذ في حاجة طلبها منه من حوائج الدين ، وفيما ينتفع به في الآخرة من العلم ، فكان جواب أمير المؤمنين ع . م : يا جوذر صانك الله ، والله ما وعدتك بشيء وأنا أرجع لك / فيه ، / ٣٧

(١) ما صار : صدر في ب

(٢) البربر : سقطت في جـ

(٣) وسيلة : سله في ب

(٤) عازمين : فاجرا في ب

(٥) سيرة جوذر ص ٨٤

(٦) واسعاً : جزيلاً في سيرة جوذر

وأنتك لمحقوق عندنا لكل خير ، وبالله ما ادخرنا عنك شيئاً يجب^(١) إعطاؤه لغيرك ، وما في نيتك وولايتك^(٢) كدر يحتاج إلى التصفية ، ولم يبق لك علينا إلا إسعافك بما سألت ، ونحن فلم نجىء إلى مهدية إلا بالمستخف من القش^(٣) ، ولا يتهياً وصول هذا إليك إلا من يدي إلى يدك ، ونحن نصل إلى المنصورية على خير وعافية إن شاء الله ، والذي تطلبه بها ، ولا يتهياً أن يخرجها غيرنا ، فبعد وصولنا بيومين أو ثلاثة إن أمكنك أن تظهر أنك عليل ، وتختفي عن الناس ، بعد أن تسكن وحشتهم منا ، ثم تنسل إلينا في الليل من حيث لا يعلم بك إلا من تثق به ، إلى أن يكون نزولك عندنا ، فتتال^(٤) ما أملت ، وتزور وتشاهد زيارة قبر المنصور ع . م ، وتنصرف من وقتك ، فإن وصولنا من المهديّة يبعد من الساعة إلى حين الربيع ، والموت بيد الله ، وقد قال الله تعالى^(٥) : ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾^(٦) . وأنا أوجه إليك بكتاب مליح^(٨) هو بخط المنصور بالله فيه كلام الأئمة عليهم^(٩) أجمعين أفضل^(١٠) التحية والسلام ، ومواعظ ، تتدبره هذين اليومين ، ونحن لك على إتمام ما أملت ، فكن من ذلك على ثقة إن شاء الله / ٣٨

ورجع أمير المؤمنين المعز ع . م إلى المنصورية، فبعد إقامة^(١١) أيام قلائل ،

-
- (١) يجب : بغير في ج
 - (٢) وولايتك : سقطت في ب
 - (٣) القش : القنب في ج
 - (٤) فتتال : فتناول في ب
 - (٥) الله تعالى : عز وجل في سيرة جوذر ص ٨٥
 - (٦) سقطت الكلمات المحصورة من كلا النسختين فأخذناها من سيرة جوذر ص ٨٥
 - (٧) سورة : ٣١ / ٣٤
 - (٨) مליح : ملح في ج
 - (٩) عليهم : سقطت في ج
 - (١٠) أفضل : سقطت في ج
 - (١١) إقامة : سقطت في ب

نفذ الأستاذ على [حسب ما كان نفذ به الأمر إليه ،]^(١) قال صاحب سيرة الأستاذ : وبلغ ما أمله من حاجته ، وانصرف مسروراً لم يشعر به أحد ، ولم يقيم جوذر الأستاذ بعد ذلك بالمهدية إلا قليلاً ، ثم نقله أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م إلى المنصورية ، وأسكنه عنده في دار البحر داخل قصره [المبارك حسب ما]^(٢) جرت به عادته من السكن مع مواليه ع . م حيث كانوا عليهم أفضل الصلاة . وهو الذي عناه القاضي النعمان رضي الله عنه حين قال : وسمعت المعز لدين الله يقول لبعض خاصة عبيده ، وقد قدم عليه من المهدية ، وكان مقياً بها ، وأمره بالمقام بحضرتة ، وخصه بالقرب منه لتقديم ولايته وصحبته وعفافه ، إنك لن تعدم بقربك منا خيراً تفيده ، ومسرة تغتبط بها ، وتطيب نفساً بورودها ، ونعمة تحوزها وتستفيدها ، كما لا يعدم من قرب من عدونا ، وحل من خاصته مملك منا من غضب الله ، ولعنته ، وخزيه ، ومقته ، في عاجل دنياه حسب ما يستحقه ، ولما أعد لهم في الآخرة أنكى وأشقى ، / ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ، كما] أن ما]^(٣) لأوليائنا ولن سعد بقربنا ورضاناً^(٤) من ثوابه في الدار الآخرة عنده أجل وأعظم مما يظنه أو يسمو^(٥) إليه أمله ، قال : فقبل الأرض الأستاذ بين يديه ، ومن حضر ممن خصه بقربه ، وحمدوا الله على ما أولاهم من فضله ، وشكروا ذلك له بما قدروا عليه^(٦) .

وكان العمال بالمهدية على يد جوذر ومن تحت أمره ، وهو المورد فيهم والمصدر عن أمر أمير المؤمنين مولاه ، عليه أسنى السلام والصلاة ، فكان نصير خليفته في المهدية^(٧) ، ونظيف صاحب بيت المال ، وحسين بن يعقوب صاحب

(١) سقطت الكلمات المحصورة في ب

(٢) المبارك حسب ما : سقطت في ب

(٣) أن ما : سقطت في ب

(٤) ورضاناً : ورمضاناً في جـ

(٥) أو يسمو : وسماً في ب

(٦) المجالس والمسائرات للقاضي النعمان جـ ٢ ص ٣٤١ مخطوطة في مكتبة المحقق الخاصة .

(٧) جاء في سيرة جوذر ما يلي : وكانت كتب من بقي من المتخلفين بالمهدية في الخدمة مثل نصير =

البحر ، وكلهم من ممالك الأئمة ع . م وعبيدهم الذين نشأوا على يد جوذر في الطهارة والأمانة والأخلاق المحمودة ، والأفعال الصالحة ، اقتداء بأئمتهم ، وسيراً على منهجهم ، واستنارة بأنوار سرجهم . قال القاضي النعمان بن محمد رضي الله عنه وأرضاه : وكان اعتمادي في أيام الإمام المنصور بالله ع . م في ما أحاوله عنده ، وأرفعه إليه ، وأطالعه فيه ، على المعز لدين الله فما أردت من ذلك بدأته به ورفعته إليه / ٤٠ وسألته حسن رأيه فيه ، فما أمرني أن أفعله من ذلك فعلته ، وما كرهه لي تركته ، وكان لي في ذلك رفق عظيم ، وفرج كبير ، ولم أكن أعمل على رأيه إلاّ ظهرت لي بركته والسعادة فيه ، ولم ينهني عن شيء فتركته إلاّ تبين لي بعد ذلك غيه . فلما قبض المنصور بالله ع . م وبركاته ورحمته احتجب إلى مطالعة أمير المؤمنين المعز لدين الله ومعاملته بما كنت أعامل المنصور وأطالعه فيه ، فعدمت^(١) من دونه ما كنت وجدته فيه دون المنصور ع . م ، فبقيت وقتاً طويلاً أتهيب ذلك ، وأخاف التقحم فيه ، فلما طال ذلك عليّ كتبت إليه رقعة رأيت أن أقدم فيها عذراً عنده^(٢) فيما عسى أن أرفعه^(٣) إليه وأخاطبه فيه . وكان فيها^(٤) : قد علم أمير المؤمنين ع . م اعتماد عبده فيما كان يرفعه إلى المنصور [قدس الله روحه]^(٥) على فضل رأيه ، ومطالعه به قبل رفعه وعمله فيه بعد ذلك على أمره ونهيه ، وإن ذلك مما وجدت [غب عاقبته]^(٦) ودامت السلامة وحسنت^(٧) الحال له به ، ولم يجد

= خليفته - أي خليفة جوذر في منصبه - ونظيف صاحب بيت المال ، وابن حسون وصافي ، وحسين بن يعقوب صاحب البحر وغيرهم ممن يكاتب . . فيكاتبه كل إنسان بما يحتاج إليه من خدمته ، ويستأمر عليه هو ، وكان الأستاذ يخرج من كتبهم . . ص (٨٦) .

(١) فعدمت : فقدمت في جـ

(٢) عنده : عنه في بـ

(٣) أرفعه : أدفعه في بـ

(٤) المجالس والمسائرات للقاضي النعمان جـ ٢ ص (١٥٨ - ١٥٩) .

(٥) قدس الله روحه : سقطت في بـ

(٦) غب عاقبته : خافيته في بـ

(٧) وحسنت : سقطت في جـ

عند أمير المؤمنين الآن دون مولاه مولى^(١) يعتمد في مثل ذلك عليه في ما يخاطبه به أو يرفعه إليه . وقد روي فيما يرويه عن مولاه/علي أمير المؤمنين ع . م في فصل / ٤١
من فصول كلام ذكر فيه الواجب على الأمة للأئمة فقال فيه : وإذا كان العلماء في زمان إمام حق وأهله فاسقون وجب على العلماء عرض أنفسهم على إمامهم ، وتعريفه من الكفاية والأحوال الصالحة ما لديهم ، وتسليم أنفسهم إليه ، ليسلمهم إلى الأشكال والحدود التي يجدها أبلغ وأنفع لما يريده ، فالذي يجب على عبد أمير المؤمنين من هذا الكشف لمولاه من حال نفسه اعتقاد ولايته ، والاخلاص له فيها ، وذلك أصل ما لا يزكو عمل إلا به ، والصدق فيما يقوله له وعليه لا يسأله الله عن [كذب إنشاء الله تعالى يتعمده]^(٢) ولا يقصده ، والتسليم لمولاه ، واستفراغ المجهود فيما يتحرى به رضاه ، وأمير المؤمنين أعلم بعبدته وما يراه أهلاً له ، فإن وقع من قوله أو فعله شيء بخلاف [موافقة مولاه]^(٣) فمن حيث رأى أن يقع ذلك بموافقتة^(٤) وهواه ، وقد قال جده رسول الله [ﷺ وآله]^(٥) قد تجاوز الله عن أمتي خطايا ونسيانها ، وما أكرهت عليه ، وأمير المؤمنين محيي سنة جده ، ومقتفي أثره ، ومنجز وعده لأهل عصره ، ومتبع أمره ، فإن أمر عبده بإيراد أمره عليه على جميل الظن في الصفح/ به وبلوغ الأمل من التجاوز منه ، فعل من ذلك ما هو أهله ، قال^(٦) : فوق [إليّ في ظهر]^(٧) الرقعة بخطه : صانك الله يا نعمان ، وقفت على كل الذي وصفته في رقعتك هذه واستدللت من لفظك على شيء قد تبين لي منك [ولم أتحمقه إلا عند وقوفي على رقعتك هذه]^(٨) فنشارك عما كنت عليه من

(١) مولى : موكلأ في ب

(٢) كذب إنشاء الله تعالى يتعمده : كذاب أنساه الله يعمده في ب

(٣) موافقة مولاه : سقطت في ب

(٤) بموافقتة : يوافق في ب

(٥) صلى الله عليه وآله : سقطت في ب

(٦) المجالس والمسائرات للقاضي النعمان ج ٢ ص ١٦٠

(٧) إليّ في ظهر : أمير المؤمنين بظهر في ج

(٨) سقطت هذه الكلمات المحصورة من المجالس والمسائرات وربما أضافها بعض النساخ إلى النسخة ب من هذا الكتاب .

الانبساط والاستراحة إلينا فيما عساه يعرض لك ويقع إليك ، فرأيت منك انقباضاً أو حشني إذ لم يكن له سبب ولا علة توجهه ، بل الأمل فيك خلاف ما يسمو إليه أملك من التشريف والتنويه باسمك ، ورفع منزلتك ، إذ لم أكن أطلع إلاً على خير وأحوال يجب أن يكون عليها كل ولي لنا مثلك ، وكان الأولى بك التزيد في السعي المحمود ليكون حالك حال يغبطك بها الولي ، ويكيدك عليها العدو ، وفقك الله وسددك ، والذي وصفته من حالك مع من ﷺ وألحقنا به فحال لم يخف علينا بل كنا أصلها وفرعها ، وإن كان الشخص الجسماني المقدس قد غيب [عن أبصارنا ونقل إلى سعة]^(١) رحمة الله فإن المادة الروحانية متصلة غير منقطعة ، والحمد لله رب العالمين ، فمولاك مضى ، وإمامك خلف ، فاحمد الله واشكره ، / ٤٣ وسلم لأمره ، واكتب إلي بما عساك تحب ذكره ، ليأتيك من أمرنا^(٢) ما تعمل عليه إنشاء الله تعالى والسلام عليك .

قال القاضي النعمان بن محمد رضي الله عنه^(٣) : [فما أعلم اني سررت منذ كنت سروري]^(٤) يومئذ لما قرأت هذا التوقيع ، وأسقطت عن نفسي وحشة التعقب ، وأزحت عنها مؤنة التحفظ ، واعتمدت فيما أعامله وأرفعه إليه ، وأخاطبه به على حسن النية ، وسلامة الطوية ، وتركت التصنع في كل الأمور ، فما زلت أتعرف على ذلك منه ع . م فضلاً عندي يتجدد ، ونعمة [تتصل ، وأسباب خير تتأكد]^(٥) أكمل شكرها عندي الإقرار بالعجز عنه ، وأبلغ وصفها لدي الاعتراف بالتقصير فيه .

وكان القاضي النعمان بن محمد قس مع الأئمة ع . م الذين عاصرهم المكان المكين ، والمنزلة التي يقل فيها المائل والقرين ، وقد ذكرنا خدمته للإمام المهدي ،

(١) عن أبصارنا ونقل إلى سعة : سقطت في ب

(٢) أمرنا : ذكرنا في ب

(٣) المجالس والمسائرات للقاضي النعمان جـ ٢ ص ١٦١

(٤) فيما أعلم اني سررت منذ كنت سروري : سررت منذ كنت سروراً في ب

(٥) تتصل ، وأسباب خير تتأكد : لتصل وإتيان خير تتأكد في جـ

وللقائم ، والمنصور ، عليهم السلام ، وهو يزداد في وقت كل إمام رفعة ، وإزداد في أوان المعز لدين الله ع . م سموأ وعلوا ، وقرباً منه ع . م وذنوا ، وجعله ع . م قاضي القضاة ، وأضاف إليه الدعوة ، وأسماه في مراتب الدعاة إلى أسمى ذروة ، وجعل إليه إزالة المظالم ، وأمضى حكمه على قول كل حاكم ، وأمره بقراءة كتب الأئمة من آبائه ، ونشر علومهم على أتباعه وأوليائه ، وأن يرتبهم على مراتبهم ، ويوليهم من ممن ولي الله بحسب علومهم ، وما هو من واجبه . قال القاضي النعمان بن محمد قس^(١) / ولما فتح المعز لدين الله ع . م للمؤمنين باب رحمته ، وأقبل عليهم^(٢) بوجه فضله ونعمته ، أخرج إليّ كتباً من علم الباطن والتأويل ، وأمرني أن أقرأها عليهم في كل يوم جمعة في مجلس في قصره المعمور بطول بقائه ، فكثرت ازدحام الناس ، وغص بهم المكان ، وخرج احتفالهم عن حد السماع ، وملأوا المجلس الذي أمر بإسماعهم فيه ، وطائفة من رجة القصر ، وصاروا إلى حيث لا ينتهي الصوت إلى آخرهم ، وقيل له في ذلك صلوات الله عليه ، ووصف له أن فيهم ممن قد شملته الدعوة أهل تخلف ، ومن لا يكاد أن يفهم القول ، وأن مثل هؤلاء لو ميزوا وجعل لهم مجلساً يقرأ عليهم فيه ما يجتمعون ويفهمون ، لكان أنفع لهم ، فهم بذلك ع . م فعظم الأمر على أهل هذه الطبقة ، ورأوا أنه إنما^(٣) قصر بهم من أجل تخلفهم في حالهم^(٤) قال : وجرى ذكر ذلك بين يديه ، وأنا حاضر ، وقد دعي بالحجام ليأخذ من شعره ، فدخل وقمت [وتنحى من كان]^(٥) بين يديه ، فدعاني ، وقد وقف الحجام على رأسه ، فقال^(٦) : لقد مر بي البارحة في أمر هؤلاء ما منع من إبعادهم من كتاب الله تعالى ، وذلك ما ذكره ع . م في سورة هود فانظر هناك ، فلم يتهدأ لما كان عليه أن استفهمه عن ذلك ،

/ ٤٤

(١) المجالس والمسائرات للقاضي النعمان ج ٢ ص ٢١٣

(٢) عليهم : على أوليائه في جـ

(٣) إنما : قد في جـ

(٤) في حالهم : سقطت في جـ

(٥) وتنحى من كان : وتنحيت في جـ

(٦) المجالس والمسائرات للقاضي النعمان ج ٢ ص ٢١٤

٤٥ / ولا/ كيف مر به ذلك ، أم من^(١) قراءة قراها ، أو في رؤيا رآها ، غير اني قلت : انظره يا مولاي . فانصرفت ونظرت في سورة هود ، فوجدت في قصته نوح ع . م قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ . أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْيَوْمِ . فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا تَرَاكَ إِلَّا اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّئِ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ . قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةٌ مِنْ عِنْدِهِ فَعَمِيتْ عَلَيْكُمْ أَنْذَرْتُكُمْ هَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ . وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ . وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ . وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزَوَّجْتُمْ أَنْ يُزَيَّجَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾^(٢) .

٤٦ / على كافة المؤمنين ، وأوسعهم منهاجاً من عطائه ، وجزيلاً من نعمائه ، وإن كان ذلك لا يستقر إلا في قراره ، ولا يعيه إلا أهله ، ولا يأخذ كل امرئ إلا قسطه ، بحسب ما فيه من القوة ، وما يتصل به من المادة ، كما أن ضوء النهار قد يتصل بالأبصار وإنما يقبل منه كل بصر بقدر صحته وقوته ، والذي لا صحة له ، ولا قوة فيه منها ، لا يتصل به شيء من ذلك الضوء ، كما أن الأنية لو وضعت تحت سماء ممطرة لم يستقر الماء إلا في ما كان منها أجوف ، وما كان مسطحاً^(٤) ومكبوباً على رأسه أو ملقى على جانبه لم يدخل فيه شيء من ذلك الماء ، وما استوى^(٥) على

(١) أم من : أمن في جـ

(٢) سورة : ١١ / ٢٥ - ٣١

(٣) أدام علو أمره : سقطت في بـ

(٤) مسطحاً : مسطوحاً في جـ

(٥) استوى : سوى في بـ

اعتداله منها وكان ذا جوف أخذ من الماء بقدر سعته واحتماله ، وصغره وكبره ، وكذلك هذا الأمر ، وقد قيل ان بعض الأئمة أطلق لبعض المؤمنين قولاً في الباطن وبحضرته بعض غلما نه فظن بعض من حضره أنه لم يره فنبه عليه وأشار إليه فقال قد رأيته ، [وليتكم أنتم تفهمون]^(١) ما أقول ، وقد أخبر الله ع . ج بمثل ذلك عن قوم سمعوا من رسول الله (ﷺ) ما لم يفهموه^(٢) ولا وعوه ، فقال تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنفًا ﴾^(٣) / فأخبر الله ع . ج أنهم شهدوا وسمعوا ما سمع أولو العلم فلم يعرفوه ، ولم يعلموا ما سمع أولو العلم فلم يعرفوه ، ولم يعملوا ما قاله رسول الله ، وأخبر عن رسول الله أنه قد جمع مثل هؤلاء في ما أسمعهم مع ذوي العلم ، وقد شاهدنا مثل هذا ، ورأينا كثيراً من قوم^(٤) يسمعون ولا يعلمون ما سمعوه ، ولا تعلق منه شيء في قلوبهم ، وقوم سمعوا ذلك منهم ووعوه وعلموه ، وانتفعوا به ، وأولياء الله ع . ج أعلم بما يفعلون وبمن يحضرون ، ومن يجمعون ، وعلى أي شيء يجمعون ، ويفرقون كل شيء عندهم من ذلك^(٥) . بمقدار ووزن ، وعلى منهاج ، وسنن .

هذا ما رواه القاضي النعمان بن محمد رضوان الله عليه ، وكان القاضي النعمان بن محمد من أهل العلم والفضل ، وله تأليفات كثيرة ، وعلوم مأثورة ، وقد أقر المخالفون بفضله ، واتساع^(٦) علمه ، وإنما ألف ما ألف ، وجمع ما جمع ، وصنف مما أخذه عن أئمة الذين عاصروهم مما ألفاه إليهم أبائهم الطاهرون ، صلوات الله عليهم أجمعين ، ولم يؤلف تأليفاً ولا جمع كتاباً حتى / عرضه عليهم شيئاً فشيئاً ، فاثبتوا الثابت منه والصحيح ، وقوموا الأود بالتصحيح ، ومن

(١) وليتكم أنتم تفهمون : وليت أنكم تفقهون في جـ

(٢) يفهموه : يفقهوه في جـ

(٣) سورة : ٤٧ / ١٦

(٤) قوم : سقطت في بـ

(٥) من ذلك : سقطت في بـ

(٦) واتساع : وسعي في جـ

بحرهم اعترف ، وبهم عرف ما عرف ، وبفضلهم فيما ألف وصنف اعترف . فمن تأليفه في الفقه كتاب الإيضاح ، إيضاح ما اجتمعت الرواة عليه في الفقه ، والثابت منها بالأسانيد الصحيحة ، والروايات المتفقة ، وهو مائتان وعشرون جزءاً ، كما ذكر في قصيدته المنتخبة بقوله : (١)

فكلمت في مائتي كتاب ألفت منها مائتي كتاب تزيد عشرين على الحساب

وكتاب مختصر الإيضاح في الثابت منه فيما رواه عن الأئمة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين ، وكان ابتداءه تأليف كتاب الإيضاح على عهد أمير المؤمنين المهدي بالله ع . م بأمره ، وعلى ما أراه ، وأصله ، وبينه ، وفصله . وكتاب الأخبار في الفقه ثلاثة عشر جزءاً ، وله كتاب البيوع في الفقه أيضاً وكتاب الإقتصار في الفقه (٢) ، وكتاب الإتيافق والإفتراق فيما اختلف فيه الفقهاء ووافق قول أهل البيت ع . م أربعون جزءاً ، وكتاب المختصر اختصره من كتاب الإتيافق والإفتراق ، وألف كتاب دعائم الإسلام في الحلال والحرام والقضايا والأحكام (٣) / ٤٩
عن المعز لدين الله أمير المؤمنين عن أهل البيت ، وذلك أنه حضر النعمان وجماعة من الدعاة عند أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م فذكروا الأقاويل التي اخترعت ، والمذاهب والآراء التي افتقرت بها فرق الإسلام ، وما اجتمعت ، وما ادعت أكثرها ، وابتدعت ، فذكر أمير المؤمنين ع . م قول جده رسول الله (ﷺ) مما أثبت روايته آباؤه الطاهرون ، إذ قال (ﷺ) : لتسلكن سبل الأمم قبلكم حذو النعل بالنعل ، والقذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه . وفي حديث آخر : لتركبن سنن من كان قبلكم ذراعاً بذراع ، وباعاً ببيع ، حتى لو سلخوا خشرم دبر لسلكتموه . ثم ذكر لهم قول رسول الله (ﷺ) : إذا ظهرت البدع في أمتي فليظهر العالم علمه ، وإلاً فعليه لعنة الله .

(١) القصيدة المنتخبة للقاضي النعمان مخطوطة في مكتبة المحقق الخاصة

(٢) كتاب الإقتصار في الفقه

(٣) دعائم الإسلام حققه آصف فيضي في مجلدين من منشورات دار المعارف المصرية .

ونظر المعز ع . م إلى القاضي النعمان بن محمد (رضي) فقال له : (١) أنت المعني بذلك في هذا الأوان يا نعمان . ثم أمر بتأليف كتاب الدعائم وأصل له أصوله وفرع له فروعه ، وأخبره بصحيح الروايات عن الطاهرين من آبائه عن رسول الله ﷺ من غير ما اختلف فيه الرواة وابتدعته (٢) / ولفقته من الإختراعات وجمعبته ، وقال له : إنا قد روي لنا عن الصادق ع . م أنه قال : بني الإسلام على سبع دعائم الولاية وهي أفضلها وبها وبالولي يوصل إلى معرفتها ، والطهارة ، والصلاة ، والزكاة ، وصوم شهر رمضان ، والحج إلى بيت الله الحرام ، والجهاد . وأمره فابتدأ بذكر ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وتبيين [٣] ما خصه به النبي ﷺ من فضله ، وإنه أولى الأمة بخلافته ، بعد ذكر الإيمان الذي لا يقبل الله عملاً إلا به ، ولا يزكوه إلا من كان من أهله ، وذكر ولاية الأئمة من ذرية (٤) الرسول ﷺ وعليهم ، وإيجاب الصلاة عليهم ، والبيان بالتوقيف على الأئمة من ذرية الرسول ﷺ ، والإمامة لا تكون إلا بالنص والتوقيف (٥) ، ومنازل الأئمة عند الله ع . ج وبرائهم ممن غلا فيهم ، وشيئاً من وصاياهم (٦) لشيعتهم وأوليائهم ، وذكر ما أوجهه الله تعالى من مودتهم والحض على العلم ، ومن الذين أوجب الله الأخذ عنهم ، ثم ذكر فرائض الإسلام من طهارة وصلاة وزكاة وصوم وحج وجهاد / وما يلي ذلك من ذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام والأثرية والبياعات والمأكولات والمشروبات والطلاق والمناكحات والمواريث والشهادات وسائر أبواب الفقه الواحيات . فأتسم القاضي النعمان (قس) تأليف هذا الكتاب الموسوم بدعائم الإسلام (٧) على ما وضعه له أمير المؤمنين

(١) المجالس والمسائرات جـ ٢ ص ٩٢

(٢) ابتدعته : سقطت في ب

(٣) وتبيين : وبان في جـ

(٤) ذرية : زاوية في ب

(٥) والتوقيف : والتوافق في جـ

(٦) وصاياهم : سقطت في جـ

(٧) دعائم الإسلام : دعائم السلام في ب

المعز لدين الله ع . م واصله ، وكان يعرضه عليه فعلاً ولباً باباً فيثبت الثابت منه ويقيم الأود، ويسد الخلل ، حتى أتمه فجاء كتاباً جامعاً مختصراً على غاية الأحكام^(١) ، وتلك معجزة أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م أظهرها على يد داعيه ووليه النعمان بن محمد (رضي) وإيضاح لشريعة جده محمد رسول الله (ﷺ) ورفع لمعالم الإسلام وأمر بالسنة وترك للبدعة التي قال النبي (ﷺ) : «كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار» . ثم أمر أمير المؤمنين ع . م القاضي النعمان فاختصر دعائم الإسلام إختصار الآثار في ماروي عن الأئمة الإطهار وقربه للراغبين وأباحه للطلابين . قال القاضي النعمان بن محمد (رضي):^(٢) / وسألني بعض القضاة والحكام والطلبة^(٣) بسط كتاب مختصر من قول أهل البيت ع . م لهم يقرب معناه ، ويسهل حفظه ، وتخف مؤونته ، فابتدأت شيئاً منه ، وقدرت أن الكتاب إذا^(٤) أكمل قام على من يريد إنتساخه بدينار فما دونه ، وسميته كتاب الدينار ، وذكرت في بسط افتتاحه ورفعت ما ابتدئته^(٥) منه إلى المعز لدين الله أمير المؤمنين ع . م وطالعت فيه وسألته قراءته عليه وسماعه منه ، ليكون مأثوراً عنه ، وكتبت مع ما رفعته منه إليه ، رقعة ذكرت فيها ذلك له ، فوقع ع . م بخطه في ظهرها ، بسم الله الرحمن الرحيم ، صانك الله يا نعمان ، وقفت على الكتاب^(٦) وتصفحته ، فرأيت ما أعجبني فيه من صحة الرواية ، وجودة الإختصار ، ولكن فيه كلمات تعتاص على كثير من أوليائنا معرفتها ، فأشرحها بما يقرب من أفهامهم ، فيستوي في معرفته والإحاطة بعلم ألفاظه ، الشريف والمشروف ، فإنه يجيء طريقاً^(٧) قريب المأخذ ، وسمه كتاب الإختصار لصحيح الآثار ، عن الأئمة الأطهار ، فإن ذلك

/ ٥٢

(١) الأحكام : حكام في جـ

(٢) المجالس والمسائرات جـ ٢ ص (١٦٦ - ١٦٧) .

(٣) والطلبة : سقطت في بـ

(٤) إذا : إن في بـ

(٥) ابتدئته : ابتدئته في بـ

(٦) المجالس والمسائرات للقاضي النعمان جـ ٢ ص ١٦٧

(٧) طريقاً : سقطت في جـ

٥٣ / أشبه به من كتاب الدينار، / لأن فيه من علم^(١) أولياء الله ما يحق على كافة الخلق طلبه ، بأرواحهم فضلاً عن أمواتهم ، وهذا الإسم يضع من قدره عند ذوي النعم ، ويرون أنهم يصلون إليه وإلى ما هو أجل منه ببذل اليسير من حطام دنياهم ، ويرون أن الذي جمعوا وقمشوا من وسخهم^(٢) هو الغنيمة التي عليها المدار ، إذ كان الفساد على عقولهم أغلب طباع اللوم عليهم ، إلا من عصم الله منهم ، وقليل ما هم ، ثم وقع بعد ذلك إصلاح أشياء تصلح فيما رفعته منه ، وحذف أشياء مما كتبه وأثبتته^(٣) فيه ذكرها ، وعلم عليها ، قال : وقرأته بعد ذلك قراءة عليه وأثبت فيه كل ما صححه [وارتضاه لي وأسقطته]^(٤) [مما كنت كتبت فيه]^(٥) ما أمر بإسقاطه منه ، وأخذته لفظاً منه ، وإذن لي أن أرويه لمن أخذه عني عنه عمن ذكره فيه من آبائه الطاهرين ع . م بعد أن أثبت ذلك عنهم ، فعظمت فائدتي فيه ، وجلت نعمته عليّ به ، ولم أكن تعرضت برفعي ذلك إليه غير ذلك ليصح لي ما كنت قد آثرته عن آبائه ، وجمعت من كتب الرواة عنهم ، وسمعته قبل ذلك منهم ، وفتق لي ع . م فيه ، وأمدني من بحر علمه بما صار به هذا الكتاب مشتملاً على جميع الحلال ، والحرام ، والقضايا ، والأحكام ، وصح لي ذلك عنه في ما أعمل به من الفرائض المفروضة عليّ ، وأفتي به^(٦) من سألني وأقضي/ به في أحكامي بحمد الله ونعمته ، وفضل وليه ، وأنا أؤمل إن مد في عمري عرض كل شيء أتدين به كذلك وأخذه صحيحاً عنه ، والله يبلغني ذلك ، ويمن عليّ به ، بحوله وقوته ، فقد رويت عن بعض من لحق جعفر بن محمد الصادق ع . م أنه قال : يا مولاي أحب أن أعرض عليك ديني . قال : ذلك من الفرض الواجب ،

٥٤ /

-
- (١) علم : أعلام في جـ
(٢) وسخهم : وسخهم في بـ
(٣) وأثبتته : وذكرته في جـ
(٤) وارتضاه لي وأسقطته : ورواه وأسقطت في جـ
(٥) مما كنت كتبت فيه : مما كتبه فيه في بـ
(٦) به : سقطت في جـ

فشهد الشهادتين ، وأقر بالأئمة ، واحداً بعد واحد يسميهم^(١) حتى يبلغ إليه . فقال له : اعلم أن من دان الله ع . ج بهذا فقد دانه بالدين الذي لا يقبل غيره ، ولا يرض من أحد سواه ، واستحسن ذلك منه^(٢) وصوبه من قوله ، فمن فتح الله له في عرض أصول دينه وفروعه ، على وليه ، فقد أتم نعمته ، إذ وفقه إلى أخذها عن إمامه وتصحيحها عن وليه ، والحمد لله على ما فتح لي فيه من ذلك ، ونسأله البلوغ إلى ما نأمله مما بقي منه ، وقبولاً لذلك ،^(٣) وتوفيقاً لما يرضيه منه .

وللقاضي النعمان بن محمد (رضي) من التأليف في الفقه كتاب يوم وليلة ، لطيف في الصلاة المفروضة ، وله كتاب الطهارة والصلوات بفروضها وسننها ، وله الرسالة الأرجوزة المختارة المنتخبة ، قصيدة نظمها في أبواب الفقه ، وله كتاب كيفية^(٤) الصلاة / على النبي (ﷺ) كتبه رداً على من خالفه ، وله كتاب التعريف والتعنيف لمن لم يعلم العلم فتعاطى^(٥) التصنيف ، جزآن كبيران ، وله الرسالة المصرية في الرد على الشافعي جزآن كبيران ، وكتاب فيه الرد على أحمد بن شريح البغدادي جزآن ، وله رسالة ذات البيان في الرد على ابن قتيبة ، وله كتاب إختلاف أصول المذاهب جزآن^(٦) وله كتاب نهج السبيل إلى معرفة التأويل ، وله القصيدة المختارة أرجوزة في الإمامة والحجة فيمن يستحقها ، ومن ادعاه ، وأما الذي له في الأخبار فله كتاب شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار ستة عشر جزءاً ، وله كتاب مناقب بني هاشم ومثالب بني أمية جزآن^(٧) ، وله كتاب إفتتاح

/ ٥٥

(١) يسميهم : بأسماءهم في ب

(٢) منه : سقطت في ب

(٣) وقبولاً لذلك : سقطت في جـ

(٤) كيفية : كافة في جـ

(٥) فتعاطى : مغطى في ب

(٦) إختلاف أصول المذاهب : حققه الدكتور مصطفى غالب من منشورات دار الأندلس بيروت .

(٧) المجالس والمسائرات للقاضي النعمان جـ ١ ص ١٢٤ أتى على ذكر هذا الكتاب ولا يزال مخطوطاً ولدينا نسخة منه في مكتبتنا الخاصة .

الدعوة وابتداء الدولة جزآن^(١) .

قال القاضي النعمان بن محمد (قس) : ^(٢) وأمرني أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م لجمع أخبار الدولة في كتاب ومناقب بني هاشم ، ومثالب بني أمية في كتاب ففعلت ، وجمعت من كل فن من هذين الفنين كتاباً جامعاً ضخماً يجتمع على أجزاء كثيرة على ما رتبته وأفادينه ع . م ورفعتهما إليه فاستحسنهما^(٣) وارتضاها ، واستجاد/ معناهما ، وقال ع . م : أما أخبار الدولة ومن قام فيها ، وسعى / ٥٦ في إقامتها من الدعاة والمؤمنين ، فإننا نحب أن نخلد أخبارهم هكذا في الباقين ، ويبقى ذكرهم بالخير في الغابرين ، ويلحقهم فيه دعاء السامعين ، ويعرف ذلك لأعقابهم من بعدهم مع ما أعد الله ع . ج لهم من الكرامة في دار المقامة ، وهذا مما يجب علينا لهم من الحفظ والحق ، إذ لم يلحقونا فنؤدي ذلك إليهم ، وأما فضل الآباء ومناقبهم وصفة الأعداء ومثالبهم فإن ذلك مما ينبغي أن يعرفه الأبناء ، والذرية والأولياء ، ويبكت به المخالفون والأعداء ، وينشر في الأنام^(٤) ، ويبقى على الأيام ، وإن كان فضل أهل الفضل ، وضعة أهل الضعة معروفين وغير مجهولين ، وظاهرين غير مستورين ، فقد ألقوا كثيراً من الشبهات ، واحتالوا بصنوف من الإحتيالات ، وهم في ذلك كما قال الله ع . ج : ﴿ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ﴾^(٥) .

وله كتاب معالم الهدى جزءاً واحداً ، وله كتاب حدود المعرفة في تفسير القرآن والتنبية على التأويل سبعون جزءاً ، وله / كتاب أساس التأويل^(٦) فيه / ٥٧

(١) كتاب افتتاح الدعوة للقاضي النعمان حققه فرحات الدشرواي ونشره في تونس .

(٢) المجالس والمسائرات للقاضي النعمان ج ١ ص ١٢٥ - ١٢٦ .

(٣) وارتضاها : سقطت في ب

(٤) الأنام : الأيام في ب

(٥) سورة : ٨ / ٦١

(٦) من منشورات الثقافة بيروت ولكن النسخة التي نشرتها الدار المذكورة مليئة بالأغلاط وفيها =

تأويل الولاية وقصص الأنبياء ع . م والصلاة والموجود منه ستة عشر جزءاً ، وله كتاب تأويل الدعائم^(١) والموجود منه إثني عشر جزءاً . إلى آخر كتاب الجهاد ، وله كتاب دافع الموجز في الرد على العتكي أربعة أجزاء ، وله كتاب التعقب والانقياد جزء واحد ، وله رسالة إلى مرشد الداعي بمصر في تربية المؤمنين جزء واحد ، وله منامات الأئمة جزء واحد ، وله كتاب التوحيد والإمامة من خطب أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب ع . م ، وكتاب الدعاء جزآن ، وكتاب إثبات الحقائق في معرفة توحيد الخالق جزء واحد ، وكتاب في الإمامة أربعة أجزاء ، وكتاب الهمة في آداب اتباع الأئمة جزآن ، والأرجوزة الموسومة بذات المنن جزآن ، في سيرة المعز لدين الله ع . م ، والأرجوزة الموسومة بذات المحن في سيرة مخلد الدجال المارق جزآن ، وكتاب المجالس والمسائرات مع المعز لدين الله ع . م أربعة أجزاء ، وكتاب الحلي والثياب / جزء واحد ، وكتاب الشروط ، وله رسائل كثيرة إلى القضاة ، وغير ذلك . / ٥٨

فهذا ما ذكره صاحب سيرة كتامة ، ومن هذه الكتب ما هو موجود في جزيرة اليمن معروف مشهور ، وهو الأكثر منها ، وقليل منها مفقود ، ولا شك في وجود ما فقد منها حسب مقامات^(٢) الإمامة العظيم ، وحجة الله على خلقه أجمعين ، الذي لا يخلو منه زمن ، بل يقوم واحد بعد واحد بحجة الله ما هل غيث وهتن ، صلى الله عليه ، وعلى آبائه الأكرمين ، عقبه^(٣) الباقية فيهم كلمة الإمامة إلى يوم الدين .

ومما ورد عن القاضي النعمان بن محمد رضي الله عنه قوله^(٤) : خرج إلي من

= نواقص وزيادة تجعلها عديمة الفائدة ذلك ما توضح لنا بعد مقارنتها بالنسخة المخطوطة

الموجودة في مكتبة المحقق ، وربما حاولنا إعادة تحقيقها وضبطها في المستقبل القريب .

(١) نشر هذا الكتاب في مصر مشوهاً ومبتوراً وعامراً بالأغلاط الكثيرة التي ارتكبها المحقق .

(٢) مقامات : قوامات في جـ

(٣) وعقبه : سقطت في بـ

(٤) المجالس والمسائرات للقاضي النعمان جـ ١ ص ١٥٩

الإمام المنصور بالله ع . م توقيع يقول فيه : يا نعمان استخرج من كتاب الله ع . ج ما رفضه العامة وأنكرته . فقلت في نفسي : وأي شيء من كتاب الله يتهياً لأحد يدين بدين الإسلام أن ينكره ويرفضه ، وتعاضمت ذلك ، ورأيت في الوقت اني لأجد منه حرفاً ، ولم أستحسن مراجعته ع . م ، ثم استعنت بالله ع . ج وعلمت أن ذلك [لم يقله ولي الله الا وهو]^(١) موجود ، ففتحت المصحف الكريم لأقرأه / فأول ما وقفت عليه بسم الله الرحمن الرحيم ، فذكرت قول من قال : إنها ليست من القرآن . فأثبت ذلك ، فانفتح لي القول حتى جمعت من ذلك جزءاً فيه عشرون ورقة ، فرفعته إلى المنصور ع . م فاستحسنه ، وأعجب به ، ثم قال : تماد ، فانتهيت إلى سورة المائدة من أول فاتحة^(٢) الكتاب ، والبقرة ، وقد جمعت^(٣) من ذلك ستمائة ورقة . وكان المنصور بالله ع . م ورحمته وبركاته ، إذا لقيه أعجبه ما رفعت إليه منه ، وقال : ما تقدم لأحد مثله . ثم قبض ع . م ولم اتممه .

وفضائل القاضي نعمان بن محمد (قس) مشهورة ، ومناقبه مأثورة
مذكورة ، وهو الذي قال فيه أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م^(٤) : من أتى بعشر
عشير ما أتى به نعمان ضمننت له علو الله الجنة .

وأما جعفر قلنا فيه قول أخيه يعني جعفر بن منصور اليمن (قس) وكان
وأبوه من أكبر الدعاة وأفضلهم ، وهو الداعي جعفر بن منصور^(٥) قدس الله

(١) لم يقله ولي الله إلا وهو : لم يعلم ولي الله الأمر في ب

(٢) فاتحة : فاتم في ب

(٣) جمعت : جامع في جـ

(٤) المجالس والمسائرات للقاضي نعمان جـ ٢ ص ١٤٠ عيون الأخبار وفتون الآثار ٥/٧
ص ١٥٠ .

(٥) جعفر بن منصور اليمن : هو الداعي جعفر بن الحسن بن فرج بن حوشب بن زاذان
الكوفي ، قصد المغرب من اليمن بعد وفاة والده وتآمر أخوه الحسن على قتل الشاوري ،
وثار على الخليفة الفاطمي المهدي ، فاختلف مع أخيه واعتبر تصرفاته خروجاً على المذهب
الفاطمي ، فوصل بلاد المغرب حيث وجد المهدي قد توفي ، وقام بعده ابنه القائم ، فرحب
به ، وانتهى أن بلغ مراتب الأبواب .

روحه ، هجر مملكة أبيه وترك حطام الدنيا ، ولم يطمع فيه ، وهاجر إلى حضرة الأئمة ع . م ، فكان عندهم الفضل العظيم ، والمكان الكريم ، وبلغ جعفر بن منصور مع أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م مبلغاً يقصر عنه المدى ، وصار في الفضل والزهد / علماً مفرداً . / ٦٠

ويروى أن القاضي النعمان بن محمد قس اعتل بعلة فزاره جميع الدعاة وأولياء الدولة وقوادها لدين الله ، ثم نقه من علته ، وزال عنه ما كان يجده ، فأتى إلى حضرة أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م بعد زوال ألمه فسأله عن حاله وألمه ، وحمد الله تعالى على ما منَّ به عليه من عافيته . ثم قال له : من زارك من أوليائنا ؟ قال : كلهم زارني إلا جعفر بن منصور اليماني . فأخذ أمير المؤمنين في حديثه ، ثم أمر بكتبة فأحضرت إليه ففتح كتاباً منها وقال للنعمان بن محمد : انظر في هذا الكتاب . فلما نظر فيه وتصفحه ، قال أمير المؤمنين ع . م : ما تقول في هذا ؟ فقال : وما قال عيسى أن أقول في قولكم صلى الله عليكم . فقال له الإمام ع . م : هذا تأليف مولاك جعفر ، إعلماً له بعالي فضله ، وبياناً لسامي محله . فلما خرج القاضي النعمان رضي الله عنه من حضرة إمامه عليه السلام لم يكن له قصد غير دار جعفر ، فلما استأذن له خرج مبادراً إليه إجلالاً له ، ومعرفة بعالي محله ، فلم يتألك^(١) القاضي النعمان أن وقع على رجله يقبلهما إعترافاً له بالفضل ، وتواضعاً / ٦١ غير مستكن ، ولا مستكبر ، ولا حاسد له ، علو عالي مقامه ، ولا منكر . فلله من أولياء عظم الله محلهم ، ورفع قدرهم^(٢) عند أوليائه ، وأحلهم ، أولئك إخوان الصفاء وخلان الوفاء ، الذين لا يتعارضون ، ولا يتباغضون^(٣) ، ولا يترافضون ، جعلنا الله ممن اتبعهم ، واقتدى بهديهم ، وتمثل بمثالهم ، ولا قطع بنا عنهم بحق صفوته^(٤) من خلقه ، وخيرته من عباده .

(١) يتألك : يملك في جـ

(٢) قدرهم : قدراتهم في بـ

(٣) يتباغضون : يبغضون في بـ

(٤) صفوته : سقطت في بـ

وللداعي جعفر بن المنصور قس تأليفات كثيرة في علم أهل البيت من توحيد الله جل جلاله ، ومعرفة ملائكته ودار ثوابه ، وابتداء خلقه ، وقصص الأنبياء^(١) ، وعلم الملائكة ، وذكر فرائض الشريعة ، ما هو الحق المبين الذي تتجلى به قلوب العارفين . وله سيرة في ذكر أبيه المنصور ، وافتتاحه اليمن . وقد ذكرنا من ذلك . وكان لأمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م من العدل والصفح ما أدنى له العبد والبعيد ، وجعلهم له كالخول والعبيد ، وقد ذكرنا ما كان له من دنو أهل جبل أوراس وخضوعهم بعد العتو والشناس ، قال : قال القاضي النعمان بن محمد (قس)^(٢) : وما أحصي ما رأيت من المعز لدين / ع . م الله في مجلسه ، وتصرفه في خروجه ، يعترض بما يوجب العقوبة والغضب ، وربما اعترض^(٣) عليه بعض عبيده في رأيه ، وقطع عليه كلامه ، واحتج عليه من يأمره ، ويخاطبه ، ويراجعه في ما لا ينبغي المراجعة فيه ، مما يضيق لذلك صدر من سمعه ، فما رأيت غضب لشيء من ذلك ، ولا عاقب فيه ، وأكثر ما رأيت أنه خرج ع . م يوماً إلى خارج المنصورية^(٤) في بعض ما يخرج ، فازدحم الناس على ركابه ، وأحاطوا من كل جهة به يسألونه حوائجهم ، ويرفعون إليه قصصهم ، وقد أقام لذلك من يتولاه ، فأبوا إلا مواجهته به ، وهو في ذلك يقبل عليهم ، ويسمع^(٥) منهم ، ويأمر بقضاء حوائجهم ، إلى أن جاء من ذلك ما لم يمكنه معه المشي ، ونفر له الفرس ، ودار تحته ، فأمرهم^(٦) بالإنصراف ، وأمر من بين يديه من المشاة بصرفهم ، فألحوا عليه ، ولم ينصرفوا عنه ، وقصر المشاة عن دفعهم ، فتناول رجلاً من أحدهم وقال^(٧) : ما جزاء أحدكم إلا ضربة بهذا ، ثم نظرع . م إليّ وتبسم في

(١) كتاب أسرار النطقاء وسرائر النطقاء حققه الدكتور مصطفى غالب من منشورات دار الأندلس بيروت .

(٢) المجالس والمسائرات للقاضي النعمان ج ٢ ص ٣١٢

(٣) اعترض : عراض في ب

(٤) خارج المنصورية : خارج المنصورية في ب

(٥) ويسمع : سقطت في ج

(٦) فأمرهم : فحملهم على في ب

(٧) أحدهم وقال : سقطت في ب

الوقت بعقب^(١) ذلك ، وقال : ما' دون/ ما نحن فيه ، وتحدث كأن لم يعارضه بشيء ، وقد نالني ومن رأيت حولي ممن كنا نسايره ، لما رأينا من ذلك غم ، وغضب شديد ، فلها والله ما كان منه ع . م ذلك إلا ما ذكرته مما استعمله ، وطبعه الكريم يظهر استعماله إياه ، كما يستعمل الغضب على الطفل إذا جهل ليروع ويفزع من أجله . قال : ولقد قاسيت به في الحلم عن من يجهل ، ويخالف الواجب من دخلتي وعبيدي والإعراض عن زلاتهم ، والصفح عن هفواتهم . ولقد نظروا لذلك ، وأحال عليّ كثير من أمورهم ، ثم قرنت ذلك بما كنت أجده من ألم أَلْغِيهِ ، أو العقوبة ، وما صرف إليه من راحته الحلم ، ولذة العفو ، والإغضاء ، فرأيت أن الذي صرت^(٢) إليه من ذلك أفضل ، وقد كنت كثيراً ما أعاقب فأندم على العقوبة إذا سكن غضبي ، وأعاتب^(٣) بذلك نفسي ، ثم صلح لي بحمد الله تعالى مع الدوام على ذلك كثير من الأمور ، مما لم يكن يصلح بالعنف ، وكذلك رأيت أمر المعز ع . م على ما منه الله ع . ج من الحلم ، والأناة بالصبر باقي مع ذلك بحسن^(٤) العواقب ، وجميل الأمور ، وكثيراً ما فكرت في ذلك فذكرت له قول بعض / أهل الأدب ، وقد رأى عبيداً له يفعلون في أموره غير الواجب ، فقليل له في ذلك : ألا تؤدب^(٥) عبيدك هؤلاء وتصلحهم ؟ فقال : قد رمت ذلك فرأيت أن إصلاح حالي أعود عليّ من صلاح أحوالهم ، فتركتهم لذلك يصفونهم ما صفا ، ويكدر منهم ما كدر . قال^(٦) : وركب المعز لدين الله ع . م يوماً من أيام الربيع ، إلى مكان وصف له أن فيه زهراً حسناً ، ونباتاً^(٧) عمياً وفي الطريق الحامل إليه مثل ذلك . فلما خرج ع . م من باب المنصورية اكتنفه الناس يسألونه

(١) بعقب : بعد في ب

(٢) صرت : صورت في ج

(٣) وأعاتب : عاتب في ب

(٤) بحسن : حسان في ح

(٥) تؤدب : سقطت في ب

(٦) المجالس والمسائرات للقاضي النعمان ج ٢ ص ٢٥

(٧) ونباتاً : ونبتاً في ب

حوائجهم ، ويرفعون أمورهم ، فما زال يقبل بوجهه على الواحد بعد الواحد والجماعة بعد الجماعة منهم ، ويكلمهم ويحييهم حتى انتهى إلى المكان الذي وصفه له ، وانصرف وهو على مثل ذلك ما تملأ عينه مما أراد النظر إليه ، ولا أعاره الطرف إلا اختلاصاً ، ولا أضجره ما كان من أمر الناس [فيأمرهم بتخليته]^(١) وأنا حوله [لفجر له]^(٢) لذلك ، وإن المشاة بين يديه يدفعون الناس ، فيأمرهم بتخليته من يدفعونه ، وأن كثيراً منهم ليطيل مسيرته ، / ويكرر حاجته ، فيأمر من حوله بالإنصراف ، ويغمره بعضهم إرادة التخفيف عليه ، وأن ينظر إلى ما خرج إليه فينهاهم^(٣) عن ذلك ، ويأمر أن يدعوا من كلمه إلى أن يقضي حاجته ، وينصرف عن رأي نفسه ، وهذا دأبه في أكثر خروجه . قال : ولا أعلم ، ولا سمعت أحداً ، وصف بمثل ذلك من الصبر [وسعة الصدر]^(٤) قال : ولقد حضرت يوماً مجلس أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م فتحدث^(٥) ملياً ثم قال لبعض الخدم بين يديه أصلح الحمام ، قال : نعم . فجلس بعد ذلك طويلاً ، ولا شك إلا أنه قد كان أمر قبل ذلك بإصلاحه ، ثم دعا بالفرس فركب ، ومشينا بين يديه إلى الحجرة التي فيها الحمام من قصره ، فدخل ، ونزل ليدخل الحمام فأصاب بابه مقفلاً ولم يصلح بعد ، فسأل عن المفتاح ، فلم يوجد ، فوقف طويلاً وما تنكر [حاله]^(٦) ولا بدا منه غضب ، ولا قال في ذلك قولاً . ثم دعا بالكروسي فجلس عليه ، وجعل يتحدث حتى أتى بالمفتاح ، وأصلح الحمام ، وقام فدخل ، وما حرك ذلك منه ساكناً ، ولا أهاج كامناً ، وإن الذي [زعم له]^(٧) أنه أصلح الحمام من العبيد

/ ٦٥

(١) فيأمرهم بتخليته : سقطت في ب

(٢) لفجر له : لفجر به في ب

(٣) فينهاهم : فيمنعهم في ب

(٤) وسعة الصدر : سقطت في ب

(٥) المجالس والمسائرات للقاضي النعمان ج ١ ص ٢٨٩

(٦) حاله : سقطت في ب

(٧) زعم له : بزاعم في ب

لقائم بين يديه . ولقد تداخلني لذلك غيظ شديد عليه ، وعلى من يلي إصلاح
الحمام / ٦٦ .

ومما رواه القاضي النعمان من حلم أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م وتغمدته ،
وصبره قال^(١) : ذكر المعز لدين الله ع . م رجلاً ورد عليه من جهة المغرب كان يعنى
بعلم النجوم ، فأحسن أمير المؤمنين نزله^(٢) ، وكساه ، وحمله ، ووصله ، وأجرى
عليه جراية لقصده إياه [من بعد]^(٣) ورحلته إليه ، ولم يلبث إلا قليلاً حتى سأل
الاذن له في الإنصراف ، فأذن له ، وكنا نتعجب لذلك منه ، فقال المعز ع . م لي
يوماً وأنا بين يديه : ألا أخبرك بسبب انصرافه ؟ قلت : يفعل ذلك أمير المؤمنين ما
رآه . فقال : إن هذا الرجل لما وفد علينا ، وصار إليه فضلنا ، ما صار إليه ،
حسده بعض أهل صنعته^(٤) ممن أولع بالشناعة علينا ، فذكر له مولداً من المواليد ،
وقال : ما ترى لمن ولد بهذا المولد ؟ قال : أرى النحوس قد أظلته ، ولا أشك^(٥)
أن أيامه قد انقضت . قال له : فكذلك الذي أنت في نزله ، وقصدك [إليه
يعيننا]^(٦) وهذا مولده ، فرأى الضعيف العقل أن إنصرافه بما نال منا غنيمة ،
فسألنا الاذن ، وقد انتهى إلينا ما قيل له فأذنا له فانصرف ، ولقد رفع إلينا في حين
انصرافه رقعة يعرض^(٧) [بالمسألة ، وقد كنت قبل ذلك]^(٨) أمرت / له بمشتي
دينار ، فصرت في صرة ، وكنت على البعث بها إليه ، ثم نظرت إلى وقت
رفعه الرقعة فرأيته وقت سعد ، فقلت لا أظنه إلا وقد تحرى برقعته هذا السعد ،
ولكن والله لأبطلن^(٩) ذلك عنده ، فتركها على أن نجعلها له في وقت آخر على غير

/ ٦٧

(١) المجالس والمسائرات .

(٢) نزله : منازله في ب

(٣) من بعد : سقطت في ب

(٤) صنعته : صناعة في ج

(٥) أشك : أشكر في ب

(٦) إليه يعيننا : إليك قال في ب

(٧) يعرض : تعبر من في ب

(٨) بالمسألة ، وقد كنت قبل ذلك : للمسألة وكنت قد في ب

(٩) لأبطلن : لا يطلق في ج

سؤاله ، فانسيتها ، وخرج محروماً فقلت لقد أعطى الله وليه من الصبر ، والحلم ، والتغمد ، ما لا أظنه أعطاه أحد ، فقال ع.م : أولم أخبرك عن فلان [مذ مدة]^(١) بأنه يتكلم فينا ، وكنيت لك عن كلامه ، فرأيت ذلك أغضبك وأهاجك عليه ، وقلت لي : وددت اني ظفرت به في ما يوجب بسط اليد بالمكروه إليه ، فأنيله من ذلك ما أشفي به صدري منه ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، قد كان ذلك ، وإني عليه . قال : أفكنت فاعلاً به ومنتقماً منه بمثل انتقام الله ع.ج إياه لنا ؟ قلت : وكيف ذلك ؟ قال : أوما بلغك خبره ؟ قلت : لا والله . قال : قد [هلك مذ ثلاثة أيام]^(٢) بأكلة أصابته في فمه ، فأكلت داخله وخارجه . قلت : إلى غضب الله . قال نعم ، وإلى سعير ناره . أتدري [ما كنيت عندك]^(٣) في ما بلغنا عنه ؟ قلت : لا ، إلا أن يخبرني أمير المؤمنين . قال : حكم علينا في ما دلته عليه / بزعمه النجوم ، بأن أمرنا ينقطع ، ويزول في الوقت الذي قطع الله فيه / ٦٨ مدته بالآفة التي أصابها ما لفظ به بذلك أفكه^(٤) ، نقدر على أن نعمل به أكثر من هذا إن كثيراً ممن يتصل بنا أذاه ، وقوله فينا لربما قيل لهم أما تخافون أن يعلم بمثل هذا منكم فيقولون هو ممنوع منا . ثم تبسم ع.م ، وقال : نعم والله إنني لممنوع من الظلم^(٥) والتعدي ، وإن الله ع.ج لينتصر^(٦) لي وينتقم ممن تناول مني ما ليس له ، أما والله لو شئت لبطشت بهم ، ولا انتصفت منهم ، ولكني لو فعلت ذلك ، وعلم الناس اني أنتصر لنفسي من مثل هذا لأكثر^(٧) من البغي من بعضهم على بعض ، وأشغلوا صدري بذلك ، كما شغلوا من قلبي ، ولكني تغافلت عنهم ، وما الله بغافل عما يعمل^(٨) الظالمون ، وهو أعلم بما يسرون وما يعلنون ، قلت :

(١) مذ مدة . سقطت في ب

(٢) هلك مذ ثلاثة أيام : هلكت مئة ثلث في ب

(٣) ما كنيت عندك : ما كتب في ب

(٤) أفكه : أفكها في ب

(٥) الظلم : الظن في ب

(٦) لينتصر : سقطت في ج

(٧) لأكثر^(٧) : لأكبزه في ج

(٨) يعمل : يعقلها في ج

الحمد لله الذي منح أمير المؤمنين هذا الفضل العظيم ، وأبانه بهذا البرهان المبين ،
 ووسمه بالآنات والصبر والحلم ، وولي الانتقام له من أهل البغي والظلم ، وأمير
 المؤمنين وسلفه كما قال الله / تعالى [وهو أصدق القائلين] ^(١) ﴿ ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا
 / ٦٩ مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ^(٢) ثم ذكرت (في مثل ما) ^(٣) ذكر من منعه المنجم
 المحروم ، وما منعه [لثلا يرى] ^(٤) أن علمه بالنجوم وتوحيه ساعة السعد به ، قال
 ذلك ما روينا عن جعفر بن محمد ع . م : أن داراً صار له نصفها عن بعض
 مواليه ، ونصفها لرجل كان يعني بعلم النجوم ، وأنه دعاه إلى قسمتها ، فسوف
 ذلك الرجل إلى أن اختار لنفسه ساعة ^(٥) سعد فأتاه فيها بعد مدة يسأله القسمة ،
 فأرسله معه من يقاسمه ، فانصرف إليه وهو ^(٦) يذم علم النجوم ، وقال له : يا ابن
 رسول الله كنت أجد ناحية من هذه الدار فيما طلت بقسمتها إلى أن اخترت لنفسي
 ساعة سعد ، ووثقت فيها بأني أنال بغيتي ، فلما قسمت الدار ورمي السهم ،
 وقع لك ما كنت أحب ، ولي ما كنت أكره . فقال له أبو عبد الله ع . م : لولا أن
 ترى أن اختيارك أشارك ^(٧) إلى ما تحب لأعطيناك ما أحببت نعم ، ولتركنا الكل
 لك ، ولكن لا والله ما تأخذ إلا ما صار لك ، ولكني أفيدك بما إن قبلته كان خيراً
 لك مما أردته ، قال : وما هو جعلني ^(٨) الله فذاك ؟ قال : إذا أصبحت فتصدق
 / ٧٠ بصدقة فإنها تذهب ^(٩) عنك نحس يومك ، وإذا أمسيت / فتصدق بصدقة
 فإنها تذهب عنك نحس ليلتك ، فتبسم أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م ، وقال :
 هو كما قال ع . م ، وقام أمير المؤمنين المعز لدين الله بأمر أهل دعوته ، وفتح أبواب

(١) وهو أصدق القائلين : سقطت في ب

(٢) سورة : ٣ / ٣٤

(٣) في مثل ما : فيما في ب

(٤) لثلا يرى : كيف لا يرى في ب

(٥) ساعة : ساعة في ب

(٦) وهو : سقطت في ب

(٧) أشارك : صيرك في ج

(٨) جعلني : جعل في ج

(٩) تذهب : ذاهب في ب

علمه وحكمته ، وكان يجلس بنفسه ، ويعظ أوليائه وشيعته بالمواعظ الجليلة ، ويشوقهم للعمل والعلم ، ويعلمهم بنفسه ، ويدنو صغيرهم وكبيرهم ، وظهر منه من العلم والحكمة والبيان^(١) ما لم يشاهد مثله ، وكان مبرزاً في فنون العلم ، بالغاً منه مبلغاً يقصر منه أولو الفهم .

وقد ذكر القاضي النعمان (قس) من فضائله ، ومناقبه ، وعلمه ، ما لا يكون^(٢) إلا عنه ، ومن أمثاله من حجج الله ، وأوليائه الذين أقامهم لهداية عباده ، واختارهم في بلاد جعلهم خلفاء النبيين ، وأئمة المؤمنين . وظهر عن المعز لدين الله ع . م من البلاغة والعلم ما دل على تأييد الله ع . ج له إذ كان ذلك على قرب عهده وممارسته ، ولا يعلم أحد أن معلماً علمه ، ولا ملقناً لقننه ، غير ولي الله الذي أفضى إليه بسره ، وألقى إليه زمام أمره ، وأودعه^(٣) علم ما عنده من علم آبائه وأجداده ، / الذين أخذوه عن رسول الله (ﷺ) مما نزل به الروح الأمين^(٤) على قلبه ، وهو مع ذلك مجد في العلم ، حريص في طلبه ، مستكثر منه ، راغب فيه .

ولقد روي عن القاضي النعمان بن محمد (رضي) قال^(٥) : سمعته ﷺ يقول في ما يجده في نفسه : والله إني لأجد من اللذة ، والراحة والشهوة في النظر في الحكمة ، ما لو وجدته أهل الدنيا لأطرحوها لها ، ولولا ما أوجب الله سبحانه علي من أمور الدنيا [لأهلها وإقامة ظاهرها]^(٦) ومصالحهم فيها لرفضتها للتلذذ بالحكمة ، والنظر فيها ، وإن كان الذي قلدته من أمور الدنيا والنظر فيها حكمة بالغة لمن أبصر ، وحجة لمن تدبر ، ونظر .

(١) والبيان : والبان في ب

(٢) ما لا يكون : ما لا يصير في ب

(٣) وأودعه : وادعه في ب

(٤) الأمين : الأمي في جـ

(٥) المجالس والمسائرات ج ١ ص ٨٣

(٦) لأهلها وإقامة ظاهرها : وإقامتها لأهلها في ب

ومما أثره القاضي النعمان بن محمد قس من مثل ذلك عن الإمام المعز لدين الله ع . م قال^(١) : وسأيرت الإمام المعز لدين الله ع . م يوماً في بعض ما خرج إليه فذكر شيئاً من العلم في من جرى الذكر فيه فقال : ذكرت مثل هذا من ليال وأنا أعرف كتاباً فيه كلام منه مستقصي^(٢) فأمرت بإحضاره فلم يعلم من يقوم على الكتب مكانه ، فقامت بنفسي إلى خزانة الكتب ، وفتحت بعض الصناديق ، وأنا قائم^(٣) أطلب ذلك الكتاب / من المكان الذي قدرت أنه فيه ، وذلك في أول الليل ، وقلبت الكتب ، وجعلت إذا مر بي كتاب أتصفحه فيعرض لي فيه ما أحب أن أستقصيه ، ثم مر على يدي غيره فيجري^(٤) مني كذلك مجراه ، فلم أزل قائماً كذلك أتصفح كتاباً بعد كتاب وقد شغلني^(٥) ذلك عن أن أذكر ما أنا فيه من^(٦) وجع شديد بقدمي من طول القيام فانصرفت ، وأصبحت وقد عرض لي من ذلك وجع مؤلم برجلي كان لسبب ذلك قال : قلت والله يا مولاي هذه الشهوة للعلم ، والرغبة فيه التي لم يتحدث بمثلهما عن أحد قبل أمير المؤمنين ، فهناه الله على ما وهبه من ذلك ، وبارك له فيه . فأطرق ع . م كالمستحي من ذلك ، وتكلم بكلام خفي لم أفهم عنه .

فهذه رواية القاضي النعمان وسيرة الأئمة من آل الرسول (ﷺ) معروفة ، وفضائلهم^(٧) موصوفة ، فلا يوجد في أخبارهم وآثارهم ، إلا ما يشهد بفضلهم ، وعلو محلهم ، من أمر بمعروف ، ونهي عن منكر ، وموعظة ، وذكر للمؤمنين ، وقول حسن ، وعبادة لله جل وعلا ، وزهد^(٨) في الدنيا ، وتذكير بالآخرة ، ونشر

(١) المجالس والمسائرات للقاضي النعمان جـ ٢ ص ٢٤١

(٢) مستقصي : مفتش في ب

(٣) قائم : سقطت في ب

(٤) فيجري : جرى في ب

(٥) شغلني : شاغل في ب

(٦) من : سقطت في جـ

(٧) وفضائلهم : وفنائهم في ب

(٨) وزهد : وزاهد في جـ

٧٣ / العلم عن الرسول ، ووصيه أمير المؤمنين علي ع. م / صلى الله عليهما ، ليست كبيرة في أمية وبنو العباس وأخبارهم ، التي هي لهو بطنبور (القذع الخنا والفحش) وذكر قذع أو إحياء باطل ، أو إماتة سنة ، أو إظهار بدعة ، أو ملاءمة قنية ، فماذا يطعن^(١) فيهم الطاعنون ، ويقول فيهم القائلون الذين على أولياء الله يفترون ، ألا بغية عليهم ، وحسداً لهم ، وإنكاراً لفضلهم ، وما آتاهم الله من المحل الأسنى ، والمقام الأشرف الأعلى ، ولأنهم مالوا بالناس عن عاداتهم الدنية ، وإقبالهم على المحرمات^(٢) في الشريعة الحنيفية ، ولذلك مالوا عنهم ، وعادوهم ، وافتروا عليهم افتراءً عظيماً ، وقالوا فيهم قولاً منكراً ، ومن أنصف في قوله ، وحكم عقله ، وجد فضلهم عظيماً ، ومقامهم^(٣) عند الله كريماً ، فأمن بالله وبهم ، وسلم الله فيما أوجب من طاعتهم ، تسليماً .

وقد روى القاضي النعمان قس عن أمير المؤمنين المعز لدين الله قال^(٤) : وسمعت يوماً ع. م يقول في مجلس : أما إني لو شئت رضى الناس لبلغت رضاهم بأيسر الأمور عندهم ، ولكن ذلك لو يدرون فيه اقتحام النار . ففيل له : ما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : التخلية بينهم وبين شهواتهم نبيح لهم وأعوذ بالله المظاهرة بشرب / الخمر ، والزنى ، واللواط ، وإظهار المعاصي والمعازف كما يفعله اليوم ، وقبل اليوم المتغلبون^(٥) من ملوك الأرض لأنفسهم ، ويبيحونه لمن تغلبوا^(٦) عليه ، فما كنا نسمع منهم إلا الثناء والشكر ، ولكن الله تعالى قلدنا أمورهم ، وافترض علينا تقويمهم ، واستنقاذ من أناب إلينا منهم ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر فيهم ، فنحن نريد نجاتهم من النار ، وهم يسخطون علينا ، ونحب

(١) يطعن : يظمن في ب

(٢) المحرمات : الحرامات في ب

(٣) ومقامهم : سقطت في ب

(٤) المجالس والمسائرات للقاضي النعمان ج ١ ص ٧٨

(٥) المتغلبون : الغالبون في ج

(٦) تغلبوا : غلبوا في ج

إدخالهم الجنة ، وهم يكرهون ذلك منا ؛ فذكر له بعض من حضر المجلس أمر المتغلبين من بني أمية بالأندلس وأنهم ورعاياهم يشربون الخمر ، ويتبايعونها في أسواقهم جهاراً ، ويتفكهون^(١) بالغلغان صراحاً ، ويزنون علانية ، وإن سجن^(٢) النساء عندهم ليأتي إليه من [يؤثر الزنى]^(٣) فيدخل إلى السجن^(٤) فيختار من النساء على عينه من أراد ولكل واحدة منهن رسم معروف ، فأيهن اختار دفع رسمها وفجر بها في وجوه كثيرة من المنكر ظاهرة بينة ذكرها . فقال ع . م^(٥) : هذا الذي قدمنا ذكره . ثم قال ع . م : ونحن نعلم أن استصلاح / ظاهر العامة واستمالة قلوبها أيسر وأقرب من استصلاحها واستمالتها بالدين ، والحمل على الحق ، لأن الحق مر إلا عند القليل ، وما كره الناس منا في القديم والحديث غيره ، ولولا حمل على ع . م الناس عليه جميعاً ، وتركه الإغضاء عن شيء منه ، والرخصة فيه ، والمداراة عنه ، لما عدل إلى معاوية من عدل ، ومال إليه عنه ، فالرخصة بالباطل ، والمداهنة^(٦) في الحق ، والحيف ، والأثرة بالدنيا ، وترك الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وإقامة حقوق الله ، وحدوده التي أمر بإقامتها كان سبب تغلب بني أمية أولاً ، وبه تمسكوا إلى اليوم ، وتمسكنا بالحق هو الذي قصر بنا عند عامة الناس ، ولا والله ما ندعه حتى يظهر الله أمره ، فقد قال جل ثناؤه : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾^(٧) وأرجو أن ذلك قد قرب أوانه ، وحان حينه ، إن شاء الله تعالى .

وفي ما أتى عن القاضي النعمان بن محمد (رضي) قال^(٨) : وانتهى إلى أمير

(١) ويتفكهون : فاكهين في ب

(٢) سجن : جليس في ب

(٣) يؤثر الزنى : من أراد في ب

(٤) السجن : السجان في ب

(٥) المجالس والمسائرات للقاضي النعمان جـ ١ ص (٨٠ - ٨١)

(٦) والمداهنة : والأوهان في ب

(٧) سورة : ١٨/٢١

(٨) المجالس والمسائرات للقاضي النعمان جـ ١ ص (٢١٠ - ٢١١)

المؤمنين المعز لدين الله ع. م أن مركباً لبني أمية قدم من المشرق ، فلما صار بين صقلية وأفريقية ، مر بجزيرة فصادف فيها / قارباً فيه نفر قدموا من صقلية ، يريدون أفريقية ، ومعهم^(١) كتاب من عامل صقلية إلى أمير المؤمنين ، فخاف الأندلسيون أن يندروا^(٢) بهم فأخذوا رجل قاربهم ، واختطفوا بعض أمتعتهم ، وأخذوا فيما أخذوا الخريطة التي فيها كتاب عامل صقلية ، وتركوا القارب بمن فيه في الجزيرة ، ولا يجدون من يحملهم إلى أن مر بهم مركب فركبوا فيه ، وأتوا بالخبير ، فغضب أمير المؤمنين ع. م. لذلك ، وأمر بإخراج مراكب حربية^(٣) وأدخل فيها رجالاً من رجال البر والبحر ، وأمر عليهم الحسن بن علي عامل صقلية ، في سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة ، وأمره بطلب المركب حيث أخذ وإن وصل إلى الأندلس فلا ينصرف عنه حتى يخرقه ، فلم يلحق المركب [إلا وقد]^(٤) أرسى بالمرية مرسى الأندلس ، وجمع مراكبها ، وأساطيل الأموي المتغلب عليها ، ودار صناعة مراكبه ، وبها عدته ، واتصل الخبر بالأموي أن الأسطول قد نفذ إليه ، فأعد عساكره ، وعمر مراكبه ، بالعدة والسلاح والرجال ، وجاء الحسن / بن علي في مراكبه ، وكانت قليلة العدد ، وإنما أخرجت في طلب مركب واحد فوهب^(٥) الله ع. ج [لوليه النصر]^(٦) فاستولى حسن بن علي ومن معه على أساطيل الأموي ، فأضرمها ناراً وغادرها [بأسرها رماداً]^(٧) ونزل من في [الأساطيل من رجال البر]^(٨) واستولوا على المرية فأحرقها وأخربها بعد أن قتل من وقف له بها ، وانهمز عنها جمع الأموي فأحرقوا جميع ما بها من المراكب والعود^(٩) والعدد والقوة ،

(١) ومعهم : وفيه في ب

(٢) يندروا : يندروا في ب

(٣) حربية : سقطت في ب

(٤) إلا وقد : حتى في ب

(٥) فوهب : سقطت في ب

(٦) لوليه النصر : له النصر في ب

(٧) بأسرها رماداً : ما فيها رماداً في ب

(٨) الأساطيل من رجال البر : الأسطول من الرجال في ب

(٩) والعود : والخزائن في ج

وانتهبوا جميع ذخائرها ، وهرب من استطاع الهرب من أهلها ، ولم يعرضوا لمن بقي بها عن استسلم بها بمكروه ، وقتلوا من ناصبهم أولاً ، وأحرقوا المركب الذي صنع أهله ما صنعوه فيما أحرقوه ، ولم يكن أمير المؤمنين أمرهم بغير ذلك ، وانصرفوا سالمين غانمين لم يزر أحد منهم بسوء^(١) فوصلوا يوم الجمعة لست بقين من شهر ربيع الأول من السنة المذكورة ، وحلت بالأموي الداهية ، واضطرب عليه البلد ، وخاف خوفاً شديداً ، فألف المراكب وجمع جميع رجاله ، ومن يوصف بالنكاية (بيلده)^(٢) وأخرج أسطولاً في العام / المقبل بعد أن كتب إلى طاغية الروم يسأله النصر ، وأهدى إليه الهدايا ، وأرسل إليه رسلاً من قبله ، فأجابه إلى ذلك وجاءت أساطيل الروم من القسطنطينية مع الدمستق ، ومراكب بني أمية من الأندلس .

فجمع أمير المؤمنين ع . م الأولياء وعرفهم ذلك ، وأن الروم سألوه عقد هدنة إلى مدة طويلة على أن ينصرفوا عنه ، وقال لهم : ما ترون في ذلك ؟ فقالوا : أمير المؤمنين أعلى عيناً ، والذي نراه نحن مهادنة الروم ، فما علينا من ذلك ، وأن نصرف وجوهنا إلى هؤلاء بجملتنا ، فقال : معاذ الله ما كنت بادياً إلا بمن بدأ الله ع . ج ، قال ع . ج . ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾^(٣) . وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ ﴾^(٤) فهم أقرب إلينا وحسبنا انتصاراً بالله على هؤلاء الفسقة بني أمية استنصارهم بالمشركين إخوانهم في الدين علينا ، ودخولهم في جملتهم ، وكونهم من حزبهم ، وكفاهم بذلك خزية وعاراً في دنياهم وأخراهم .

وأخرج / عمار بن الحسن بن أبي الحسين في عساكر عظيمة ، وأساطيل عظيمة ، وانتهى إلى صقلية ، وظفر بالروم ، وغرق كثير من

(١) بسوء : بشر في ب

(٢) بيلده : سقطت في ب

(٣) سورة : ٩/٦٦

(٤) سورة : ٩/١٢٤

أساطيلهم ، وذلك سنة خمس وأربعين وثلاثمائة .

وخرج أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م من المنصورية متوجهاً إلى المهديّة بعد أن جمع كتامة ، وأهل أفريقية في جيوش عملاً الفضاء ، ورايات^(١) تحفّق في جو السماء ، وقوة تيهّر ، ومدة تزهر ، فحين صار أمير المؤمنين في المهديّة أمر بعمل الأساطيل ، وانتقى فيها الحماة والكمّاة ، واختار فيها أولى النجدة والمراس ممن لا يهولهم اليأس ، وقدم عليهم عبده جوهر الكاتب ، وحسن بن علي عامل صقلية ، وأنفذ الأساطيل ، وأمر بكون العساكر في كل مرسى بطريق الأندلس ، وأقبل أسطول الروم فلقى أساطيل أمير المؤمنين ع . م دون صقلية ، وأقبل أسطول بني أمية لميعاد المشركين ، وفتح الله لوليه ع . م على الروم ، فانهزموا في البحر بعد أن وقعت بينهم وبين عسكر أمير المؤمنين وقعة عظيمة ، ومعركة كبيرة^(٢) / ٨٠ [وقتال شديد قتل فيه]^(٣) وغرق خلق عظيم من الروم ، ولولا هاربين بين يدي أساطيل أمير المؤمنين إلى مجازية ليحموا بلدهم وأمتعتهم ، [واتبعوهم إلى هناك]^(٤) ولقوهم أيضاً في البحر فهزموهم ، وفل الله شوكتهم ، ونزلت عساكر أمير المؤمنين بأرضهم ، وأكثرت القتل فيهم ، وأحرقت مدائنهم ، وأخربت كنائسهم ، ونالت منهم غاية الأمل من النكاية^(٥) .

قال الحسن بن جعفر الهلالي (رح) فقتل الروم قتلاً ذريعاً ، ما سمع بمثله إلا في وقعة اليرموك مع الروم في الشام عند طبرية ، وانتهى أسطول بني أمية إلى بعض مراسي المغرب^(٦) الخالية القليلة العدد فنزلوا بها يريدون أن يؤثروا أثراً يرجعون به إلى بلدهم ليسكنوا بها من ورائهم ، فخرج إليهم أهل تلك الناحية

(١) ورايات : ولايات في ب

(٢) كبيرة : عظيمة في ب

(٣) وقتال شديد قتل فيه : وعراك شديدة في ب

(٤) واتبعوهم إلى هناك : في هنالك في ب

(٥) المجالس والمسائرات للقاضي النعمان جـ ١ ص ٢١٥ .

(٦) المغرب : الغرب في ب

فقتلوا منهم بشراً كثيراً فهزموهم ، فمات منهم في البحر أكثر من قتل ، وغنموا ما كان معهم من سلاح ، ووجهوا برؤوس من قتلوه وبما غنموا ، واتصل بأهل الأندلس خبر الروم فانصرفوا منكوبين خاسرين ، ووصل البريد إلى / أمير المؤمنين المعز لدين الله ع.م بخبر الفتح ، وقد خرج للتزده ، وهو في جحفل عظيم ، فنزل عن ظهر فرسه ، وخر ساجداً شكراً لله تعالى ، وتواضعاً ، وعفر وجهه الشريف في الثرى .

وقال محمد بن هاني المعروف بالأندلسي يصف الفتح ووصول البريد ويمدح أمير المؤمنين المعز لدين الله سماع قصيدة أولها^(١) .

يَوْمَ عَرِيضٍ فِي الْفَخَارِ طَوِيلُ مَا تَنْقُضِي عُرْرَ لُهُ وَحُجُولُ
يَنْجَابُ مِنْهُ الْأَفْقُ وَهُوَ دُجْنَةٌ وَيَصْحُ مِنْهُ الدَّهْرُ وَهُوَ عَلِيلُ
مَسَحَتْ تُغُورُ الشَّامُ أَدْمَعَهَا بِهِ وَلَقَدْ تَبَلُّ الثُّرْبَ وَهِيَ هُمُولُ

قوله مسحت بثغور الشام أدمعها به لما كان غلبته الروم لمن في الشام من المسلمين ، وقوتهم عليهم ، يعني أن بهذا الفتح قد زال عنهم الأسف ، وانجلي الكرب ، ثم قال فيها :

وَجَلَا^(٢) ظِلَامَ الدِّينِ وَالِدُنْيَا بِهِ مَلِكٌ لِمَا قَالَ الْكِرَامُ^(٣) فَعُولُ
مُتَكَشِّفٌ عَنْ عَزْمَةِ عَلَوِيَّةٍ لِلْكَفْرِ مِنْهَا رَنَّةٌ وَعَوِيلُ
فَلَوْ أَنَّ سُنْفًا لَمْ تُحْمَلْ جَيْشُهُ حَمَلَتْ عَزَائِمَهُ^(٤) صَبًا وَقَبُولُ
وَلَوْ أَنَّ سَيْفًا لَيْسَ يَبْتَكِ حَدَّهُ جَذَّ^(٥) الرِّقَابَ بِكَفِهِ^(٦) التَّنْزِيلُ

(١) ديوان ابن هاني الأندلسي ص ٢٥٦ منشورات صادر ، بيروت - لبنان .

(٢) وجلا : وتجلي في ب

(٣) الكرام : الملاك في ب

(٤) عزائمه : عزائم في ج

(٥) جذ : حز في ب

(٦) بكفه : بكفر في ج

مَلِكٌ تَلَقَّى عَنْ أَقَاصِي ثَغْرِهِ^(١) /
 بُشْرَى^(٢) تَحْمَلُهَا اللَّيَالِي شُرْدًا
 تَأْتِي^(٣) الْوُقُودُ بِهَا فَلَا تَكَرَّرُهَا
 وَيَكَادُ يَلْقَاهُمْ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ
 يَجْلُو الْبَشِيرُ ضِيَاءَ بَشْرِ خَلِيفَةٍ
 [لِلَّهِ عَيْنًا مِنْ رَأْيِ إِخْبَاتِهِ]^(٥)
 وَسُجُودَهُ حَتَّى التَّقَى عَفْرُ الثَّرَى
 لَمْ يَثْنِهِ عِزُّ الْخِلَافَةِ وَالْعُلَى
 بَيْنَ الْمَوَاكِبِ خَاشِعًا مُتَوَاضِعًا
 فَتَيَمَّمُوا ذَاكَ الصَّعِيدَ فَإِنَّهُ
 سَيَصِيرُ بَعْدَكَ فِي الْأُئِمَّةِ سَنَةً
 مِنْ كَانَ ذَا إِخْلَاصِهِ^(٨) لَمْ يُعْيِهِ
 لَوْ أَبْصَرْتَكَ الرَّومُ يَوْمَئِذٍ دَرَّتْ
 يَا لَيْتَ شِعْرِي عَنْ مَقَاوِلِهِمْ إِذَا
 وَدُّوا وَدَادًا^(٩) أَنْ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ
 هَذَا يَدْلُهُمْ عَلَى ذِي عَزْمَةٍ /
 أَلْتِ الَّذِي تَرْتِ الْبِلَادَ لَدَيْهِمْ

أَنْبَاءَ ذِي دَوْلٍ إِلَيْهِ تَدُولُ
 خَيْرُ الْمَسَاعِي الشَّارِدُ الْمَحْمُولُ
 نَصَبٌ وَلَا مَقْرُوءَهَا^(٤) مَمْلُولُ
 قَبْلَ السَّمَاعِ الرَّشْفُ وَالْتَقْبِيلُ
 مَاءُ الْهُدَى فِي صَفْحَتَيْهِ يَجُولُ
 لَمَّا أَتَاهُ رَسُولُهَا^(٦) الْأَجْفِيلُ
 وَجَبِينُهُ وَالنَّظْمُ وَالْإِكْلِيلُ
 وَالْمَجْدُ وَالْتَعْظِيمُ وَالتَّبْجِيلُ
 وَالْأَرْضُ تَخْشَعُ بِالْعُلَى وَتَمِيلُ
 بِالْمِسْكِ مِنْ نَفْحَاتِهِ مَعْلُولُ
 فِي الشُّكْرِ لَيْسَ لِمِثْلِهَا تَبْدِيلُ^(٧)
 فِي مُشْكِلِ رَيْثُ وَلَا تَعْجِيلُ
 أَنْ الْإِلَهَ بِمَا تَشَاءُ كَفِيلُ
 سَمِعْتُ بِذَلِكَ عَنْكَ كَيْفَ تَقُولُ
 [صَدَقًا وَكُلًّا]^(١٠) نَاكِلُ مَشْكُولُ
 لَا فِيهِ تَسْلِيمٌ وَلَا تَخْدِيلُ
 فَالْأَرْضُ فَالْوَاسِعُ وَالسَّجُودُ دَلِيلُ

(١) ثغره : شعره في جـ

(٢) بشرى : بشرأ في جـ

(٣) تأتي : تمضي في بـ

(٤) مقرونها : مقروؤها في بـ

(٥) لله عيناً من رأى إخباطه : لله عيناً مزارى إخباطه في بـ

(٦) رسولها : يردها في جـ

(٧) تبديل : تحويل في جـ

(٨) إخلاصه : خلاصه في بـ

(٩) وداداً : ورادأ في بـ

(١٠) صدقاً وكل : حقاً فكل في بـ

ما أصدرته له قناً ونُصُول
 في أي معركة ثوى منويل
 تَبّاً له بالمُنديات^(١) قُفُول
 خَبِرَ يَسُرُّ فَإِنَّهُ مَنْحُول
 فالرأيُ عن جِهَةِ النَّهْيِ مَعْدُول
 آراءُ أَعْمَارِ الرِّجَالِ تَقِيلُ
 فإثابنا بالعدة الأسطول
 قد بات ، وهي فريسةٌ مأكول
 ثم انثنى في اليمِّ وهو جفول

قُلْ لِلدُّمُسْتَقِ مُورِدِ الْجَمْعِ الَّذِي
 سَلَّ رَهْطَ مَنْوِيلٍ وَأَنْتَ غَرَرْتَهُ
 مَنَعَ الْجَنُودَ مِنَ الْقُفُولِ رَوَاجِعاً
 لَا تُكْذِبَنَّ^(٢) فَكُلُّ مَا حَدَّثْتَ مِنْ
 وَإِذَا رَأَيْتَ^(٣) الْأَمْرَ خَالَفَ قَصْدَهُ
 قَدْ قَالَ رَأْيُكَ فِي الْجِلَادِ وَلَمْ تَزَلْ
 وَبَعَثْتَ بِالْأَسْطُولِ يَحْمِلُ عُدَّةً
 وَرَمَيْتَ [فِي لَهَوَاتِ أَسَدِ الْغَابِ مَا]^(٤)
 أَدَى إِلَيْنَا مَا جَمَعْتَ مُؤَخَّراً

إلى أن قال :

لله فيها صارم مسلول
 مِصْرٌ وَلَا عَرَضُ الْخَلِيجِ النَّيْلُ

إنّ التي رام الدُّمُسْتَقُ حَرَبَهَا
 لَا أَرْضُهَا حَلْبٌ وَلَا سَاحَاتُهَا^(٥)

ويعرض إلى قوة الروم في حلب ، ومصر ، فيقول :

أَنَّ الصَّلِيبَ وَقَدْ عَزَزْتَ ذَلِيلَ /
 دِينَ التَّرْهُبِ بَعْدَهَا مَأْمُولُ
 إِذْ يَهْزَأُ الطَّاعِي بِهِ الضُّلَيْلُ

/ ٨٤ [فَلتَعَلَّمِ الْأَعْلَاجُ عِلْمًا ثَاقِبًا]^(٦)
 وَلِيَعْبُدُوا غَيْرَ الْمَسِيحِ فَلَيْسَ فِي
 مَا ذَاكَ مَا شَهِدَتْ لَهُ الْأَسْرَى بِهِ

(١) بالمنديات : بالمنبتات في ب

(٢) لا تكذبين : لا تكبرين في ب

(٣) رأيت : رميت في ج

(٤) في لهوات أسد الغاب ما : أسد الغار ما في ب

(٥) ساحاتها : ساحتها في ب

(٦) فلتعلم الأعلاج علماً ثاقباً : فليعلم الأعلاج علماً باقياً في ب

بَرِّئْتُ مِنَ الْإِسْلَامِ تَحْتَ سَيْفِهِ
سَلَكْتُ سَبِيلَ الْمُلْحِدِينَ وَلَمْ يَكُنْ
إِلَّا اِعْتِدَادَ الصَّبْرِ وَهُوَ جَمِيلٌ
مَنْ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الْحَيَاةِ سَبِيلٌ

ويقول في مدح أمير المؤمنين المعز لدين الله صلوات الله عليه^(١) :

مَنْ يَهْتَدِي دُونَ الْمَعِزِّ خَلِيفَةً
مَنْ يَشْهَدُ الْقُرْآنُ فِيهِ بِفَضْلِهِ
وَالْوَصْفُ يُمَكِّنُ فِيهِ إِلَّا أَنَّهُ
وَالنَّاسُ إِنْ قِيسُوا إِلَيْهِ فَإِنَّهُمْ
تَرِدُ الْعَيُونَ عَلَيْهِ وَهِيَ نَوَاطِرُ
غَامِرْتُهُ فَعَجَزَتْ عَنْ إِدْرَاكِهِ
كُلُّ الْأَيْمَةِ مِنْ جُدُودِكَ فَاضِلٌ
فَافْخَرْ فَمِنْ أُنْسَابِكَ الْفَرْدُوسُ إِنْ
وَأَرَى الْوَرَى لَعُؤًا وَأَنْتَ حَقِيقَةٌ
شَهِدَ الْبَرِيَّةُ كُلُّهَا لَكَ بِالْعُلَى
وَاللَّهُ مَدْلُولٌ عَلَيْهِ بِصُنْعِهِ

٨٥ /

وقال يمدح الإمام المعز لدين الله ع . م ويذكر خيبة بني أمية ، وقصورهم عما

تداولوا إليه^(٥) :

[الْوَلُؤُ دَمَعٌ هَذَا الْغَيْثُ أَمْ تُنْقَطُ]^(٦)
فَكَأَنَّهُ سَاخِطٌ يَرْضَى عَلَى عَجَلٍ
مَا كَانَ أَحْسَنَهُ لَوْ كَانَ يُلْتَقَطُ
فَمَا يَدُومُ رِضَى مِنْهُ وَلَا سَخِطُ

(١) ديوان ابن هاني الأندلسي منشورات دار صادر بيروت لبنان صفحة ٢٦٤

(٢) خصصت : خصيت في ب

(٣) أحسابك : أوصافك في ب

(٤) شاهد : شهر في ج

(٥) ديوان ابن هاني الأندلسي منشورات دار صادر ص ١٨٤

(٦) الولؤ دمع هذا الغيث أم نقط : سقطت في ب

مفالقِعُ وظبِي في الجِوِّ تُخْتَرَطُ
 كمها تَنْفَسَ عن كافورة السَّقَطِ
 جَعَدُ تَحَدَّرُ^(١) منها وابل^(٢) سَبَطُ
 مَدُّ من البحرِ يعلو ثم ينهبط
 قاضٍ من المَزْنِ في أحكامه شَطَطُ
 حَبْلانٍ مُنْقَبِضٌ عَنَّا وَمُنْسَطُ
 كما تُنْشَرُ في حافاتِها البُسُطُ
 مثلَ العبيرِ بماءِ الوَرْدِ يختلطُ
 لا شُبُهَةٌ للنَّدَى فيها ولا غَلَطُ
 ما مرَّ بُؤْسٌ على الدُّنْيَا ولا قَنْطُ
 عن دولةٍ ما بها وَهْنٌ^(٣) ولا سَقَطُ /
 زِينَتٌ بدولتِهِ الأَملاكِ والسُّلْطُ
 لم يدن منها ولم يقرن بها الخَطَطُ^(٤)
 كما قَضَوْا في الإمامِ العَدلِ واشتروا
 كالعِقْدِ عن طَرَفِيهِ يَفْضَلُ الوَسَطُ
 ولا يَبِيتُ بدُنْيَا وهو مَغْتَبَطُ

بَيْنَ السَّحَابِ وَبَيْنَ الرِّيحِ مَلْحَمَةٌ^(١)
 أَهْدَى الرِّيحِ إِلَيْنَا رَوْضَةٌ أَنْفًا
 غَمَائِمٌ فِي نَوَاحِي الجِوِّ عَاكِفَةٌ
 كَأَنَّ تَهْتَانَهَا^(٢) فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ
 وَالْبَرْقُ يَظْهَرُ فِي لَأْلَاءِ طَلْعَتِهِ^(٣)
 وَلِلْجَدِيدَيْنِ مِنْ طُولِ وَمِنْ قِصَرِ
 وَالْأَرْضُ تَبْسُطُ فِي خَدِّ الثَّرَى وَرَقًا
 وَالرِّيحُ تَبْعَثُ أَنْفَاسًا مُعْطَرَةً
 كَأَنَّهَا هِيَ أَنْفَاسُ^(٤) المِعْزِ سَرَّتْ
 تَاللهِ لَوْ كَانَتْ الأَنْوَاءُ تُشْبِهُهُ
 شَقَّ الزَّمَانُ [لِنَاعِ نَوْرِ غُرَّتِهِ]^(٥) / ٨٦
 حَتَّى تَسْلُطَ مِنْهُ فِي الوَرَى مَلِكٌ
 يَخْتَطِفُ فَوْقَ النُّجُومِ الزَّهْرَ مَنْزِلَةً
 إِمَامٌ عَدْلٍ وَفِي كُلِّ نَاحِيَةٍ
 قَدْ بَانَ بِالْفَضْلِ عَنِ مَاضٍ وَمُؤْتَنِفٍ
 [لَا يَغْتَدِي فَرِحًا]^(٦) بِالمَالِ يَجْمَعُهُ

(١) ملحمة : بلحمة في ج

(٢) تجدر : تجدر في ب

(٣) وابل : وائل في ب

(٤) تهتانها : ثقلانها في ب

(٥) طلعتة : طبعه في ج

(٦) أنفاس : أخلاق في ب

(٧) لنا عن نور غرته : الناعس نور طلعتة في ب

(٨) بها وهن : ما وهي في ب

(٩) سقط البيت بكامله من كلا النسختين فأخذناه من الديوان ص ١٨٥ .

(١٠) لا يغتدي فرحاً : ما يغتدي فرحاً في ب

لكنه ضيدٌ ما ظنَّ الحسودُ بهِ
 [يزري بفيض بحار] (١) الأرض لو جمعت
 راحته المغلولب الخيط
 عرقٌ بمحض صريح المجد مرتبط (٢)
 لا يهتدي نحوها جورٌ ولا شطط
 سيفٌ له بيمين النصرِ مخترط
 كما يخيبُ برأس الأقرع المشط
 كواكباً عن مرامي شأوها شحطوا
 بحيثُ يفترقُ الرضوانُ والسخط
 وأنتم حيثُ حلَّ التاجُ والقرط
 [لأنكم في] (٣) فؤادي جيرة خلط /
 [وآل أحمد إن] (٤) شبوا وإن شمطوا
 ولا على الله فيما شاء أشترط
 والله يبسطُ آمالاً فتنبسط
 سؤال الإمام (٥) بها الركاضة النشط
 نجمٌ من الأفق [الشمسي فنخرط] (٦)

بنان
 وجهٌ بجوهَرِ ماء العرشِ متصلٌ
 شمسٌ من الحق مملوءٌ مطالعها
 يروغُ الأسدُ منه في مكانها
 خابتُ أمةٌ منه بالذي طلبتُ
 وحاولوا من حضيض الأرض إذ غضبوا
 هذا وقد فرقَ الفرقانَ بينكما
 الناسُ غيركم (٧) العرقوبُ في شرفِ
 [ولست أشكو لنفسي] (٨) في مودتكم
 يا أفضلَ الناس من عربٍ ومن عجم
 ليهنك الفتحُ لا أني سمعتُ بهِ
 لكن تفاءلتُ والأقدارُ غالبَةٌ
 ولستُ أسألُ إلا حاجةً بلغتُ
 من فوقٍ أدهمَ لا يجتازُ غايتهُ

/ ٨٧

-
- (١) ومنبسط : ومشرط في ب
 (٢) يزري بفيض بحار : يزر بفيض تجار في ب
 (٣) مرتبط : مغتبط في ج
 (٤) غيركم : عندكم في ب
 (٥) ولست أشكو لنفسي : وليس لنفسي نفسي في ب
 (٦) لأنكم في : ولا لكم من في ب
 (٧) وآل أحمد إن : والأحمدان في ب
 (٨) الإمام : الأمامي في ب
 (٩) الشمسي فنخرط : الشمسي نخرط في ب

يَحْتَسُّهُ رَاكِبٌ ضَاقَتْ مَذاهُبُهُ [بادي التشحُّبِ في عَثُونِهِ شَمَطٌ]^(١)
إِنَّ المَلُوكَ إِذَا قَيسُوا إِلَيْكَ مَعاً فَانْتَ مِنْ كَثْرَةِ بَحْرٍ وَهَمِ نُقَطْ

وأرسل ملك الروم إلى أمير المؤمنين المعز لدين الله ع. م بأموال جلييلة ،
وهدايا عظيمة^(٢) ، ورغب في التوقف عن بقي من الروم بأرض قلورية ، على مال
قطعه على نفسه يؤديه عنهم ، وجزية يحملها إلى أمير المؤمنين المعز لدين الله ع. م ،
وأسرى من أسارى أهل المشرق ، ليطلقهم (في كل عام لمدة يسيرة يسأل الهدنة
فيها) ورأى ذلك أمير المؤمنين صلاحاً للدين والمسلمين بعد أن أقدره الله وأمكنه ،
وشفى صدره ، وصدور المؤمنين .

قال القاضي النعمان رضي الله عنه^(٣) : والذي قدم إلى المعز لدين الله أمير
المؤمنين ع. م بطريق من بطارقة / الروم وأشرفهم ، رسولاً عن طاغيتهم ،
وملكهم صاحب القسطنطينية بما أوجبه على نفسه من مغرم الجزية عن أرض أهل
قلورية [كما يبعث بذلك لكل سنة]^(٤) وجاء منه بهدايا كثيرة ، من آنية الذهب ،
والفضة مرصعة بالجوهر ، وديباج ، وحرير وبرذون^(٥) وغير ذلك من نفيس ما
عندهم ، وبكتاب من مرسله يخضع فيه إلى أمير المؤمنين ع. م ، ويرغب ويسأل ،
ويطلب الكف عن حربته ، ويسأل الموادعة ، وبعث بعدد كثير من أسارى أهل
المشرق ، ما لم يكن قط^(٦) قبل ذلك طاغية الروم بعث بمثلهم إلى ملك من ملوك
المغرب ، ولا إلى أحد ممن مضى من الأئمة ع. م قبل أمير المؤمنين المعز لدين الله ،
ولا أن طاغية الروم يؤدي خراجاً ولا جزية عن أحد من أهل ملته^(٧) إلى غيره ع. م ،

(١) بادي التشحُّبِ في عَثُونِهِ شَمَطٌ : بادي أشهب في عشقونه شمط في ب

(٢) المجالس والمسائرات جـ ص

(٣) المجالس والمسائرات للقاضي النعمان جـ ٢ ص (١٧٩ - ١٨٠)

(٤) كما يبعث بذلك لكل سنة : سقطت في ب

(٥) وبرذون : سقطت في ب

(٦) قط : سقطت في ب

(٧) ملته : مملكته في جـ

فقبل ذلك الرسول الأرض مراراً بين يدي المعز ع.م ومثل قائماً بين يديه ، وأدى إليه رسالة مرسله ودفع إليه كتابه واستأذنه في إدخال هديته ، وذلك بعد أن وصل مال الجزية إلى عامل صقلية على الرسم المقدم^(١) الجساري / في ذلك ، فأذن له / ٨٩
 أمير المؤمنين ع.م في إدخالها ، وأسعفه بقبولها ، وكان أكبر ما أدى إليه الرسول عن طاغية الروم ، وما في كتابه إليه سؤاله الهدنة مؤيدة على ما أجراه من الخراج والجزية على مثله لمحبتته وميله^(٢) بزعمه ، فأجاب أمير المؤمنين ع.م رسوله عن ذلك بأن الدين والشريعة يمنعان من الذي سأله من الهدنة المؤيدة لأن الله ع . ج لما بعث محمداً رسوله (ﷺ) ، وأقام الأئمة من ولده من بعده ، يدعون إلى دينه ، ويجاهدون من خالفه حتى يدخلوا فيه ، أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون داخلون في حكم ، إمام أهل^(٣) الإسلام وذمته ، وأن الموادة إنما تجوز لمدة معلومة على ما يراه إمام المسلمين صلاحاً لهم وللدين ، ولو كانت مؤيدة لبطل الجهاد المفروض على العباد ، وانقطعت دعوة الإسلام ، وخولف حكم الكتاب وعرفه ، [إنه مما^(٤) ينبغي لمثل من كان محل ملكه الذي أرسله ، أن لا يغيب عنه مثل هذا من شريعة من يخاطبه ، ويكاتبه ، وأن لا يسأل ما لا^(٥) توجهه الشريعة لمن سأله .

قال^(٦) : فاعترف العليج بذلك عن مرسله ، وسأل الزيادة في مدة الهدنة عنه له ، فقال / أمير المؤمنين ع.م : جواب هذا [ما ذكرنا له]^(٧) في كتابنا [المتقدم معك قبل اليوم إليه]^(٨) أنه ما دام على ما شرطناه عليه وأوجبه لنا على نفسه

(١) المقدم : سقطت في جـ

(٢) وميله : وميوله في ب

(٣) أهل : هلل في ب

(٤) إنه مما : ما في جـ

(٥) لا : سقطت في جـ

(٦) المجالس والمسائرات جـ ٢ ص ١٨٢

(٧) ما ذكرنا له : قلنا له في ب

(٨) المتقدم معك قبل اليوم إليه : سقطت في جـ

لم نبدأه بحرب حتى [ننبذ إليه عهده]^(١) أو بعد أن تنقضي هذه المودعة بيننا وبينه ، لا نخفر ولا نغدر كما تخفرون أنتم وتغدرون ، وعدد عليه أشياء من ذلك فعلوها فاعتذر منها عن ملكه بأن ذلك لم يكن من علمه ، وأنه أنكره وطالب من فعله فأعجزه .

فقال له أمير المؤمنين ع . م : فإذا كان الأمر على ما تصفه عن ملكك انه يغلب على أمره ، ويعجز عن خالفه وغلب عليه من أهل ملته ، فأبي فائدة في موادعته إذا كان عاجزاً مغلوباً ، ولكن هل لك وله في أن أعقد لها ما يتفق [معه على ما]^(٢) عقده على من يرى أنه^(٣) في غير مملكتي ممن يقابله من جهة^(٤) المشرق كابن حمدان وغيره ، فإن خرجوا عما أعقده عليهم فلا عقد بيني وبينه ، فإن من حوته مملكتي ، وحدود طاعتي ، فقد علم وعلمت أنهم أقدر على أهل دينه ومملكته وبلده لو قد أرادوا الخفر^(٥) والغدر منهم ، فهل بلغه أو بلغك / أن أحداً منهم تعدى لي فيما جعلته له أمراً وخالف شيئاً منه ؟ فجعل العلي يعترف بذلك ، وبالفضل لولي الله عزم ويسأل^(٦) ويرغب إليه ، فأعرض المعز ع . م عن جوابه عن ذلك وجعل يسأله عن كيفية المحال بينهم وبين أهل طرسوس ، وابن حمدان في حروبهم ، ومعاملتهم إياهم ، في حديث أطاله^(٧) فكل ذلك العلي يجيبه عما يسأله عنه من ذلك ، فنظر بعض من في المجلس إلى بعض كمن لا يدري ما معنى السؤال عن ذلك ، والمفاوضة فيه . ثم عاود العلي في سؤال رسول^(٨) يرسله إلى ملكه ، وذكر له تواتر رسله عليه ، وعلى آبائه ، مذ أفضى الله بالأمر إليهم ، وإنه^(٩) لم يمض

(١) ننبذ إليه عهده : نبيت إليه بعهده في ب

(٢) معه على ما : على في ب

(٣) أنه : إن في ب

(٤) جهة : أهل في ج

(٥) الخفر : الخثر في ب

(٦) ويسأل : وسأله في ج

(٧) أطاله : الحالة في ب

(٨) رسول : سقطت في ج

(٩) وإنه : وإن لم يجدوا أنه في ب

رسول منه ولا منهم إليه ، فقال له المعز ع . م : إن أحداً من الناس لا يرسل رسولاً إلى أحد من الناس إلاً لحاجة تعرض له إليه ، أو لأمر يجب له عليه ، ونحن بحمد الله تعالى لا نعلم أن لنا إلى صاحبك من حاجة ، ولا له علينا واجب ، فلماذا نرسل إليه اللهم أن يكون أمراً من أمور الدين / ينبغي لنا مراسلته ومفاوضته فيه ، وهو من المباح في دينه ، ولكننا نظن أنه يكبر عليه ، فإن نحن أرسلنا إليه فيه فعلمت أنه يجهينا^(١) فيه سهل علينا أن نرسل إليه رسولاً كما سأل وسألت عنه ، فلولا أن ذلك من الله ع . ج ولدينه لم نفعل ذلك له ، ولا ينبغي لنا أن نفعله ، إلاً بعد أن يتحقق عندنا أنه مجيب إليه ، لأننا لا نرى أن نسأل أمراً وإن كان الله ع . ج فنجه^(٢) فيه ، وذلك لو كان لكانت^(٣) سوء عاقبته عليه ، ونحن لا نلزمك الجواب في ذلك عنه ، والقطع فيه عليه ، إذ ذلك مما لا يلزمكم ، ولا ينبغي لك ، ولكننا سنأمر بذكر ما نريد ذكره لك ، ونتصرف وتقف على ذلك^(٤) منه ، لأنه أمر كبير ، فإذا علمت منه بالحقيقة أنه مجيب عليه عرفتنا^(٥) ذلك عنه ، فيسهل علينا أن نرسل إليه فيه ، ولو كان ذلك في ما حوته الدنيا بحذافيرها ، واشتملت عليه بأفطارها ، لما سهل علينا أن نرسل فيه رسولاً من قبلنا ، ولكنه لما كان لوجه^(٦) الله ع . ج وابتغاء ثوابه سهل علينا ، ووجب^(٧) لدينا . فاستعظم العلج القول في / ذلك ، وأقبل على أمير المؤمنين بالمدح والشكر حتى خرج في قوله ذلك إلى الكفر والتشبيه الذي يعتقده ، فرد ذلك المعز ع . م عليه ، وتواضع لله ع . ج كما يجب أن يتواضع له ، وعرفه ذلك ليعلم أنه لم يرضه من قوله ، وإن كان عند نفسه إنما قصد به تعظيمه ، ورأى أن ذلك مما يجوز عنده . ثم أمره ع . م بالإنصراف إلى المكان الذي

-
- (١) يجهينا : يهينا في ب
(٢) فنجه : فنجد في ب
(٣) لكانت : لكان في ب
(٤) على ذلك : أذلك في ب
(٥) عرفتنا : سقطت في ب
(٦) لوجه : سقطت في ج
(٧) ووجب : ووحيد في ب

أنزله فيه ، فانصرف . ثم عطف على من كان في المجلس كأنه أطلع على ما كان في قلوبهم ، فقال : لعل بعضكم أنكر ما أطلنا سؤاله عنه من أمرهم مع أهل المشرق ، ولم نرد بذلك منه الحديث والمذاكرة ، ولكنني علمت أنه رسول قد لقن ما يقول ، وأوقف عليه ، وعلى ما يجب فيه ، مما قد جعل من أرسله علم أنه سيسأل عنه ، فأتيناه من مكان نعلم أنه لم يتقدم إليه فيه ، ولم يعلم مرسله أن يسأل عنه ، حتى أخذنا من قبله ما تقوم به حجتنا عليه من وجه كذا ، ومن وجه كذا ، وعدد وجوهاً كثيرة ، مما سمعنا جرى بينهما لم ندر أن في ذلك حجة ، حتى ذكره ع.م ، / ٩٤
 فإذا فيه / حجج وكيدة ، لم تظهر^(١) إلى أحد ممن حضر إلا عند ذكره إياها ، وبيانه لها ، فقبلوا الأرض^(٢) بين يديه ، وأظهروا السرور بما وهب الله من التأييد له ، وأمدته من الحكمة والعلم ، وكان ذلك منه ع.م بعد أن سألمهم ما رأوه في مخاطبته إياه في ما خاطبه ، وما توهموه في مراده بذلك ، ولم يكن عند أحد منهم علم من ذلك ، ثم سألمهم هل في ما سمعوه من حجة يرون أنها تقوم عليه ، وعلى مرسله ، [فيما علم]^(٣) أحد منهم ذلك ، فبعد ذلك قال ما قاله لهم مما ذكرته عنه سلام الله عليه . هذا كله قول القاضي النعمان بن محمد رضوان الله عليه ، في ما ثبت وورد عنه . وقال محمد بن هاني المغربي يمدح الإمام المعز لدين الله ع.م ويذكر ورود رسول الروم يتضرعون^(٤) :

[أَلَا طَرَقْتَنَا وَالنَّجُومُ رُكُودُ]^(٥)
 وقد أعجلَ الفجرُ المُلْمَعُ خَطْوَهَا
 سَرَتْ عَاطِلًا غَضْبَى عَلَى الدَّرِّ وَحْدَهُ
 فَمَا بَرِحَتْ إِلَّا وَمَنْ سِيلِكَ أَدْمَعِي / ٩٥
 وفي الحسي أيقاظ ونحن هُجُودُ
 وفي أخرياتِ اللَّيْلِ مِنْهُ عَمُودُ
 فَلَمْ يَدِرْ نَحْرَ مَا دَهَاهُ وَجِيدُ
 فَلَا يُدُ فِي لَبَاتِهَا ، وَعُقُودُ /

(١) لم تظهر : ظهور في ب

(٢) الأرض : التراب في ب

(٣) فيما علم : فاعلم في ب

(٤) ديوان ابن هاني الأندلسي من منشورات صادر ص ٩٦ .

(٥) في النسخة ب ورد هذا المصراع كما يلي : في الصلح الا طرقتنا والنجوم ركود .

تَرْبَعُ أَيَّكَا نَاعِمًا وَتَرُودُ
تَرُوغُ إِلَى أَثْرَابِهَا وَتَحِيدُ
وَأَنَا بَلِينَا وَالزَّمَانُ جَدِيدُ
بِكَاطِمَةٍ لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ
وَلَا كَجَفُونِي مَا لَهْنٌ جُمُودُ
وَلَا كَالْغَوَانِي مَا لَهْنٌ عُهُودُ
لَهُ اللَّهُ بِالْفَضْلِ الْمَبِينِ شَهِيدُ
إِذَا عُدَّ آبَاءَ لَهُ وَجُدُودُ
إِلَى الْيَوْمِ لَمْ يُعْرِفْ لَهْنٌ عُمُودُ
إِلَى الْيَوْمِ^(٣) لَمْ تُحْطَطْ لَهْنٌ لُبُودُ

وما مُغزِلُ أدماءُ دانٍ بَرِيرُهَا
بأحسَنَ منها [يوم تقصر] ^(١) سَوَالِفًا
أَلَمْ يَأْتِهَا أَنَا كَبْرُئًا عَنِ الصَّبِيِّ
فَلَيْتَ مَشِيئًا لَا يَزَالُ وَلَمْ أَقْلُ
وَلَمْ أَرِ مِثْلِي مَا لَهُ مِنْ تَجَلُّدٍ
وَلَا كَاللَّيَالِي مَا لَهْنٌ مَوَائِقُ
وَلَا [كالمعز ابن النبي] ^(٢) خَلِيفَةٌ
وَمَا لِسَمَاءٍ أَنْ تُعَدَّ نَجُومُهَا
فَأَسْيَافُهُ تَلِكُ الْعَوَارِي نَصُولُهَا
وَمِنْ خَيْلِهِ تَلِكُ الْجَوَافِلُ أَنَهَا
إِلَى أَنْ قَالَ فِيهَا :

تَضِينُ^(٤) بِهِ الْأَنْوَاءَ وَهِيَ جُمُودُ
فَأَنْتَ لَهُ دُونَ الْمَلُوكِ^(٥) عَقِيدُ
يُقْرُونَ حَتْمًا وَالْمُرَادُ جُحُودُ
وَعَادَكَ مِنْ ذِكْرِ الْعَوَاصِمِ عِيدُ /
وَنَامَ طَلِيقُ خَائِنُ وَطَرِيدُ

أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَبَدُّلُ كُلِّ مَا
فَلَا غَرَوُ أَنْ أَعَزَّزْتَ دِينَ مُحَمَّدٍ
وَبِاسْمِكَ [تدعوه الأعادي] ^(٦) فَإِنَّهُمْ
غَضِيَّتَ لَهُ أَنْ ثَلَّ بِالشَّامِ عَرْشُهُ
فَبِتَّ لَهُ دُونَ الْأَنْامِ مُسَهَّدًا

/ ٩٦

يريد بالطليق خليفة بني العباس ، وبالطريد صاحب الأندلس المرواني ،

بحيث قال :

(١) يوم تقصر : حين نصت في الديوان صفحة ٩٦ .

(٢) كالمعز ابن النبي : كالمعز بن النبي في ب

(٣) اليوم : الآن في ب

(٤) تضن به : تقن بها في ب

(٥) الملوك : الأنام في ب

(٦) تدعوه الأعادي : تدعو الكل المهادي في ب

بِرَعْمِهِمْ أَنْ أَيْدَ الْحَقِّ أَهْلُهُ
 فَلِلْوَحْيِ فَهَمَّ جَاحِدٌ وَمَكْذِبٌ
 [وما سرهم ما ساء أبناء]^(٣) قِصْرِ
 هُمْ بَعَدُوا عَنْهُمْ عَلَى قُرْبِ دَارِهِمْ
 وَقَلْتُ أَنَا سِ ذَا^(٥) الدَّمِ اسْتَقُ وَشُكْرَهُ
 وَتَقْبِيلَهُ التُّرْبَ الَّذِي فَوْقَ خَدِّهِ
 تُنَاجِيكَ عَنْهُ الْكُتُبُ وَهِيَ ضِرَاعَةٌ
 إِذَا أَنْكَرْتَ فِيهَا التَّرَاجِمُ لَفْظَةٌ
 لِيَالِي تَقْفُو الرُّسُلَ رُسُلٌ خَوَاضِعٌ

ويقول فيها :

وان بَاء^(١) بِالْفِعْلِ الْحَمْدِ حَمِيدٍ
 وَلِلدِّينِ مِنْهُمْ كَاشِحٌ وَعَنُودٌ^(٢)
 وَتِلْكَ تِرَاثٌ لَمْ تَزَلْ وَحُقُودٌ
 وَجَحْفَلُكَ^(٤) الدَّانِي وَأَنْتَ بَعِيدٌ
 إِذَا جَاءَهُ بِالْعَفْوِ مِنْكَ بَرِيدٌ
 [إِلَى ذِفْرِيهِ]^(٦) مِنْ ثَرَاهِ صَعِيدٌ
 وَيَأْتِيكَ عَنْهُ الْقَوْلُ وَهُوَ سَجُودٌ
 فَادْمَعُهُ بَيْنَ السُّطُورِ شُهُودٌ
 وَتَأْتِيكَ مِنْ بَعْدِ الْوَفُودِ وَفُودٌ

فَلَيْتَ أَبَا السَّبْطِينَ وَالتُّرْبُ دُونَهُ
 وَمَلِكُكَ مَا ضَمَّتْ عَلَيْهِ تَهَائِمُ
 وَأَخَذَكَ قَسْرًا مِنْ بَنِي الْأَصْفَرِ الَّذِي^(٨)
 إِذَا لَرَأَى يُمْنَاكَ تَخْضِبُ سَيْفُهُ
 شَهَدْتُ لَقَدْ أُوتِيَتْ جَامِعَ فَضْلِهِ
 وَلَوْ طَلَيْتُ فِي الْغَيْثِ مِنْكَ سَجِيَّةً

/ ٩٧

يَرَى كَيْفَ تُبْدِي حَكَمَهُ وَتُعِيدُ
 وَمَلِكُكَ مَا ضَمَّتْ عَلَيْهِ نَجُودٌ^(٧)
 تَذْبَذَبَ كَيْسَرِي عَنْهُ وَهُوَ عَنِيدٌ /
 وَأَنْتَ عَنِ الدِّينِ الْحَنِيفِ تَدُودُ
 وَأَنْتَ عَلَى عِلْمِي بِذَاكَ شَهِيدُ
 لَقَدْ عَزَّ مَوْجُودٌ وَعَزَّ وَجُودُ

(١) باء بالفعل : فاء بالفعل في ب

(٢) وعنود : وحسود

(٣) وما سرهم ما ساء أبناء : وما أهم في ب

(٤) وجحفلك : ومجفلك في ب

(٥) ذا : سقطت في ج

(٦) إلى ذفريه : الذفري : العظم خلف الأذن .

(٧) وملكك ما ضمت عليه تهائم وملكك ما ضمت عليه نجود

(٨) جاء هذا البيت مضطرباً ناقصاً بعض الكلمات فأصلحناه من الديوان ص ١٠٣ .

(٩) الذي : سقطت في ب

إليك يُقِر المسلمون بأمرهم وقد وثروا وثراً وأنت مُقيد^(١)
وإن^(٢) أمير المؤمنين كعهديهم وعند أمير المؤمنين مزيد

ولم يزل ملك الروم يردد رسله ويطارقه إلى أمير المؤمنين ع . م ، ويتضرع
بالطافة وهداياه في طلب الهدنة ، وهو [يتوسل إلى] أمير المؤمنين المعز لدين الله
ع . م الذي أرسل له كتاباً ألفه في الحجّة على النصارى في إثبات ما جحدوه من نبوة
محمد (ﷺ) ، وما يشهد بذلك مما في التوراة والإنجيل ، وفي صحف الأنبياء ما لم
يعرفه إلا أولياء الله ، ولا يؤخذ علمه إلا منهم ، وكما قال أمير المؤمنين علي بن أبي
طالب ع . م لو نثيت لي وسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم ، وأهل الإنجيل
بإنجيلهم ، ولا شك أن ذلك السيل من ذلك الجبل ، وهل ينبت الخطى إلا
الأسل ، ولا يوجد الجواهر إلا / في معادنها ، ولا يوجد اللجين والعقيان إلا
في خزائنها ، ولو ردت الأمة الكتاب إلى الله ، وإلى الرسول لعلموا ، ولو سلموا
للمطاعة لولاة الأمر من آل محمد لسلموا ، ولكنهم رضوا بالحياة الدنيا عن الآخرة ،
وأتوا بالصفقة الخاسرة ، وتوالوا^(٣) غير العترة الطاهرة ، وقدموا برأيهم الطغاة
الجبابة ، بغير نص من الرسول عليه يعولون ، ولا يرد^(٤) إلى أهل الذكر الذين هم
عن المشكلات يسألون . فتعسأ لهم ، ولا يخسرون إلا المبتلون .

وبهذا الكتاب الذي أمر به أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م إلى صاحب
الروم ، معروفاً موجوداً متاحاً مباحاً لمن أراد الإطلاع عليه الورود . ولما انتهى إلى
الأموي صاحب الأندلس أمر الروم ، ومطالبة ملكهم في الصلح ساءه ذلك ، وكثر
وجله ، وخاف الواقعة به . قال القاضي النعمان (رضي) ^(٥) فدرس الأموي رسولاً
من قبله ، وكتب كتاباً على لسان بعض رجاله إلى بعض رجال أمير المؤمنين ع . م في

(١) مقيد : تنفيذ في ب

(٢) وإن : سقطت في ب

(٣) وتوالوا : وتناولوا في ب

(٤) ولا يرد : ولا يردد في ب

(٥) المجالس والمسائرات للقاضي النعمان ج ١ ص ٢١٧

الموادعة / والصالح ، وكف الحرب ، ويذكر ما يتوقع في ذلك من سفك دماء / ٩٩

المسلمين ، واشتغال بعضهم ببعض عن غزو المشركين ، وجاء الرسول بالكتاب ، وأدى بلسانه عن الخائن^(١) ما لم يرد الكتاب به من طلب الصلح ، والالفة ، وكف الحرب والفتنة ، وذكر الرسول ذلك لأمير المؤمنين ع . م شفاهاً ، فقال له : أما ما تخوفه من الحرب والفتنة^(٢) وسفك الدماء فما ظهر له منها ما يتخوف منه ذلك ، وما نحن بمن يؤمن منه ، ولكنه^(٣) بغى علينا من بغى من أهل عمله فاننصرنا بالله^(٤) فنصرنا الله ، وبلغنا فوق^(٥) آمالنا فقام وقعد وأبرق وأرعد ، ووالى علينا المشركين الذين رأى الآن اشتغالنا به ، واشتغاله بنا ، داعياً إلى ترك قتالهم ، وجهادهم ، وأن ذلك نقص ووكف على الإسلام ، فهلا رأى ذلك إذ بعث بأمواله وهداياه ورسله إليهم ، واستنصر علينا بهم ، فكيف رأى الله ع . ج فعل بهم ، وبجمعهم ؟ ألم يصرف الجمعيين مغلوبين خائين^(٦) خاسرين ، ونحن بعد فما

رأى منا إليه حركة ، فما هذا القلق ، وما هذه العجلة ؟ وأما / ما دعا إليه / ١٠٠
من السلم ، والكف ، والموادعة ، والصالح ، وهو يزعم أنه أمير المؤمنين كما تسمى^(٧) دون من سلف من آبائه ، وإمام الأمة بدعواه وإنتحاله ، ونحن نقول بأنا أهل ذلك دونه ، ودون من سواه ، ونرى أن الله ع . ج فرض علينا محاربة من انتحل^(٨) ذلك دوننا وادعاه ، مع ما بين أسلافنا وأسلافه ومن مضى في القديم والحديث من آبائنا وآبائه من العداوة القديمة الأصلية والبغضة في الإسلام والجاهلية ، وما اعتقدوه^(٩) لنا في ذلك في الإسلام ، وطالبوا بأنه في قديم الأيام ،

(١) الخائن : صاحبه في ب

(٢) والفتنة : سقطت في ب

(٣) ولكنه : ويمكنه في ب

(٤) بالله : سقطت في ج

(٥) فوق : سقطت في ج

(٦) خائين : سقطت في ب

(٧) تسمى : سمانا في ب

(٨) انتحل : إحتال في ج

(٩) اعتقدوه : عقده في ب

من لعن رسول الله (ﷺ) آباءهم ، وقتل من قتله^(١) على الكفر والشرك بالله منهم ، وطلبهم بثأرهم ودمائهم ، وطلبنا نحن (إياهم بمن)^(٢) قتلوه منا كذلك في سلطانهم ، وأيام تغلبهم ، فكيف بالصلح الذي ذكره بعد هذا النبأ الجليل خطره يأبى لنا من ذلك قول الله ع . ج : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ / وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾^(٣) ما أنا بالمداهن في دين الله ، ولا بالراكن في المودة إلى أعداء الله ، ولا بالمخادع في أمر من أمور الله إرجع بجوابي هذا إليه ، فما له عندي سواه ، ومالي من الأمر من شيء ، إن الأمر كله لله ، عليه توكلت وإليه أنيب . فإن حركني الله إليه^(٤) ، وقذف في قلبي حربه وغزوه ، فلا أشك أن الله ع . ج أراد قطع دابره واستئصال^(٥) شأفته ، وتطهير الأرض من رجسه ، وحسم أيامه ومدته ، وإلا يقذف ذلك في قلبي ، ويصرف إلى من سواه وجهي ، فلأمر هو بالغه فيه ، وإملاء هو محتج به عليه ، ومدة سبقت في علم الله له . قال الله تعالى ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ﴾^(٦) فلينتظر أحد الأمرين ، وليتوقع وجهاً من الوجهين : إما هلاكاً يعجل إصطلامه ، وإما إملاء من الله ع . ج يوفر آثامه ؛ ونحن ننتظر من الله ع . ج إحدى الحُسَيْنَيْنِ^(٧) ، ونرجو لنا منه خير الأمرين : إما نصراً / من الله ع . ج يعجله لنا عليه ، فيشفي قلوبنا وقلوب المؤمنين به ، وإما أن يملي له على ما هو عليه من معاصيه ومساويه ومخازيه ، ففي ذلك سرور من رأى عدوه عليه ، فقد كان يقال : حسبك درك أمل من عدوك ، أن تراه عاملاً بمعاصي الله ، جل ذكره ، وذلك أن المعاصي تعجل

/ ١٠١

/ ١٠٢

-
- (١) قتله : قتلاه في ب
 - (٢) إياهم بمن : عمن في ب
 - (٣) سورة : ٥٨ / ٢٢
 - (٤) إليه : به في ب
 - (٥) واستئصال : إصطلام في ب
 - (٦) سورة : ٣ / ١٧٨
 - (٧) الحسينين : الحسينين في ب

الدمار ؛ وتولج عما قليل عذاب النار .

وصرف أمير المؤمنين ع . م الرسول ، وأمر الذي^(١) ورد عليه الكتاب ، أن يجيب عن كتابه جواباً غليظاً^(٢) ويتواعده فيه ، ففعل ، وانصرف الرسول بالجواب ، والكتاب .

قال القاضي النعمان بن محمد^(٣) : وجاء الرسول الثاني بكتاب آخر من الأموي ؛ فرفع الكتاب إلى أمير المؤمنين ع . م ، وقرباً جميعاً بين يديه ، وفيهما من العوار والفساد ، وسوء التوجيه ، ما قد ذكره القاضي النعمان في المجالس والمسائرات ، وذكر احتجاج أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م على كل فصل منه ، وبين فساده ، وعواره ، وصرف الرسول بلا جواب منه سوى / أن قال للرسول :
قد قيل الصدق ينيء^(٤) عنك ، لا الوعيد .

وكتب المنصور ع . م إلى ملك الروم : إذا نطق السيف سكت القلم . وأمر الذي ورد عليه الكتاب ألا يجيب عنه بحرف ، وانصرف الرسول خائباً ، وأمر بتجهيز^(٥) الجيوش إلى أرض المغرب ، لتتبع^(٦) كل من مال إلى بني أمية بالقتل ، واجتياحهم من جديد عن وجه الأرض^(٧) . وأخرج أمير المؤمنين ع . م قائد القواد عبده جوهر الكاتب في جيوش عظيمة ، فخرج إلى المغرب فاستفتح البلاد ، ونفى أتباع بني أمية والقائلين بإمامتهم عنها ، وكانت في ذلك فتوح عظيمة . وكان أمير المؤمنين ع . م على العزم أن يرسل أساطيل في البحر إلى طرابلس للأندلس لقطع

(١) الذي : الثاني في ب

(٢) غليظاً : غلط في ب

(٣) في المجالس والمسائرات جـ ١ ص ٢٣٤ إلى ٢٦٨ أورد القاضي النعمان الكتاب بكامله وهو يتألف من ستة عشر فصلاً .

(٤) ينيء : يبنى في ب

(٥) بتجهيز : بتهيئة في جـ

(٦) لتتبع : لباع في جـ

(٧) المجالس والمسائرات جـ ١ ص ٢٢٣

دابر بني أمية واستئصال شأفتهم ، إلى أن حصل من الروم ما حصل من الغلبة في حلب والشام ، واستحلّ لهم أهل الإسلام ، وأنصرف عنهم أمير المؤمنين إلى الشام والشرق ، وافتتح مصر والشام ، وسنذكر من أخبار / ذلك إذ انتهينا إليه ، ما يعين الله عليه ، وإملاء الله بني أمية الفاسقين ، ومنعهم إلى حين ، حتى استوفوا مدة ما يلي لهم ، ونالوا من الدنيا ما هو في الآخرة أشد وبالاً عليهم ، وسوف يلقون عملهم بما ظلموا به العباد ، وسعوا في الأرض بالفساد ، وذلك كما قال أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م لرسول الأموي وقد ذكرنا قوله . وانتهى جوهر القائد إلى البحر المحيط بالمغرب ، وجاء بهدايا إلى أمير المؤمنين ع . م يجلب قدرها ، ويعظم أمرها .

وفي ذلك يقول محمد بن هاني المغربي يمدح أمير المؤمنين المعز لدين الله ،
ويذكر هدايا جوهر القائد^(١) :

ألا هكذا فليهد من قاد عسكرياً
هدية من أعطى النصيحة حقها
ألا هكذا فلتجلب العيس بدناً
مرفلةً يسحبن أبراد^(٢) مينةً
تراهن أمثال الظباء عواطياً
يمشين مشي الغانيات تهادياً
وجررت أذيال الحسان سوابغاً
فلا يسترن الوشي حُسن شياتها
وقال منها^(٣) :

وأورد عن رأي الإمام وأصدراً
وكان بما لا يبصر الناس أبصراً
ألا هكذا فلتجنب الخيل ضمراً
ويركفن ديباجاً ووشياً محبباً
ليسن بنسرين^(٤) الربيع المنورا
عليهن زي الغانيات مشهراً مشهراً /
فعلمن فيهن الحسان تبخترا
فيسترحلى منه في العين منظراً
وأفضل من يعلو جواداً ومنبراً
ألا إنما تهدي إلى خير هاشم

(١) ديوان ابن هاني الأندلسي ص ١٤٠

(٢) أبراد : أذيال في ب

(٣) بنسرين : بييرين في الديوان صفحة ١٤٠ ويعني بييرين : أرض فيها رمل مترامي الأطراف من نواحي البحرين .

(٤) أسقط المؤلف من القصيدة مقدار ستة عشر بيتاً جلها في الوصف والتصوير الجمالي الرائع .

مَنْ اسْتَنْ تَفْضِيلَ الْجِيَادِ لِأَهْلِهَا
 وَجَلَّلَهَا أَسْلَابَ كُلِّ مُتَافِقٍ
 وَقَلَّدَهَا الْيَاقُوتَ كَالْجَمْرِ أَحْمَرًا
 فَكَمْ نَظْمٍ قَرُطٍ كَالثُّرَيَّا مُعَلَّقٍ
 وَكَمْ أُذُنٍ مِنْ سَابِحٍ قَدْ غَدَتْ بِهِ
 تَحَلَّى بِمَا يَسْتَغْرِقُ الدَّهْرَ قِيَمَةً
 وانتهى فيها إلى قوله (١) :

فَأَوْطَاهَا هَامَ الْعِدَى وَالنُّورَا
 وَكَلَّ عَنِيدٍ قَدْ طَغَى وَتَجَبَّرَا
 يُضِيءُ سَنَاهُ وَالزُّمْرَدَ أَخْضَرَا
 يَزِيدُ بِهَا حُسْنًا إِذَا مَا تَمَرَّقَا
 يُنَاطُ عَلَيْهَا مُلْكُ كِسْرَى وَقِصْرَا
 فَتَخْتَالُ فِيهِ نَخْوَةٌ وَتَكْبُرَا

أَلَا إِنَّمَا كَانَتْ طَلَائِعُ جَوْهَرٍ
 وَلَوْلَمْ يُعَجَّلْ بَعْضُهَا دُونَ بَعْضِهَا
 أَقُولُ لِصَحْبِي إِذْ تَلَقَّيْتُ رُسُلَهُ
 وَقَدْ مَارَتْ الْبُذُلُ الْقِنَاعِيسُ أَجْيَالًا
 فَطَابَتْ لِي الْأَنْبَاءُ عَنْهُ كَأَنَّهُ
 لَعَمْرِي لَكُنْ زَانَ الْخِلَافَةِ نَاطِقًا
 تَضِيحُ الْقَنَا مِنْهُ لَمَّا جَشَّمَ الْقَنَا
 هُوَ الرَّمْحُ فَاطْعُنْ كَيْفَ شِئْتَ بِصَدْرِهِ
 لَقَدْ أَنْجَبْتَ مِنْهُ الْكَتَائِبُ مِذْرَهًا
 وَصَرَّفَ مِنْهُ الْمَلِكُ مَا شَاءَ صَارِمًا
 وَلَمْ أَجِدِ الْإِنْسَانَ إِلَّا ابْنَ سَعِيهِ
 وَبِالْهِمَّةِ (٢) الْعَلِيَاءِ يُرْقَى إِلَى الْعَلَى

ببعض الهدايا كالعجالية للقري (١)
 لضاق الثرى والماء طرقتاً ومعبراً
 وقد غصت البيداء (٢) خفياً ومنسراً (٣)
 وقدماجت الجرد العناجيج أبحراً /
 لطائم إبل تحمل المسك أذفراً
 لقد زان أيام الحروب مدبراً
 وتضرع منه الخيل والليل والشرى
 فلن يسأم الهيجا ولن يتكسراً
 سريع الخطى للصالحات مسيراً
 وسهماً وخطياً ودرعاً (٤) ومغفراً
 فمن كان أسعى كان بالمجد أجدرأ
 فمن كان أرقى (٥) هيمته كان أظهرأ

/ ١٠٦

(١) أسقط المؤلف من أصل القصيدة مقدار ثمانية أبيات .

(٢) للقري : للفرا في ب

(٣) البيداء : الصحراء في ج

(٤) ومنسرا : ومشغرا في ج

(٥) ودرعاً : وسرعاً في ب

(٦) وبالهمة : وبالقامة في ب

(٧) أرقى : أعلى في ب

ولم يتأخر من أراد تقدماً
وما كانت القواد من قبل جوهر
على أنهم كانوا كواكب عصرهم
فلا يُعد من الله عبدك نصره
إذا حاربت عنه الملائكة العدى
وما اخترته حتى صفا ونقى القذى
ووكلته بالجيش والأمر كله / ١٠٧

قال القاضي القضاعي (ر . ح) (١) : وأصل جوهر رومي جاء به خادم يعرف بضامن ، وانتقل من ضامن إلى خيزران ، ومنه إلى حفيف ، وحمله حفيف إلى الإمام المنصور بالله ع . م ، فعلا ذكره معه ، وسايه في غزواته ، وكان كاتبه وكاتب أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م ، ثم انتهى به الحال إلى أن بلغ مع المعز لدين الله سلام الله عليه الرتبة الجليلة ، والمنزلة السنية ، وأخى بينه وبين جوهر ، وقرن بينهما لفضلهما ، ودينهما ، وأمانتهما ، ومودتهما للأئمة ع . م ونصيحتهما ، وجعل جوهر قائد القواد ، وسيره في عساكره ، وأمراء جنوده ، واستفتح البلاد ، وجرى في خدمة الأئمة ع . م على الصلاح والرشاد السداد ، وثار ابن واسول واستولى (٢) على سجلماسة ، وخلع طاعة الأئمة ، وتسمى بالشاكر لله . ولكن (٣) أمير المؤمنين القائم بأمر الله ع . م قد أمكنه الله منه بعد أن كان قد تغلب ، وأتى به أسيراً ، فأمر باعتقاله ، فاعتقل بالمهدية باقي مدة القائم بأمر الله ، ثم من عليه المنصور بالله ع . م وأطلق سبيله ، فعاد إلى تغلبه وفسقه ، وخلع طاعة الأئمة من عنقه ، ودعا إلى بني أمية (لع) / وأظهر لعنه الله لعن الأئمة على منبره ، وكان من رأي أمير المؤمنين إخراج عسكر إلى سجلماسة ، ثم إلى فاس ، والطريق

/ ١٠٨

(١) حاولنا بقدر الإمكان معرفة القليل عن هذا القاضي فلم نوفق .

(٢) واستولى : سقطت في ب

(٣) ولكن : سقطت في ب

فيه [الشقاء ، والبعدن]^(١) والإنقطاع ، والمخافات على ما يعظم في صدور الناس أمره ، ويتهيون سلوكه ، واقتحامه ، فأمر أمير المؤمنين ع . م أن يندب إلى ذلك من سارع^(٢) إليه من شبان كتامة طائعاً ، فلم تمض أيام حتى أتاه منهم من العدد فوق ما أراده ، مسارعين^(٣) إلى ذلك فرحب بهم ، وأوسع لهم العطاء ، وأجزل لهم الحياء ، وقدم عليهم أبا الحسين جوهر غلامه ، وغلام الإمام المنصور بالله ع . م ، وجعلهم تحت رايته ، وفي جماعته .

قال القاضي النعمان بن محمد (رضي) ^(٤) : ولما أراد الخروج حضر الشيوخ من كتامة ، وحضرت معهم مجلس أمير المؤمنين ع . م ، فذكر مسارعتهم من سارع منهم إلى الخروج في ذلك الجيش ، وأنه كان فيما تقدم يتهول سلوك ما ندبهم إليه دون تعاطي الخروج إليه ، [وذكر ع . م شفاقهم قبل ذلك مما هو دون ذلك]^(٥) ، ثم قال ع . م : وهذا الذي كنت ذكرته لكم في غير مجلس / ومقام إنني لو ندبت من عيّيت^(٦) أن أندبه منكم لوجدت فيه ما أريده ، ثم أذن لمن سارع منهم إلى الخروج فدخلوا عليه فوجاً فوجاً ، وغص القصر بهم ، فأثنى عليهم خيراً ، وقال لهم قولاً جميلاً طويلاً ، كان فيما حفظت منه ، أن قال لهم : بارك الله فيكم ، وأحسن صحابيتكم ، والخلافة عليكم ، فقد صدقتم ظني فيكم ، وأملي عندكم ، وأنتم من معدن البركة [والنصر بكم بدا]^(٧) الله إظهار أمرنا ، وبكم يتمه ويصله بحوله وقوته . وقد علمت مسارعتكم إلى ما ندبتم إليه ، وإجابتكم لما أردتم له^(٨) وأرجو أن تبلغوا من ذلك بحسب الأمل فيكم ، ويرفع الله ع . ج

(١) الشقاء والبعد : الشقار والبعة في ب

(٢) سارع : سراعاً في ج

(٣) مسارعين : سراعين في ج

(٤) المجالس والمسائرات ج ٢ ص ١٨

(٥) وذكر ع . م شفاقهم قبل ذلك مما هو دون ذلك : وتثاقلهم قبل ذلك عزمأ هو دونه في ب

(٦) عيّيت : حيث في ب

(٧) والنصر بكم بدا : وعنصر الخير بكم في ب

(٨) له : سقطت في ب

بذلك درجاتكم ، ويعلي ذكركم ، أنتم البنون والأخوة ، والأقربون ما يعدلكم عندي أحد ، وما يبلغ مبلغكم من قلبي بشر ، وما ذلك إلا [لما لي في]^(١) قلوبكم ما نصر الله ولياً من أوليائه قبلنا بمثل نصرتكم لنا ، على ذلك مضى أولكم ، وعليه أنتم على نصرتنا [ومحبتنا وولايتنا]^(٢) ومولاتنا تتناسلون . وتنشؤون ، وبها غديتم ، وعليها فطرتهم فأبشروا بما قسم الله ع . ج من الفضل لكم ، فأنتم حزب الله ع . ج وأنصاره ، وجنده ، وأحباؤه .

والله / ما أردت بهذا البعث الذي بعثتكم فيه [شراً سندفعه]^(٣) ولا دفع مكروه إخافة ، ولا استكثاراً من دنيا أصيبه ، أما المكروه فقد علم الخاص والعام ، والقريب والبعيد ، أن غاية أمانني من حولنا من أهل الأرض المتغلبين ممن دان بجملة^(٤) الإسلام ، والمشركين إن سلموا^(٥) منا وتعافوا^(٦) من بأسنا ، وما أحد منهم أسمى ، وصبح اليوم بحمد الله تعالى يطمع في شيء مما عندنا ، وما اكتساب حطام الدنيا فهذا نحن ننفق^(٧) من أموالنا على هذا البعث ، ما لا نرى أنا نرجع مثله ، وإن مكنتنا الله ونصرنا وأيدنا ، ولكننا أردنا بذلك وجوهاً منها ما افترضه الله ع . ج علينا من جهاد من خالف أمرنا ، وتسمى بأسائنا ، [وأدعى ما جعل]^(٨) الله لنا ؛ ومنها أن الله ع . ج قد امتحن عباده بالجهاد في سبيله معنا ، فنحن نندبهم إليه ليعلم المجاهدين منكم ، والصابرين وليرفع الله به درجاتهم ، ويجزل ثوابهم ، وينقل حالاتهم ، فكم منكم اليوم من ينفذ^(٩) في هذا الجيش تابعاً يعود

(١) لما لي في : لما في في ب

(٢) ومحبتنا وولايتنا : سقطت في ب

(٣) شراً سندفعه : نشرأ ندفعه في ب

(٤) جملة : بميله في ب

(٥) سلموا : يسلم في ب

(٦) وتعافوا : وعافوا في ج

(٧) ننفق : نتفق في ب

(٨) وأدعى ما جعل : وأدعوا ما جعله في ب

(٩) ينفذ : وقف في ب

١١١ / متبوعاً ، / ومرؤوساً يصير رئيساً ، إنما ترفعكم عندنا وعند ربكم نياتكم ، وأعمالكم بها تتوسلون إلينا ، وإلى باريكم^(١) لولا السنة التي أمر الله ع . ج باتباعها التي لا يصلح العباد إلا بها ما قدمت عليكم أحداً منكم ، ولا من غيركم ، إذ كل واحد منكم عندي يستحق أن يكون المقدم ، ولكن لا يصلح الناس إلا برئيس ، وقد قدمت عليكم من قد علمتموه يعني جوهرأ - أقمته فيكم مقام نفسي ، وجعلته معكم كأذني وعيني ، وكل^(٢) امرئ منكم على نفسه بصيرة ، وقد أمرت لكم بأجزل عطاء أعطيته من قبلكم إلى أبعد من مسافتكم ، وقد علمتم أنه لم يعط من قبلكم أحد قبلي مثل ما أعطيتكم ، ولا استكثرت لكم ذلك بل استقله لأقلكم ، والذي لكم عند الله وعند في الذي تستقبلونه أجل وأكبر ، فسيروا على بركة الله ويمنه ، وسعادته ، ونصره ، وتأييده ، كونوا عندما رجوتكم له من العناء^(٣) والكفاية ، وصلاح الحال بينكم ، أحسنوا عشرة بعضكم لبعض ، وعشرة من تصحبونه من غيركم ، وأنزلوا من ينفذ / معكم من عبيدي منازل إخوانكم وأبنائكم ،^(٤) واجمعوا معهم كلمتكم فهم لكم عضد ولحمة ، وموالي تجمعونهم وإياهم فلا تجعلوا بينكم وبينهم فرقاً ، أحسن الله لكم الصحابة ، وعليكم الخلافة . فقبلوا الأرض مراراً بين يديه ، وشكروا ما كان منه ، ووعدوا من أنفسهم الوفاء بما أمرهم به ، و (غلب عليهم)^(٥) من السرور بما سمعوا منه ما ظهر فيهم ، وتبين على وجوههم ، ثم أمر بإدخال من نفذ في ذلك^(٦) الجيش من الحضرة من قبائل البربر ممن كانوا قد دخلوا في الفتنة ، وأنابوا بعد المقدرة عليهم إليه ، فقبلهم وعفا عنهم ، كبني كملان ، وغيرهم ، وقد سارعوا أيضاً إلى الخروج ، فلما صاروا بين يديه ع . م قبلوا الأرض ، ووقفوا .

(١) باريكم : ربكم في ب

(٢) المجالس والمسائرات للقاضي النعمان جـ ٢ ص ٢٢ .

(٣) العناء : الغنى في ب

(٤) وأبنائكم : سقطت في ج

(٥) غلب عليهم : غلبهم في ب

(٦) ذلك : سقطت في ب

فقال بعض من حضر من مشايخ كتامة : (١) هؤلاء يا مولانا ممن قال الله ع . ج عسى
الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتهم منهم مودة . قال : نعم ، قد فعل الله ذلك
بهم ، لما سبق لهم عنده من السعادة ، ففازوا بالولاية / بعد العداوة ، / ١١٣
وبالهدى بعد الضلالة ، وبالنصرة بعد القطيعة ، والمنابذة لنا ، والمحاربة ،
فتوبتهم مقبولة ، وذنوبهم إنشاء الله تعالى مغفورة ، فقبلوا الأرض بين يديه ،
واعترفوا بنعمته ، وشكروا فضله ، وعفوه . فقال : كم يسارع منكم إلى الخروج
في هذا العسكر المنصور ؟ فقالوا : كلنا يا مولانا نسارع إليه ، فمن قبلته فهو
السعيد . قال : بارك الله فيكم ووفقكم ، وأنا أنظر إنشاء الله تعالى في ما
يصلحكم . ودخل العبيد فأوصاهم بمثل ما أوصى به الأولياء ، وأمرهم بأن يكونوا
لهم أخوة ، ومعهم الفة ، وودعوا ، وخرجوا .

ولما سار أبو الحسن القائد جوهر الكاتب بمن معه من عساكر أمير المؤمنين ،
وجنوده في سنة سبع وأربعين وثلاثمائة تقدم إلى أهل سجلماسة من قبل أن يحل بهم
بمدة بكتب منه بالتحذير لهم ، وأوعز إليهم في القبض على ابن واسول (٢) ، وأنهم
إن فعلوا ذلك أمنهم وأحسن إليهم ، وعفا عن ذنوبهم التي اقترفوها بطاعته ،
على ما ارتكبه من عظيم جرمه ، والقائهم بأيديهم / إليه ، فلم يفعلوا . / ١١٤

ولما قرب العسكر منه خرج من مدينة سجلماسة هارباً بنفسه ، فلقبه نفر من
أهل المدينة فأخذه ، وأتوا به إلى القائد فعاتب القائد أهل سجلماسة في تركه ،
ثم رأى الصفح عنهم ، وولى عليهم والياً منهم ، وانصرف بجميع عساكر أمير
المؤمنين إلى مدينة فاس ، فقتل جوهر في طريقه يعلى بن محمد الزناتي (٣) في أفكان ،

(١) المجالس والمسائرات للقاضي النعمان ج ٢ ص (٢٣ - ٢٤)

(٢) ابن واسول : هو محمد بن الفتح والي سجلماسة قبض عليه جوهر وهو يحاول الهرب بعد
مهاجمة سجلماسة من قبله .

(٣) يعلى بن محمد الزناتي والي الفاطميين على بلاد تاهرت إنضم إلى الأموي في الأندلس ،
وانحرف عن الفاطميين ، فقبض عليه وعلى أبنائه القائد جوهر وهدم حاضرة ولايته . ابن

الأثير : الكامل ج ٨ ص ١٨٩ .

ومضى إلى فاس ، وكان صاحب فاس تسمى بالإمام ، وجعل على قصره مظلة ينصبها علامة لجلوسه ، وترفع إذا قام ، فلما صار القائد بذلك الصقع الذي فيه أحمد بن بكر^(١) صاحب مدينة فاس الخالع لطاعة الأئمة ع . م من عنقه ، الداعي إلى بني أمية ، فأجاب وأتاب كل من في ذلك الصقع ، وفاؤوا إلى الطاعة ، سوى أحمد بن بكر ، فإنه أصر وتمادى على غيه ، وأحاطت العساكر بمدينة فاس ، فطال عليها الحصار ، وامتد الأمر ، وكاد الناس أن يغلبهم اليأس لطول إقامة الجيوش عليها ، وهرب من هرب من العساكر عنها .

قال القاضي النعمان بن محمد رضوان الله عليه^(٢) : قال المعز لدين الله ع . م يوماً وقد ذكر أحمد بن بكر وهو في هذه الحال يعني الحصار / لقد رأيت البارحة عدو الله وكأني أتيت به ، فأمرت بقتله ، فجعل يسترحمني ، فقلت : والله لو وجدتك تحت أستار الكعبة لما أفلتت ولقتلتك ، فجعل يراجعني كالمحتج عليّ في قولي هذا ، ويقول : وما يوجب قتلي تحت أستار الكعبة ؟ فقلت : أقل ما يوجه مراجعتك إياي هذه ، فاسمع قائلاً يقول من خلفي^(٣) ولم أره أحسنت ، والله أصبت ، أصاب الله بك المرشد ، أي والله لمراجعته إياك هذه توجب^(٤) قتله لعنه الله ، فالتفت فإذا الذي يقول ذلك المنصور بالله ع . م . قال القاضي : فلم يكن بين هذا اليوم الذي حدثنا بهذا الحديث فيه وبين اليوم الذي فتح الله فيه فاس عليه وأقدره على اللعين ابن بكر ، وأخذته أسيراً ، إلا أقل من عشرة أيام . قال^(٥) : فسمعت أمير المؤمنين ع . م وقد أتاه فتح مدينة فاس بعد أن كان أكثر الناس يشسوا من ذلك لطول إقامة الجيش عليها ، وهروب من هرب منهم عنها ، وقوة أهلها ،

(١) أحمد بن أبي بكر بن سهل الجذامي ، استولى على بلاد فاس وانضوى تحت لواء الأموي الناصر وخلع طاعة الفاطميين ، ولم يتمكن القائد جوهر من احتلال فاس إلا بعد أن استولى على سجلماسة . العبر لابن خلدون ج ٤ ص ٤٦ .

(٢) المجالس والمسائرات للقاضي النعمان ج ٢ ص (٢١٢ - ٢١٣) .

(٣) خلفي : خلافي في ب

(٤) توجب : تجاوب في ب

(٥) المجالس والمسائرات ج ٢ ص ٣٨٥ .

وكثرة الأطعمة فيها ، ووعر خنادقها ، وحصنها . قال الحسن بن جعفر الأنصاري في تاريخه : وكانت في فاس حروب وملاحم ، وحصار إحدى عشر شهراً من ظاهر السور ، ومات في الحصار أحمد بن بكر ، وبقي ولده محمد بن أحمد بن بكر ، ومحمد بن واسول ، فأسرا جميعاً .

قال القاضي النعمان بن محمد رضي الله عنه^(١) : فقال المعز حين بلغه فتحها هذا من قول الله ع . ج من قائل : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا / ، إِسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَثُرُوا جَاءَهُمْ نَصْرًا ﴾^(٢) والله ما استيأس الرسل من فضل الله عليهم ونصره إياهم ، ولكنهم استيأسوا ممن خذلهم ، ولم يقيم بواجب حق الله ع . ج الذي افترضه في جهاد عدوهم ، فقطعوا من الخلق رجاءهم ووصلوه بالله ربهم ، فأتاهم نصره الذي به وعدهم . قال : وكان المعز ع . م كلما ورد عليه من أمر فاس هذه أمر يش معه من سمعه من فتحها فيقول ونحن نسمعه من غير موطن إذا أتى مثل هذا ، ما أتوكل في أمرها ، وكل أموري إلا على الله [لا شريك له]^(٣) ولا أرجو غيره ، وإني لوافق^(٤) بفضلته ، ونصره . ثم قال لما أتاه الفتح : والله^(٥) إني لربما أريد أن أسأل الله ع . ج في الزيادة من فضله في ما يكون من مثل هذا فاستحي أن أسأله ذلك لكثرة ما أولاني منه ، له الحمد لا شريك له ، وإني^(٦) لربما سألت الله ع . ج طول البقاء^(٧) لعدوي ليخزيه الله بذنوبه ، ويرى ويسمع من صنع الله ع . ج عندي ما يبكيه ، ويؤلمه . ثم قال : أتدرون ما أردته بالكتاب الذي كتبت منذ قريب لأهل فاس هؤلاء الأشقياء ؟ وقد كان كتب لهم^(٨) كتاباً بالأمان ، إن

(١) المجالس والمسائرات ج ٢ ص ٣٨٥ .

(٢) سورة : ١٢ / ١١٠

(٣) لا شريك له : سقطت في ب

(٤) لوافق : موافق في ب

(٥) والله : سقطت في ب

(٦) وإني : والتي في ج

(٧) البقاء : البغي في ب

(٨) لهم : إليه في ج

أنابوا ، وعرفنا به . فلما انتهى إليهم ، رموه فلم يقبلوه ! قلنا : الله ووليه أعلم ! قال : والله إن أردت بذلك إلا هلاكهم بإقامة حق الله عليهم ، وإلا فقد علمت أنهم متى جاءهم وهم يرون / أنهم في قوة ، ويرون عساكرنا قد سئمت من المقام عليهم ، وانحل بعضها عنهم ، وجاءهم مثل هذا من عندي أنهم يدفعونه ، فأردت أن أجعله ككتاب رسول الله ع . م [إلى صاحب فارس إذ أتاه فمزقه فمزق الله ملكه ، وككتاب المنصور ع . م]^(١) إلى مخلد اللعين وأصحابه وقد حاصرهم بقلعة كيانة ، إذ كتب إليهم بالأمان ، فردوا كتابه ، فأمكنه الله تعالى منهم في أقرب وقت ، وكذلك أردت بكتابي الذي رأيتموه ، وقد كان كما أردت ذلك بحمد الله تعالى ، ونعمته ثم حمد الله ع . ج بما هو أهله ، وشكر فضله ، بما قدر عليه ، وأمكنه^(٢) .

قال : ولما قرب وصول الجيش من المغرب إلى الحضرة أمر الإمام المعز لدين الله ع . م لابن واسول وابن بكر بعمل عجلتين ليكون كل واحد منهما على واحدة تجر به في حين النداء عليه ، وذلك ما لم يعلم أنه سبق إليه ، ولا رآه أحد ، وجعل يصفهما للنجارين فقال : يجعل سطح من ألواح على خشب مصلبة ، وترفع على أربع فلك ، ويبنى عليه برج من ألواح واسع الأسفل ، ضيق الأعلى ، يكون طوله عشرة أذرع ، ويكون في أسفله قفص من خشب وثيق له من خلفه باب يدخل فيه أسد ويغلق ، وله سقف فوقه تابوت من البرج له باب يفتح ويغلق ، وفيه شبك

(١) سقطت الكلمات المحصورة من كلا النسختين فأخذناها من كتاب المجالس والمسائرات ج ٢ ص ٣٨٧ .

(٢) ويقول السلاوي : رجع جوهر بعد أن دوخ البلاد وأتخن فيها ، وقتل حمايتها ، وقطع دعوة المروانيين فيها ، وردّها إلى العبيديين ، فخطب لهم على جميع منابر المغرب ، وانتهى إلى المهديّة ، دار المعز لدين الله ، وقد حمل معه أحمد بن أبي بكر أمير فاس وخمسة عشر من أشياخها ، وحمل أيضاً محمد بن أبي الفتح أمير سجلماسة ، ودخل بهم أسارى بين يديه في أقفاص من خشب على ظهور الجمال ، وجعل على رؤوسهم قلائس من لبد مستطيلة ، منبته بالقرون ؛ فطيف بهم في بلاد إفريقية وأسواق القيروان ، ثم ردوا إلى المهديّة ، وحبسوا بها حتى ماتوا في سجنها ، الإستقصا لأخبار المغرب الأقصى ج ١ ص ٨٦ - ٨٧ .

يسير مقدار ما يدخل منه الضوء ، وفي وسط القفص خشبة عظيمة كصاري المركب ، في أسفلها مرود على سطح السرير يخرج من وسط سقف القفص ، وسقف التابوت الذي فوقه ، ويظهر على سقفه منها مثل قامة وعلى رأسها سرير بمقدار ما يجلس فيه الجالس ، / حوله حاجز من شبك مخروط يمنع من السقوط عليه وليكن في التابوت رجلان لا يريان ، وفي الخشبة معها وتدان فيها يديرانها فيدور السرير الأعلى بمن يكون عليه ، ليرى كل من حوله وجهه ، ولا يعلمون بما يديره . قال : فتعجبنا لذلك لما عمل ، ورأيناه كيف اخترع ذلك ، واهتدى إليه ع . م ، فقال ع . م : رأيت فيما يرى النائم قبل أخذ هذين الفاسقين بمدة ، فجعلت أنظر إليه كما هو الآن بين يدي ، وأقلبه ، وأقول : ما هذا ؟ فيقال لي^(١) : هذا يكون ينادي على أعدائك عليه ، ففهمت صورته ، وعملته على ذلك . قال : ولما قفل الجيش المنصور من أرض المغرب بعد أن أظفر الله ع . ج وليه باين واسول المدعي الإمامة ، وابن بكر الناكث المتغلب بفاس ، وفتحها الله ع . ج على وليه ، وما والأها من أرض المغرب ، في سنة ثمانين وأربعين وثلثمائة ، وكانت غيبة القائد جوهر إلى أن رجع إثنان وثلثون شهراً .

/ ١١٨

قال القاضي النعمان بن محمد رضي الله عنه^(٢) : وأخذ القائد أبناء جميع وجوه أهل المغرب ورؤسائه رهائن عنده ، وقدم بهم ، وبكل وجه كان بذلك الصقع ممن يطاع له ، ويخاف جانبه ، وجاء فيهم بجماعة [من الذين تناسلوا هنالك من الحسينيين]^(٣) ولد أدريس بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وقد قدمنا من خبره . وكانوا قد تآمروا في القبائل وادعوا الملك ، فلما وصلوا إلى حضرة أمير المؤمنين أمر بإنزالهم ، وكساهم ، ووصلهم ، / وحملهم ، وأجرى عليهم النزول الواسع ، فأقاموا على ذلك مدة ، ثم من عليهم بتسريحهم ، وإطلاقهم إلى

/ ١١٩

(١) المجالس والمسائرات جـ ٢ ص ٢٧٣ .

(٢) المجالس والمسائرات للقاضي النعمان جـ ٢ ص ٣٧٤ .

(٣) من الذين تناسلوا هنالك من الحسينيين : سقطت في ب .

بلدانهم وأهلهم ، وأمرهم بصلات وخلع وحملان ، وبعث^(١) معهم إلى [آبائهم
و]^(٢) أكابر أهلهم بكساء ، وصلات ، وسروج مغرقة ، وأمر بإدخالهم حين
خروجهم ليودعوه ، فصفوا بين يديه ، وأدنى الحسينين منهم ، وأمرهم بالجلوس ،
ثم قال ع . م للجميع : قد علمتم ما كان من إحساننا إليكم ، وفضلنا عليكم ،
وعفونا وصفحنا عن ما سلف من أموركم ، وقد سرحناكم لما اتصل بنا^(٣) من
شهوتكم ، ومن خلفتموه وراءكم في سراحكم ، وشوق بعضكم لبعض ، فأثرنا
إسعافكم بذلك ، والمن به عليكم ، فاعرفوا ذلك وتلقوه بالشكر وحيد السعي ،
وحسن الطاعة ، تتعرفوا منا المزيد عندكم ، ويتصل فضلنا لديكم ، ومعروفنا
عندكم ، وليعلم من أدلى إلينا بالنسب منكم أن ذلك إنما يتوسل به من اعتصم
بالطاعة ، وتمسك بها ، فأما من عصى أولياء الله وخالفهم ، فقد انقطع نسبة
منهم ، كما قطع الله . ج نسب ابن نوح منه لما عصاه ، ولولا أن الله . ج
افترض الطاعة لنا على كافة خلقه وقرنها بطاعته وطاعة رسوله ، وجعلها ديناً تعبد
العباد به ، وأقامنا لإقامة دينه ، لما عبأنا بمن أطاع منكم ، ولا من عصى ، ولكننا
إنما نريد بذلك إقامة ما أمرنا الله . ج به ، / من إقامة دينه ، ولو أن هذا
الفاسق ابن بكر أطاعنا ما بخلنا^(٤) عليه بفاس ، وما هو أعظم منها ، وما لذلك
عندنا ولا للدنيا بأسرها^(٥) من خطب نبتغيه ممن تغلب ، ولا نقيم أنفسنا لمحاربتة ،
لولا ما افترض الله . ج علينا من ذلك ، فاستخدمنا له ، ولو سلم ذلك^(٦) إلينا
الفاسق ، ومن تمسك به ، وأطاعه على معصيتنا ، لما عرضوا أنفسهم للهلاك^(٧) ،

-
- (١) وبعث : وجوز في ب
 - (٢) آبائهم و : سقطت في ج
 - (٣) بنا : برينا في ب
 - (٤) نسبه : نساب في ب
 - (٥) ما بخلنا : ما خللنا في ب
 - (٦) بأسرها : بسرها في ب
 - (٧) ذلك : سقطت في ج
 - (٨) للهلاك : للتلاف في ب

وحرمتهم للإنتهاك ، وإن كان ما جبلنا الله ع . ج عليه من الصفح والرحمة ، منعنا من انتهاكهم ، وقد عرضوها للإنتهاك ، ومن سفك دمائهم ، وهلاكهم عن آخرهم ، وقد استهدفوا بها للسفك ، وبأنفسهم للهلاك ، ولكننا عفونا عند القدرة ، وصفحنا بما جبلنا الله ع . ج عليه من الصفح والرحمة ، وأبقينا على من بقي منهم ، وقد قدرنا الله ع . ج عليه من جميعهم ، وصنا حرمهم ، وعفنا عن دمائهم ، وما لهذا الفاسق الذي قدرنا الله ع . ج عليه بعد الذي كان منه من الحرب والمناسبة بعد عفونا قديماً عنه ، وإحساننا إليه من المقدار ما يوجب عقلته^(١) وإبقاءه إلا لما أردنا أن يديم الله ع . ج به حسرته ، من كونه في الأسر ، ونظره إلى فضل الله ع . ج علينا ، وعلى من حملناه إياه ممن رأينا المن عليه ، والإحسان إليه منكم ، ومن أمثالكم ممن أثر طاعتنا ، والتسليم لأمرنا] وأتاب إلينا ولم يصر على معصيتنا فيعلم أن الله ع . ج لو أراد به خير الوفقة [^(٢) / إلى ذلك ، وقدره له فنال من فضلنا وإحساننا ما قد نال غيره ، ففي ذلك ما ينكي الله ع . ج صدره ، ويديم حسرته ، وأسفه ، فينال من أليم عذابه] جل ثناءه في دنياه صدرا بما أعد له قبل مصيره إلى عذابه [^(٣) الدائم ، والخلود في خزيه اللازم ، وإنا وار ما نبتغي من طاعتكم لنا ، وتسليمكم] لأمرنا [^(٤)] وإنابة غيركم إلينا عزاً^(٥) إلى عزنا نستفيده ، ولا عرضاً من أعراض الدنيا نستزيده ، ولقد خولنا الله ع . ج من ذلك ، وملكنا وأعطانا بفضله علينا ، وإحسانه إلينا ، ما لا نتعاطى أن نقوم بشكره ، ولا تمتد أعيننا إلى غيره ، استقلالاً لما خولنا الله ع . ج وأعطانا من جزيله ، وكرائمه ، وأفضل علاقته ، وأعزنا به من عز سلطان حقه ، وأجدنا من مجد شرف دينه ، وما وصل من أسبابنا بأسباب جدنا محمد نبيه (ﷺ) : وإن جعلنا

/ ١٢١

(١) عقلته : عقاله في ب

(٢) سقطت الكلمات المحصورة من النسخة ب وجـ فأخذناها من المجالس والمسائرات جـ ٢

ص ٣٧٧ .

(٣) سقطت الكلمات المحصورة في ب .

(٤) لأمركم لأمرنا : لأمرنا بينكم في ب .

(٥) عزاً : هذا في ب

أئمة خلقه الذين لا يقبل إلا من أقبل عليهم، ولا يرتضي إلا من ارتضاهم، فما بعد ما عندنا من فضل الله ونعمته فضل نعمة ينبغي أن [نتناولها من] (١) أحد من عباده، ولا فوق ما أعطانا من الشرف والمنزلة ما نؤمل أن يرتقي إليه بشيء نستزيده من قبل أحد من خلقه، بل قد أحوج الله ع. ج جميع العباد إلينا، ديناً، ودنياً، وله الحمد على ما خولنا وأعطانا، ومن به علينا، ولكننا ندأب أنفسنا وأبداننا، ونستعمل / أولياءنا، وننفق أموالنا، في ما استعملنا الله ع. ج فيه، واستخدمنا له، وأمرنا بإقامته من معالم دينه، الذب عنه، وإقامة شرائعه، وإحياء ما أماته المبطلون من سنته، وأحكامه، فنحن ندعو من أناب إلى ذلك، ونحضهم عليه، ونجاهد من عند ذلك وصدف عنا فيه؛ فاعلموا ذلك منا واعرفوه من تصيروا إليه، وانكم لن تعدموا فضلاً من الله ومنا ما اعتصمتم بحبلنا وتوليتمونا، ولن تفوتوا الله ع. ج وتفوتونا إن صدقتم عن أمرنا، وأصغيتم إلى عدونا، فيد الله العليا عليكم وعليهم، وأيدينا، وعلى من عصانا وصدف عن أمرنا، [وعداً وعدنا] (٢) إياه في كتابه، وواجبنا أوجه لنا تبارك وتعالى في إيجابه إلى من عسى أن يميلوا عنا، ومن يستبدلون بنا، دعوة من يأترون على دعوتنا، وهي دعوة جدنا محمد (ﷺ)، وطواغيت بني أمية الذين مال نحوهم، ودعا إليهم، وأصغى إلى باطلهم، هذا النذل ابن بكر [واستبدلهم بنا هم] (٣) عدو جدنا محمد (ﷺ) وحربه ولعنائه، وطردائه، وحزب الشيطان وجنوده، ونحن حزب الله وحزبه كما وعد الغالبون، وحزب رسول الله وذريته المتطهرون (٤) / والله ما ثبت أنفسهم الخسيسة ولا تتعاطى مقاومة فضلنا، ولا ينكرون وإن أيدوا ما أيدوه من محاربتنا، ومعاداتنا حقنا، وأن قلوبهم لتخافنا، وجلودهم لتقشعر منا، ولو قرب جلد ميت منهم إلى جلد ميت منا لا قشعر منه، كما قد قيل

(١) تناولها من : يتناولها في ج

(٢) وعداً وعدنا : ومواعدونا في ب

(٣) واستبدلهم بنا هم : هم في ب

(٤) المتطهرون : الطهرون في ب

إن ذلك بعثري جلود بعض الحيوان إذا قرب من جلود بعض السباع ، والذي جعله الله ع . ج لنا^(١) من الهيبة في صدور عدونا ، والخوف هو أشد مما جعله الله ع . ج في قلوب الحيوان للسباع لا محالة ، فمن ذا يعدلنا بالأرجاس بني أمية ، ومن هو في مثل حالهم إلا من أعمى الله ع . ج قلبه ، وغلبت عليه شقوته وجبنه ، فاعرفوا فضل ما وفقكم الله سبحانه إليه ، وحباكم به ، وقوموا بفرضه واشكروه على ما وهبكم منه ، ومن عليكم من رضانا به ، تستديموا^(٢) بذلك نعمته ، وتستزيدوا فضله ، أما أني لم أقل ما قلته في نفسي تكبراً ، ولا وصفت ما وصفته من فضل الله ع . ج عندي فخراً ، بل قلت ذلك اعترافاً بفضله عليّ ، وشكراً لنعمته ، وأنا أقل عباده عند نفسي ، تواضعاً لعظمته ، وأذلم لديها تذلاً وخضوعاً لقدرته ، واستعبر ع . م فظهرت خشية الله على وجهه ، فقبلوا الأرض مراراً بين يديه ، واعترفوا بفضله ، وشكروا له بما قدروا عليه ، وذكروا ما يعتقدونه ويعلمونه بمن خلفوه ورائهم من أوليائهم ، واعتقادهم طاعته ، وولايته ، وودعوا وانصرفوا ، وكان قد أدخل قبلهم^(٣) وجوه أوليائه من كتامة وغيرهم ، وخاصة عبيده ، فحضروا المجلس ، فلما انصرف القوم نهض^(٤) من كان جالساً للقيام ، فأمرهم بالجلوس فجلسوا ، ووقف كذلك من كان منهم واقفاً ، فأقبل عليهم وسألهم عن أحوالهم ، وذكر من مضى من أسلافهم ، وترحم عليهم ، وحضهم على ما كان عليه أسلافهم ، من الرغبة في الحكمة ، وطلبها وساعها ، والمواظبة عليها^(٥) .

قال : فذكرت له مواظبتهم على ذلك واجتماعهم في كل يوم جمعة ، واحتفالهم وغيرهم من أوليائه إلى الجامع لشهود الجمعة ، والتجمهر فيها ، ثم

(١) لنا : سقطت في جـ

(٢) تستديموا : تستدعوا في بـ

(٣) قبلهم : قبالتهم في بـ

(٤) نهض : رفض في بـ

(٥) المجالس والمسائرات جـ ٢ ص ٣٨٢ .

مقامهم بعد انقضاء^(١) الجمعة لسماح الفقه ، والمناظرة فيه ، إلى انقضاء صلاة العصر ، ثم احتفالهم بأجمعهم^(٢) ، ومن عسى أن فاتته صلاة الجمعة إلى القصر [المعمور بطول بقائه]^(٣) لسماح الحكمة ، وما يظهر من إقبالهم عليها ، ورغبتهم فيها ، فقال ع . م : هذا الذي نريده منهم ومن غيرهم مما فيه حظهم ، وصلاح أحوالهم ، / وتمام نعمة الله عليهم ، لأنهم ومن مضى من أسلافهم ، كانوا مع من مضى من آبائنا قدس الله أرواحهم ، قليلاً ما ينعم عليهم بمثل ما ننعّم نحن على هؤلاء بحسب ما أوجبه الزمان وجرت به الحكمة في أعصارهم ع . م وعصرنا هذا المبارك من بعدهم ، لأنهم كانوا قل ما سمحوا به من العلم والحكمة لهم ، فلما أخذوا ذلك عنهم تركوهم ، ولم ينقموا عليهم تركهم سؤالهم المزيد من فضل الله ع . ج لهم ، ونحن نبذل لأهل عصرنا ما يجب في [بدء الأمور]^(٤) بذله لهم ، ونزيدهم ما رأينا الرغبة والإقبال منهم ، وننعم عليهم إذا^(٥) سكتوا عن طلب الزيادة منا لهم ، ونحب أن نجعل جميعهم أعلاماً يهتدى بهم ، وسرجاً يستضاء^(٦) بنورهم ، وعلماء تقتبس^(٧) الخلائق منهم . قال : فقبلوا الأرض بين يديه ، وشكروا فضله ، وجزيل ما أولاهم من نعمه ، فقال ع . م : أحب لكم ولغيركم خاصة ولجميع من تمسك بولايتنا عامة ، أن يكون ما تكنه صدوركم لنا موافقاً لما تنطق به ألسنتكم عنه ، فإن الله ع . ج إنما يجزي العباد بنياتهم ، وإلا فمثل من سمع الخائب اللعين رجلاً يسمى قيصر . كان قد نافق / وسأله بعض رجالنا رفع حاجة إلينا فأعرض عنه ، وقال : إنما تقضى حوائج الرجال إذا احتج إليهم ، واليوم فليس لمولانا عدو يحتاج معه إلى الرجال فيطوي هذا عنا ويرضاه من

(١) إنقضاء : قضي في ب

(٢) بأجمعهم : مع بعضهم في ب

(٣) المعمور بطول بقائه : سقطت في ب

(٤) بدء الأمور : بدعات الأمر في ب

(٥) إذا : ان في ب

(٦) يستضاء : ضاء في ج

(٧) تقتبس : تقتص في ج

قوله ، ويصحبه ويتولاه بعده ، فيكون قد حفظ لما أخذ لنا عليه ، أو صحت لنا نيته .^(٥) فقالوا : لعن الله من فعل ذلك . قال ع . م : نعم . ورحم الله من بلغه إلينا نصيحة لنا كما أخذناه عليه ، وأنكره بقلبه لما سمعه منه ، فمثل هذا فارعوه من أنفسكم ، ولا تتخذوا ولائج من دوننا ، فوالله ما أحوجناكم إلى ذلك ، وإلا فاخبروني أي كبير منكم أو صغير كتب إليّ رقعة في ليل أو نهار ، يقول إنه يريد الدخول إليّ فحجبتة ، أو الاجتماع معي لحاجة يريدتها ، أو لأمر ينهيه^(٦) إليّ فممنعته أو دفعته ، وإذا والله لا يقول ذلك قائل منكم ، ولا ينطق^(٧) به عليّ ، فأبي حجة لكم في وضع أنفسكم لمن هو دوني ؟ وأنا أريد رفعتكم ، وتشريفكم . فقبلوا الأرض بين يديه ، وشكروا له ، واعترفوا بإحسانه ، وقال محمد بن هاني الأندلسي يمدح جوهر القائد ، ويذكر / ابن واسول وأسرته ، ويشير إلى ابن بكر من قصيدة يقول فيها^(٨) :

كثيرٌ وجوه الحزْمِ أردى به العِدَى
ولمّا اجتباه والملائِكُ جُنْدَهُ
فقلّدها جَمَّ السياسةِ مدرهاً
نحاهم به أمضى من السيفِ وقعهُ
وقد نصّحتْ قُوّادهُ غيرَ أتني
راه أميرُ المؤمنين كعهديه
ولمّا تَغَشَّتْ جانبَ الأرضِ فتنةُ
رَمَى بك قارونَ المغاربِ عاتياً
ورامَ جماحاً والكتائبُ حَوَلَهُ

وأنحى به لَيْثَ العَرِينَةِ فانتحى
لمهلكهم^(٩) دارت على قُطبها الرّحى
إذا شاء رام القصدَ أو قال افصحاً
وأجزَلَ من أركانِ رَضوى وأرجحاً
رأيتُ ربيبَ المُلِكِ للملِكِ أنصحاً
لديه ولم تَنْزَحْ به الدارُ منزحاً^(١٠)
تشبُّ لظَى الهيجاءِ الفَحَّ الفحا
وفرعونها مستحياً ومدبّحاً
فوافاك في ظلِّ السُّرادقِ أجمّحاً

(١) نيته : نوايا في ب

(٢) ينهيه : نهاء في ب

(٣) ولا ينطق : يطلق في ب

(٤) ديوان ابن هاني الأندلسي ص ٧٧ .

(٥) لمهلكهم : لمهلكم في ب

(٦) منزحاً : مبرحاً في ب

وأدرکتُ سُولاً^(١) في ابن واسول عنوة
 [وإلا أبته] ^(٢) في العُصاة فإنني
 يموت ويحيا بين راجٍ واكيسٍ
 تضمته حجلٌ كلبه^(٥) أرقمٍ
 أريكَ بمرآةِ الإمامةِ كأسها
 وقد سلّته الزاعبية^(٦) ما ادعى
 فما خطبه شأهتُ وجوه دُعائه
 وكان الجذامي الطويلُ نجاهه
 أقولُ له في موثقِ الأسرِ عاتباً
 لئن حمّلتُ أشياعُ بغيك فادحاً

وكان لابن واسول ولد شجاع ، هو الذي أذكى نار الفتنة ، وحمل أباه على
 المنابذة للأئمة ، فقتله بعض عسكر القائد جوهر في توجهه إلى سجلماسة ، ففي
 ذلك يقول محمد بن هاني في هذه القصيدة^(٧) :

ولا كابنه أذكى شهاباً بمعرئ
 مرت لك في الهيجاء ماءً شبابه
 وأثكلته^(٨) منه القضيب تهصرت
 لعمري لئن ألحقته أهل وده
 واجمّح في ثني العنان وأطمحا
 يدٌ فجرت منه جداول سبّحا
 أعاليه والرّوضُ المُفوّفُ صوّحا
 لقد كان أوحاهم إلى [مأزق الرّحى]^(٩)

(١) سولاً : مثول في ب

(٢) يذبل فتزحزا : يذبل فتزحزا في ب

(٣) وإلا إبته : فإن لاين في ب

(٤) الهلك المواشك : الملك المواشك في ب

(٥) كلبه : سقطت في ج

(٦) الزاعبية : الزاهبية في ب

(٧) ديوان ابن هاني الأندلسي منشورات صادر ص ٧٩

(٨) وأثكلته : سقطت في ب

(٩) مأزق الرّحى : مأزق الوحا في ب

وكم هاجع ليل البيان اهتبلته^(١) فصبحتَه كأس المنية مُصبِحًا
وهدمت [ما شاد العناد وقد رست]^(٢) أو أخيه في تلك الهزاهيز رجحاً^(٣)

قال القاضي النعمان بن محمد رضي الله عنه^(٤) : وأدخل أمير المؤمنين المعز لدين الله / ابن واسول إلى حضرته بعد عدة أيام من يوم وصوله ، وهو في وثاقه ، فلما مثل بين يديه أمره بالجلوس فجلس ، فأمسك عنه حتى رأى أنه قد سكن روعه ، ثم أقبل عليه من غير تجهم فقال : ما الذي حملك على ما ادعيتَه وتسميت به ؟ قال : الحين والجهل يا أمير المؤمنين . قال ع . م : أو تحتج في ذلك بحجة ؟ قال : معاذ الله ما عندي في ذلك حجة إلا الاعتراف بالجهل ، والخطأ على نفسي . قال : ونظر إلي كالمستشهد بي وذلك انه قال لبعض من فاضه : بلغني أن القاضي له تأليف وكتب وكنت أحب أن أرى منها شيئاً ، فلما عرفني ذلك الذي قال له بسطت له كتاباً في الحجة عليه في ما ادعاه من الإمارة بغير عقد إمام ، وما تعدى إليه بعد ذلك من ادعائه الإمامة ، وتسميته أمير المؤمنين ، وتلقبه بالشاكر لله ، والرد فيما بلغنا أنه احتج به لنفسه فتعاضم ذلك لما انتهى إليه ، واعترف بالخطأ والجهل على نفسه ، وعلم بذلك أمير المؤمنين ع . م ، فقلت له : يا أمير المؤمنين بمثل هذا من قوله اعتصم ، وعليه عول . فقال له ع . م : أفتحلف على ذلك وتشهد الله على / ١٣ [قولك انه اعتقادك ونيتك]^(٥) / [فحلف على ذلك وأشهد الله ع . ج على نفسه أن اعتقاده ونيته]^(٦) كالذي أظهره وقال به ؛ ثم جعل أمير المؤمنين يبسطه ويسأله عن أخباره وأخبار البلد الذي كان به ، ثم إذا مضى في ذلك عاوده في ذكر

(١) اهتبلته : اهبله في ب

(٢) ما شاد العناد وقد رست : سقطت في ب

(٣) رجحاً : رجحاً في ب

(٤) المجالس والمسائرات جـ ٢ ص ٢٦٥

(٥) قولك انه اعتقادك ونيتك : انه اعتقاده في ب

(٦) سقطت الكلمات المحصورة من ب وجد فأخذناها من كتاب المجالس والمسائرات للقاضي

(٧) النعمان جـ ٢ ص ٢٦٧ .

حجة إن كانت منه في دعواه فيرجع إلى الإعراف بالخطأ والجهل على نفسه ، وكان فيما سأله عنه ع . م أن قال له : ما كان يقول الناس عندك فينا ، وينسبونا إليه في الذي نتحلّه ، ونقول به ؟ فسكت . فقال له : قل ما عندك من ذلك ، وما قيل لك فيه ، فإننا لا نأنف من سماعه ، ولا ننكر عليك أن تقوله ، وإن كان من أفحش ما قاله المبطلون الطاغون ؟ إنما يأنف من سماع المكروه فيه عمن نسبه إليه من كان من أهله ، وكان يعلم أن الذي قيل هو عليه فيغتم لذلك إذا أبداه الله ع . ج عليه ، وأشهره به ، وعلمه الناس منه ، فيستحي^(١) لذلك ، فأما من علم ما بينه وبين الله ع . ج وأنه نسب إليه من المكروه^(٢) ما ليس فيه ، وما لم يفعله ممن له تمييز وعقل ، فإن سماع ذلك مما يحبه لما يرجوه من ثواب الله ع . ج عليه ، وانتقامه ممن قاله فيه ، ونسبه إليه ، ونحن نحب سماع مثل ذلك ونشتهيه ، فقل ما بلغك عنا ، ولا تستحي من شيء منه . فقال : إن رأى أمير المؤمنين أن يعفيني من ذلك فليفعل ، / ١٣١ / فإن لساني لا ينطاع^(٣) للقول بذلك . فقال ع . م أليس مما بلغنا أنه انتهى إليك عنا أنا ندفع نبوة محمد (ﷺ) وندعي النبوة بعده ، وندفع سنته وشريعته ، وندعو إلى غيرهما ، فسكت . فقال أمير المؤمنين : ويحك قل أليس قد بلغنا أن ذلك مما قد قيل لك عنا ، ونسب إلينا ؟ قال : نعم . فقال ع . م : فلعن الله من قال بهذا أو انتحلّه أو ادعاه ، أو من تقوله علينا ورمانا به ، ونسبه إلينا ، فكيف نقول ذلك وندعيه ؟ وشرفنا الذي حللنا الله^(٤) به ، وفخرنا الذي ألبسنا أثوابه بجاننا محمد (ﷺ) فيه علونا على الأمم ، وبه فخرنا على العرب والعجم ، فكيف ندفع^(٥) نبوته ، وننكر فضله ، أو ندعي أن ذلك لنا دونه ؟ والله لو بعث الله نبياً بعده ، وكلا لا يكون ذلك ، لكننا تمسكنا به أبعد الناس ، وأرغبهم عنه ، إن بني عبد شمس عادونا فيه ، وأبغضونا من أجله ، لما قال قائلهم : أطعمنا

(١) فيستحي : فحياه في ب

(٢) المكروه : الكره في ج

(٣) لا ينطاع : لا ينصاع في ب

(٤) حللنا الله : جلببنا الله في ج

(٥) ندفع : نرافع في ب

وأطعمتم^(١) : وفعلنا من الجميل مثل ما فعلتم ، حتى إذا كنا كفرسي رهان ،
 قلت : منا نبي والله لا سلمنا ذلك ولا أقررنا به إليكم ؛ فإذا كنا نحن ندعو إلى
 البراءة من شريعة جدنا محمد (ﷺ) فمن ذا يدعو إلى الإعتصام والتمسك بها ؟
 بلى والله ، فإننا قلنا : ان / الله ع. ج أورثنا شرفه ، ومجده ، وفخره ، / ١٣٢
 وأقامنا أئمة للأمة بعده ، وأوجب لنا على الناس من الطاعة^(٢) بعده مثل الذي كان
 يجب له ، لقد صدقنا لقول الله تعالى : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ
 مِنْكُمْ ﴾^(٣) فنحن والله أولو الأمر الذين يعبد الله الخلق بطاعتنا ، وأهل الذكر
 الذين أمرهم بسؤالنا على رغم من جحد ذلك أو أباه^(٤) لنا ، فهذا هو فضل الله
 ع. ج علينا ، ونعمته لدينا التي لا نهض بأعباء شكرها إلا بعونه لنا ، وهي الخطة
 التي لا ينافسنا فيها إلا دعي مكابر ، ولا يدفعها عنا إلا ضال كافر ، وما بعدها من
 خطة فندعيها ، ولا فوقها من رتبة فنسمو إليها ، وحسبنا أن بلغنا شكر نعمة الله
 ع. ج علينا بها ، فكيف ندعها وندعي ما يصل الله من ادعاه النار ؟ ونقول بقول
 من أبطل نبوة جدنا محمد (ﷺ) من الكفار ؟ والله سائل^(٥) من قولنا من ذلك ما لم
 نقله ، ومؤاخذه . ثم قال ع. م : هات غير هذا مما قيل لك فينا ؟ ما أعرفه يا أمير
 المؤمنين ، وفي ما قلته محض الإيمان ، واليقين . بلى : بعد لقد بلغنا أنه قيل لك إنا
 نعبد رأساً قالوا [هذا الرأس رأس إنسان]^(٦) عندنا يكلمنا ونسجد له من دون الله
 / ١٣٣ / ويثرتنا من فيه الدنانير . قال : سمعنا من يقول ذلك . قال أمير المؤمنين
 ع. م : فأبي رأس قالوا هذا الرأس ؟ رأس إنسان ، أم بهيمة ، أم حية أم ما هو ؟
 قال : لا أدري ما يقولون لعنهم الله^(٧) . فقال ع. م : بلى والله إنا نعبد رأس كل

(١) وأطعمتم : وأطعمهم في ب

(٢) من الطاعة : سقطت في ب

(٣) سورة : ٤ / ٥٨

(٤) أو أباه : ياباه في ب

(٥) سائل : سقطت في ب

(٦) هذا الرأس رأس إنسان : سقطت في ج

(٧) المجالس والمسائرات للقاضي النعمان ج ٢ ص ٢٧٠

شيء ، وإلهه ، وخالفه الله رب العالمين ، وهو الذي أعطانا ، وفضلنا ، واصطفانا ، وكرمنا ، قال : كذلك هو والله يا أمير المؤمنين . قال أمير المؤمنين ع . م : والعجب من هذه العقول الناقصة ، والأوهام الفاسدة ، التي تقبل مثل هذا المحال من المقال ، وينطبع فيها ، ويثبت عند أهلها ، حتى ينسبوه^(١) إلى أحد ، أو يقبلوه من قول قائل ، أو يصدقوا به ، لو قد رأوه بأعينهم ، أو سمعوا من يدعيه بأذانهم .

قال القاضي النعمان بن محمد رضي الله عنه^(٢) : وأمر أمير المؤمنين بابن واسول المدعي الإمامة المتسمى بأمر المؤمنين ، لما أتى به ، فأنزل في سقيفة في القصر ، في وثاق ، ودخل شهر رمضان فسأل ابن واسول أن يصلي الجمعة خلف أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م ، وأخبر بذلك عنه ، فقال للذي أدى إليه ذلك عنه : قل إن الصلاة وجميع الأعمال لا تقبل إلا بنية واعتقاد ، ولو كنت تعتقد / ١٣٤ / إمامتنا ، لم تحمل هذا المحل ، ولم تكن لنبخل عليك بسجلهاسة ، ولا لها عندنا من الوزن ، ولا للدنيا بما فيها ، وما كنا نتكلف في ذلك ما كنا تكلفناه من تعبئة^(٣) أوليائنا في العساكر نحوك ، وأتعب أنفسنا في تدبير ذلك ، وإقامته لك ، فلو كنت رغبت عن نية منك في أن تأتم بنا لنلت فضل ذلك وثوابه ، وأنت وادع في مكانك من في سلطانك ، بإقامتنا ذلك لك ، وإذ قد أنكرت إمامتنا ، وادعيت الإمامة دوننا إلى أن أظفرنا الله بك ، وأقدرنا عليك ، فماذا يغنيك أن تأتم بنا في صلاتنا [وأنت]^(٤) أسير في أيدينا على ادعائك مقامنا ، فإن كان^(٥) الذي أردته من صلاتك ما تبتغي به الفضل ، وكان ذلك عقد نيتك ، وأنت معترف بإمامتنا ، منكر لما كنت عليه ، نادم راجع عنه ، فوالله لينفعنك ذلك صليت بصلاتنا أم لم

(١) ينسبوه : ينتسبوه في ب

(٢) المجالس والمسائرات ج ٢ ص ٢٥٩

(٣) تعبئة : بعثة في ب

(٤) وأنت : سقطت في ب

(٥) كان : كنت في ب

تصل ، وإن كنت إنما أردت أن ترينا من نفسك الميل^(١) إلينا ، وتتوسل بذلك إلى ما يرضينا ، فوالله يرضينا منك إلا ما أرضى الله ع . ج عنك ، وإن قلوبنا ليديه ، وما يصرفها إلا لمن رضي عنه ، وارتضى عمله ، وأحب سعادته ، فإن أردت منا ذلك فاخلص / الله ع . ج في ما بينك وبينه ، واعتقد ذلك تجدد ذلك عنده جل جلاله في الآجل ، وعندنا بما يجعله لك في قلوبنا من العاجل ، ودع عنك التزين بالباطل .

قال : فقال الرسول^(٢) : فلما بلغت ذلك تحير ، ولم يدر ما يقول ، غير أنه قال : والله ما هذا [إلا من]^(٣) كلام النبوة ، وهو ابن رسول الله حقاً ، وهذا من ميراث حكمته^(٤) . قال : وأخبره عنه بعض من كان يجتمع معه ممن أذن له في ذلك ، وفي أن يبسطه ويسأله حوائجه^(٥) أنه سأل هل عنده من كلام أرسطاطاليس شيء ، والذي سأله ذلك ممن يعني بمثل هذه الكتب ، قال : فقلت له : ما تريد من كلام أرسطاطاليس وأصحابك ينكرونه ؟ قال : ينكر ذلك من لا يحسن ، فأدى هذا القائل قوله هذا إلى المعز لدين الله ع . م فقال له المعز ع . م : قل له : لعلك أردت من كتب أرسطاطاليس رسالته إلى الإسكندر في الإبقاء على من ظفر به من الملوك ، لتأخذ منها ما لعلك تتوسل به إلينا في الإبقاء عليك ؟ قال الرجل : فبلغته ذلك ، من قول أمير المؤمنين ع . م ، فبهت ، إلى أن قال بعد حين : ما أظن من نحلهم^(٦) النبوة نحلهم^(٧) إياها إلا من مثل هذا ، والله / ما عدا ما في نفسي ، وما أردت إلا هذه الرسالة ، لمثل ما ذكر اني أردتها له ، ثم ذكر الحديث

(١) الميل : الميال في جـ

(٢) المجالس والمسائرات جـ ٢ ص ٢٦١

(٣) إلا من : الأمر في ب

(٤) حكمته : حكمه في ب

(٥) حوائجه : حاجة في ب

(٦) نحلهم : بخلهم في ب

(٧) نحلهم : بخلهم في ب

الذي يؤثر عن رسول الله (ﷺ) ، بعثت وفي هاتين^(١) القريتين يعني مكة والطائف أربعون رجلاً ظن أحدهم كيقين غيره ، قال : فإذا كان مثل هذا يوجد في سائر الناس ، فكيف في ذرية النبيين ؟ .

قال القاضي النعمان بن محمد قس^(٢) : وحضر عيد الفطر ، وتقدمه نوء عظيم ، وكثر الوحل والطين ، وذكر ذلك للإمام المعز لدين الله ع . م وما بالمصلي منه ، وما في الطريق إليه من الماء ، والوحل ، والطين ، وظنوا أنه يصلي صلاة العيد في المسجد ، فقال ع . م : يكون من ذلك ما كان ، لا بد من قضاء فرض الله ع . ج في البراح ، على ما أمر به جل ذكره ، وبسنة رسوله (ﷺ) ، وذكر حديث النبي (ﷺ) أنه ذكر ليلة القدر من شهر رمضان فقال : رأيت أنني أسجد فيها في ماء وطنين ، وأن الناس أمطروا بعد^(٣) ذلك فوكف المسجد ، وصلى رسول الله (ﷺ) وانصرف من الصلاة ، وقد أثر الطين والماء في جبهته ، وأنفه لسجوده فيه ، وقال المعز ع . م : وهذا من أقل ما ينبغي أن يفعل في ذات الله / وأكثر منه ، والله لو حبونا^(٤) في هذا الطين حبواً على الركب ، وكان ذلك مما يرضي الله ع . ج عنا ، ويقبله منا ، لفعلنا ، إن رسول الله (ﷺ) يقول : إذا سمعتم داعي أهل بيتي فسارعوا إليه ولو حبواً على الثلج ، والنار . فإذا كان الله ع . ج قد أوجب لنا هذا على عباده ، ونحن خلق^(٥) من خلقه ، قد ابتدأنا بفضله ، وأنعم علينا بإحسانه ، فكيف بما يجب له علينا ، وعلى الخلق جل ذكره أن نرخص فيه ، أو نتعاضم مشقة تدخل علينا من أجله ؟ معاذ الله أن نستكبر عن عبادته ، أو نستحسر^(٦) طاعته .

(١) هاتين : هذين في جـ

(٢) المجالس والمسائرات جـ ٢ ص ٣٢٩

(٣) بعد : بعدت في جـ

(٤) حبونا : حبانا في بـ

(٥) خلق : خلألق في جـ

(٦) نستحسر : نستحس في بـ

وخرج ع. م وخرج الناس في غد^(١) يخوضون الماء والطين ، فما انصرفوا إلا وقد تخضبوا فيه ، وامتألت ثيابهم منه ، وكان مشهداً يرضي الله ع . ج من وليه ، ومن ذهب فيه مذهبه ، إنشاء الله تعالى . قال : وكان هذا العيد وابن واسول وابن بكر معتقلان في سقيفة القصر ، وكان وصولهما في آخر شعبان ، وظن الناس أن سيقتهما^(٢) إذا وصلا ، فلما أبقيا قيل لئنهما يوم الفطر يقتلان ، فلما انصرف ع. م ودخل إلى داخل قصره أحضرهما إليه ، فمثلا بين يديه [وهو قائم على فرسه والرمح بيده فقبلا الأرض ووقفا]^(٣) / فقال لهما : أيهما كان أحسن بكما أن تكونا اليوم في مثل حالكما هذه بمعصيتكما وعداوتكما ، [أو أن]^(٤) تكونا اليوم في جملة أوليائنا ومن أئتم بنا ، فتقضيان فرض ربكما معنا ، أو حيث كنا على طاعتنا التي افترضها الله عليكم ، وعلى سائر خلقه ، وأنتم وادعان ، مسالمان ، آمنان ؟ قال : فلم يفهم عنه ابن واسول ما قال ، وأظن الخوف والذعر^(٥) غلب عليه ، فقال بل الذي نحن فيه يا مولانا أفضل ، فتبسم أمير المؤمنين ع . م لما علم أنه لم يفهم عنه ، وظن البائس إنما ظن أنه خاطبه بمثل [ما خاطبه به]^(٦) قبل ذلك ، فإنه ع . م قال له قبل ذلك في يوم أحضره إليه : والله إنك في حالك هذه التي أنت فيها وإن كنت في الأسر والوثاق ، لأفضل مما كنت فيه من معصية الله ع . ج بتخطيك إلى ما تخطيت إليه ، وتسميك بما تسميت به ، وإن كرهت ما أنت اليوم فيه ؟ فقال : هو كما قال أمير المؤمنين ، فأحسبه ظن أن الخطاب الذي خاطبه أمير المؤمنين في هذا المقام كذلك كان ، فأعرض عنه ع . م لما رآه لم يفهم قوله ، وعطف على ابن بكر ،

(١) في غد : سقطت في ب

(٢) سيقتهما : قتلا في ب

(٣) سقطت الكلمات المحصورة من كلا النسختين فأخذناها من المجالس والمسائرات ج ٢

ص ٣٣١ .

(٤) أو أن : سقطت في ب

(٥) والذعر : والزجر في ج

(٦) ما خاطبه به : ما خاطب في ب

فقال : وأنت يا ابن بكر أمكننا^(١) الله منك ، وأنت على [غيك فمنا عليك
 / ١٣٩ وأطلقناك]^(٢) من أسرك ، وصرفناك^(٣) إلى بلدك ، / فما رعيت الإحسان ، بل
 غمطت النعمة ، وتغلبت على البلاد دوننا ، ودعوت إلى غيرنا ، وتقول فيما انتهى
 عنك إلينا : هؤلاء الغواطم : تعني الذين بناحيتهك^(٤) تسترضي أحدهم بقلة [من
 نبيذ وائرجتين]^(٥) تهدي ذلك إليه ، وتعني أنا نحن لا نرضى منك إلا بالكثير ، فلو
 عقلت لعلمت أن الراضي منك بما وصفت مثلك في الحال ، أو دونك ، وليتك
 أقمت لنا ظاهراً وكنت واصلتنا بأترجة لعلك كنت تستميلنا بها كما زعمت أنك
 استملت من استملته ، ولكنك [نابذتنا]^(٦) وصرامتنا ، ثم سارت^(٧) عساكرنا
 إليك فأظهرت أنك على الطاعة ، وغلقت دونهم أبواب مدينتك ، ولم تخرج إلى
 عبدنا قائد عساكرنا ، وسألك أن تبعث بابنك ليكون عندنا^(٨) فأومات إلى أسوب
 بين يديك ، وقلت لرسوله إليك : لو سألني شعرة من رأس هذا الأسود ما أعطيته
 إياها ، وتقاتل عساكرنا ، وتقتل أوليائنا ، ثم تكتب إلينا ، إن كانت بينك وبين
 القائد هنيهة ، وتسالنا أن نحلك^(٩) محل الأولياء عندنا أفترى لو أنك أسخطت
 [بعض نسائك بعض السخط]^(١٠) فقابلتها بمثل [هذا الذي قابلتنا به أكانت
 / ١٤٠ راضية منك به]^(١١) فأيانا يا شقي تقابل بمثل هذه المقابلة ، / وعلينا تجترىء بمثل هذه
 الجرأة ؟ يقول له ع . م مثل هذا القول بغضب والرمح بيده يديره فيها وسانه

-
- (١) أمكننا : مكن في ب
 (٢) غيك فمنا عليك وأطلقناك : سقطت في جـ
 (٣) وصرفناك : ومن في ب
 (٤) بناحيتهك : سقطت في ب
 (٥) من نبيذ وائرجتين : تيين وائرجن في ب
 (٦) نابذتنا : تأنفتنا في ب
 (٧) سارت : صار في ب
 (٨) عندنا : نائباً عنك في ب
 (٩) نحلك : نملكك في ب
 (١٠) بعض نسائك بعض السخط : أعين بعضهم بيانك بعض السخط في جـ
 (١١) هذا الذي قابلتنا به أكانت راضية منك به : سقطت في جـ

من قبل الفاسق ابن بكر فظن كثير ممن حضر أنه سيرسله إليه حتى لقد تنحى من كان واقفاً إلى جانبه ، فأسكت الخائب ودهش ، وأكثر ما قدر أن يقول : يا مولاي أنا عبدك ، وقد أخطأت . ثم عطف عليهما ، فقال : ما كنتما فاعلين بمن يحمل عندكما^(١) محلكما عندي ، لو أن الله أقدر كل واحد منكما عليه كما أقدرني عليكما ؟ فسكتا ، فنظر إلى ابن واسول فقال : قل والله الشاهد على ما في قلبك ، ما كنت صانعاً في ذلك ؟ فقال : وما أنا حتى أشبهه بعبد من عبيد أمير المؤمنين فكيف به في شيء من فعله ؟ ثم نفج فرس أمير المؤمنين فبال ، فتباعد من كان حوله ، وتنحى ابن واسول قليلاً ، وكان قبالة ، وقد جرى من بول الفرس نحوه ، فقال له أمير المؤمنين : لم تأنفت من بول الفرس ؟ فسكت . قال : قل في ذلك ولا عليك ، فقد نرى كثيراً من عبيدنا فعل مثل ما فعلت ؟ فقال : يا أمير المؤمنين قيل لنا انه نجس . قال ع.م : ولم قلت أنه / نجس ؟ قال : لأنه لا يؤكل لحمه ، وما لم يؤكل لحمه فبوله نجس : قال له : وكيف لا يؤكل لحمه ؟ أولم يبلغك أنه يباع في مجازر المسلمين ، وفي كثير من أمصارهم ؟ ثم نظر ع.م إلى فقال : ما تقول يا نعمان في ذلك ؟ قلت له : أقول فيه ما قاله موالينا وما روينا عنهم عن رسول الله (ﷺ) : أن علياً ع.م قال : انه مر رسول الله (ﷺ) برجل من الأنصار وبين يديه فرس له يكيد بنفسه ، فقال له رسول الله (ﷺ) : اذبحه يضاعف لك أجره بذبحه ، واحتسابك إياه . فقال : يا رسول الله إليّ منه شيء ؟ قال : نعم ، كل واهدي إلينا إن شئت . فذبحه ، وأهدى منه فخذاً إلى رسول الله (ﷺ) ، قال علي ع.م فأكل منه رسول الله (ﷺ) وأطعمنا . قلت : وعلى هذا أكثر العامة يميزون ذبح الخيل ، وأكل لحومها ، فأما أهل البيت فإنهم يرون ذبح ما عطب منها ، ويؤس من حياته ، كهذا الذي وصف أن رسول الله أمر بذبحه لما كان يكيد بنفسه ، ولا يرون ذبح السالم الصحيح منها ، [لقول الله عز وجل من قائل : ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾^(٢) وقوله : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا

/ ١٤١

(١) عندكما : عندنا كما في ب

(٢) سورة : ٨ / ١٦

أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةِ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ﴿١﴾ فَأَبَاحُوا ذَبْحَ مَا عَطَبَ مِنْهَا وَيُشْنَ مِنْهُ أَكْلَ لَحْمِهِ بِالْخَيْرِ وَتَوَقَّفُوا عَنْ ذَبْحِ السَّالِمِ الصَّحِيحِ مِنْهَا ۚ﴾ [٢] بِالنَّصِّ وَلَمَّا فِيهَا مِنْ عِزِّ الْإِسْلَامِ ، وَقُوَّةِ أَهْلِهِ وَزِينَتِهِمْ ، إِذَا كَانَتْ سَلِيمَةً ، فَإِذَا عَطَبَتْ وَيُشْنَ مِنْهَا زَالَ عَنْهَا هَذَا الْمَعْنَى ، وَحَلَّ / ذَبَحَهَا وَأَكَلَ لَحْمَهَا ۚ﴾ بِالْحَدِيثِ ، وَيَقُولُ اللَّهُ ع . ج : ﴿ وَمَا أَتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ أَنْتَهُوا ۚ﴾ ۚ﴾ ۚ﴾ فَقَدْ رَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) فِي ذَلِكَ أَخْبَارٌ كَثِيرَةٌ . فَتَبَسَّمْ عَمَّ وَصَرَفَ عَنَانَ فَرَسِهِ فَدَخَلَ مِنْ بَابِ الْخَاصَّةِ إِلَى دَاخِلِ قَصْرِهِ ، وَقَدْ نَصَبَتْ ۚ﴾ الْمَوَائِدَ لِلنَّاسِ ، وَصَرَفَ الْقِيمَ عَلَى الطَّعَامِ ابْنَ وَاسُودٍ وَابْنَ بَكْرٍ إِلَى حِجْرَةٍ ، وَقَرَّبَ ۚ﴾ إِلَيْهِمَا مَائِدَةً فَأَكَلَا وَخَرَجَا إِلَى مَكَانِهِمَا ، وَتَحَدَّثَ النَّاسُ بِمَا كَانَ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع . م إِلَيْهِمَا ، وَقَالَ لِي بَعْضُهُمْ : مَا ظَنَّنَا إِلَّا أَنَّ ابْنَ بَكْرٍ سَيُقْتَلُ ۚ﴾ .

وقال القاضي النعمان بن محمد (قس) قلت : لو قتل الآن أليس قد مضى بما فيه واستراح مما هو بسبيله ، وإن كان صائراً إلى غضب الله ، ولكن في متعتنا بالنظر إليه ، [وإشهاره مثل] ۚ﴾ هذه المشاهد ، وتقريبه بمثل هذا التقرُّيع ، إلى أن يرى فيه ولي الله رأيه أفضل البغية ، وأبلغ المأمول .

قال ۚ﴾ : وكان القائد لما أخذ ابن واسود ، وأمكنه الله منه ، قد عاتب ۚ﴾

(١) سورة : ٧١ / ٨

(٢) سقطت الجملة المحصورة من ب

(٣) وأكل لحمها : وأكلها في ب

(٤) سورة : ٧ / ٥٩

(٥) نصبت : نصب في ب

(٦) قرب : قارب في ب

(٧) المجالس والمسائرات ج ٢ ص ٣٣٨

(٨) وإشهاره مثل : سقطت في ب

(٩) المجالس والمسائرات ج ٢ ص ٢٢١

(١٠) عاتب : عيب في ب

١٤٣ / أهل سجلماسة ، ثم رأى الصفح عنهم ، وولي عليهم والياً منهم ، وانصرف ، فوثبوا على ذلك الوالي فقتلوه ، وأقاموا / مقامه منتصراً بن محمد بن المعتز ، وكان أبوه وجده قد وليا البلد باستعمال أمير المؤمنين ، وكانا من أهل الولاية ، وكان ابن واسول لما تغلب على البلد اعتقل منتصراً هذا ، وهو غلام حدث ، فأقام معتقلاً عنده مدة ، فقدمه أهل البلد لما قتلوا العامل الذي استعمل عليهم ، ونسبوا إليه من القبيح ما زعموا أنه أوجب قتله ، وذكروا أن الغوغاء ، والعاماة قتلوه ، وذهبوا في تقديم هذا الذي قدموه إلى ما هم عليه من الولاية ، والمحبة ؛ وقيل انه سعى في ذلك ، وأرسل رسولاً من فوره ، وأرسل أهل البلد وكتبوا إلى أمير المؤمنين المعز لدين الله ع .م يذكرون ذلك ، ويعتذرون منه ، ويصفون حالهم ، فصرف رسولهم بأنه غير قابل ذلك من عذرهم ، وأن لا أمان لهم عنده إلا أن يأتي وجوههم ، وساهم ، ويأتي منتصر هذا إليه ، محكمين في أنفسهم ، فحينئذ يرى رأيه فيهم ؛ وانصرف الرسول إليهم بذلك ، فما كان إلا مقدار مسافة وصوله^(١) إليهم ، وانصرافه حتى أتى منتصر هذا الذي قدموه ، ومائتا رجل من وجوههم ، وهم الذين ساهم / أمير المؤمنين ع .م قد ركبوا طرق الرمال والفلوات ، خوفاً من أن يصل إليهم أحد دون الباب ، حتى دخلوا به ، فأدخلهم أمير المؤمنين ع .م إليه ، فلما مثلوا بين يديه ، وقبلوا الأرض ، ووقفوا ، نظر إليهم نظرة مغضب ، وأطرق ساعة ، فامتعت ألوانهم ، وارتعدت فرائصهم ، ولم يستطع أحد منهم أن ينطق بحرف ، لما داخلهم^(٢) من الخوف ، فرفع رأسه ع .م وقال^(٣) : يا أهل سجلماسة فعلتم في أيام المهدي ع .م ما فعلتم ، واقتدر عليكم مرة بعد أخرى ، فعفا عنكم ، وأحسن إليكم ، لحلولة كان فيكم ، ومجاورته إياكم مدة إقامته فيكم ، كما يرعاه من أحله الله محله من كرم الطباع ، وحسن الصنع ، من غير يد كانت لكم عنده ، ولا فعل من الجميل تقدم لكم لديه^(٣) ، فصصح

(١) وصوله : الرسول في ب

(٢) داخلهم : أدخلهم في ب

(٣) لديه : إليه في ب

وأحسن ، وعفا ، وأجل ، فما رعيتم ذلك حق رعايته ، ولا فهمتم بشكره ، ثم نعق فيكم ناعق من الشيطان فليتموه ، ودعاكم إليه داع فأجبتموه ، قام فيكم دعي فيما ادعاه متوثب على ما تولاه ، قد عرفتم نسبه ، ودريتم سببه ، فتغلب على ولاية أمركم ، / وتحلى بالرياء والتصنع لكم ، وتسمى بأمير المؤمنين ، / ١٤٥ وإمام المسلمين لكم ، وأنتم على علم لا تشكون ، ويقين لا تمترون ، إن ذلك لا يجوز له ، ولا يحل تسليمه لثله ، فسلمتموه ، وأطعتموه ، وتوليتموه ، واتبعتموه ، ففارقتم جماعة المسلمين ، وخرجتم من حزب المؤمنين ، وأحدثتم حدثاً عظيماً في الدين ، وانتهى إلينا من أمركم وأمره ، ما لم يسعنا تركه ، والغفلة عنه ، لما افترضه الله علينا عز اسمه من القيام بحقه في أرضه ، وجهاد من صدف عن دينه ، وغير سنة نبيه ، وحل محلكم ، ومحل هذا الفاسق فيكم ، فأهضنا إليكم جيشاً من أوليائنا ، وأنصار دولتنا ، وعبيدنا مع عبد أمرناه عليهم ، وتقدمنا إليه في الاعذار والانذار إليكم في الإنابة والتوبة ، قبل الوقوع بكم ، فلم يزل مع طي المراحل نحوكم يتابع الكتب^(١) إليكم مع رسله تأكيداً^(٢) في الحججة عليكم ، مرة بالوعد ، ومرة بالوعيد ، وتارة باللين ، وأخرى بالتشديد ، يدعوكم إلى الطاعة ، والنزوع^(٣) عن ما أنتم عليه من المعصية ، والضلالة ، والقبض على عدو الله / فيكم ، إن تمادى على ما هو عليه من الغي والضلال ، إن / ١٤٦ استطعتموه ، أو البراءة منه وتركه بجانب ، إن لم تقدروا عليه ، ووصلت كتبه إليكم ، وأدى إليكم عنه من اجتاز به منكم ، وكل ذلك ، وأنتم على باطلكم مصرون ، بالفاسق المضل لكم متمسكون ، إلى أن حلت جيوشنا بقربكم ، وانتشرت عساكرنا ببلدكم ، وعابنها من عابنها من عيون عدو الله من جمعها ، وقوتها ، وعتادها] ما أنهاه إليه ، وقد علم أنه لا طاقة لكم ولا له بعسكر من عساكرها^(٤) فلما حلت بعقوبتكم ، ونزلت بداركم ، وأنتم مع الفاسق على ما أنتم

(١) الكتب : الكرب في ب

(٢) تأكيداً : بالنداء في ب

(٣) والنزوع : سقطت في ب

(٤) سقطت الكلمات المحصورة من ب

عليه ، نهض مولياً عنكم وهارباً ، متسللاً من بين أظهركم ، وقد كنتم تقدرون على أخذه لو أردتموه ، ويمكنكم من ذلك ومن حصاره في داره متى أحبتموه ، لو أخذتم بحظكم من ذلك ففعلتموه ، لكنكم أقمتم مصرين على طاعته وتولييه ، إلى أن نزع عنكم ، وأقدرنا الله ع . ج بفضله وإحسانه عليه ، كعادته^(١) الجميلة بلا صنع لكم ، ولا لغيركم في ذلك ، وأقدرنا عليكم ، وأمكنا منكم ، وأنتم على ما أنتم عليه من غيركم ، وضلالكم ، وما تستوجبون به اجتياحكم ودماركم ، فسار عبدنا فيكم / بما أمرناه به من العفو، والصفح، والرحمة ، وانصرف عنكم ، فأحدثتم بعده ما أحدثتم ، فماذا تستحقون أن نفعل بكم ؟ يكلمهم بهذا الكلام (ﷺ) كلام مغضب ، فاصفرت ألوانهم ، وتغيرت وجوههم ، وارتعدت فرائصهم ، وأفحم أكثرهم من الكلام ، وقال من قال منهم قول مذعور دهش أن يعاقب أمير المؤمنين فنحن أهل العقوبة ، وأن يعفو فهو أهل العفو ، والفضل ، والرحمة ، فأطرق ملياً ، ثم دعا منتصراً بن محمد بن المعتز فقربه^(٢) إليه ، وأمره بالجلوس ، فقبل الأرض مراراً ، وشكر لأمير المؤمنين ع . م ، ثم عطف ع . م على الوفد فقال : قد كنتم تستحقون أليم العقوبة ، والنكال ، ولكننا للذي جبلنا^(٣) الله عليه من الصصح ، والعفو ، والرحمة ، فقد عفونا عما سلف من ذنوبكم ، إن استقمتم ، وأصلحتم ، وقد استعملنا عليكم عبدنا هذا ، وأومى إلى منتصر فقبل ، وقبلوا الأرض مراراً ، وشكروا ما قدروا عليه ، وزال ما ظهر عليهم من الهلع والجزع ، وأمر ع . م بصرفهم إلى موضع [أنزلهم فيه]^(٤) وخلع على^(٥) منتصر وحمله : وكذلك فعل بجماعة من وجوههم ، وأمر بإجراء النزول / عليهم / أجمعين ، وأقاموا بذلك مدة في أرغد عيش ، وأحسن حال ، ثم لما رأى صرفهم

(١) المجالس والمسائرات جـ ٢ ص ٢٢٤

(٢) فقربه : فقرهم في ب

(٣) جبلنا : حباناً في ب

(٤) أنزلهم فيه : أقامتهم في ب

(٥) وخلع على : وخلعوا في جـ

عقد لمتنصر على سجلها سنة وعملها ، وخلع عليه خلعة سنوية ، وحمله على عدة من الخيل بسروج مغرقة ، ووصله بصلات جزيلة ، وحمل جميع من قدم معه ، وكساهم ، ووصلهم ، وصرفهم إلى بلدهم بما لم يؤملوه ، وكان غاية أملهم أن يسلموا من القتل ، فانصرفوا وقد طالت بالشكر ألسنتهم^(١) وملئت فرحاً قلوبهم .

قال الحسن بن جعفر الأنصاري (ر.ح) : وفي سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة قتل إبراهيم بن أبي يزيد ، وأنفذ برأسه إلى الإمام المعز ع. م. ، قتل باوراس من عمل باغاي^(٢) ، وكان قد جمع جمعاً ليخرج ، فعمل أبو الحسين الموصل العامل ببغاي عليه حتى قتل ، قال : وفيما فتحت بطرسين من بلاد الروم فتحتها أبو القاسم علي بن الحسن بن أبي الحسين في حياة أبيه .

وما أتى عن القاضي النعمان بن محمد قال^(٣) : ولما أراد الإمام المعز لدين الله ع. م. تطهير أولاده ، عبد الله رضوان الله عليه ، والعزيز بالله ع. م. وعقيل^(٤) ، تقدم إلى / ١٤٩ / خاصته ، وأوليائه وسائر جنده ، وعبيده ، وجميع رجاله ، وكافة من بالحضرة من سائر التجار ، والصناع ، وعمامة الرعية ، بالمنصورية ، والقيروان ، وجميع أهل مدن أفريقية وكورها ، من حاضر وباد ، وأمر بالكتب إلى العمال من لدن برقة وأعمالها إلى سجلها سنة وحدودها ، وما بين ذلك ، وما حوته^(٥) مملكته ، وإلى جزيرة صقلية ، وإلى من فيها ، من طبقات الناس من حضر وباد ، وأن يتقدموا في ظهور أبنائهم^(٦) يوم الثلاثاء أول يوم من شهر ربيع الأول من سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة ، إلى انقضاء هذا الشهر ، وأمر أن يحمل إلى كل بلد من

(١) ألسنتهم : سقطت في ب

(٢) باغاي : باخك في ب

(٣) المجالس والمسائرات للقاضي النعمان ج ٢ ص ٤٩٠

(٤) وعقيل : سقطت في ب

(٥) وما حوته : مما حاوله في ب

(٦) أبنائهم : أبنائه في ب

هذه البلدان من الحضرة أموالاً وخلعاً ، وتفرق على كل من طهر من أبناء المسلمين ، من خاص وعام ، قال : وكان الذي رأيناه حمل إلى صقلية من المال خمسون حملاً سوى الخلع ، ونحو ذلك ومثله إلى كل عامل ، ليفرقه على أهل عمله ، وتقدم صلوات الله عليه في ظهور أولاده يوم الثلاثاء هذا المذكور ، وجلس بنفسه الزكية لظهور سائر أولاد أهل الحضرة ومن / يليها من البوادي ، وأمر / ١٥٠ بضرب سرادقات بساحة قصر البحر حول الماء ، وبإدخال الصبيان مع من أراد الدخول معهم من آبائهم ، وأمهاتهم ، وعبيدهم ، وخدمهم ، ومن أرادوا أن يطهروه من عبيدهم ، واعتزم على أن يصل الطهور^(١) أيام هذا الشهر كله ، وذاع في الناس أنه من لم يطهر ولدأ يكون عنده في هذا الطهور ، ثم يطهره بعد ذلك لمدة سبع سنين ، فقد أنف عن فضله ، وخالف أمره ، فسارع الناس بأبنائهم وعبيدهم عن كافتهم ، واتصل به ع.م ما أشيع من ذلك ، فقال : لقد أحسن من أشاع هذا ، وأما ما يتخلف عنا في ذلك من [يجب إمامتنا]^(٢) وكان يجلس ع.م من وقت الغداة^(٣) فلا يزال جالساً وهم يطهرون ويمرون بين يديه فيكسون ، ويوصلون ، لا يخيب من ذلك منهم شريف ، ولا مشروف ، ولا حر ولا عبد ، ولا بعيد حاضر ولا باد ، والختانون في السرادقات على الكراسي وبين أيديهم المنابر لجلوس الصبيان ، والقوم يسكونهم في حجورهم / ويذرون عليهم / ١٥١ الذرورات المسكة للدم على ختاناتهم ، ويقفون بالبخور وماء الورد على رؤوسهم يرشونهم^(٤) على وجوههم لما يعترهم من الروع ، والسند بأصناف الملاعب قياماً عليهم يلهونهم ، ويصحبون من طهر منهم يرفونه إلى منزله ؛ وكان الذي أعطاه الخاصة من الخلع والصلوات على أقدارهم ما يتفاوت ويطول ذكره ، وكان الذي أعطاه من العامة من الصلة غير^(٥) الكسوة لكل صبي منهم مائتي درهم

(١) الطهور : الطهر في ب

(٢) يجب إمامتنا : يجب إيماننا في ب

(٣) الغداة : الغرا في ب

(٤) يرشونهم : شونهم في ب

(٥) غير : سقطت في ب

إلى مائة وخمسين ، وأقل ما أعطيه المجهولون من أهل البوادي ونظرائهم وعبيدهم كل صبي منهم عشرة دراهم ، وكما يطهر في كل يوم من أيام هذا الشهر فهم من عشرة ألف صبي إلى خمسة ألف صبي أقل ذلك^(١) وأكثر الناس الخوض والحديث^(٢) في ذلك وتعاضموه ، وأجمعوا في ابتداء الأمر أن ذلك لا يتم ، وأن الأموال لا تنهض به ، وذكروا الكثرة بما رأوه من الخلائق إن ذلك لو وصل / حولاً لما انقطع / ١٥٢ الناس ، ولا أتى على آخرهم فيه ، قال : وكنت ممن تعاضم ذلك ، وتداخله الإشفاق منه ، وعرضت يوماً بذلك ، فقال لي^(٣) : يا نعمان طب نفساً فقد عزلنا لهذا ما لا نرى أنا نأتي على نفقته فيه بأسره ، والله ما هو من شيء كنا نلقي له بالاً ، ولا وجدنا لآخراجه نقصاً ، ولا خللاً^(٤) ، وما هو مما كنا نلتفت إليه من ذخائرننا ، ولا من ذخائر الأباء ع . م ، وما هو إلا شيء كان لا يلتفت إليه ، وكثير ممن تقدمنا من ملوك الدنيا أنفق مثل هذا ، وأضعافه في معصية من معاصي الله جل ذكره ، وفي ما تبقى شناعته عليه ، وهذا شيء أردنا به وجه الله ع . ج ، وإقامة فرض ، وإحياء سنة جدنا رسوله صلوات الله عليه وعلى آله ، وملة خليله إبراهيم ص . ع ، والله ما أردنا بذلك إلا الله ع . ج والقربة بذلك إليه ، وما من هؤلاء من يريد^(٥) بذلك التجنب إليه ، ولا الرأس عنده بذلك ، وقد عزلنا لذلك [مالا لا بد لنا]^(٦) من إنفاذه ، نورد وقتنا له ، وقتاً لا بد لنا إن عشنا أن نبلغ به إليه ، / ١٥٣ . يريد مدة هذا الشهر الذي وقته لذلك ع . م - وكان من صنع الله ع . ج لأنه لما كان يوم الأربعاء سلخ شهر ربيع الأول^(٧) هذا انقض جميع من كان بالحضرة ، ومن حضر إليه من البوادي ، واجتمع ذلك اليوم من الصبيان زهاء إثني

(١) أقل ذلك : قبل ذلك في ج

(٢) والحديث : سقطت في ب

(٣) المجالس والمساربات ج ٢ ص ٤٩٤

(٤) خللاً : خلال في ب

(٥) يريد : مزيد في ب

(٦) مالا لا بد لنا : مالا لا بد لنا في ب

(٧) الأول : سقطت في ب

عشر ألفاً فطهروا عن آخرهم ، وتلاحق من غد من بقايا من بقي مثل ثلاثة ألف فرأهم المعز ع. م من منظر كان له وقد اجتمعوا^(١) بباب القصر ، فأمر بتطهيرهم ، فانقضى أمر جميع الناس عن آخرهم في الوقت الذي وقته [والحد الذي حده حتى أنهم لو حسبوا وقسموا على تلك الأيام لما اتفق أن يكون ما هياه الله ع. ج من فراغهم عن آخرهم في الوقت الذي وقته لهم وجرى على ذلك جميع أهل الكور والبلدان بكل وجه]^(٢) وأخرج في ذلك من الخلع والأموال ، والنفقات ما لا يحصيه إلا من وقف عليه ، وكانت أيام [هذا الشهر أيام]^(٣) أعياد ، ومسرات ، وأفراح ، وهبات^(٤) بكل وجهة من مملكة أمير المؤمنين ، من بدو وحضر ، وعمهم فضله ، وتبين عليهم أثره ، وارتفق به أغنياؤهم ، وانتعش به فقراؤهم ، ودخلت المسرة على أهل كل بيت منهم ، وكان أثراً جميلاً لم يسبقه إليه أحد قبله ، ولا ظن أحد يتسع له مثله ، والحمد لله على ما أولى لوليه ، وأنعم به عليه .

[ولقد أقيمت]^(٥) بالسند لأمر المؤمنين المعز لدين الله ع. م [الدعوة ، وانتشرت معالمها]^(٦) ، وكان في تلك الجزيرة السنديّة أحد الدعاة من خلط وغير ، واستجاب على يديه قوم كثير من المجوس ، فتركهم على كثير مما هو محرم في الإسلام ، مما / يستحلونه في دينهم [المجوسي السابق]^(٧) وكان قد بلغ أمير المؤمنين المعز لدين الله ع. م أمره ، فاستهاله ، واستنظعه ، تواضعاً لله ، وإحياءً لمة جده محمد رسول الله ع. م ، وكتب إلى أهل دعوته بالسند يرفض ذلك

-
- (١) اجتمعوا : أجمعوا في ب
(٢) سقطت الكلمات المحصورة من كلا النسختين ب وجد فنقلناها عن المجالس والمسائرات ج ٢ ص ٤٩٤ .
(٣) هذا الشهر أيام : سقطت في ب
(٤) وهبات : وهناء في ب
(٥) ولقد أقيمت : وكان فتح في ب
(٦) الدعوة ، وانتشرت معالمها : سقطت في ج
(٧) المجوسي السابق : المجوسي في ب

الداعي المغير لدين الله ، ويعتزله^(١) لتضييعه الواجب عليه من دين الله ، من النهي عن المنكر ، والأمر بالمعروف في أقواله ، وأفعاله ، وأقام مكانه الداعي حلم بن شيبان في تلك الجزيرة ، لما هو عليه من العبادة والإستقامة ، وحسن النية ، وصفاء السريرة ؛ فلم يصل كتاب أمير المؤمنين ع . م إلا وقد هلك ذلك الذي توانى في ما يجب عليه ، وأقام المؤمنون حلم بن شيبان حتى يستأذنوا^(٢) الإمام ع . م ، وينهوا أمرهم إليه ، وقد قص ذلك القاضي النعمان بن محمد (رضي) في ما ألفه حيث قال^(٣) : وكان بعض الدعاة بجزيرة نائية في صقع بعيد يدعو إلى أولياء الله بعد دعاة تقدموا قبلة في المكان الذي هو فيه ، واستجاب لهم قبله واليه خلق عظيم من أهل تلك الناحية ، وعمامة أهلها مجوس ، ولكن قد كان الإسلام فشا فيهم قديماً ، فاتصل بأمر المؤمنين المعز لدين الله أن هذا الداعي الآخر أحدث فيهم حدثاً ، وذلك / أنه دعا عالماً كثيراً من المجوس ، وهم على دينهم لم يسلموا ، وتركهم على ما هم عليه ، يستحلون من محارم الله ما كانوا يستحلونه ، ويعملون بما نهى الله ع . ج عنه ما كانوا يعملونه ، من نكاح ذوات المحارم ، وتناول ما لا يحل من المشارب ، والمطاعم ، تعدياً^(٤) منه لحدود الله جل ذكره ، ووضعاً لأمانته عز اسمه عند من لا يحل وضعها عنده ، لعاجل دنيا أراد نياله بذلك منهم ، واستكثاراً فيما حسنه سوء رأيه ، ثم تعدى ذلك به^(٥) إلى أن أباح ذلك^(٦) من محارم الله تعالى اسمه لبعض أهل دعوته من المسلمين ، وغيرهم . قال : فعظم على أمير المؤمنين ع . م من ذلك ما تنهى إليه وأكبره ، وتبرأ إلى الله ع . م منه ولعنه ، وأهمه أمره ، وأشغل صدره ، وكان قد أنفذ إليه رسلاً من قبله ، فطوى عن ما هو عليه ، وسأل الإمام ع . م الرسل عن ذلك فأعلموه به ، وكان فيهم خير فعرفهم ع . م عظيم ما

/ ١٥٥

(١) ويعتزله : واعتزله في ب

(٢) يستأذنوا : يواذنوا في ب

(٣) المجالس والمسائرات جـ ٢ ص (٣٦٠ - ٣٦١)

(٤) تعدياً : تعرى في ب

(٥) ذلك به : بها في ذلك في ب

(٦) أباح ذلك : فباح في جـ

ارتكبتة من ذلك ، فتابوا منه ، وتابوا إلى الله ع. ج. وإلى ولي الله ، من اتباعه على أمره ، ودعاهم ، ثم سألمهم من بالحضرة من أهل الناحية وغيرهم عن أفضل من فيهم ، فسموا له رجلاً فكتب إليه ع. م. بالعمل على أهل تلك الجزيرة ، واطلاع من يثق به من / المؤمنين المخلصين (قبله) على ذلك ، واستعمال الحيلة في قتل عدو الله المرتد عن دينه ، المبتدع ما ابتدعه ، ونسخ بدعته ، وإظهار دين الله على ما أمر الله ع. ج. وأولياؤه به ، وأنفذ أولئك الرسل بذلك ، وبكتاب إليه جواباً عن كتابه ، وبما رأى ع. م. أن يكتب به إليه .

قال : وعرفنا^(١) ذلك في الوقت أهل خاصة مجلسه ، وتفرج بما اغتم به من ذلك إلينا تفضلاً وتطولاً منه ، وكنا نتربح مما نخشى أن يحدث عن ذلك في تلك الناحية ترهب المشفقين ، وقلنا قوم تطاعموا المحارم ، فما الذي يردهم عنها ، وقد فشت فيهم ، وصارت ديناً عندهم ؟ وكان تخوفنا على المكتوب إليه أغلب من الرجاء في هلاك الفاسق المبدل ، غير اننا نرجع في ذلك إلى الثقة بالله لوليه ، وأنه كما عوده^(٢) مبلغه ما يرجوه ، ومؤمله ، فما كان إلا بقدر وصول الرسل إلى المكان وانصرفهم ، إذ جاء رسل آخرون من تلك الجهة بكتب وأمانات حملوها ، فأدخلهم ع. م. فقبلوا الأرض بين يديه ، ومرغوا^(٣) خدودهم تقرباً إليه ، وحمدوا الله وشكروه على أن بلغهم إليه ، وأدناهم وقربهم لديه ، وبعد من حضر / في مجلسه عنه بحسب ما يجب لمكان سر إن^(٤) أخذ معهم فيه ، فسألهم عن الحال فتكلموا بكلام طويل سمعه ، ولم نصرف الإِسْباع إليه تقيه من أن يكون مما لا ينبغي لنا سماعه ، وننظر إلى وجهه ع. م. يتهلل لما سمعه ، ويكثر من حمد الله تعالى ، حتى إذا انقضى كلامهم وانصرفوا ، التفت علينا ع. م. متهللاً مستبشراً

(١) وعرفنا : وعرفنا في ب

(٢) عوده : عادته في ب

(٣) ومرغوا : وفرغوا في ب

(٤) سر إن : سرات في ج

مروراً فقال^(١): قد سمعتم كلام القوم؟ فقلنا: سمعناه، ولم نفهم. فقال: نعم فاسمعوه: ذكروا أن الله ع. ج قد كثر أهل دعوتنا وأوليائنا قبلهم، وإن كان هذا الفاسق قد بث ما بثه فيهم، فإنه لم يشتهر فيهم كل الإشتهار، ولم يكن أطلع عليه إلا أهل ثقته، ومن قرب منهم، وإن الله ع. ج أقبل بملك من ملوك أهل الناحية له قوة، ومنعة، وعدة، ورجال، فاستجاب إلى الدعوة بمن معه، وصار في حزب المؤمنين، وقوي به أمرهم وأظهروه، وأعلنوه^(٢) باسمي وشهروه، وكتبوه على الأعلام، وخطبوا به على المنابر، وأن ملوك الناحية أنكروا ذلك عليهم، فأقبلوا بجموع عظيمة إليهم لا تحصى عددها، ولا يبلغ^(٣) عدد المؤمنين عشر معشارها، فلما رأى ذلك الملك المستجيب وأصحابه، /
اجتمعوا في موضع، واحترفوا عليهم خندقاً، فما هو إلا أن وصل عدوهم إليهم، وردموا الخندق لكثرتهم ساعة [وصولهم إليه]^(٤) واقتحموا عليهم، فأمر ذلك الملك المستجيب أصحابه بالجملة، وجماعة المؤمنين، وقد حسنت بصيرته، وخلصت نيته، فقالوا له: على من نحمل، وبين أيدينا عدد الثرى؟ فقال: لا تنظروا إلى ما بين أيديكم من الملأ، ولكن انظروا إلى السماء، فإن من عليها معكم، وهو ناصركم، ومؤيدكم، فحملوا حملة صدق، بنيات خالصة، وحمل جماعتهم، وحمل بمن معه فانهزم الملأ بين أيديهم من عدوهم، ومنحهم الله اكتافهم فقتلوا منهم ما لا يحصى عدده، وغنموا من أموالهم، وسلاحهم، وكراعهم، ما امتلأت منه أيديهم [وفرق الله جمع عددهم وأقبل الناس ممن حولهم بالطاعة لهم]^(٥) والتسليم لأمرهم، فدانت لهم مدن كثيرة استعملوا فيها عمالاً، وأظهروا فيها دعوتنا، وحازوا لأنفسهم معقلاً حصيناً بقلعة شاهقة منيعة قطنوا بها،

/ ١٥٨

(١) المجالس والمسائرات جـ ٢ ص ٣٦٣ .

(٢) وأعلنوه: على منه في ب

(٣) ولا يبلغ: يبالغ في ب

(٤) ووصولهم إليه: وصلوا في ب

(٥) وفرق الله جمع عددهم وأقبل الناس ممن حولهم بالطاعة لهم: سقطت في ب .

وانخذوها دار هجرة ، والداعي اللعين المبدل فيهم يعتقدون طاعته لولايتنا ، ويعظمون أمره ، إذ كان يدعو إلينا فما هو [إلى أن]^(١) انتهى الرسل / ١٥٩
الذين حملناهم في أمره إلى أدنى عمل^(٢) الجزيرة ، ولم يبق بينهم وبين الموضع إلا مسيرة شهر حتى أذن الله تعالى في الفاسق بما أردناه ، بلا عنت ولا تكلف ، فطرقتة بغلته^(٣) أعجله الموت فيها على أن يوصي لأحد بمقامه ، ولا أن يقدم^(٤) أحداً مكانه ، فيكون قد سد مسده ، وقام مقامه ، وكفى الله مؤنته ، وبلغنا في عفاف ما أردناه منه بفضلته ، ونعمته ، وما عودنا من جهيل عادته .

ولما هلك عدو الله اجتمع الدعاة فيمن يقيمونه مقامه إلى وقت مطالعتنا ، فوقع اختيارهم واتفقهم على الرجل الذي اخترناه ، وأقمناه ، وكتبنا إليه ، لما أرادته الله ع . ج من تأليف أمرهم ، واجتماع كلمتهم ، وظهور أمرهم على عدوهم ، ليقيموه عليهم ، ويرسلوا رسلاً من قبلهم لمطالعتنا بأمرهم ، فأكبر الرجل ذلك من أمرهم ، وقال لهم : إذ قد اتفق رأيكم علي فاسمعوا مني . قالوا : نعم نسمع ، ونطيع لك . فاخترنا أربعة منهم ، فقال : يكونون على الجميع ، ويكون كل داع على أهل دعوته ، وأكون أنا النافذ برسالة الجماعة إلى الحضرة ، فما أمر به ولي الله امثلناه ، ومن أقامه لنا سمعنا منه وأطعناه ، واختار رجالاً للقدوم مع علينا ، وقدم / فلم يسر بعض أيام حتى لقيته رسلنا ، وفرح واستبشر بلقائهم ، وسألهم عن الحال ، فدفعوا إليه كتابنا إلى جماعة الدعاة ، بما أمرنا به في الخائب ، فانصرف إلى مقامه ، وبعث بالقوم الذين كانوا بما حمله إلينا ، وكتاب المؤمنين الذين وافاه الكتاب عندهم من أهل النايحة ، وتناول الكتابين ع . م فقرأهما علينا بنفسه إلى آخرهما ، فسمعنا من كلام الرجل في كتابه ما لم نجد فيه لفظة ساقطة ، ولا معنى فاسداً ، ووقفنا من جزالة لفظه ومعانيه ، على ما وثقنا لولي الله بقيامه له ، وذكر

(١) إلى أن : الآن في ب

(٢) عمل : سقطت في ب

(٣) بغلته : بغلة في ب

(٤) ولا أن يقدم : مقدماً في ب

مسرته وابتهاجه ، وما انتهى إليه أمر ولي الله بما أمر به وأحياه ، من دين الله جل ذكره ، وما كانوا أنكروه مما فشا^(١) من الخائب من تغيير الدين ، وتبديل الملة ، وارتكاب محارم الله جل ذكره ، وذكروا ذلك في كتابهم ، وطالع الرجل بما يعمل عليه من دعوة من صار من المجوس إلى دين الإسلام ، كما يجب ، ثم الأخذ عليهم بعد أن يسلموا كما ينبغي ، وشاور في كثير من أعماله ، وما يجريه من أموره ، وذكر صنماً معبوداً قبله تحج المجوس إليه كحج المسلمين إلى البيت / الحرام في كل عام ، فطالع في كسره ، وتعفيته أثره ، وفي أشياء كثيرة يطول بها الكتاب من أمره ، واستمد ولي الله من علمه ، واقتبسه من نوره ، ما يعمل به ، ويدفعه فيمن قبله ، قال^(٢) : فما ندري [كيف نصف]^(٣) ما كان من ابتهاجنا بذلك ، وموقعه من قلوبنا بما أجراه الله منه على يد وليه ، وسيره له ، ومنحه من صنعه فيه ، وعولنا على تقبيل الأرض بين يديه ، وحمدنا الله وشكرناه ، بما قدرنا عليه واستطعناه ، وسألناه إنجاز وعد وليه ، وبلوغنا إليه .

واشتهر أمر ولي الله المعز لدين الله في الآفاق ، وخضع له أهل العناد والشقاق ، أولو العدوان والنفاق ، وانتشر الدعوة إليه في جميع الجزائر ، وظهرت علومه^(٤) للبادي والحاضر ، ولم يزل أمره في سمو وصعود ، وعلو تقارنه بضعف أمر بني العباس ، وتغلب عليهم وزرأؤهم ، وملك أمرهم أمراؤهم ، فصاروا بين مجندل ومقتول ، أو مخلوع مسمول ، أو مضروب على يده مشوه خلقه ، وقد ذكرنا أمر المقتدر العباسي ومؤنس الخادم ، وما كان من قتل المقتدر^(٥) على يد

(١) فشا : وشى في جـ

(٢) المجالس والمسائرات للقاضي النعمان جـ ٢ ص ٣٦٥ .

(٣) كيف نصف : سقطت في ب

(٤) علومه : أعلامه في ب

(٥) كان من الطبيعي أن يكثر الخارجون على الخلافة العباسية في شرق الدولة وغربها ، مستغلين فرصة ذلك الإضطراب الذي عم البلاد منذ أن استأثر الأتراك فيها بالنفوذ دون الخلفاء . السيوطي تاريخ الخلفاء ص ٤٣٥ . ويصف المسعودي حالة الخلافة في عهد المقتدر بقوله : =

مؤنس ، وقيام المسمى بالقاهر وقتله لمؤنس ، وخلع القاهر في اليوم الذي^(١) استولى / ١٦٢ ابن المقتدر ، فأقام مستخلفاً في بغداد ستة أعوام وعشرة أشهر وعشرة أيام ، ثم مات في شهر ربيع الأول سنة تسع وعشرين وثلاثمائة ، وأقيم بعده أخوه المتسمى بالمتقي لله إبراهيم بن المقتدر ، ثم خلع بعد ثلاث سنين من خلافته وسملت عيناه لعشر بقين من شهر صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة ، وبويع بعده المتسمى بالمكتفي بالله عبد الله بن المكتفي فأقام مستخلفاً سنة وخمسة أشهر ، ومات في ربيع الآخر سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة ، وبويع بعده المتسمى بالمطيع لله الفضل بن المقتدر فأقام تسعة وعشرين سنة ، والحل والعقد في الملك لبني بويه ، وليس له إلا الاسم ، ذلك في السكة والخطبة ، وهو مغلوب على أمره ، مضروب على يده ، ومات لثمان ليال بقين من المحرم سنة أربع وستين وثلاثمائة بعد أن خلع نفسه مكرهاً ، وذلك أن علي بن أحمد بن بويه الديلمي عضد الدولة أمر رجلاً من الديلم فرمى به من سريره ، وقبض عليه ، وبايع بعده لابنه المتسمى بالطابع بن المطيع بن المقتدر ، وقبض بهاء الدولة بن عضد الدولة / بن بويه على الطائع يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة ، وأكره فخلع نفسه ، وبايع لاسحق بن أحمد بن إسحق بن المقتدر مكرهاً ، وما زال ذلك دأبهم بين مخلوع ، ومقتول ، ومسمول ، فتحكم عليهم الأعاجم ، وأبقى الله كل ظالم منهم بظالم ، فلم يملكوا في الملك عقداً ولا حلاً ، ولا قطعاً في الأمر ، ولا وصلاً ، ولم نقصد ذكرهم فنستقصي أوائلهم وأواخرهم ، ونأتي على ما كان من دولتهم ، وإنما قصدنا ذكر ما ابتلاههم الله به ، وأتاح من الغلبة لأوليائه ، وبني نبيه

= أفضت الخلافة إليه وهو صغير ، لم يعان الأمور ولا وقف على أحوال الملك - فكان الأمراء والوزراء والكتاب يدبرون الأمور ، ليس له في ذلك حل ولا عقد ولا يوصف بتدبير ولا سياسة ، وغلب على الأمر النساء والخدم وغيرهم ، فذهب ما كان في خزائن الخلافة من الأموال بسوء التدبير الواقع في المملكة .

(١) الذي : سقطت في ب

أئمة الهدى ، شمس الحق الطالعة من المغرب ، الذين أخفت الله بهم ذكر كل مناصب ، فتضععت دولة بني العباس^(١) ، ولم يبق لهم فيها أساس ، وقوي ملك [الروم ، وازداد نفوذه ، فأرسل]^(٢) إلى اقريطش^(٣) بسبعائة مركب لحربهم فاستغاث أهلها ببني حمدان ، وبكافور الأخشيدى صاحب مصر ، وبالمملكين على بني العباس من بني بويه ، فلم يجدوا منهم ولياً ولا نصيراً ، وابتلوا بالنصارى بلاء كثيراً ، وأشرفوا على الهلاك ، فاستعانوا بالإمام المعز لدين الله أمير المؤمنين ع . م قال القاضي النعمان بن محمد (رضي)^(٤) : وقد / كان طاغية الروم رغب إلى أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م في الموادة [وبذل له على ذلك أموالاً ، وكانت رغبته إليه في الموادة مدة طويلة أو]^(٥) أبدية ، إن وجد ذلك ، فرأى الإمام ع . م لما تبين له أن ذلك خير للإسلام والمسلمين ، أو ليستجمعوا فيقووا على حرب المشركين ، ان أجابه إلى موادة خمس سنين ، ثم اتصل به ع . م بعد ذلك ، وقبل أن تنقضي مدة الموادة إن أرسل الدمستق الذي هو أقرب رجاله درجة إليه ، وأخصهم به في عدة من السفن كثيرة ، وجيوش جلييلة ، حتى أنأخ بها على جزيرة اقريطش ، وهم في دعوة بني العباس ، فلما حل بهم من ذلك ما لا قوام لهم به ، وعلموا أنه ليس عند بني العباس نهضة ، ولا لهم لديهم نصره ، أرسلوا مركباً فيه رجال من قبلهم مع وجه من وجوههم إلى أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م يستغيثون به ، ويسألونه استنقاذهم وإغايتهم ، فلم يرع . م وإن كانوا تنكبوا

(١) وأجل ما ينطبق على وضع الخلفاء قول المعتمد العباسي عندما احتاج يوماً إلى ثلاثمائة دينار

فلم يجدها ، مما حدا به إلى القول :

ليس من العجائب أن مثلي يرى ما قل ممتنعاً عليه
وتؤخذ باسمه الدنيا جميعاً وما من ذاك شيء في يديه
إليه تجمع الأموال طرا ويمنع بعض ما يجبى إليه

(٢) الروم ، وازداد نفوذه ، فأرسل : الروم من نفاس في ب

(٣) اقريطش : وهي جزيرة (كريت) المعروفة الآن .

(٤) المجالس والمسائرات ج ٢ ص ٣٠٧

(٥) سقطت الكلمات المحصورة في جـ

عنه ، أن يخيب رجاءهم عنده ، ولا أن يسلمهم إلى المشتركين ، فأمر عندما اتصل به خبرهم ، وقبل أن يصل إليه رسولهم ، بالأخذ في الأهبة والعدة ، ليكون نفوذ الأساطيل في أول زمان الإمكان . ثم قدم الرسول / عليه ، وأدى عنهم ما أرسلوه به إليه ، فرأى ع . م أن ينبذ^(١) إلى المشتركين عهدهم ، كما أمر الله بذلك في كتابه ، إن هم أصروا على حربهم ، وأمر بكتاب في ذلك إلى ملك الروم ، وأمله على الكاتب بحضرة من بين يديه ، بكلام ما سمعت أجزل ، ولا أبلغ منه ، فقال بعد أن خيره بين أن يقلع عن حرب أهل اقريطش ، وبين أن ينبذ^(٢) إليه عهده ، كما نبذ^(٣) رسول الله (ﷺ) إلى مشركي العرب عهدهم ، وأرسل علياً ع . م براءة فقرأها بالموسم عليهم ، ولقول الله تعالى وهو أصدق القائلين : ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٌ فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ﴾^(٤) إلى قوله ع . ح : ﴿ أَنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾^(٥) وقال في كتابه ع . م : ولا أرى أن دعوة أهل اقريطش قبل اليوم إلى غيرنا ، وقد أنابوا اليوم إلينا ، واستغاثوا بنا ، مما يوجب لك عندنا تمام المواعدة بتركهم إليك ، وترك إعتراضك فيهم ، إن امتناع أهل الباطل من أهل الحق ليس بمزيل حقهم ، وإن تغلبوا عليه دونهم ، بل هو لهم بتصوير الله ع . ج إياه لهم^(٦) ، فاقريطش^(٧) وغيرها من جميع الأرض لنا ، بما حولنا الله منها ، وأقامنا له فيها ، أطاعنا من أطاع ، وعصانا من عصى ، / وليس بطاعتهم يجب لنا أن نملك ، ولا بعضيانهم وامتناعهم بحق علينا أن نترك ، ولو كان كذلك لكان الأمر إليهم ، لا الله ع . ج ، الذي حولنا ، ولا لنا ، إن شاءوا أعطونا ، وإن أحبوا

(١) ينبذ : تنبت في ب

(٢) ينبذ : ينبت في ب

(٣) نبذ : نبت في ب

(٤) سورة : ٥٩ / ٨

(٥) سورة : ٥٢١٢

(٦) إياه لهم : إليهم في ب

(٧) يقول فورنيل في كتابه فتح أفريقيا بواسطة العرب ص ٣٣٢ : إن الروم حاصروا هذه الجزيرة بقيادة تقفور فوكاس ، الذي حاصر حاضرتها « كاندي » أكثر من سبعة أشهر ، ثم فتح الجزيرة كلها .

منعونا ، كلا إن الله الذي له ما في السموات ، وما في الأرض ، هو الذي اصطفانا ، وملكننا ، وأعطانا ، ولو كان ذلك للخلق لما وسعنا^(١) قتال من امتنع منهم علينا ، ولا ردّ ما انتزعهه بالغصب من أيدينا ، إذا أقدّرنا الله على ذلك ، وبه قوتنا ، فإن قلت أنت غير ذلك ، وأنت قد ترى أن ما في يديك لك ، فقد كان رومانس^(٢) تغلب عليك ، وعلى أبيك من قبلك ، ثم دارت لكما عليه الدائرة ، فإن رأيت أن من احتجز شيئاً وتغلب عليه فهو له ، دون صاحب الحق الذي ملكه ، فلم يكن لك ولا لأبيك القيام على رومانس ، ولا انتزاع ما صار إليه من يديه ، فهذا سبيل الحق عندنا ، فإن اعترفت لها ، فقد أنصفت ، وإن جهلتها لم يكن جهلك إياها حجة على من عرفها ، وعهدك إن تماديت على حرب من أناب إلينا منبوذاً إليك ، فانظر لنفسك ولأهل ملكك فإننا مناجزوك^(٣) وإياهم الحرب ، بعون الله لنا وتأييده^(٤) ، ولا حول لنا ، ولا قوة إلا به . قال^(٥) : واستمد أهل اقریطش هؤلاء صاحب مصر ، وهم من أهل دعوة واحدة ، تجمعهم دعوة آل العباس ، ومراكبهم بخيرات بلدهم ، وأطعمتها تمير أهل مصر ، وهداياهم تصل إلى عمالها ، فعجز عن نصرتهم ، وسأل من ينظر لأمر المؤمنين في ما قبله أن يكتب إليه ع . م في إعانتهم ، واستفادهم ، وأرسل قوماً كانوا منهم^(٦) قبله ليسألوا أمير المؤمنين ، ويرغبوا إليه في ذلك ، ثم أظهر أن ينصرهم ، ورمى بعض مراكب في البحر لما اتصل به إنكار العامة عليه التخلّف عن نصرتهم^(٧) فكتب أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م إلى من يكتابه بمصر جواباً عن كتابه بذلك يخبره أنه قد أمر بإخراج الأساطيل ، وأخذ في عدتها ، فكان فيما كتب به إليه : أن قل

(١) لما وسعنا : وسعناه في ب

(٢) رومانس : ردافس في ب

(٣) مناجزوك : جزاؤك في ب

(٤) لنا وتأييده ، وتأكيده في جـ

(٥) المجالس والمسائرات جـ ٢ ص ٣١١

(٦) منهم : من في ب

(٧) نصرتهم : نصر في ب

لصاحبك إن الله سبحانه ، قد حولنا من فضله ، وأمدنا من معونته وتأييده ، مما ترى أنا بحوله وقوته ونصره^(١) لنا ، وإظهارنا على عدونا ، أنا نكف^(٢) أيدي الكفرة عن ما تطاولوا إليه ، من حرب هذا الصقع ، والإيقاع بأهله ، وقد انتهى إلينا أنك أظهرت الحركة إلى الجهاد ، وامداد هؤلاء القوم بمراكب من قبلك ، فأنت وعمري بذلك أجدر لقبهم منك ، واتصاهم بك ، [ومسيرتهم بلدك]^(٣) وكونهم وإياك في دعوة واحدة ، ولو أسلمناهم إليك ، وقعدنا عنهم ، لما كان لك ولا لهم علينا من حجة ، ولكننا آثرنا نصره أمة جدنا محمد (ﷺ) ، ولم نر التخلف عن ذلك ، وقد رجونا له ، وألقوا بأنفسهم إلينا فيه ، ونحن لا نحول / بينك وبين الجهاد في سبيل الله ، ولا نمنعك من تمام ما أملت منه ، فلا يكن ما يتصل^(٤) بك من إنفاذ أساطيلنا يريثك^(٥) عن الذين هممت من ذلك ، وإن كنت تحشى على من تبعث به ، وعلى مراكبك منا ، فلك علينا عهد الله وميثاقه ، أنا لا نكون منهم إلا بسبيل خير ، وأنا نحلهم محل رجالنا ، ونجعل أيديهم مع أيدينا ، ونشركهم في ما أفاء الله علينا ، ونقيمهم في ذلك وغيره مقام رجالنا ، ومراكبك مقام أساطيلنا ، حتى يفتح الله لنا ، إن شاء الله ، ثم ينصرفوا إليك على ذلك ، أو يكون من أمر الله وقضائه ما هو فاعله ، فاعلم ذلك ، وثق به منا ، ففي تظافر^(٦) المسلمين على عدوهم ، واجتماع كلمتهم ، إعزاز لدين الله ، وكبت لأعدائه ، فقد سهلنا لك السبيل ، والله على ما نقول وكيل ، فإن وثقت بذلك ، ورأيت إيثار الجهاد ، فاعمل على أن تتقدم مراكبك إلى مرسى تينة من أرض برقة ، لقرب هذا المرسى من جزيرة اقريطش ، ويكون اجتماعهم مع أساطيلنا بهذا المرسى ، مستهل شهر ربيع

/ ١٦٨

(١) ونصره : سقطت في ب

(٢) أنا نكف : أنا كف في ب

(٣) ومسيرتهم بلدك : ومسيراتهم بلدهم في ب

(٤) يتصل : اتصل في ب

(٥) يريثك : يرثك في ب

(٦) تظافر : ظاهر في ب

الآخر بتوفيق الله ، وعونه [تأييده ، ونصره ، وعونه]^(١) وإلا^(٢) لا ترى ذلك فقد أبلغنا في المذرة إليك ، والنصيحة لك ، وخرجنا مما علينا إليك ، ونحن بحول^(٣) الله وقوته وتأييده ونصره وعونه^(٤) ، مستغنون عنك ، وعن غيرك ، وعلى عزم وبصيرة^(٥) في إنفاذ / أساطيلنا ، ورجالنا ، وعدتنا ، وما حولنا الله إياه ، وأقدرنا عليه ، مما نرى بحوله وقوته أنا نبلغ به ما نؤم إليه بذلك ، ونصمد نحوه ، فبالله نستعين ، وعليه نتوكل ، وعلى عونه وتأييده نعول ، وهو حسبنا ، ونعم الوكيل^(٦) .

فسارع أمير المؤمنين المعز لدين الله ع.م في إخراج الأساطيل ، وشحنها بالرجال ، وصنوف العدة ، والأموال ، وهو في ذلك في جد وجهد ، إذ أتاه الخبر أن الروم قد ملكوا إقريطش ، ودخلوا البلد ليلاً عن موافقة من خرج منهم مسلمة فقتلوا ونهبوا ، ودخلوا الجامع بخيلهم فأحرقوه ، وحملوا منبره إلى بلد الروم ، فاشتد على أمير المؤمنين ع.م ما حل بالمسلمين ، وما ظهر من تضييع أهل مصر لهم ، وهو أقرب إليهم ، وما فاتته من نصرتهم^(٧) ، وكان ذلك في سنة خمسين وثلاثمائة ، وفيها خرج الدمستق ، وهو أعظم من يكون عند ملك الروم ، من

(١) تأييده ونصره وعونه : سقطت في ب

(٢) وإلا : وأن في ب

(٣) بحول : بعون في ب

(٤) وعونه : سقطت في ب

(٥) وبصيرة : وصرة في ب

(٦) المجالس والمسائرات جـ ٢ ص ٣١٥

(٧) يؤكد ابن خلدون احتلال الروم لجزيرة إقريطش سنة ٣٥١ هـ فيقول : « إن الربضيين من مهاجري الأندلس استقروا بهذه الجزيرة منذ أخرجهم إليها عبد الله بن طاهر الذي كان والياً على مصر سنة ٢١١ هـ . فكان خروجه من هذه البلاد وقصدهم إقريطش في هذه السنة » .

استقر الربضيون في إقريطش مائة وأربعين سنة ، ثم غزاهم الروم وطردوهم منها في عهد « أريابوس بن قسطنطين الثامن » إمبراطور الدولة البيزنطية في سنة ٣٥١ هـ . العبر جـ ٤ ص ٢١١ .

الدرّب المعروف بحصن الجبل ، فنزل على تل مورة ، فقاتله أهله وظفر بهم ، ودخل البلد فقتل الرجال ، والنساء والصبيان ، ورحل عنهم إلى عين ورن ، فقطع الماء عليهم ، واشتد بهم الأمر ، واختلفت الكلمة ، وليس لهم مدبر ، فقطعوا دعوة ابن حمدان ، حين يشسوا من مادته لهم ، وتناهت عليهم الشدة ، فأرسل الدمستق / إليهم أمير إقريطش ، فحذّره بما حل بأهل إقريطش ، وأخذ لهم الأمان على أنفسهم ، وأموالهم ، ما خلا السلاح ، وملكها . / ١٧٠

وكانت قد وقعت حروب كثيرة بين سيف الدولة علي بن عبد الله بن حمدان صاحب حلب ، وبين النصارى من الروم ، ووقعات جلييلة^(١) ، وكانت لسيف الدولة ، ووقعات مشهورة ، ونجده مذكورة ، وقتال اشتهر^(٢) به ، وجهاد رفع قدره بسببه ، وكان كثير العطاء والإنفاق ، جميل المحيا حسن الأخلاق ، وكان قد جعل دنانير العطاء كل دينار وزن عشرة دنانير ، وقصدته الشعراء ، ومدحه البلغاء ، واجتمع بأبوابه ما لم يجتمع بأبواب الخلفاء ، من الشعراء المجيدين ، والفصحاء المفلقين ، وكفا فخراً يبقى على الأحقاب ، ويتوارث على الأعقاب ، ما طوق أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبّي في جيد مفاخره ، وعلق في أطواق المدح الذي استخرج درره ، من بحر خاطره ، وأبو الطيب من الفصاحة بحيث لا يجارى ، ولا يمارى ، وديوان شعره أجل من أن يوصف أكثر اشتهاراً ، وقد ذكر أبو الطيب حروبه ، ووقعاته ، وجهاده للنصارى من الروم ، وغاراته ، وما زال في الحرب مدة من السنين حتى كسرت^(٣) الروم ، ولم يجد / من خلفاء الدولة العباسية ناصراً ولا معيناً ، ولا مؤازرة ، وأسرت الروم ابن عمه أبا فراس بن حمدان^(٤) ، فارس الحرب الصنديد وناظم الشعر المجيد [مدة من

/ ١٧١

(١) جلييلة : جلية في ب .

(٢) اشتهر : شهر في ب

(٣) كسرت : كثرته في ب

(٤) أبو فراس بن سعيد بن حمدان اشترك في غزوات سيف الدولة ، ووقع في أسر الروم وظل =

السنين ؛ [١] وكان أبو فراس شيعياً محباً لآل النبي محمد (ﷺ) من فاطمة الزهراء ،
وأمر المؤمنين علي ، وهو منشئ القصيدة التي أولها :

الدين مخترم والحق مهتضم وفي آل رسول الله مقتسم
ومنها :

لا يطغين بني العباس ملكهم بنو علي مواليهم وإن رغبوا

وهي قصيدة معروفة مشهورة، وله في الأسر قصائد معروفة تشهد له بالبلاغة
على أحسن الصناعة والصيغة ، فيها الجزالة ، ولو قصدنا أن نصف الأشعار لأتينا
منها بالغريب القريب ، والبديع العجيب ، مما يرق ويروق ، ويهلو ويفوت ، وما
ولكننا إلى ذلك ما قصدنا وله ما أردنا، وإنما مقصدنا ذكر فضل آل الرسول ، وما
خصهم الله به من المقام الخطير ، جرياً على قدر الطاعة ، وإن كان شأوهم ومجدهم
وفخرهم ، لا نستطيع أن ندرك وصفه ولحاقه ، وأقام أبو فراس مدة من السنين في
الأسر ، ثم فدى نفسه ، وأخرجه الروم بعد أن ناله عظيم من الضر ، فلم تحسن
له بعد ذلك / الأيام ، ولم تطل حتى وافاه ريب الحمام ، وقويت الروم على
سيف الدولة^(٢)، وعجزت ملوك بني العباس عن القيام معه، والنصر له ، فجاشت
جيوش النصارى عليه ، وانساق منهم الشر إليه ، فلما كان سنة إحدى وخمسين
وثلاثمائة فتحت النصارى حلب^(٣) ، وانهمز سيف الدولة عنها ، وفي سنة أربع

/ ١٧٢

= أسيراً حتى افتداه سيف الدولة ويقال انه فدى نفسه ، وله شعر جيد رقيق .

(١) مدة من السنين : سقطت في ب

(٢) استولى سيف الدولة علي بن عبد الله بن حمدان على حلب سنة ٣٣٣ هجرية حيث انتزعها
من نائب الأخشيدي الذي كان يجمع في يده حكم الشام ومصر والذي مديده في هذه الأثناء
إلى حلب ، ثم زحف على حماه فحمص فاستولى عليهما . وبذلك اتسع نطاق ملك بني
حمدان وامتد إلى سورية الشمالية والوسطى بالإضافة إلى الجزيرة الفراتية . ابن الأثير ج ٨
ص ١٣٤ - ١٣٧ .

(٣) يقال بأن غلاماً لسيف الدولة اسمه رشيق النسيمي كان يتولى طرسوس من قبله حيث اتفق
مع الروم على تسليمهم حلب ، فزحف على حلب ونازلها وكان سيف الدولة غائباً عنها في
ميافارقين وتمكن من دخولها .

وخمسين وثلاثمائة أخذت الروم المصيبة^(١) في النصف من رجب ، وبعدها فتحت طرسوس مما أهاب بالشاعر الأسد بن همام المكحول العرشي لينظم قصيدة يمدح بها كافور الأخشيدي صاحب مصر ، ويستنهضه لنصرة الحصون ، ويصف ما لحقها من الروم ، يقول فيها :

جللُ فادح وخطب كبير
أي صبرٍ على الذي حلَّ بالشام
أي مصر لكم إذا ذهب الشام
أين أهل التوحيد إنْ عدم العزَّ
أين أهل القرآن والعلم بالوحي
أين أهل الإيمان يا حجة الله
قد دعاكم إلى الجهاد خفافاً / ١٧٣
أمره فالذي يخالف منكم
فثغور الإسلام من بلد الشام
والإمام الذي تؤمُّله^(٢) الأمة
ومنها :

وابن حمدان للثغور فما فيه
[حلَّ عقدُ الهدى الضلال وإن لم
بمعزٍ وناصرٍ وبسيفٍ
لأهل الثغور إلا الغرور
يُبرم العقدُ ؛ جُلُّه مبتور]^(٣)
هلك الدين ، واعتلاه الفتور]^(٤)

(١) وكانت وفاة سيف الدولة سنة ٣٥٦ هجرية بالفالج وعسر البول وحمل تابوته إلى ميفارقين ودفن فيها .

(٢) تؤمُّله : تأمله في ب

(٣) حل عقد الهدى الضلال وإن لم يبرم العقد ؛ جلّه مبتور
ورد هذا البيت خطأ في ب .

(٤) بمعز وناصرٍ وبسيفٍ هلك الدين ، واعتلاه الفتور
سقط الشطر الثاني من البيت في ب .

تأثر بالثغور يسبي الزراري آمنا لا يرومه تحذير

يعني بمعز وناصر ، معز الدولة ، وناصر الدولة ابني بويه ، وسيف الدولة ابن حمدان ، [وقصيدته هذه ^(١)] طويلة ، فلم يوجد عند كافور نهضة ، ولا حياة للثغور ، وخلفاؤهم العباسيون في أيدي العجم مأسورون ، بين مسمول العينين ، أو مقطوع غضاريف الأذنين ، وحين اشتد على كافور الأمر ، وعظم الضر ، وأشفقوا أن يستولي الروم على مصر ، واصل ^(٢) داعي أمير المؤمنين ع . م الذي بمصر ، وسلم لولي الله في ما يملكه الأمر ، ودخل في عهد الإمام ، وأجرى على أمره ونهيه النظام ، وكتب إلى أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م ، وطالبه ^(٣) النصر على النصارى ، / واستغاثه أن يستنقذ من المسلمين طوائف [لحمايتهم من غشم الكفار النصارى] ^(٤) ، فانهض أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م الأساطيل ، وشحنها بالرجال ، والعدة والأموال ، فوافوا النصارى من الروم وهم في جموعهم وعساكرهم ، قد أتوا للزحف ^(٥) على تلك الثغور ، فأوقعوا بهم وبأساطيلهم وقعة لم يكن مثلها في ما سلف من الأيام والدهور ^(٦) ، ومنحهم الله النصر وقوة الدين ، وعز الإسلام ، وافتتحوا قلاعاً كثيرة للروم ، وأخربوا ديارهم ، مستنصرين بنصر الله الحي القيوم ، وأفلت أمير النصارى فصار شارداً ، ومر على وجهه إذ لم يجد من جنود الله ناصرأ ، ولا عاضداً ، في سنة خمس وأربعين وثلاثمائة ، وقد ذكر ذلك أمير المؤمنين الدعز لدين الله ع . م في جوابه لداعيه بالسند حلم بن شيبان ر . ح ، وقد ورد كتابه يذكر فيه ما هياه الله له في جزيرة السند من النصر ، وأظهر لأولياء الله هنالك من الأمر ،

(١) وقصيدته هذه : وقصيدة في ب

(٢) واصل : وسل في ب

(٣) وطالبه : وطلب في ب

(٤) لحمايتهم من غشم الكفار النصارى : لخوف غشم الكافرين حيارى في ب

(٥) للزحف : حرف في ج

(٦) والدهور : والنهور في ب

وأنه كسر الأصنام التي كان استأذن الإمام ع . م في كسرها ، وسأل الإمام ع . م
 عن مسائل فيما يقيم به الدين ، ويقطع^(١) ما غيَّره داعي السوء السالك سبيل
 المعتدين ، وسأل / عن أشياء من الفقه ، والحلال ، والحرام ، وعن / ١٧٥
 مسائل في التأويل الذي جعل الله علمه عند أهل الذكر ، من إمام بعد إمام ،
 فأجابه الإمام ع . م بسجل هو معروف مشهور ، وفي صفحات الكواغد مسطور ،
 وأول السجل الشريف^(٢) : بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله ووليه معد أبي
 تميم الإمام المعز لدين الله أمير المؤمنين إلى حلم بن شيان ، سلام عليك ، فإننا
 نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، ونسأله أن يصلي على محمد نبيه ، وعلى آله
 الطيبين الأخيار ، أما بعد ، فإن كتابنا إليك كتاب من ترادفت نعم الله عليه جل
 ثناؤه ، فأسنى منها قسمه ، وعظم عنده فضله ، فدأب^(٣) الشكر عليه ، وترادف^(٤)
 لديه عطاؤه ، فواصل الحمد له ، واختصه بلطيف صنعه ، وجميل كفايته ،
 فيرى من الحول والقوة إليه ، وتكفل بنصره ، فأداخ له ملوك الأرض
 وجباريتها^(٥) ، منتصراً لدينه القيم الذي به أعزه ، وأخذ بحقه من الظالمين^(٦)
 الملحدين في آياته ، الصادين عن سبيل هداه ، وتوحده ، بما لم يتوحد به أحدٌ
 في كل ما يرومه وينتحيه ، ويصرف أسباب همته إليه ، من بلوغ الأمل والتوفيق
 في العمل ، حتى أنفذ العدو موالياً ، والمخالف موالفاً ، لما بهرهم من دلائل
 إنجاز / وعد الله لنا ، ولوائح نصره ، وبراهين معجزاته ، ومظهر^(٧)
 آياته ، التي وعد العالمين بإظهارها ، فقال جل من قائل : ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ
 سَبِّحْكُمُ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا ﴾^(٨) وقال : ﴿ سَتَرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى

-
- (١) ويقطع : وقطع في ب
 (٢) الشريف : المشرف في ب
 (٣) فدأب : فاداب في ب
 (٤) وترادف : ورادف في ج
 (٥) وجبارتها : وجبارها في ب
 (٦) الظالمين : سقطت في ب
 (٧) ومظهر : ومنظر في ب
 (٨) سورة : ٢٧ / ٩٣

يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴿١١﴾ .

ولم يبق ملك من ملوك المغرب وجبائرتها ، والمشارك ، وإلى أقصى حدود المملكة فيها ، ومن وراء الصحاري والبراري ، من ملوك الحبشة ، إلا دان بالطاعة ، وانقاد للمملكة ، وافدين إلى باب أمير المؤمنين ، وباعثين رسلهم بالطف^(١) ، وهدايا ، متوجهين بأنفس ما يجدونه منها ، راغبين في رضانا ، آخذين من الطاعة التي خص الله جل جلاله عباده عليها ، وكان الكفرة الروم على حال من الإنقياد لأداء الجزية ، والوفاء بالعهد ، حتى نالوا بأرض الشام ما نالوه ، مما سماع أقله يفتت أكباد ذوي النهي ، ويمتعص^(٢) من مثله أولو البصائر ، والجحى ، ويألم به الأقصى والأدنى ، من افتتاح المدن ، وسبي الذراري ، وانتهاك المحارم ، وسفك الدماء ، مما لا دافع يدفعهم ، ولا مانع يمنعهم ، ولا غاضب له إلا الله جل ثناؤه ، خائفاً من عقابه ، في تضييع أمة رسوله (ﷺ) فأخفر الكفرة عهدهم ، ونكثوا إيمانهم ، / ونقضوا عقدهم ، وقادهم حينهم / ١٧٧ للزحف إلى بعض ثغور المملكة ، جزيرة من جزائر البحر ، أهلها محروسون بحراسة الله جل ثناؤه ، وجميل نظرنا لهم ، وقلة غفلتنا عن مثلهم ، وإن كانوا في بعد ونأي ، ورأى [أن يغزوها في البحر]^(٣) فتلقاهم من أقمنا لحراستها ، من الأولياء برأً وبحراً ، فأوقعوا بهم وبأساطيلهم ، وقعات كثيرة ، لم يكن في ما سلف من الأزمنة مثلها ، ظللوا بها أحاديث ، ومزقوا كل ممزق ، وأخربوا ديارهم ، وعفوا آثارهم ، وافتتحوا قلاعهم المنيعة^(٤) من أول الزمان ، وأفلت ذلك المشرك المتغلب المتآمر عليهم ، فظل شاردأً مخذولاً ، لا يدري على أي رجل يعتمد ، ولأبي وجه يقصد ، قد ألبسه الله الذلة كما نبت العصمة ، وأشعره

(١) سورة : ٤١ / ٥٣

(٢) بالطف : بلطف في ب

(٣) ويمتعص : ويعوض في ب

(٤) أن يغزوها في البحر : ورأى بحر في ب

(٥) المنيعة : الواعية في ب

الخيفة ، ورداه الندامة ، يصبح خائفاً ، ويمسي نادماً ، وذلك بما قدمت يداه ، وما الله بظلام للعبيد ، وأفاء الله على الأولياء من ذخائر^(١) المشركين ، وكراهم ، وأسلحتهم ، بعد أسر وجوههم ، ما زادهم به قوة وعزاً ، وزاد به المشركين ذلة ، ووهناً ؛ ثم لا يصدق^(٢) بما نال المشركين من ذريع القتل ، وعظيم الأسر ، إلا من شاهد ذلك وعينه ، إذ الصفة تقصر عنه ، والله نحمله كثيراً ، وإياه جل جلاله نشكر ، / وإليه نصرف الرغبة في أن يصل لنا ما من به علينا من ذلك ، ببلوغ الأمل في صلاح بلاده ، وهداية^(٣) عباده ، وأن يصلي على محمد سيد خير رسله ، وخاتم أنبيائه ، وعلى عترته المهديين الأخيار الطيبين .

/ ١٧٨

ويقول في هذا السجل الشريف : والذي وصفته^(٤) مما هياه الله لكم على من بغى عليكم ، وزحف إليكم ليزعجكم عن مستقركم ، وما دار بينكم وبينهم من القتال المهول ، إلى أن وهبكم الله النصر ، وأمدكم بالمعونة والتأييد ، فقتلتموهم أبرح قتل ، واقتلتم صنم القوم ، وجعلتم^(٥) موضعه مسجداً جامعاً ، فيا لها نعمة ما أعظمها ، وفضلاً ما أوضحه ، وأبينه ، وأعظم أجره ، وأبقى فخره ، ملاً قلوبنا فرحاً وسروراً ، ورضى الله ربنا ومولانا ، وخررنا ساجدين لله ، شاكرين حامدين ، وسألنا أن يجزيكم على أمثال ذلك في كل أعدائه ، وأن يقر أعيننا بسلامة جمعكم ، ويذهب غيظ قلوبكم ، ويجمع كلمتكم ، ويثبت قلوبكم ، فلمثل هذه المقامات يجب أن ينصرف فكركم ، وعليها يتواصل نظركم ، حتى يجعل الله لكم في إظهار الملة الحنيفية أجل أثر ، ويكتب لكم فيها السعي المحمود ، الموصل إلى نعيم الخلود ، في روح / وريحان ، وجنة نعيم .

/ ١٧٩

-
- (١) ذخائر : مأرب في ب
(٢) لا يصدق : لا يعرف في ب
(٣) وهداية : ودراية في ب
(٤) وصفته : وضعته في ج
(٥) وجعلتم : ووصلتم في ب

ولقد كنا نحب أن لو لطفت في حمل رأس هذا الصنم ، وفي ما تعمدته من بعد هذا ، ويقدركم الله ع . ج عليه ، فتعمل على حمل رؤوسهم^(١) إلينا ، فإن في ذلك فخراً باقياً ، وتحريكاً لإخوانكم المؤمنين من^(٢) قبلنا ، وزيادة في نشاطهم ، ورجبتهم في الاجتماع معكم للتعاون على إقامة حق الله ، فقد قرب من إنجاز وعد الله لنا ما بعد ، والحمد لله لما^(٣) هو أهله ، ووليه .

وقال ع . م في ما ختم به السجل المذكور : أنفدنا إليك من أعلامنا المنصورية سبعة أعلام ، نشرها عند الاحتياج إليها ، فما نشرت على المؤمنين بموقف إلا زادهم الله بها عزاً ، وحباهم بنصره ، ولا على كافر ، ولا مشرك ، إلا أذلته بعزها ، وقهرته بقدرة المنعم علينا بما هو أهله ، عرفك الله ومن قبلك بركتها ، وأدى لكم على عدوكم ، وشفى غيظ صدورنا بكم وإخوانكم ، حتى لا يبقى على الأرض إلا من يدين بطاعة الله الأحد ، فيكون الدين لله كما وعد ، إنه لا يخلف الميعاد ، ونحن نخصك^(٤) ومن قبلك من المؤمنين بالسلام الطيب ، ورحمة الله وبركاته ، وكتب يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة بقين من شهر رمضان ، سنة أربع وخمسين وثلاثمائة ، وصلوات الله على محمد نبيه ، صفوته من بريته ، وعلى أبرار عترته ، وسلم كثيراً .

فهذا مما كان / من أخبار السند ، وظهور آيات أمير المؤمنين المعز لدين الله ، وظهور دعوته ، وعز سلطانه ومملكته ، وذلك مصداق لما روي بالإسناد عن الخولي ، عن سليمان ، وحذيفة الجاني ، يرفعونه في الرواية عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ع . م ، ان تمام أمر آل محمد (ﷺ) عند ظهور رايات تخرج من السند .

(١) رؤوسهم : رؤسها في ب

(٢) من : و في ب

(٣) لما : كما في ب

(٤) نخصك : نالك في ج

قال القاضي النعمان بن محمد^(١) (رضي) : في ما أتى عنه بعد ذكر هذا الحديث ودعوة ولي الزمان ، قد ظهرت بالسند ، وعز أوليائه ، وغلب داعيه هناك على صاحب مملكة السند فقتله ، وكان على المجوسية ، وقتل رجاله ، وهدم الصنم الذي كانوا يعبدون ، وجعل الهيكل الذي كان فيه مسجداً جامعاً ، وعز سلطانه ، وذلك بحول الله وقوته ، يشهد بإنجاز وعده ، لأوليائه على ما جاء في الخبر من ظهور آيات السند ، إذ قد ظهرت رايات السند في دعوة أولياء الله هناك ، وعز أهلها ، وظهر سلطان أولو^(٢) الزمان بها .

ذكر أمر مصر ، وخروج القائد جوهر المعزي إليها ، وما هيا الله لوليه وابن بنيه من فتحها ، والنصر عليها :

كانت مصر قد صار ملكها للأخشيدي والخطبة فيها والدعوة للخلفاء العباسيين ، فلما مات الاخشيد ، وله ولدان / صغيران صار ملك مصر وأمرها إلى عبده الأستاذ كافور ، وكان خصياً فملك أمرها ، وهو خادم لسيديه أنوجور^(٣) ، وعلو^(٤) ، ابني الاخشيد ، وكان الحل والربط والتقديم والتأخير إليه دونها ، ثم نزل بهما الموت ، وخلص الأمر لكافور^(٥) ، وعقد له المطيع العباسي على مصر دون الاخشيدي ، فهدى الله كافورا إلى ولاية الأئمة من آل الرسول ، وطاعة أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م ، فأخذ عليه العهد على يد الداعي لأمير

/ ١٨١

(١) المجالس والمسائرات للقاضي النعمان ج-٢ ص ٣٧٤ .

(٢) أولوا : ألوى في ب

(٣) هو أبي القاسم أنوجور (٣٣٤ - ٣٤٩ هـ) .

(٤) هو أبي الحسن علو (٣٤٩ - ٣٥٥ هـ) .

(٥) استبد كافور بكافة الأمور دون ولدي الإخشيد ، واستطاع أن يقضي على الثورات التي قامت في ذلك العهد (٣٣٤ - ٣٥٥ هـ) ، كما انتصر على الحمدانيين في الشام . ولا بد من الإشارة إلى أن الجنيد في عهد كافور قد انقسموا على أنفسهم إلى فريقين : فريق الإخشيدية ، الذين يناصرون بيت الإخشيد ، وفريق الكافورية ، الذين يتشبعون لكافور ؛ واحتاحت المجاعة مصر ، ودب الفساد فيها ، قبل وفاة كافور في جمادي الأولى ٣٥٧ هـ .

المؤمنين بمصر ، ودخل في الدعوة ، وكتب أمير المؤمنين المعز لدين ع . م بالطاعة له ، والعمل بأمره ، فأمره أمير المؤمنين ع . م بالإبتداء بالعمارة في قصر القاهرة ، فخرج إلى حيث رسم أمير المؤمنين ع . م فوجد فيه أساس بناء قديم ، فشرع في عمارته^(١) وأخذ في البناء ، ثم أتته الوفاة وهو في أول العمارة ، رحمة الله عليه .

وبلغت وفاته أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م فترحم عليه ، وتوسل إلى الله تعالى في المغفرة له ، واجتمعت الإخشيدية ، والكافورية ، وأعوان مصر ، حين وفاة كافور الأستاذ ، فعقدوا الولاية / في مصر وأعمالها لعلي بن أحمد الإخشيد^(٢) ، وعمره يومئذ إحدى عشر سنة ، على أن يخلف ابن عم أبيه الحسن بن عبد الله بن طنج . وثار القرامطة بالشام ، واضطرب أمر مصر ، وقبض الحسن ابن عبد الله على الوزير جعفر بن الفضل ، واجتمع الأولياء ، وجماعة من وجوه أهل مصر معهم ، فكتبوا إلى أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م يستدعونه لإنفاذ العساكر إليهم ، ويذكرون له قوة الروم والإفرنج من النصارى والمشركين ، وجماعة القرامطة بالشام ، وضعف أهل الإسلام ، ويستغيثون به ، ويستصرخونه .

وكان جوهر القائد قد اعتل علة عظيمة أشرف^(٣) فيها على الهلاك ، ويشس من برئه ، فقال المعز لدين الله ع . م : لا تغتموا لأجله ، ولا تخشوا عليه ، فإنه سيراً من علته ، ويفتح^(٤) الله مصر على يديه ، فعوفي القائد من علته تلك ، وكان

(١) عمارته : عمرت من ب

(٢) اضطربت أحوال مصر بعد وفاة كافور ؛ فلم يكن الخليفة العباسي المطيع (٣٣٤ - ٣٦٣هـ) من القوة بحيث يستطيع أن يولي على مصر من يشاء . لذلك اجتمع رجال البلاط الإخشيدية لاختيار شخص تتفق ميوله مع مشاربهم ، فوقع الإختيار كما يذكر المقرئزي ، على أبي الفوارس أحمد بن علي الإخشيد ، ولم يكن قد تجاوز الحادية عشرة من عمره ، وجعل الحسن بن عبید الله بن طنج ولي عهد وخليفته . خطط المقرئزي جـ ٢ ص ٢٧ .

(٣) أشرف : أشفى في ب

(٤) ويفتح : ويستولي في ب

برؤه أول أمارات الفتح ، وبشارات النصر .

وقد ذكر القاضي ابن خلكان في تاريخه قال^(١) : كان المعز يقول لعلي بن
القاضي النعمان ، أنت قاضي مصر ، فقال ابن خلكان ، فوافق / بذلك / ١٨٣
المقدور ، وكان ذلك من المعز استشرافاً للأمر ، ورجاء له ، ولم يعلم ابن خلكان
ان ذلك من علم النبوة ، وما ورث عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، عن
رسول الله ع . م مما نبأه به الروح الأمين عن رب العالمين ، فقد قال أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب ع . م : ما من فئة تهدي مائة وتضل مائة إلا وأنا أعرف قائدها
وسائقها ؛ وذلك العلم متوارث بين ذريته ، وباق في عترته ، ولن يخلي أرضه ممن
يقوم بحجته^(٢) .

وحين وردت وفاة كافور إلى الإمام المعز لدين الله ع . م ، وكتب الأولياء ،
ووجه أهل مصر ، أخذ في تجهيز العساكر وجمعها ، وقدم القائد جوهر عبده على
جميعها ، فبرز جوهر بالعساكر إلى رقادة . قال الحسن بن زولاق في سيرة جوهر :
فخرج جوهر القائد في أكثر من مائة ألف ، وبين يديه أكثر من ألف ومائتي صندوق
من المال في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة . قال : وكان أمير المؤمنين المعز لدين الله
ع . م يخرج إلى جوهر في كل يوم / ويخلو به ، وأمره أن يأخذ من فنون الأموال ما
يريد زيادة على ما أعطاه^(٣) . / ١٨٤

قال صاحب سيرة جوذر مولى الأئمة صلوات الله عليهم أجمعين : وحين

-
- (١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٥٦ .
(٢) يقول المقرئ في خططه ج ١ ص ٣٧٨ بأن المعز لدين الله قد خاطب زعماء المغرب
فقال : « والله لو خرج جوهر هذا وحده لفتح مصر ؛ ولتدخلن مصر بالأردية من غير
حرب ، وتزلن في خرابات ابن طولون ، وتبني مدينة تسمى القاهرة ، تقهر الدنيا .
(٣) بدأ الإمام المعز في إعداد حملته منذ ٣٥٦ هـ ، فأقام الطرق وعندها بين تونس ومصر ،
وحفر الآبار ، وأنشأ النزل على طول الطريق . كما أعد الأموال الضخمة للإنفاق على
حملته ، وأجزل العطايا والمنح للمغاربة ، ولا سيما الكتاميين الذين كونوا العنصر الرئيسي في
هذه الحملة . ابن أبي دينار : المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ص ٦٢ .

تصرف مولانا المعز ع . م خراج العساكر إلى المشرق ، واحتاج إلى الإنفاق في ذلك ، فاقترضت أمانة الأستاذ جوذر إلى ذكر^(١) ما توفر عنده من حسن نظره في شيء باعه من الخزائن ، واستخرج^(٢) بقايا الأموال (على ما)^(٣) أضاف إلى ذلك من مال نفسه عملاً وتقرباً ، وكان مبلغ ذلك مائة ألف دينار (من الذهب)^(٤) وإثنان وعشرون ألف درهم بعث بذلك إلى مولانا المعز لدين الله ع . م ، فأجابه مولانا ع . م عن جواب كتاب كتبه إليه في شرح ذلك بما هذه نسخته^(٥) : يا جوذر وقفنا على ما ذكرته ، فاسأل الله أن يهبك من رضاه ، وحنانه ومغفرته ما يستغرق أملك ، وأن يحسن إليك ويحسن عنا جزاءك ، ويكشف ضرك حتى تشاهد معنا حج بيت الله الحرام ظاهراً كما حججته باطناً ، وترى في مخازننا من الأموال الحلال ما يكون لنا الأجر في جمعه عند الله ، وخزي لأعدائنا في الدنيا ، فما يعبد الناس غير الجهاد ، والذي يلزمنا من الإخراج فهو والله شيء لو كان من ماء البحر لكان عجباً ، ولا موثراً علينا^(٦) بل / الكل أعوان على التمزيق والإخراج ، وقد تدخلنا في ما لا يمكننا التقصير عن بلوغ الغاية فيه ، فاسأل الله أن يتقبل ذلك منا ، ويجعله لوجهه خالصاً وبقاء هذا الذي ذكرته من الأموال عندك مما تقربت به ، قبل الله سعيك وأجزل من رضاه أوفر حظك فاحوط عليه من غيرك فابقه عندك إنشاء الله .

/ ١٨٥

وركب أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م يوماً إلى المعسكر ، وجلس في فارة جوهر ، وجوهر قائم بين يديه ، وقال للمشايخ الذين أخرجهم مع جوهر القائد :

-
- (١) إلى ذكر : سقطت في ب
 - (٢) واستخرج : خراج في ب
 - (٣) على ما : مع ما في ب
 - (٤) من الذهب : سقطت في ج
 - (٥) سيرة الأستاذ جوذر ص ٩٣
 - (٦) علينا : إلينا في ب

والله لو خرج جوهر بسوطه لفتح^(١) مصر ؛ ولتدخلن^(٢) إلى مصر آمنين بالأردية
تسلمون على أهل مصر ، ولينزلن جوهر في خرابات ابن طولون ، وبيتتي مدينة
القاهرة ، تقهر الدنيا^(٣) . ثم تقدم المعز لدين الله ع . م إلى جوهر بالمسير ، فرفع
من غده ، وخرج إليه أمير المؤمنين ع . م إلى رقادة ، ووقف على فرسه ، وقد
رفعت فاقة جوهر والخيم ، فوقف جوهر بين يديه ، وهو على فرسه مكباً عليه
بيساره ، ثم التفت المعز ع . م إلى أولاده ، فقال : ودعوا جوهر . فنزلوا ونزل
أهل الدولة لنزولهم^(٤) فودعوه ، فلما فرغ السوداع / قبل جوهر يد أمير
المؤمنين المعز لدين الله ع . م ، ورجله وحافر دابته ، ثم قال له أمير المؤمنين
ع . م : اركب . فركب فرساً ووقف ركباً ، وأمير المؤمنين ع . م يوصيه ويحدثه ،
وهو على فرسه [وجوهر راكب طويلاً^(٥)] ثم وقف أمير المؤمنين ع . م وقال له :
سر! فسار جوهر والتفت والمعز لدين الله ع . م قائماً ، ثم أشار ع . م بكفه أن
سر ، فحول القائد وجهه يريد العسكر ، ورجع أمير المؤمنين ع . م إلى قصره ،
ونزع^(٦) أمير المؤمنين ع . م الخلعة التي كانت عليه ، وأنفذها إلى جوهر ، إلا
السرراويل ، والخاتم^(٧) .

/ ١٨٦

وكان خروج القائد من أفريقية يوم السبت الرابع عشر من شهر ربيع الأول
سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة^(٨) ، وقال محمد بن هاني الأندلسي يمدح القائد جوهر ،
ويذكر توديعه ، وتشيعه ، ويصف الجيش ، من قصيدة طويلة :

(١) لفتح : ليفتح في ب

(٢) ولتدخلن : ليدخلن في ب

(٣) الدنيا : سقطت في ب

(٤) لنزولهم : لنزولهم في ب

(٥) وجوهر راكب طويلاً : وركب طويلاً في ج

(٦) ونزع : لنزع في ب

(٧) وتتجلى ضخامة هذه الحملة الفاطمية مما ورد على لسان أحد المصريين ، الذي قال فيها : إنها
مثل عرفات كثرة وعدة . المقريري : اتعاظ الحنفا ص ٧١ .

(٨) قيل بأن مسير جوهر كان في شهر ربيع الثاني من سنة ٣٥٨ هـ .

رَأَيْتُ بَعِينِي فَوْقَ مَا كُنْتُ أَسْمَعُ
 غَدَاةَ كَأَنَّ الْأَفْتَقَ سُدًّا بِمِثْلِهِ
 فَلَمْ أَدْرِ إِذْ سَلَّمْتُ كَيْفَ أُشِيعُ
 وَكَيْفَ أَخْوِضُ الْجَيْشَ وَالْجَيْشُ لُجَّةٌ

وإني بمن قد [قاد ذا الجيش] (٢) مولع /

وَأَيْنَ وَمَا لِي بَيْنَ ذَا الْجَيْشِ (٣) مُسَلِّكٌ
 أَلَا إِنَّ هَذَا حَشْدٌ مِنْ لَمْ يَذُقْ لَهُ
 فَلَا عَسْكَرٌ مِنْ قَبْلِ عَسْكَرِ جَوْهَرٍ
 تَسِيرُ الْجِبَالُ الْجَامِدَاتُ بِسَيْرِهِ
 إِذَا حَلَّ فِي أَرْضٍ بَنَاهَا مَدَائِنًا
 إِلَى أَنْ تَبْدَى سَيْفٌ دَوْلَةَ هَاشِمٍ
 كَأَنَّ ظِلَالَ الْخَافِقَاتِ أَمَامَهُ
 كَأَنَّ السِّيُوفَ الْمُصَلَّتَاتِ إِذَا طَمَّتْ
 كَأَنَّ أَنْبَابَ الصُّعَادِ أَرَاقِمُ
 كَأَنَّ الْعِتَاقَ الْجُرْدَ مَجْرَبَةً لَهُ
 كَأَنَّ الْكُمَاةَ الصَّيْدَ لَمَّا تَغَشَّمَتْ (٧)
 كَأَنَّ حِمَاةَ الرَّجُلِ تَحْتَ رِكَابِهِ

ولا لجوادي في البسيطة موضع
 عِرَارَ الْكِرَى جَفْنٌ وَلَا بَاتَ يَهْجَعُ
 تَحْتَبُ الْمَطَايَا فِيهِ عَشْرًا وَتَوْضِيعُ
 وَتَسْجُدُ مِنْ أَدْنَى الْحَفِيفِ وَتَرْكَعُ
 وَإِنْ سَارَ عَنْ أَرْضٍ ثَوَتْ وَهِيَ بَلْقَعُ
 عَلَى وَجْهِهِ نَوْرٌ مِنْ اللَّهِ يَلْمَعُ (٤)
 غَمَائِمٌ نَصْرٍ اللَّهُ لَا تَتَّقَسَعُ
 عَلَى الْبَرِّ بَحْرٌ زَاخِرٌ الْمَوْجُ (٥) مَتْرَعُ
 تَلَمَّظُ فِي أَنْبَابِهَا السَّمُّ مُنْقَعُ
 ظِبَاءٌ (٦) ثُنْتُ أَجْيَادَهَا تُثْلَعُ
 حَوَالِيهِ أَسَدُ الْفَيْلِ لَا تَتَكَعَمُ (٨)
 سَيُولُ نِدَاهُ (٩) أَقْبَلْتُ تَتَدْفَعُ (١٠)

(١) الحشد : الحشر في ديوان ابن هاني الأندلسي منشورات صادر صفحة ١٩٢ .

(٢) قاد ذا الجيش : قاده الدهر في الديوان ص ١٩٢

(٣) الجيش : الجمع في الديوان

(٤) يلمع : يسطع في الديوان ص ١٩٣

(٥) الموج : أليم في ب

(٦) ظباء : طبأ في ب

(٧) تغشمت : تغشمت في ب

(٨) تتكعم : تتلعلع في ب

(٩) نداء : به وفي ب

(١٠) تتدفع : تشلع في ب

١٨٨ / يهيج^(١) وسواس البُرين صبابةً
لقد جلّ من يقتاد الجيش^(٢) كله
تحف به القواد والأمر أمره
ويسحب أذيال الخلافة رادعاً
له حلل الإكرام خص بفضلها
برود أمير المؤمنين بروده
وبين يديه خيله بسروجه
وأعلامه مثورة وقيابه
ملك ترى الأملاك دون بساطه
قياماً على إقدامها قد تنكبت
تحل بيوت المال حيث يحله
إذا ماج أطناب السرادق بالضحي
وسل سيف الهند حول سريره
رأيت من الدنيا إليه منوطة

أسارى ملوك عضها القيد ضرع
تجاوب أصداء الفلا ترجع
عليها فتخرى بالحنين وتولع /
وكل له من قائم السيف أطوع
ويقدمه رأي الخلافة أجمع
به المسك من نشر الهدى يتضوع
نسائج بالتبر الملمع^(٣) تلمع
كساة الرضى منهن ما ليس يخلع
يقاد عليهن النضار المرصع
وحجابه تدعى لأمر فتسرع
وأعناقهم^(٤) ميل إلى الأرض خضع
صوارمها كل يطيع ويخضع
وجم العطايا والرواق المرفع
وقامت حوالبه القنا تتزعزع^(٥)
ثمانون ألفاً^(٦) دارع ومقنع
فيمضي بما شاء القضاء ويصدع

وقال أيضاً من قصيدة وقد رجع من تشييع العسكر ، وأنشدها بحضرة أمير

المؤمنين وهو يصف التخلف عن المسيرة^(٧) :

(١) يهيج : تعج في ب

(٢) الجيش : الخلق في الديوان ص ١٩٤ .

(٣) الملمع : المشهر في ب

(٤) وأعناقهم : وعناقهم في ب

(٥) تتزعزع : سقطت في ب

(٦) ألفاً : سقطت في

(٧) ديوان ابن هاني الأندلسي منشورات صادر ص ٣٠٩ .

١٨٩ / فشيّعت جيش النصر تشييع مُزْمَعٍ /

وقد كدت لا ألوي على من تركته
ولو أنتي استأثرت بالإذن وحده
طربت إلى يوم أوفيه حقه
أصب إلى مصر لساعة مشهده
فإن لم أشاهد يومها ملء ناظري
وقد صورت نفسي لي الفتح صورة
كذاك إذا قام الدليل لذي النهي
على أنني قضيت بعض مآربي
وآستت من أنصار دولة هاشم
ويملت^(٤) في طرق الجهاد سبيلهم
وفارقتهم لا مؤثراً لفراقهم
[فلله ماضم^(٥)] السرايق والتقت
فشم مصابيح الظلام وشيعة ال
وفي الجيش ملآن به الجيش باسط
مدبر حرب لا بخيل بنفسه /

١٩٠ /

ولا صارف راياته عن محارب
وللصارخ^(٦) الملهوف أول ناصر
رضاك ابن وحى الله عنه فإنه
إذا اختلفوا في الأمر آلف بينهم

وودعته توديع^(١) غير مُصارم
ولكن عداني ما نسي من عزائي
لسيرت ولم أحفل بلومة لائم
ليعلم أهل الشعر كيف مُقوامي
يعض لها عيائها بالأباهم
أشاهده ملء السمع ملء الحيازم
وشامته لي من غير نظرة^(٢) شائم
على كون شيء كان ضربة لازم
وأقررت عيني بالجيوش الخضارم
جحاجة^(٣) تسعى لدولة هاشم
لاصلى كما يصلون لفح النسائم
ولا مستخفاً بالحقوق اللوازم
عليه ظلال الخافقات الحوائم
إمام وأسد المازق المتلاحم
يديه بقسطاس من العدل قائم
عليها ولا مستأثر بالغنائم
ولا مُمسك معروفه عن مُسالم
وللمترف^(٧) الجبار أول قاصم
رعى أولياء الله رعي السوائم
طبيب بأدواء النفوس السقائم

(١) توديع : تودع في ب

(٢) نظرة : ناظر في ب

(٣) جحاجة : جحاجة في ب

(٤) ويمت : وهممت في ب

(٥) فله ماضم : والله ما غنم في ب

(٦) وللصارخ : صارخ في ب

(٧) وللمترف : وللفرف في ج

فلا رأيه في حالة يَتَّبِعُ الهوى
 جَزَتْهُ^(١) جَوَازِي الخَيْرِ عَنْهُمْ فَإِنَّهُ
 فقد سارَ فِيهِمْ سيرةً لم يسِرْ بها
 أفاءَ عليهم^(٢) ضلَّ أَيامَكَ التي
 وما غال جيش الشَّرْقِ قَبْلَكَ غَائِلٌ
 وبعدَ صَلَاتِ^(٥) ما رأى النَّاسُ مِثْلَهَا
 فلا يسألُنِي مَنْ تخَلَّفَ عَنْهُمْ
 لِعَمْرِي هم أنصارُ حَقِّ فَكُلُّهُمْ
 لقد أظهروا من شكري نعمة ربِّهم
 وإني قد حُمِلْتُ مِنْهُمْ نَصَائِحاً
 إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَمَلَتْهَا / ١٩١
 شَهِدْتُ بما أَبْصَرْتَهُ وَعِلِمَتُهُ
 فَقُمْتُ بِهَا عَنِ ألسِنِ القَدَمِ خُطْبَةً
 ولا سَمِعُهُ مُسْتَوْقِفٌ لِلنَّمَائِمِ
 سقاها بِشَوْبُوبٍ مِنَ العَلِّ^(٦) ساجم
 مِنَ النَّاسِ إِلَّا مِثْلُ كَعْبٍ وَحَاتِمِ
 زُهَيْنِ^(٤) بِأَيامِ العُلَى والمكارم
 ولا سِيَّما بعدَ العَطَايا الجسائم
 ولا حَدَّثُوا^(٦) في السالِفِ المُتَمَدِّمِ
 فَيَقْرَعُ في آرائِهِ سِنَّ^(٧) نادِم
 مِنَ المَجْدِ في بَيْتِ رَفِيعِ الدَعَائِمِ
 وقائِدِهِم ما لَسْتُ عَنْهُ بِنائِمِ
 كرائِمِ تُهْدِي عَنِ نفوسِ كرائِمِ
 ودائِعِ كما الأموالِ تَحْتَ الخواتِمِ /
 شَهادَةَ بَرٍّ لا شَهادَةَ آئِمِ
 إذا ذُكِرَتْ لَمْ تُخْزِهِم في المَواثِمِ^(٨)

وسار جوهر بعساكر أمير المؤمنين وجيوشه حتى انتهى إلى برقة ، فتلقاه
 عاملها من قبل أمير المؤمنين ، حتى انتهى أفلح الناشب مترجلاً ماشياً ، وكان أمير
 المؤمنين قد تقدم إليه بذلك .

قال ابن حوقل البغدادي^(٩) : برقة بالفتح مدينة وسطة بين مصر والقيروان ،

(١) جزته : جزية في ب

(٢) العذل : الغيث في ب

(٣) أفاء عليهم : أفاعيلهم في ب

(٤) زهين : رهين في ج

(٥) صلوات : صلوات في ب

(٦) حدثوا : سمعوا في ب

(٧) سن : من في ب

(٨) ديوان ابن هاني الأندلسي من منشورات صادر ص ٣١٢ .

(٩) المسالك والممالك ج ٢ ص ٢٢ .

برية ، بحرية ، جلييلة ، ذات مال جم ، وضروب تجارة ، وشرب أهلها من برك يستنقع فيها ماء المطر ، ذات كور عامرة في بقعة فسيحة ، مسيرة يوم في مثله ، ويحيط بالبقعة جبل من سائر جهاتها ، وأرضها حمراء التربة ، وثياب أهلها حمراء بها يعرفون بذلك ، وحوها بربر كثيرة ، وكان برقة قد وكان البلاد واستعمل الجهاد لمن خالف أمير المؤمنين من البربر وغيرهم^(١) ، ومن يلي مصر من القبائل كبني قرة ، وسواهم من الأعراب ، وفي ذلك يقول محمد بن هانيء من قصيدة يمدح بها^(٢) .

١٩٢ / إنا وجدنا فتح مصر آخراً^(٣) بك دان ملك المشرقين وأهله
 وأناب بعد النكث والخلعان [لك ذكره]^(٤) في سالف الأزمان / فبعزمتك انهدت قوى أركانها
 وطأت بالغارات مركب عزها^(٥) والجيش حتى ذل للرهبان
 فإليك ينسب حيث كنت وإنما^(٦) فخر الصلي لقادح النيران
 عصفت على الأعراب منك زعازع^(٧) سفكت دم الأقران بالأقران
 ما قر أعين آل قرة مذ سقوا بك ما سقوه من الحميم الأنبي
 أخلى البحيرة منهم والبيد ما خسف الصعيد بشدة الرجفان
 وقبيلة قتلتها وقبيلة^(٨) أنكلتها في الأعطان

(١) قيل بأن الإمام المعز لدين الله قد أنفق على إعداد جيوشه التي غزت مصر بقيادة جوهر الصقلي أربعة وعشرين مليون دينار ، عدا ما حمله ألف رجل من الذهب الذي رصد للإنفاق على هذه الحملة .

(٢) قال هذه القصيدة في مدح أفلح الناشب عامل برقة .

(٣) آخراً : أجراً لك في ب

(٤) لك ذكره : أولها في ب

(٥) عزها : أهلها في ب

(٦) وإنما : فرب في ب

(٧) زعازع : زعابح في ب

(٨) أنكلتها : نكلتها في ب

فَشَغَلَتْ أَهْلَ الْخَيْمِ^(١) عَنْ تَطْيِيبِهَا وَأَسْمَتَهُمْ شِرْدًا مَعَ الظُّلْمَانِ
وَسَمَّتْ إِلَى الْوَاحَاتِ خَيْلِكَ ضُمْرًا حَتَّى [انْتَهَتْ قُدْمًا إِلَى]^(٢) أَسْوَانِ

ووردت الأخبار إلى مصر بمسير جوهر في الجيوش المعزية ، والجنود ،
والعساكر المغربية ، فبهتوا وهلعوا ، وانفق وجوههم وأمرأهم ، جعفر^(٣) بن
الفضل^(٤) الوزير ، وكان الحسين بن عبد الله بن طنج قد أطلقه ، وقلده أمر
مصر ، وعاد إلى الشام ، فشاور جعفر الجماعة فكلهم رأى المراسلة إلى جوهر
بالصلح ، والأمان ، ولم يختلف في ذلك منهم إثنان ، فعندها طلبوا الشريف
/ ١٩٣ / أبا جعفر مسلم بن عبد الله الحسيني أن يكون رسولهم إلى القائد ،
ومتوسطاً بينهم وبينه في الصلح ، فأجابهم إلى ذلك ، وشرط أن يكون معه
الشريف ابراهيم بن أحمد الحسيني الرسي ، وأبو الطيب العباس بن محمد
العباسي ، والقاضي بمصر أبو الطاهر ، فطلبهم جعفر بن الفضل ، وأمرهم بالمسير
إلى جوهر مع الشريف مسلم بن عبد الله الحسيني ، وكتب ابن الفضل الوزير كتاباً
إلى جوهر القائد بما يريد ، وكتب كذلك الجماعة .

وسار مسلم في من معه إلى القائد ، يوم الإثنين لإحدى عشرة ليلة بقيت من
رجب سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، فوصلوا إلى القائد وهو في تروجة^(٥) فادوا إليه

(١) الخيم : الخير في ب

(٢) إنتهت قوماً إلى : أتحت بها على في ب

(٣) جعفر : محضر في ب

(٤) هو جعفر بن الفرات الوزير الذي أعلن أنه لا طاقة له بمقاومة هذه الجيوش الكثيفة ، وأنه
يجب أن يسالم الفاطميين . واضطرب أهل الفسطاط قاعدة مصر في ذلك الحين ، وقد
حملهم ذلك الاضطراب على الاتفاق مع القائد جوهر ، ولذلك عملوا على اختيار الوزير
جعفر بن الفرات وبعض العلويين من ذوي المكانة في مصر ، للتفاوض بشأن الصلح .

(٥) تروجة : قرية من الإسكندرية ويقال بأن خروج الوفد من الفسطاط كان في ١٨ من رجب
سنة ٣٥٨ هـ . وأن القائد جوهر كان على اتصال سري مع ابن الفرات ، وإن أعضاء الوفد
حين خرجوا من الجيزة ، لم يتأخر عن تشييعهم قائد ولا كاتب ولا عالم ، ولا شاهد ولا
تاجر . اتعاظ الحنفا للمقريري ص ٦٧ .

ما به أرسلوا ، فأجابهم بما طلبوا ، وأسعفهم بجميع ما سألوا ، وكتب لهم كتاباً
هذا نصه^(١) :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من جوهر القائد عبد أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م ، لجماعة
أهل مصر ، والساكنين بها من غيرها ؛ إنه ورد من سألتموه الترسل إليّ ، والاجتماع
معى ، وهم الشريف أبو جعفر أطال الله بقاءه ، وأبو إسماعيل الرسي أيده الله ،
وأبو / الطيب الهاشمي أيده الله ، والقاضي أعزه الله ، فذكروا عنكم أنكم / ١٩٤
التمستم كتاباً يشتمل على أمانكم في أنفسكم وأموالكم وبلادكم ونعمكم وجميع
أحوالكم ؛ فعرفتهم ما نفذ به أمر مولانا ع . م ، وحسن نظره لكم فلتحمدوا الله
على ما أولاكم ، وتشكروه على ما حباكم ، تدأبوا فيما يلزمكم ، وتسارعوا إلى
طاعته العاصمة لكم ، العائدة بالسعادة المفضية بالسلامة لكم ؛ وهو أنه ع . م لم
يكن إخراج العساكر المنصورة ، والجيش المظفرة ، إلا لما فيه إعزازكم وحمايتكم
والجهاد عنكم ؛ إذ قد تخطفتكم الأيدي ، واستطال عليكم المشرك ، وأطعمته
نفسه بالإقتدار على بلادكم في هذه السنة ، والتغلب عليكم ، والإحتواء على
نعمكم وأموالكم ، حسب ما فعله في غيركم من أهل بلدان الشرق ؛ وتأكد عزمه
واشتد كلبه^(٢) ، وعاجله مولانا وسيدنا أمير المؤمنين ع . م بإخراج العساكر
المنصورة ، وبإبادة الجيوش المظفرة ليقاتله دونكم ، ويجاهده عنكم ، وعن
كافة المسلمين ببلدان الشرق ، الذين عمهم الخزي ، وغلبتهم الذلة ، واكتفتهم
المصائب ، وتتابعت لديهم الرزايا ، واتصل عندهم الخوف ، وكثرت / ١٩٥
استغاثتهم وعظم ضجيجهم ، وعلا صياحهم ، فلم يغنهم إلا من أرمضه
أمرهم ، وأمضه حالهم ، وأبكى عينه ما نالهم ، وأسهره ما حل بهم ، وهو مولانا

(١) نشر نص هذا الكتاب أو العهد إلى المصريين في كتاب اتعاظ الخنفا للمقريزي ص (٦٧ -
٧٠) .

(٢) يعني بذلك الدولة البيزنطية . اشتد كلبه : أي اشتد طعمه .

وسيدنا أمير المؤمنين ع . م ، ورجا بفضل الله وإحسانه لديه ، وما عوده وأجراه عليه ، [إستنقاذ من أصبح منهم في ذل مقيم ، وعذاب اليم ؛]^(١) وأن يؤمن من استولى عليه المهمل ، ويفرج روع من لم يزل في خوف ووجل ، وأثر إقامة الحج^(٢) الذي تعطل ، وأهمل العباد فروضه وحقوقه ، للخوف المستولي عليهم ؛ ولا يؤمنون على أنفسهم ولا على أموالهم ؛ إذ قد أوقع بهم مرة بعد أخرى ، فسفكت دماؤهم ، وابتزت أموالهم ، مع اعتماد ما [جرت به عادته من]^(٣) صلاح الطرقات ، ونفي الفساد عنها ، وقطع عبث العابثين فيها ، ليطرق الناس آمنين ،^(٤) ويسيروا مطمئنين ، ويتحفوا بالأطعمة والأقوات ، إذ كان قد انتهى إليه ع . م ، إنقطاع طرقاتها ، لخوف مارتها ، إذ لا زاجر للمعتدين ولا دافع للظالمين ؛ ثم تجويد السكة ، وصرفها إلى العيار^(٥) الذي عليه السكة الميمونة المنصورية المباركة وقطع الغش منها ، إذ كانت هذه الثلاث خصال ، هي^(٦) التي لا ينبغي لمن / ينظر في أمور المسلمين وإلا إصلاحها ، واستفراغ الوسع في ما يلزمه منها ؛ وما أوعز به سيدنا ومولانا أمير المؤمنين ، إلى عبده^(٧) من بسط العدل ، وإظهار الحق ، وحسم الظلم ، وقطع العدوان ، ونفي الأذى ، ورفع المؤن ، والمساواة في الحق ، وإغاثة المظلوم ، ودفع الظلوم ، وإيثار الحق ، والتقريب والإشفاق ، وجميل النظر ، وكريم الصحبة ، ولطيف العشرة ، وافتقاد الأحوال ، وحياطة أهل البلد في ليلهم ونهارهم وحين تصرفهم في أوان [ابتغاء معاشهم]^(٨) حتى لا تجري أمورهم إلا على ما لم شعئهم ، وأقام أودهم ، وأصلح

(١) سقطت الكلمات المحصورة في ب

(٢) الحج : الحق في ب

(٣) جرت به عادته من : ما عاد به في ب

(٤) آمنين : ينبسطوا في ب

(٥) العيار : العيان في ب

(٦) خصال هي : الخصال في ب

(٧) عبده : عبيد في ب

(٨) إبتغاء معاشهم : إبتعاتهم في ب

بالم ، وجمع قلوبهم ، وألف كلمتهم على طاعة ولي الله ، مولانا وسيدنا أمير المؤمنين ع . م ، وما أمر به مولانا من إسقاط الرسوم الجائرة التي لا ترضي [صلوات الله عليه ^(١)] بإثباتها عليكم ، وأن أجريكم في الموارث على كتاب الله وسنته نبيه (ﷺ) ، [وأضع ما كان ^(٢)] يؤخذ من تركات ^(٣) موتاكم بيت ^(٤) المال من غير وصية من المتوفى بها ، ولا استحقاق / لمصيرها لبيت المال . وأن أتقدم في رم مساجدكم وتزينها بالفرش والإيقاد ، وإعطاء مؤذنيها وقومتها ومن يؤم الناس فيها أرزاقهم ، وأدرها عليهم ، ولا أقطعها عنهم ، ولا أدفعها إلا من بيت المال ، لا بإحالة على من يعطى منهم .

وعندما ذكر عبد مولانا أمير المؤمنين ع . م مما ضمنه كتابه هذا ، من ترسل عنكم ، أيدكم الله وصانكم أجمعين ، من طاعة مولانا وسيدنا أمير المؤمنين ع . م من أنكم ذكرتم وجوهاً التمستم ذكرها في كتاب أمانكم ، وذكرتها اجابة لكم ، وتظميناً لأنفسكم ؛ بل لم يكن لذكرها معنى ، ولا نشرها فائدة ، إذ كان الإسلام سنة واحدة ، وشريعة متبعة ، وهي إقامتكم على مذهبكم ، ومذاهب المسلمين ، وأن تتركوا على ما كنتم عليه من أداء المفروض ^(٥) في العلم ، والاجتماع عليه في مساجدكم وجوامعكم ، وثباتكم ^(٦) على ما كان عليه سلف الأمة ، / من الصحابة رضي الله عنهم ، والتابعين من بعدهم ، وفقهاء الأمصار الذين جرت الأحكام لمذاهبهم وفتواهم ؛ وأن يجري فرض الأذان والصلاة وصيام شهر رمضان وفطره وقيام ^(٧) لياليه ، والزكاة والحج والجهاد على ما أمر الله تعالى في كتابه ، وفرضه

-
- (١) صلوات الله عليه : سقطت في ب
(٢) وأضع ما كان : واضح ما في ب
(٣) تركات : تركه في ب
(٤) بيت : لبيت في ب
(٥) المفروض : الفرض في ب
(٦) وثباتكم : وقبائلكم في ب
(٧) وقيام : وفنون في ب

محمد رسول الله (ﷺ) في سنته ؛ وأجرى أهل الذمة على ما كانوا عليه . ولكم عليّ أمان الله التام الدائم ، المتصل الشامل الكامل ، المتجدد المتأكد على مرور الأيام ، وكرور الأعوام ، في أنفسكم وأموالكم ، وأهليكم ونعمكم وضياعكم ورباعكم ، وقليلكم وكثيركم ، وعلى أن لا يعترض عليكم معترض ، ولا يتجنى عليكم متجن ، ولا يتعقب [عليكم معقب :]^(١) وعلى أنكم تصانون وتحفظون وتحرسون ويذب عنكم ، ويمنع منكم ؛ فلا يتعرض إلى أذاكم ، ولا [يسارع أهل في الإعتداء]^(٢) عليكم ، ولا في الإستطالة على قويكم ، فضلاً عن ضعيفكم ؛ وعلى ألا أزال^(٣) مجتهداً في ما يعمكم صلاحه ، ويشملكم^(٤) نفعه ، ويتصل بكم خيره ، وتعرفون بركته ، وتغتبطون منه بطاعة مولانا وسيدنا أمير المؤمنين ع . م . ولكم عليّ الوفاء بما ألزمته نفسي وأعطيتكم إياه ، من عهد الله وخليط ميثاقه وذمته ، وذمة أنبيائه ورسله ؛ وذمة الأئمة موالينا / آباء مولانا أمير المؤمنين ، قدس الله أرواحهم ، وذمة مولانا وسيدنا أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م ، وذمة عبده وملكه ، على أنكم تظهرون طاعة مولانا وسيدنا أمير المؤمنين ع . م ، وتصرحون بها ، وتعلنون بالإنصراف إليها ؛ وتخرجون إليّ ، وتسلمون عليّ ، وتكونون^(٥) بين يدي إلى أن أعبّر الجسر ، وأنزل في المناخ المبارك ؛ وتحفظون وتحافظون من بعد على الطاعة وثابرون^(٦) عليها ، وتسارعون إلى فروضها ، ولا تخذلون ولياً لمولانا وسيدنا أمير المؤمنين ع . م ، ولا تنصرون له عدواً ، وتقيمون على ما عوهدهتم^(٧) عليه ، وتلزمون ما أمرتم به ، وفقكم الله وأرشدكم أجمعين ! وبخط جوهر كان هذا الأمان في شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وصلى الله على

(١) عليكم معقب : لديكم معقد في ب

(٢) يسارع أحد في الإعتداء : ولا تساعد أحداً من الإعتداء في ب

(٣) ألا أزال : أن لا أزل في ب

(٤) ويشملكم : وتشملكم في جـ

(٥) وتكونون : وكانوا في ب

(٦) وثابرون : وثابر في ب

(٧) عوهدهتم : عاهد في ب

محمد ، وعلى آله الطيبين الأخيار .

وكتب القائد أيضاً بخطه : قال جوهر القائد عبد أمير المؤمنين ع . م وعلى آبائه الطاهرين ، وأبنائه الأكرمين ، كتب هذا الأمان على ما نفذ به أمر مولانا وسيدنا أمير المؤمنين على الوفاء^(١) لمن أجاب من أهل البلد وغيرهم ، على ما شرطته ، والحمد لله رب العالمين ، وحسبي الله ، ونعم الوكيل ، وصلى الله على محمد نبيه ، وعلى / آله الطيبين ، وكتب جوهر بخطه بالتاريخ المذكور ، وكتب الشهود خطوطهم ، وهم : الشريف أبو جعفر مسلم بن عبد الله الحسيني ، والشريف أبو إسحاق بن إبراهيم بن أحمد الحسيني الرسي ، وأبو الطيب العباس بن أحمد الهاشمي ، والقاضي أبو طاهر محمد بن أحمد ، وإبنة أبو يعلى محمد بن محمد ، وأبو بكر محمد بن مهلب ، وأبو محمد عمرو بن الحارث المالكي ، وأكرم القائد جوهر نزل الجماعة ، وكانوا في ضيافته ، وكان يتلقى الشريف أبا جعفر إذا جاء إليه ، ويخرج معه إذا انصرف من عنده ، إلى أن يركب^(٢) .

وكانت الإخشيدية والكافورية ، بعد مسير الرسل إلى القائد جوهر ، قد ندموا على الصلح ، وعزموا على القتال ، وأخذوا في تعبئة العساكر ، وأخرجوا مضاربهم^(٣) ، واتصل بالشريف مسلم والجماعة الذين معه ، وهم عند القائد جوهر ، انتقاض الصلح ، وما عزم عليه أهل مصر من القتال ، وكتبوا عن القائد خوفاً من أن يعتقلهم ، وبادروا لتوديعه فأجازهم ، وخلع عليهم وحملهم ،

(١) الوفاء : الفواد في جـ

(٢) كان الإمام المعز لدين الله قد أنفذ إلى دعائه في مصر أعلاماً وأمرهم أن يوزعوها على من يبايع من الجند ، وأن ينشروها إذا قربت العساكر المعزية ، ولما وصلت الجيوش إلى الإسكندرية فعلوا ذلك . المقرئزي : اتعاظ الحنفا ص ٦٦ .

(٣) يستدل من الوقائع التاريخية أن الذين امتنعوا عن طاعة كل ما جاء في عهد جوهر والذين ناوأوا الحكم الفاطمي لم يكونوا من المصريين الذي حنقوا على الكافورية والإخشيدية ، وأفتروا بقتالهم وقتلهم . المقرئزي اتعاظ الحنفا ص ٧١ .

وَأعطى كل واحد منهم عشرة آلاف درهم، وبلغ القائد جوهر بعد إنصرافهم / ٢٠١ / انتقاض الصلح ، فسار فلحق الجماعة بحلة فحص ، فقال / لهم القائد : بلغني أن القوم قد رجعوا عن ما سألوكم ، فردوا على خطي ، فرفقوا به ، وداروه ، وقالوا : إذا سيطرناك الله وينصرك : فقال للقاضي أبي طاهر^(١) : ما تقول يا قاضي في هذه المسألة ؟ فقال : ما هي ؟ فقال له القائد : ما تقول في من أراد العبور إلى مدينة مصر ويجعلها طريقاً لجهاد المشركين فمنعوه ؟ أيجوز له أن يقاتلهم ؟ فقال القاضي : نعم ! فقال القائد : هات خطك ، وضحك . فقال القاضي : إذا يكفيك الله أمرهم ، وكانوا قد خافوه ، فودعهم وانصرفوا عنه آمنين ؛ ووصل الشريف أبو جعفر ومن معه إلى مصر لسبع خلون من شعبان من سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، فركب الناس إليه ، وركب إليه أبو الفضل الوزير جعفر بن الفضل ، واجتمعت عنده الإخشيدية والكافورية وغيرهم ، فقرأ عليهم السجل الذي كتبه القائد ، وأوصل إلى كل واحد جواب كتابه بما أراد من الأمان والإقطاع ، والولاية ، وأوصل إلى أبي الفضل الوزير كتابه بالطف كتاب يخاطب به الوزراء .

ولما قرأ عليهم الشريف السجلات امتنعوا من الصلح^(٢) ، وقال بحرين : ما / ٢٠٢ / بيننا وبينه إلا هذا السيف ، وتكاثرت الإخشيدية / والكافورية فقرأ عليهم السجل الذي كتبه القائد ، ودخل أتباعهم ، وضاعت الدار بهم ، وتحاوروا ملياً ؛ ثم قالوا : إنا لا نقاتل إلا بالأمير ، فأمرنا تحرير شوزان عليهم ، وهو الأصغر ، ونحرير الأكبر ممن يسلم بالإمارة عليه ، واستخانوا أبا الفضل الوزير فخرج عنهم ، وخرج عنهم الشريف مسلم . ثم ان الشريف مسلم رد خط جوهر

(١) القاضي أبو طاهر هو قاضي مصر السني .

(٢) وقال أحد قواد الجند مخاطباً الشريف أحد أعضاء وفد مصر : ولو جاءنا جدك بهذا ضربنا وجهه بالسيف . . وعاب ابن الفرات على المنتفضين سلوكهم ، لأنهم هم الذين طلبوا ذلك من الوفد الذي ندبوه لمفاوضة جوهر ، وأنهم بعملهم هذا قد خرجوا على أمر طلبوه بأنفسهم . المقرئ : اتعاظ الخنفا ص ٧٢ .

على ما شرط عليه ، وأخذ القوم في تعبئة العساكر ، ثم ساروا عسكرياً بعد عسكر إلى الجزيرة والجزيرة^(١) ، وتتابع العساكر بالدروع والجواشن والسلاح . ونزل نحرير بالجزيرة ، وحفظوا الجسور ، وابتدأ القتال بالجزيرة في اليوم الحادي عشر من شهر شعبان ، وأسر رجال ، وأخذت خيل من عسكر القائد جوهر ، ولما ضربوا الجسر مضى القائد إلى منية الصادين^(٢) ، فلما خفت الإخشيدية والكافورية إلى المخاضة يوم الأحد ، وتركوا بالجزيرة مفلح الوهباني ، وكانوا في قوة من العدد والعدة ، وكان سيرهم إلى المخاضة يوم الأحد النصف من شهر شعبان / فحصلوا بمنية شلقان ، فلما رآهم القائد جوهر ، قال لأبي الفضل جعفر بن فلاح : يا جعفر لهذا اليوم أرادك أمير المؤمنين المعز لدين الله ، فعبّر جعفر بن فلاح ، وهو في موكب ، ومعه الرجال خوفاً حتى خرجوا إليهم ، ووقع بينهم القتال ، وتلاقي الرجال ، وتفانى الأبطال ، فقتل خلق من الإخشيدية وأتباعه ، وانهمت الجماعة في الليل ، ودخلوا إلى مصر ، إلى دورهم ، فأخذوا ما قدروا عليه ، ونهب^(٣) نحرير شوزان المؤمن عليهم من حضرة داره ، وما فيها ، ثم سار غداة الإثنين سادس عشر من شعبان فاراً إلى الشام .

وأما نحرير المسمى الكبير فإنه قتل بتلك الواقعة في المخاضة^(٤) ، وأصبح الناس على خوف شديد ، وخرجت حرم الإخشيدية والكافورية من دورها حافية ماشية ، وجاء أبو محمد الدودياري عامل الخراج ، وأبو محمد الفرغاني ، وسائر الناس فزعين جزعين ، يهرعون إلى الشريف مسلم الحسيني ، فأنسهم ، وقال : إنا قد لقينا هذا الرجل ، يعني جوهر / القائد ، وإنا قد وثقنا بعقله^(٥) وحلمه ، فسألوه أن يكتب إلى القائد في إعادة الأمان كما طلبوا ، فكتب إليه

(١) الجزيرة : يعني جزيرة الروضة .

(٢) منية الصادين : يقصد بها منية شلقان شمالي الجزيرة .

(٣) ونهب : وأنهب في ب

(٤) المخاضة : الخاضة في ب

(٥) بعقله : بعلاقته في ب

الشريف مسلم يهنيه بالفتح ، ويسأله إعادة الأمان ، كما طلبوه ، ثم سأله أن يزيد كتاباً غير ذلك ففعل ، وأرسل به رسولاً آخر على نجيب ، وجلس الناس عند الشريف ينتظرون الجواب ، ثم جاءت جماعة من أهل مصر ، وكانوا خرجوا إلى القائد جوهر فأمرهم بأمان الناس ، وأرسل معهم رجلاً من عيون رجاله^(١) ، ومعه بند أبيض مكتوب عليه اسم أمير المؤمنين المعز لدين الله ، ع . م وبين يديه الأجراس يؤمنون الناس ، ويمنعون من النهب ، فلم ينهب ، ولم يغصب على أحد شيئاً ، وهدأ الناس ، وفتحوا دورهم ، وحوانيتهم ؛ وقامت الأسواق كأنها لم تكن فتنة ؛ ولما كان آخر النهار ورد الجواب من القائد جوهر المعزي إلى الشريف مسلم مع رسوله ، فقرأه مسلم لنفسه ، ثم جهر بقراءته على الناس ، وهو ما هذا نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم »

وصل كتاب الشريف الجليل ، أطال الله بقاءه ، / وأدام عزه وتأييده / ٢٠٥
 وتمكينه ، يهني^(٢) بما هياه الله من الفتح المبارك ، وهو أيده الله المهناً بما هنا ، لأنها دولته ، ودولة أهله ، وهو المخصوص بذلك ، وأما ما سأل من إعادة الأمان الأول . فقد أعدت إليه ما طلب ، وجعلت إليه عن مولانا وسيدنا أمير المؤمنين ع . م أن يؤمن الناس بما شاء وكيف [رأى وكيف أحب ، ويزيد على ما كتبت كيف يشاء . فهو أمانى وعن إذني وإذن مولانا وسيدنا أمير المؤمنين]^(٣) . وقد كتبت إلى الوزير بالاحتياط على دور الهاريين إلى أن يدخلوا في الطاعة ، في ما دخلت فيه الجماعة ، ويعمل الشريف ، أيده الله ، على لقائي في يوم الثلاثاء لسبع عشر تخلو من شعبان ، بجماعة الأشراف ، والعلماء ، وأهل البلدان إن شاء الله^(٤) .

(١) أرسل جوهر مع صاحب الشرطة في الفسطاط رسولاً معه بند عليه اسم المعز لدين الله ، وبين أيديهما الأجراس بأن لا مؤونة ولا كلفة ، وأمن الناس ، وفرت البنود ، فنشركل من عنده بند بنده في درب حارته . وبذلك تم استيلاء جوهر على مصر ، دون أية معارضة تذكر .
 المقرئزي : اتعاظ الحنفا ص ٧٢ .

(٢) يهني : سقطت في ب

(٣) سقطت الكلمات المحصورة من ب

(٤) المقرئزي : إتعاظ الحنفا ص ٧٢

فلما قرأ الشريف كتاب القائد على الناس ، فرحوا ، واطمأنوا ، وانصرفوا متأهبين^(١) للقائه ؛ وزال عنهم من الخوف ما عراهم^(٢) ، وقال رسول الشريف الذي أرسل إلى القائد للشريف : إنني وجدت عند القائد رأس تحرير الأكبر ، ومبشر ، وبلال الطباثي ، ويمن الطويل ؛ في طشت فضة ، ورؤوساً كثيرة مطروحة / ٢٠٦ / في ناحية الفايزة ، ولم يكن صح للشريف من قتل ومن نجا ؛ ثم خرج يوم الثلاثاء السابع عشر خلت من شهر شعبان الشريف مسلم الحسني ، وأبو الفضل جعفر بن الفضل الوزير ، وجماعة أهل مصر إلى الجيزة ، فلما اجتمعوا مع القائد جوهر نادى مناديه ينزل الناس كلهم إلا الشريف والوزير ، فنزل الناس كلهم ، وسلموا على القائد واحداً واحداً ، وأبو جعفر أحمد بن نصر يعرفه بالناس ، ومسلم الحسني عن يمينه ، وأبو الفضل الوزير عن يساره ، وهم على دوابهم ، حتى سلموا عن آخرهم .

ودخل القائد جوهر المعزي مدينة مصر يوم الثلاثاء لسبع عشر ليلة خلت من شهر شعبان سنة ثمانين وخمسين وثلاثمائة^(٣) وابتدأ الناس في الدخول منذ زوال الشمس ، فعبروا الجسور بالدروع والجواشن ، ودخلت القباب والمحامل والرايات ، ودخل وجوه العسكر بالأردية يسلمون على الناس كما وعدهم أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م ، يوم وداعهم ، ودخل بين يدي القائد / جوهر ألف ومايتا صندوق من المال ، ثم دخل القائد جوهر بعد صلاة العصر ، وبنوده بين يديه ، وطبولة ، وعليه قميص ديباج مائل ، وشق المدينة ، ونزل في مناخة موضع القاهرة ؛ ثم اختط موضع قصر القاهرة المعزية ، وأخذ في بناء سورها وتحصينها ، وأقام العسكر يدخل سبعة أيام من أول يوم الثلاثاء إلى آخر يوم

(١) متأهبين : موهوبين في ب

(٢) ما عراهم : عريهم في ب

(٣) عبر جوهر الجسر المقام على النيل بين الجيزة والفسطاط ، في يوم ١٧ من شعبان سنة ٣٥٨ هـ ، وعسكر بجنوده شمالي مدينة القطائع التي أسسها أحمد بن طولون (٢٥٤ - ٢٧٠ هـ) ووضع أساس مدينة القاهرة إثر وصوله .

الإثنين . وكان فتحاً عظيماً أتاحه الله لوليه المعز لدينه ، وقضى سبحانه ببسط يده وتمكينه ، وجعله على جزائر الأرض كما جعل يوسف بن يعقوب عليها ، والله يمكن لمن يشاء^(١) من أوليائه في الأرض ، ويزويها عن من يشاء منهم إختياراً ، والحمد لله على ما أولى وعافى ، وابتلى ، وله في الآخرة والأولى ، وهو الفاعل لما يشاء .

وأزال القائد جوهر أمر بني العباس عن مصر وأعمالها ، من المنابر ، والسكة ، والبنود ، والرسوم ، بعد أن أقام أمرهم فيها مائتي سنة ، وخمسة وعشرين سنة ، وثمانية أشهر ؛ لأن صالحاً بن علي بن عبد الله / بن العباس / ٢٠٨ دخل إلى مصر للنصف من ذي الحجة سنة اثنين وثلاثين ومائة ، وكان قتل مروان ابن محمد الأموي آخر ملوك بني أمية ببوصير لسبع بقين من ذي الحجة من تلك السنة ، ولم يزل في مصر أمر بني العباس حتى قطعه جوهر القائد ، وأزال لبس السواد في الخطبة ، وتلك سنة بني العباس^(٢) .

ولما كان من غد يوم دخول القائد جوهر وصل علي بن الوليد قاضي عسكره ، ومعه الشرطة ، وبين أيديهم أحمال الأموال على البغال فطافوا بها ، والمنادي ينادي

(١) كان لهذا النصر رنة فرح بالغ في بلاد المغرب ، وقد أخذ الفرح من نفس المعز كل ماخذ ، لأنه أصبح خليفة على جميع شمال افريقية ، وعلى بعض جزائر البحر الأبيض المتوسط .

(٢) كانت سياسة جوهر الصقلي مع المصريين ، تدل على شيء كثير من المهارة ، فقد سار في حكم هذه البلاد في حذر وتؤدة ، ولم يشأ أن يواجه المصريين بالانتقال الفجائي من المذاهب السنية إلى المذهب الإسماعيلي ، فأمر بإبطال الخطبة للخليفة العباسي من مصر ، وأقامها للخليفة المعز لدين الله ، في أرجاء البلاد كافة ، وضرب السكة باسمه ، بدلاً من اسم الخليفة العباسي ، فكتب على أحد وجهيها : باسم مولانا المعز ، دعا الإمام معد بتوحيد الإله الصمد ، وفي السطر الثاني المعز لدين الله أمير المؤمنين : وفي السطر الثالث : باسم الله ، ضرب هذا الدينار بمصر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، كما كتب على الوجه الآخر : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ، ولوكره المشركون ، علي خير الوصيين ، وزير خير المرسلين . المقرئ : اتعاظ الحنفا ص ٧٦ .

من أراد الصدقة فليأت ، ففرقوا تلك الأموال في الصدقات ، وأقر القائد جوهر الوزير أبا الفضل جعفر بن الفضل على وزارته ، وكان يركب إلى القائد جوهر في كل يوم إلى مناخه ، وفي يوم الجمعة لعشر بقين من شعبان سنة ثمانٍ وخمسين ركب جعفر بن الفضل بمعية القائد جوهر إلى المسجد الجامع العتيق لصلاة الجمعة ، وقام الخطيب على المنبر ، / وعليه ثياب بيض ، فخطب ودعا لأمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م ، فقال في الخطبة الثانية :

اللهم صل على عبدك ووليك ، ثمرة النبوة ، وسليل العترة الهادية المهديّة ، عبد الله الإمام معد أبي تميم ، المعز لدين الله أمير المؤمنين ، كما صليت على آباءه الطاهرين ، وأسلافه المنتجين ، الأئمة الراشدين . اللهم ارفع درجته ، وأعل كلمته ، واوضح حجته ، واجمع الأمة على طاعته ، والقلوب على موالاته ، واجعل الرشاد في موافقته ، وورثه مشارق الأرض ومغاربها ، وأحمد مبادئ الأمور وعواقبها ، فإنك تقول وقولك الحق : ﴿ لقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ﴾^(١) . فقد امتعض لدينك ، ولما انتهك من حرمتك ، ودّرس من الجهاد في سبيلك ، وانقطع عن الحج إلى بيتك وزيارة قبر نبيك ، (ﷺ) فأعدّ للجهاد عدته ، وأخذ لكل خطب أهبطه ، فسير الجيوش لنصرتك ، وانفق الأموال في طاعتك ، وبذل^(٢) المجهود في رضاك ؛ فارتدع الجاهل ، وقصر المتناول وظهر الحق وزهق الباطل . فانصر اللهم جيوشه التي سيرها ، وسراياه التي ندهبها لقتال المشركين ، وجهاد الملحدّين ، والذب عن المسلمين ، وعمارة / الثغور والحرم ، وإزالة الظلم ، والبهم ؛ وبسط العدل في

(١) سورة : ٥٠١/٢١ .

(٢) وأمر القائد جوهر بإبطل السواد شعار العباسيين ، الذي اتخذه الأمراء وكبار الموظفين في عصر الإخشيديين ، وأمر الخطباء بارتداء الملابس البيض ، شعار الفاطميين ، وأعد المصريين لقبول عقائد الفاطميين . ولذلك نهى الناس عن التكبير بعد صلاة الجمعة ، وكان من العادات المألوفة عند السنيين ، وأقال ، رئيس ديوان المظالم ، ونظر فيها بنفسه ، وأصدر أحكامه على وفق عقائد المذهب الإسماعيلي مذهب الفاطميين .

الأمم . اللهم اجعل راياته عالية مشهورة ، وعساكره مؤيدة منصوره ، واصلح البلاد^(١) به وعلى يديه ، واجعل لنا منك واقية عليه ، إنك لفعال لما تريد^(٢) .

وأمر القائد بنقش سكة الدينار المعزية ، وكان في الوجه الواحد لا إله إلا الله محمد رسول الله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون ، علي خير الوصيين ، وزيد خير المرسلين ، وفي الوجه الآخر دعا الإمام معد لتوحيد الإله الصمد المعز لدين الله أمير المؤمنين ، ضرب هذا الدينار سنة ثمان وخسين وثلاثمائة .

وأمر القائد جوهر بالنظر في الخراج ، وجلس بنفسه للمظالم يوم السبت ، وكان يحضر مجلسه أبو الفضل جعفر بن الفضل الوزير ، والقاضي أبو الطاهر محمد بن أحمد ، وجماعة الشهود ، والفقهاء ، وأقر جوهر^(٣) القاضي أبا طاهر على ما كان عليه من القضاء ، وجعل مع كل مصري من الشهود مغربياً ، وبادر القائد جوهر حين استولى على مصر بالكتابة إلى أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م يبشره بالفتح ، وأنفذ / إليه الرؤوس ، وكتب جعفر بن فلاح ، إلى أمير المؤمنين ع . م كتاباً يبشره أيضاً بالفتح ، فوصل كتاب جعفر بن فلاح قبل كتاب القائد جوهر ، فسر أمير المؤمنين ع . م ، وقال للرسول : إكتمه . ثم وافى كتاب القائد جوهر ، وانتشر الخبر ، وجلس أمير المؤمنين ع . م مجلساً عاماً بالمنصورية ، فهنأه الناس ، وأنشد الشعراء بين يديه ، ففي ذلك يقول محمد بن هاني الشاعر الأندلسي^(٤) :

تقول بني العباس هل فتحت مصرُ فقل لبني العباس قد قُضي الأمرُ

(١) البلاد : سقطت في ب

(٢) ألقى هذه الخطبة في التاسع عشر من شعبان سنة ٣٥٨ هـ ، هبة الله بن أحمد خليفة إمام الجامع العتيق .

(٣) وأصبح المسجد المكان الذي تذاق فيه الأخبار الهامة التي تتعلق بمصلحة العامة . وغدا القضاة يتخذون من المساجد أماكن يقضون فيها بين المتخاصمين ، واتخذ الفاطميون المساجد مراكز لنشر شعائر مذهبهم .

(٤) ديوان ابن هاني الأندلسي منشورات صادر ص ١٣١ .

قد جاوزَ الاسكندريةَ جوهرًا
وقد أوفدتَ مصرًا إليه وفودها
فما جاء هذا اليومَ إلا وقد غدت
فلا تكثروا ذكرَ الزمان الذي خلا
أفي الجيش كنتم تمترون رويدكم
وقد أشرفتُ خيلُ الإله طوالِماً
وذا ابنُ الله يطلبُ وثره
ذروا السوردَ في ماء الفراتِ لخيلى
أفي الشمس شك أنها الشمس بعدما / ٢١٢
وما هي إلا آية بعد آية
فكونوا حصيداً حامدين [أو ارعوا] (١)
أطيعوا إماماً للأئمة فاضلاً
ردوا ساقياً لا تنزفون حياضه
فإن تبعوه فهو مولاكم الذي
وإلا فبعداً للبعيدِ فبينه (٢)
أفي ابن أبي السبطين أم في طليقتكم
فقد دالت الدنيا لآل محمد
وردٌ حقوق الطالبين من زكت
مُعزُّ الهدى والدين والرحيم التي

تطالعُه البشري ويقدمه النصر
وزيد إلى المعقود من جسرها جسر
وأيديكم منها ومن غيرها صفر
فذلك عصرٌ قد تقصَّ وذا عصر
فهذا القنا العراصُ والجحفلُ المجر
على الدين والدنيا كما طلعَ الفجر
وكانَ حرًّا أن لا يضيع (٣) له وتر
فلا الضحلُ منه تمنعون ولا الغمر
تجلت عياناً ليس من دونها ستر /
وندرٌ لكم إن يغنيكم النذر
إلى ملكٍ في كفه الموت والنشر
كما كانت الأعمالُ يفضلها البرُّ
جموعاً كما لا تنزفُ الأبحر (٤) الذرُّ
له برسولِ الله دونكم الفخر
وبينكم ما لا يقربُه الدهر
تنزلت الآياتُ والسورُ العرُّ؟
وقد جررت أذيالها الدولة البكر
صنائعُه في آله وزكا (٥) الذخر (٦)
به اتصلت أسبابها وله الشكر

-
- (١) يضيع : يضاع في ب
(٢) أو ارعوا : وارعوا في ب
(٣) الأبحر : الأنحرفي ب
(٤) فبينه : فنيته في ب
(٥) وزكا : وزار في ب
(٦) الذخر : الذكر في ب

[مَنْ اتَّاشَهُمْ] ^(١) في كلِّ شرقٍ ومغربٍ
فكلُّ إمَامِيٍّ يجيءُ كَأَتَمًا
فبَشَّرُ به البيتَ المحرَّمَ عاجلاً
وها فكانُ قد زارهُ وتجانَّفتُ
هل البيتُ بيتُ الله [إلا حريمُهُ] / ٢١٣

منازلُهُ الأولى اللواتي يُشَقِّنُهُ ^(٢)
وحيث ^(٤) تلقى جدَّهُ ^(٥) القدسَ وانتحتُ
فإن يَتَمَنَّ البيتُ تلكَ فقد دَنَّتْ
وإن حَنَّ من شوقٍ إليك فإنه
ألسْتُ ابنَ بانيه فلوجتتهُ انجلتُ
حييتُ إلى بطحاءِ مكَّةَ موسمٍ
هناك تُضيءُ الأرضُ نوراً وتلتقي
وتدري فروضَ الحجِّ من نافلاتِهِ ^(٨)
شهدتُ لقد أعززتُ ذا الدينَ عزَّةً
فامضيتَ عزمًا ليسَ يعصيك بعده
أهنيك بالفتحِ الذي أنا ناظِرٌ
رضينا لكم يا أهلَ مِصرٍ بدولةٍ ^(٩)

فبُدَلْ أَمْنًا ذلكَ الخوفُ والذُّعْرُ
على يديه الشُّعْرَى وفي وجهه البدر
إذا أوجفَ التطوافُ بالناسِ والنَّفْرُ
به عن قصورِ المُلْكِ [طَيِّبَةُ والسُّر] ^(٢)
وهل لغريبِ الدارِ عن أهله صَبْرٌ؟ /
فليس له عنهُنَّ معدى ولا قصرُ
له كلماتُ اللهِ والسُّرِّ والجهرُ
مواقيتُها والعُسْرُ من بعده اليُسْرُ
ليوجدُ من رِيَاك في جوِّه نَشْرُ
غواشيه وبيضتُ [مناسكهُ الغُبر] ^(٦)
تُحْيِي مَعَدًّا فيه مكَّةُ والحِجْرُ
دُئُوءًا فلا يَسْتَبْعِدُ ^(٧) السَّفَرَ السَّفَرَ
ويمتازُ عندَ الأُمَّةِ الحَخيرُ والشُّرُ
خَشِيَتْ لها أن يَسْتَبِدَّ به الكيُّرُ
من الناسِ إلا جاهلٌ بك مغتَرُ
إليه بعينِ ليسَ يُغْمِضُهَا الكفرُ
[أطاعَ لنا في ظلِّها الأمنُ والوفْر] ^(١٠)

(١) من اتناشهم : منها نتاشهم في ب

(٢) طيبة والسر : صيه الشزر في ب

(٣) يشقنه : يشقينه في ب

(٤) وحيث : وحيزه في ب

(٥) جده : جدته في ب

(٦) مناسكه الغبر : منازل الغر في ب

(٧) يستبعد : يستبعد في ب

(٨) نافلاته : ناولاته في ب

(٩) بدولة : بعد له

(١٠) أطاع لنا في ظلها الأمن والوفر : دليلاً على العدل الذي عنه بعز في ب

فذاك بيانٌ واضحٌ عن خليفةٍ

لكم أسوةٌ فينا قديماً فلم يكن

وهل نحنُ إلا معشرٌ من عُقَاتِهِ / ٢١٤

فيا مالِكاً^(٣) هُدِي الملائكُ هُدِيَهُ

ويا رازقاً من كفه نشأ الحيا

ألا إنما الأيامُ أيامُك التي

لك المجدُ منها يا لك الخيرُ والعلَى

لقد جُدتَ حتى ليس للمالِ طالبُ

وَدِدْتُ لجيلٍ قد تقدّم^(٨) عصرهم

ولو شهدوا الأيامُ والعيشُ بعدهم

كثير سواه عند معروفه نَزَر

بأحوالنا عنكم خفاءً ولا ستر

لنا الصافناتُ الجردُ والعسكر^(١) الدثرُ /

ولكن نَجَرَ الأنبياء له نَجِر

وإلا فَمِنْ أسرارِها نَبَح^(٣) البحر

لك الشطرُ من نعمائها ولنا الشطر^(٤)

وتبقى^(٥) لنا منها الحلوبةُ والدُرُّ

وأعطيت^(٦) حتى ما لمُنْفِسَةَ^(٧) قَدَرُ

لو استأخروا في حلبة العُمَرِ أو كُرُوا

حدائقُ والأمالُ موقنةٌ خُضِرُ

وقال علي بن عبدالله التونسي يخاطب أمير المؤمنين عليه السلام، ويذكر

القائد جوهراً من قصيدة :

وإنِ اعتلى حسنُ النِّشاءِ بجوهرٍ

بدرٌ يسيرٌ بأنجمٍ وغضنفرُ

صانُ الخلافةِ باذلاً من دونها

ومكائداً جاشت أمامٌ جيوشه

فلقد كرمتم قايداً ومقوداً

يجتزُّ من أجمِ الرِّمَّاحِ أسوداً

رأياً على جلِّ الخطوبِ سديداً

فتركن ركن عاداته مهوداً

(١) والعسكر : والشكر في ب

(٢) مالكا : ملكاً في ب

(٣) نبع : يتبع في ب

(٤) الشطر : الفطر في ب

(٥) وتبقى : سقطت في ج

(٦) وأعطيت : وأنفقت في ب

(٧) لمنفسة : لنفسه في ب

(٨) تقدم : تقضت في ج

فإذا مضى الخطي في آثارها
 وإذا الأئمة عددت أسياها
 وإذا كريم الطبع قرّبه من النّا / ٢١٥
 ذو النيّة الخالصاء يصفو مذهبا
 والله قدّم وعده لوليّه
 والخيّل حافية إذا لم تتعل
 لم يلق إلا مشرعاً مورودا
 لم يلق إلا الأوّل المعدودا
 ثين كان المستعاب^(١) بعيداً /
 ويطيب أعراقا ويكرم عودا
 فتنجزوا بعداكم الموعودا
 في وسط مرتكم النجيع حديدا^(٢)

وقال عبد الله بن الحسن الجعفري السمرقندي ، من قصيدة طويلة يمدح

فيها :

ألاً فليقرّ الله عين الهدى فكم
 لئن^(٣) خبرت عن أرض مصر فإنّها
 فبورك للإسلام في نيل ثاره
 فشدت عرى الإسلام بعد انفصامها
 وقام بحق الله في الخلق قائم
 ولما فشا طغيان مصر وأكثرت
 فجاء منيما قدحها غير فائز
 وقامت النعمى بكفر فأصبحت
 غداة أبت الإنفاق عصابة
 رأت أن قطع الجسر وصل حياتها
 وصادمها من جوهر صلد صخرة
 وأجرى بحار الجيش فوق بحارها / ٢١٦
 جلبت بها من نعمة لشكورها
 إلى الأرض تومي سهلها ووعورها
 وهنّيت الدنيا بعدل أميرها
 وردّت عواري الملك من مستعيرها
 أنار سبيل الحق بعد دثورها
 نوادبها من ويلها وثبورها
 ومرت عليها بارحات طيورها
 وقد [زادت البؤس] ^(٤) بأكناف دورها
 أصاغت إلى ضليلها وغرورها
 فقصرَ ذاك الرأي باقي قصيرها
 ففضّ من الأعداء صلد صخورها
 ونابت له آراؤه^(٥) عن جسورها /

(١) المستعاب : المعاب في ب

(٢) حديدا : جيدا في ب

(٣) لئن : لان في ب

(٤) زادت البؤس : زارت البوس في ب

(٥) آراؤه : آراءه في ب.

وما شعروا إلا به وسط دارهم
ففرقهم أيدي [سبأ كأنهم] (١)
كأن رقاب القوم والهام وسطها
فقل لبني العباس شيموا سيوفكم
وليتم أمور الناس شرّ ولاية
فإن قتلتم إنا (٢) قتلنا أمة
فإننا وجدناكم نسيرون بعدها
سفكتكم دماً قتلتم طلبنا بثأره
دم من كرام لا تطل دماؤها
ولا بد أن تسقوا بكأس سقيتم
ألا سلّموا تلك العواري فإنها

فأكريم بها من روضة وغديرها
حصيد رمته جذوة بسعيرها
حروف بدت للشكل بين سطورها!
فقدماً عصيتم ربكم بصدورها
فبدلتم معروفها بنكيرها
بتبديل غاويها وكفر كفورها
بأقبح من منهاجها ومسيرها
وهل يدرك الأوتار كف وتورها
ولا تعدل الدنيا [بوال صغيرها] (٣)
بها من يدي مجتتها وميرها
وإن رغمت آنافكم لمغيرها

ولما كان آخر يوم من شهر شعبان من سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ركب
القاضي أبو طاهر لطلب الهلال على ما جرت به عاداتهم فلم يره ، وأصبح القائد
جوهر أول يوم من شهر رمضان صائماً ، وجماعة أهل عسكره على عادته ، ثم ركب
القاضي لرؤية الهلال / لشوال فلم يره ، وكان ركوبه في جمع عظيم على / ٢١٧
عادته وأصبح القائد جوهر مفطراً ، فأقام صلاة العيد في عسكره ، وخطب علي بن
الوليد الاشبيلي قاضي عسكر جوهر ، فصلى في خطبته بعد حمد الله تعالى ، والصلاة
على النبي (ﷺ) ، وعلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وعلى فاطمة والحسن
والحسين والأئمة ، ولعن ظالمهم ، وخاذلهم ، ودعا لأمير المؤمنين المعز لدين الله ،
وذكر جوهر فقرظه ، وأصبح أهل مصر إلى المصلى الذين يصلون فيه صلاة العيد
فصلوا لأنفسهم ، وصلى بهم رجل هاشمي يعرف بابن زبرج ، وخطب ، وكان

(١) سبأ كأنهم : سباق فكانهم في ب

(٢) إنا : ان في ب

(٣) بوال صغيرها : بول لصغيرها في ب

معهم في الصلاة القاضي أبو طاهر ، وخلق كثير ، فأنكر جوهر على القاضي ذلك ، فاعتذر إليه فقبل عذره ، وأمسك عن القول . واستأمن نحرير شويران الذي كان أمير بمصر ، فأمنه القائد ؛ وفي يوم الجمعة لثمان ليال خلون من ذي القعدة الحرام ، أمر القائد بالزيادة في الخطبة : اللهم صل على محمد المصطفى ، وعلى علي المرتضى ، وعلى فاطمة الزهراء البتول ، / وعلى الحسن والحسين سبطي الرسول ، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً . اللهم صل على الأئمة الطاهرين ، آباء مولانا أمير المؤمنين ع . م^(١) .

وعيد القائد جوهر عيد النحر ، وأقيمت الخطبة باسم أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م ، والصلاة عليه وعلى آبائه وآله ، ونحر القائد ، وفرق الضحايا على سائر الناس ، وأطعم الناس في مضره ، وأكل معهم ، ومدحته الشعراء ، وأجزل لهم العطاء . وتكاملت الأخشيديّة والكافورية المستأمنة بمصر فصاروا أربعة عشر رئيساً ومعهم من العسكر خمسة آلاف .

وروا عن مسلم بن عبد الله الحسيني أنه ما سمع بمستأمنة قط في العدة مثلهم ، ولكن صمهم التحمس والخذلان ، فما أخذوا الأمر ، وهو مقبل . ثم عادوا له بعد أن أدبر عنهم ، وذلك أنه بلغ القائد جوهر عنهم كلام ساءه منهم ، ثم توفي ولد الجعفر بن فلاح فحضر القائد جوهر الجنائز ، وحضر معه أكثر

(١) ففي شهر ذي القعدة من سنة ٣٥٨ هـ ، زاد جوهر في الخطبة هذه العبارة ، التي تدل على رغبة الفاطميين في جذب رعاياهم إلى أهل البيت : اللهم صل على محمد المصطفى ، وعلى علي المرتضى ، وعلى فاطمة البتول ، وعلى الحسن والحسين سبطي الرسول ، الذين أذهبت عنهم الرجس وطهرتهم تطهيراً . اللهم صل على الأئمة الراشدين ، آباء أمير المؤمنين ، الهادين المهديين . المقرئ : اتعاظ الحنفا ص ٧٧ . كما أمر جوهر في جمادى الأولى من سنة ٣٥٩ هـ بأن يزداد في الأذان بجامع عمر وعبارة « حي على خير العمل » . كما أمر بقراءة البسملة قبل الفاتحة في الصلاة ، بصوت مرتفع ؛ كما أمر في رمضان من سنة ٣٥٩ هـ بنقش جدران الجامع العتيق وسواريه باللون الأخضر . ويذكر التاريخ أن الخطبة للفاطميين بدأت في جامع عمرو ، ثم تلتها في المساجد الأخرى ، وإن الأذان بدأ في جامع ابن طولون ثم في مساجد العسكر والفسطاط .

الناس ، وحضرت الإخشيدية والكافورية ، وانصرفوا عن الجنازة مع القائد جوهر ، فقال لهم القائد : قد جاء كتاب مولانا ومولاكم بما يسركم فسيروا [لتنظروا إليه]^(١) وتقفوا عليه ، فساروا معه فاعتقلهم في ساعة واحدة ، وهم :
 ٢١٩ / تحرير / ٢١٩ سويران ، وفتك الخادم الأسود ، ودوني الصقلبي ، وحل الأخشيدى ، ولؤلؤ الطويل ، وأبو منحل ، ومفلح الوهياني ، ومبلغ التركي ، وفرج التحكمي ، وغيرهم ؛ وكان ذلك لخمسة بقين من ذي الحجة آخر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، فأقاموا عند القائد معتقلين ستة أشهر في مضربه حتى سيرهم^(٢) إلى أمير المؤمنين ع . م كما سنذكره^(٣) ، وكان القائد يرسل إليهم في كل غداة بالطعام ، ومع الظهر ، وبالعشاء ؛ ويدخل إليهم في كل ليلة ، ويتحدث معهم ، ويعدهم عن أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م بكل جميل .

ووردت هدية من أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م إلى القائد جوهر^(٤) سنة تسع وخمسين وثلاثمائة لإثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر المحرم وهي خمسة وستون بغلاً تحمل مالا وسبعون حمرا بأحمال مخزومة ، وفي شهر صفر من هذه السنة ، وافى عسكر من المغرب إلى القائد جوهر ، ومعهم خيل من أنعام أمير المؤمنين لعبده القائد جوهر ، ووافى أيضاً بعد ذلك عسكر من المغرب ومعهم أموال محمولة على الجمال .

(١) لتنظروا : لنظر في ب

(٢) سيرهم : مسيرهم في ب

(٣) سنذكره : ذكره في ب

(٤) وما يدل على مظاهر الثروة في عهد المعز ، تلك الإغاثة العاجلة التي قدمها إلى الديار المصرية وقت محنتها . فقد أرسل إليها - وهو في المغرب - الحبوب والأموال الكثيرة ، حتى استامت الأمور بها وإن ما كان ينفقه المعز على حملاته الكثيرة ، ليدلنا على مدى ثراء الفاطميين في عهده . فقد استطاع بفضل أمواله الكثيرة أن يوجه الحرب عدة جهات ، فأصبحت جيوشه تغزو جميع بلاد المغرب وتصل إلى المحيط الأطلسي ، وتتابع الضربات للأمويين في عقردارهم ، وتقف بالمرصاد للبيزنطيين ، وتهدد الروم في إقريطش . وليس أدل على ذلك ، من تلك الهدايا الفخمة التي كان يرسلها للقائد جوهر وهو في القاهرة .
 المقرئزي : اتعاظ الحنفا ص ٧٩ .

وأنفذ القائد جوهر جعفر بن فلاح / إلى الشام في عسكر عظيم ،
 وعدة قوية ، وذلك في شهر صفر من سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ، وقد غلبت
 القرامطة على الشام ، واستولوا على الرملة ، وقد انضاف إليهم الحسن بن عبيد الله
 ابن طنج ابن عم الاخشيدي^(١) .

وفي يوم الجمعة لثمان خلون من شهر ربيع الأول من هذه السنة صلى جوهر
 القائد صلاة الجمعة في جامع أحمد بن طولون في عسكر كثير ، وخطب عبد السميع
 ابن عمر ، وذكر أهل بيت رسول الله ، وذكر فضائلهم ، ومدح جوهر ، ودعاه ،
 وجهر في القراءة بسم الله الرحمن الرحيم ، وقد أمر جوهر بالجهر بها والإعلان
 بها ، ما يجهر به من الصلاة ، وقرأ الخطيب سورة الجمعة ، وسورة المنافقين في
 صلاة الجمعة ، وأذن المؤذنون في جامع ابن طولون بحي على خير العمل ؛ وأمر
 جوهر^(٢) بالنداء به في جميع الأمصار والبلدان وجهر محمد بن الحسن بن حنيف
 بسم الله الرحمن الرحيم في الجامع العتيق على كره ومضض ، وكان مالكيًا ولما مدح
 عبد السميع القائد جوهرًا في خطبته ودعاه ، لأمه جوهر على ذلك ، وقال : ما
 هذا رسم موالينا وأمر القائد / جوهر في المواريث^(٣) بالرد على ذوي
 الأرحام ، وأن لا يرث مع البنت أخ ، ولا أخت ، ولا عم ، ولا ابن أخ ، ولا ابن
 عم ، ولا يرث مع الولد كان ذكراً أم أنثى إلا الزوج ، والزوجة ، والأبوان ،

(١) في الواقع كما يستدل من المصادر التاريخية كانت الغاية الأساسية من إرسال الحملة إلى
 الشام وعلى رأسها جعفر بن فلاح ، الذي قضى على مقاومة جند الإخشيدية والكافورية ،
 في دفاعهم عن القسطنطينية في شهر شعبان سنة ٣٥٨ هـ . تهدف إلى تنفيذ الخطة القاصية
 بتأمين حدود مصر من ناحية الشمال ، والوصول إلى بغداد نفسها ، حاضرة الدولة
 العباسية .

(٢) لم يستطع جوهر الصقلي أن ينشر من جامع ابن طولون ما كان ينشره من جامع عمرو ، إلا
 بعد مدة طويلة لا تقل عن ثمانية أشهر . ففي يوم الجمعة الثامن عشر من شهر ربيع الثاني
 سنة ٣٥٩ هـ أدخل شيئاً غير قليل من خصائص الدعوة الإسماعيلية ، وقد نفذ برنامج
 الفاطميين ، عبد السميع الذي أسندت إليه رئاسة الخطباء بمصر .

(٣) وأدخل جوهر نظاماً جديداً لتنظيم التركات ، وأنشأ ديواناً أطلق عليه (ديوان المواريث) ،
 كان من أهم مصادر ثروة الدولة ، المقريري : خطط ج ٢ ص ٢٨٧ .

والجدة ، ولا يرث مع الأم إلا من يرث مع الأب والولد ؛ فعمل ذلك بمصر وأعمالها ، وذلك مذهب أهل البيت ع . م والحجج فيه طويلة كثيرة ؛ وقد أتى القاضي النعمان بن محمد (رضي) في ذلك بما هو شفاء للصدر ، وجلاء للقلوب ، وليست الحجة إلا على من أنصف ، وأقر بالحق حيث وجد ، واعترف ؛ لا على من جاحد ، وكابر ، وعاند^(١) .

وإني جعفر بن فلاح القرامطة ، والحسن بن عبد الله بن طغج بالرملة ، وقد تعبوا ، وأعدوا ، واستعدوا ؛ فوقع بينهم قتال شديد كانت الدائرة فيها على القرامطة ، والحسن بن عبد الله ، ومن والاهم ؛ فولوا منهزمين وأمکن الله منهم ، فقتل منهم خلق عظيم ، وأسر أبو عزوان القرمطي ، والحسن بن عبد الله طغج جميعاً ؛ واستولى جعفر بن فلاح على الرملة ، ورد بذلك الخبر إلى القائد جوهر ، في شهر ربيع الآخر سنة تسع وخمسين وثلاثمائة فسر ذلك^(٢) ووصلت الأسارى إلى القائد جوهر في شهر / ربيع الآخر سنة تسع وخمسين وثلاثمائة فسر ذلك ، ووصلت الأسارى إلى القائد جوهر لسبع خلون من جمادي الأولى ، والقرمطي اللعين أبو عزوان ، والحسن بن عبيد الله بن طغج في قبة مكشوفة ، ومعها جماعة من الأسرى ، فوقفوا عند منية الإصبغ ، نحو من خمس ساعات ، واجتمع الناس للنظر إليهم ، وجعلوا يسبونهم ؛ ثم أنزلوا إلى مضرب القائد جوهر ، وأدخلوا إلى المعتقلين أصحاب تحرير شوزان^(٣) .

(١) وكان بعض قضاة الفاطميين يورثون أبناء العبد الرقيق دون سيده ، ويقبلون شهادته على غيره ، وشهادة العبيد بعضهم على بعض ، على حين رأى بعض آخر من القضاة وعلى رأسهم النعمان ، عدم توريث الأرقاء عملاً بقول الرسول : « العبد وما ملكت يده لسيده » .
(٢) أعد الإخشيدون في بلاد الشام عدتهم لملاقاة جعفر بن فلاح ، فخرج الحسن بن عبيد الله ابن طغج صاحب الشام من مدينة دمشق ، وقصد مدينة الرملة ، وترك القائد شمور الإخشيدي نائباً له على دمشق .

(٣) حارب جعفر بن فلاح الإخشيديين في ثلاث معارك كتب له النصر فيها جميعاً ، وقد دارت المعركة الأولى في مدينة الرملة ، في شهر ذي القعدة من سنة ٣٥٨ هـ ؛ وكان الحسن الإخشيدي على رأس جيوش المقاومة . ثم وقع الحسن أسيراً وبعث به إلى الفسطاط حيث =

وفي دخول القائد جوهر إلى مصر ، وما كان من أمر جعفر بن فلاح بالشام ،
يقول مقداد بن الحسن الكتامي :

ونحن جلبنا الخيل شعثاً ضوامرا
عليها الكتامين من الأحمير
نهز الرماح السمر ما كان أذبلا
إذا ما نزلنا منزلا حشد الدجى
كتائب لا نالوا لبني حفيظة
ثمانون الفا يلبسون إلى الوغى
يحفون طوع الأمر أروع يعتلي / ٢٢٣
تلاد الملوك الصيد من آل هاشم
تلبب للحرب المغيرة وارتدى
أخوال العزم ما استقبل النجاح موردا
إذ زينة الحرب رد بعاعه
تورع أن يدعو في خلواتها
نقت قلبه الأملاك كل غنيمة
إذا اعتكر الخطب انتفى في سواده
سما وحشى ما بين مصر وبرقة
كما اعتصم الطود المعظم ليلة
فما برحوا فيها حصيدا فإنهم

= سيق إلى المغرب ، وظل بها حتى مات في خلافة العزيز سنة ٣٧١ هـ . وفتحت طبرية التي
كان يليها القائد « فاتك » غلام ملهم منذ عهد كافور الإخشيدي . ولم يقاوم أهل طبرية
جيوش الفاطميين مقاومة تذكر . وبعد قتال شديد تمكن جعفر بن فلاح من احتلال دمشق
وأقام الخطبة للخليفة المعز لدين الله ، في دمشق أول جمعة من شهر المحرم سنة ٣٥٩ هـ ،
وحذف اسم الخليفة العباسي المطيع (٣٣٤ - ٣٦٣ هـ) ، فكان هذا إيذانا بزوال نفوذ
العباسيين من هذه البلاد .

وهم تركوا أن يأخذوا الأمر مقبلاً
فما ابتكروا إلا نعاما شردا
ولما نفى عنها القذى وأدھا
رمى كل ثغر من فظاھا بصخرة
فسل اي رأس من كتامة جحدر / ٢٢٤
أقام بمصر فأمن الضرب في الطلا
فلا تكذبن لست الغداة بواجد
فكعب عنهم أزور الجبت مدبرا
إلى الشام أوھاما بمصر مكسرا
من الجذب فاستھدى لها العیش أخضرا
وسوم تسويما إلى الشام جعفرا
تدحرج من في الشام ھاما مطيراً /
فناجزھا بين الفرات ودمرا
بأنصر من قومي رجالا واصبرا

وأنفذ القائد جوھر ہدیة إلى أمير المؤمنین ع . م لسبع عشر مضت من جماد
الأولى ، وخرج الناس للنظر إليها ، وفيھا [تسع وتسعون بختية و]^(١) إحدى
وعشرون قبة ، [عليها الديباج المنسوج بالذهب ، ولھا مناطق من ذهب مكللة
بالجوھر]^(٢) . ومنها خمسة مذهبة ، وواحدة مرصعة بالجوھر ، القبة ، وجهاز
الناقة الذي عليها ، والباقي ديباج ، وديقي ؛ وخمسون فرساً مسرجة ملجمة ،
وخمسون ناقة مزينة ، ونيف وخمسون جملاً ، وعلى النوق والجمال أحمال مخزومة ،
وأقفاص مشدودة ، وطرائف وطيور^(٣) ؛ وسار جعفر بن جوھر مع تلك الهدية إلى
المنصورية ، وسير أبوه معه الحسن بن عبد الله بن طغج ، ونحيرير ، وسائر
الأسرى من الإخشيدية ، والكافورية ، فلما خرجوا من البحر ، وانتهوا إلى البر

(١) تسع وتسعون بختية و : سقطت في ب

(٢) سقطت الكلمات المحصورة من ب

(٣) وأرسل القائد جوھر ہدیة أخرى بعد أن وصل إلى مصر في سنة ٣٦٢ هـ . وقد اشتملت
ھذه الهدية على أشياء كثيرة ، منها : مائة وخمسون فرساً مسرجة ملجمة ، منها مذهب ومنها
مرصع ومنها معنبر ، وإحدى وثلاثون قبة على نوق بخاتي بالديباج ، والفرس ، منها تسعة
بديباج منقل ، وتسع نوق مزينة بمثقل . وثلاثة وثلاثون بغلاً ، منها سبعة مسرجة
ملجمة . ومائة وثلاثون بغلاً للنقل ، وتسعون نجياً ، وأربعة صناديق مشبكة يرى ما
فيھا ، وفيھا أواني الذهب والفضة ، ومائة سيف محلى بالذهب والفضة ، ودرجان من فضة
مخرقة فيھا جوھر ، وشاشية مرصعة في غلاف ، وتسعمائة ما بين سفت وتحت ، فيھا سائر ما
أعد له من ذخائر مصر . المقرئزي : خطط جـ ١ ص ٣٨٥ .

حلت عنهم القيود ، وأركبوا الخيول والمحامل ؛ فحين انتهوا إلى أمير المؤمنين المعز لدين الله ع. م ، برهم وأكرمهم ، وأعطاهم بالقيروان ما يحملهم ، وأسكنهم دوراً بالقيروان حسنة ، وأباح لهم فرشاً ، وزينة .

وفي شهر رجب / من سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ، أخرج جوهر القائد مائة ألف وخمسين ألف درهم ، وأمر بتفريقها على الضعفاء والمساكين ، وقال : هذه صدقة من مولانا أمير المؤمنين من عين ماله^(١) . وثار زبير الأخشيدي في شهر شعبان من هذه السنة بناحية من نواحي مصر ، وحشد [وكبس القرماء فأخذ واليها]^(٢) من قبل جوهر ، ودعا^(٣) للمطيع العباسي ، وكتب اسمه على بنوده ؛ فأرسل له القائد جوهر الشريف أبا القسم يحيى الحسيني ونهاه وعوده ، فلم يقبل ؛ وأبى إلاً تمادياً وإصراراً على الفساد ، والبغي ، والعناد ، والغبي ؛ وكان مع زبير الشريف أبي القسم العلوي الأفضسي ، فأنفذ القائد بالعساكر برأً وبحراً ؛ وكان زبير قد كبس صهرجت وانتهبها ، فأمر القائد جوهر بنهب دوره بمصر ، وقبض على صهره علي بن نصر السراج ، وأخذ منه له ودائعاً ، وشفع به مسلم بن عبد الله الحسيني فأطلقه القائد إكراماً له ؛ ثم إن زبيراً عاد وانتهب ضياعاً من أسفل الأرض ، وواقعه عساكر القائد جوهر بصهرجت فانهمزم ، وتبعته^(٤) العساكر ، وقتلوا كثيراً من أتباعه ، ومضى على وجهه إلى تينس ، وركب البحر المالح يريد الشام ، ومنها^(٥) إلى بلد الروم . / وأخذ الزبير بنوداً فأدخلت إلى مدينة مصر منكسة ، وأنفذ القائد جوهر أسطولاً بالرجال والسلاح في طلب زبير ، وكان قد أخذ من دمياط جماعة من المغاربة ليقتلهم فمنعه^(٦) منهم أهل دمياط

(١) اشتهر المعز لدين الله بالجود ، فكان يعمل على إسعاد شعبه ، وينفق على إصلاح أحوالهم كثيراً من أمواله .

(٢) وكبس القرماء فأخذ واليها : كبس القرداء وسلم إليها في ب

(٣) ودعا : سقطت في ب

(٤) وتبعته : وتتابعه في ب

(٥) ومنها : ثم في ب

(٦) فمنعه : فتمنع في ب

وحاربوه ، فتوجه في البحر يريد الحمام ، فأخذ في الحمام هو وجماعة من أتباعه ، وغلمانه ، وقيدوا ؛ وورد الخبر إلى القائد بذلك فولى جوهر القائد أعمال زبير رجلاً يسمى ابراهيم بن أحمد .

ولما كان في ابتداء شهر رمضان ترك الناس رؤية الهلال إذ لم يتبين لهم ، فصاموا بصوم القائد جوهر ، وأفطروا بظفره ، بعد أن حضر دعاة أمير المؤمنين الذين بمصر ، وأحضروا القضاة والفقهاء ، وناظروهم ، وتلوا عليهم قول الله تعالى : ﴿ شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ^(١) ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُم ^(٢) ﴾ .

وقامت الحجة عليهم ان وفي العدة هي في ثلاثين يوماً ، وأقروا بذلك ^(٣) ، وعيد القائد جوهر عيد الفطر ، وخطب الخطباء بذكر الأئمة من آل محمد ، وإشهار فضلهم ، وانصرف الناس مع القائد جوهر إلى قصر القاهرة المعزية المعمور فيها ، فأكلوا معه ، وأجاز الناس ، وأحسن إليهم ، وفي أربع عشرة خلت من شهر شوال وافى زبيراً أسير مع الموكلين به ، واجتمع الناس لإشهاره والنظر إليه ، وهو على جمل ومعه جماعة من أتباعه ، وأحضر إلى مقام القائد وعنده القاضي أبو طاهر والوزير أبو الفضل فقال القائد لزبير أي شيء حملك على الخلاف على أمير

(١) سورة : ٢ / ١٨٥

(٢) سورة : ٢ / ١٨٥

(٣) إن صيام شهر رمضان عند السنين ينتهي بمجرد ظهور القمر ، سواء أكان شهر شعبان تسعة وعشرين يوماً أم ثلاثين ، وذلك عملاً بقوله (ﷺ) : « صوموا لرؤيته (هلال رمضان) وأفطروا لرؤيته (هلال شوال) ؛ فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوماً» . ولكن جوهر الصقلي لم يرتض السير وفق هذه الطريقة التي لا تتفق مع أصول المذهب الشيعي . ففي سنة ٣٥٨ هـ أبطل الصوم بعد اليوم التاسع والعشرين من رمضان ، وصل العيد قبل رؤية الهلال . فاعترض أهل الفسطاط على ما فعل ، وصاموا اليوم الثلاثين حسب أصول المذهب السني ، ثم جعلوا العيد بعد ذلك اليوم ، أي بعد رؤية الهلال . الكندي ص ٥٨٤ . المقرئزي : اتعاظ الخنفا ص ٧٦ .

المؤمنين قال هذا عمل هذا وأشار إلى غلام يدعى نجيب فقال نجيب لا والله مالي في هذا شيء فأمر بهم القائد جوهر إلى الإعتقال فما زالوا فيه إلى سنة ستين في شهر ربيع الآخر وهلك زبير وفي سنة تسع وخمسين وثلاثمائة افتتح جعفر بن فلاح مدينة دمشق بعد أن قاتل قتالاً شديداً حتى غلب المتغلبين وهزمهم فولوا منهزمين ومدبرين وانصرفوا في الأرض تائهيين وهرب القرامطة ومنهم من ركب البحر إلى الروم وأقام جعفر بن فلاح الخطبة باسم أمير المؤمنين / المعز لدين الله ع . م / ٢٢٨ في دمشق وأعمالها وأمر بالنداء في آذان بحري على خير العمل ووردت الأخبار بذلك إلى القائد جوهر في ذي الحجة آخر شهور سنة تسع وخمسين وثلاثمائة . قال ابن حوقل البغدادي : دمشق أجمل مدينة بالشام في أرض وسطية بين جبال تحديق بها ومياه كثيرة وأشجار متصلة وزروع ممتدة تعرف بالغوطة عرضها مرحلة في طول مرحلتين نزهة فرجة ومخرج مائها من نبعة تعرف بالفيجة أول خروجه ذراع في ذراع ثم يجري في شعب يتفجر عيون وأنهار جارية في عمارة دورها وسككها وحماماتها وليس في الإسلام مثل جامعها حسناً وبناءً ورخاماً وذهباً بوجه من الوجوه هذا قول ابن حوقل .

وأخرج جعفر بن فلاح تازرف في عدد وعدة فبلغ إلى حمص وافتتحها ، ودان الناس فيها لأمر المؤمنين المعز لدين الله ع . م ، ودخل تازرق سلمية فأتاه أهلها بخط الإمام المهدي بالله ع . م برفع الخراج عنهم متى ملكت بلادهم ، فكتب تازرف إلى جعفر بن فلاح فكتب إليه جعفر أرفع / الخراج عنهم ، ولا يلزموا به ، ففعل [وكتب لهم ورق] (١) على ما خطه المهدي بالله ع . م لهم .

وفي ذي الحجة من هذه السنة وافى عشرون جملاً موفرة من متاع وكسوة ومال ، للمحرومين من أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م ، إلى القائد جوهر ، وكتب جعفر بن فلاح إلى جوهر القائد يستأذنه في تسير عساكر للغزو إلى إنطاكية ، وهي في أيدي النصارى من الروم ، فأذن له القائد بذلك ، فندب عبد الله بن عبيد

(١) وكتب لهم ورق : ثار ورق لهم في ب

الله الحسيني أخ^(١) مسلم ، وأنفذ معه غلامه فتحاً ، وأعطاهم مالا كثيراً ، وسير معهم من دمشق عساكر عظيمة ، فساروا في نحو من عشرين ألفاً ، وطوقوا^(٢) إنطاكية ، وحاصروا من فيها ، وضيقوا عليهم الحصار^(٣) ، حتى أشرفوا على فتحها ؛ ثم جاءت عساكر الروم بما لا قبل لهم بها فخافوا على من معهم من جيوش المسلمين ، فانصرفوا إلى دمشق ، وكثرت مؤونة جعفر بن فلاح وانبسطت عطاياه وصلاته إلى مصر ، وإلى المغرب ؛ وعظم سلطانه ، وخافته الروم ، وخافه صاحب بغداد ، ودانت البلاد لأمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م ، وخطب له / ٢٣٠ بالحرمين^(٤) ، وفي السند ؛ مع انتشار ملكه في جميع الغرب إلى أقصى نواحيه ، وفي مصر ، والشام ؛ ودعائه في جميع الجزائر ظاهرين ومستترين ، ودان الناس [بمعرفته وصلته]^(٥) ، ووضح للخلق عظيم محله .

وأراد أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م أن يقيم حجة من أولاده ، يستودعه أمر الدنيا والدين ، ويجعله ولي عهد المسلمين ؛ وكان ولده الإمام العزيز بالله لم يبلغ^(٦) أشده ، ليفوض إليه عهده ، كون ولده الإمام العزيز بالله نزار بن معد ع . م كان في حال الطفولية ، فأقام ولده الأمير عبد الله بن المعز لدين الله واستودعه الأمر ، حتى بلغ ولده نزار العزيز بالله أشده ، ففوض إليه عهده ؛ وكان الأمير عبد الله بن المعز لدين الله ذا فضل عظيم ، ومقام كريم ، إلا أن

(١) أخ : أخا في ب

(٢) وطوقوا : وتولوا في ب

(٣) الحصار : سقطت في ب

(٤) ولما دخل جوهر مصر في سنة ٣٥٨ هـ ، استطاع بعض الحسينيين أن يستولي على مكة المكرمة ، وخطب للمعز لدين الله ، وأرسل إلى جوهر يبشره بهذا الفتح . فأرسل هذا بدوره إلى المعز في بلاد المغرب . المقرئزي : اتعاظ الحنفا ص ٦٦ . والواقع أن إقامة الخطبة للمعز في بلاد الحجاز كانت نوعاً من أنواع الصراع الذي قام بين العباسيين والفاطميين لزعمامة العالم الإسلامي .

(٥) بمعرفته وصلته : بعرفه وصلته في ب

(٦) قد بلغ : سقطت في ب

الإمامة لم تكن فيه ، بل صارت بعد المعز لدين الله إلى ابنه نزار العزيز بالله
ع . م . (١) .

قال منصور الكاتب الجوزري في ما ذكر من تشریف الأئمة صلوات الله
عليهم لعبداهم جوذر ، الذي كان على أيديهم خلاصه وعتقه ، وإخلاصه
/ ٢٣١ / وسبقه (٢) ؛ قد تقدم ذكرنا ما كان من القائم بأمر الله ع . م / وتشریفه
للأستاذ بإفراده واختصاصه ، بأخذ العهد عليه للمنصور بالله ، بأن أخذ عليه
للأمير عبد الله مفرداً بالمهدية في السفارة التي حمل المال فيها ، فكتم الأستاذ ذلك عنه
سبعة أشهر حسب ما أمر به ؛ ثم إن مولانا (٣) ع . م أخذ بعد سبعة أشهر ، على
غيره مثل محمد بن علي ، ومحمد بن حسن ، وعسلوج بن عسكر ، وغيرهم ،
واستكتهم في ذلك .

وكان الأستاذ إذا تقرر عنده علم ولي العهد ، لم يلتفت بعد الإمام ع . م
إلا إليه ، حتى انه كان يقول في كثير من الأوقات من حيث يسمعه (٤) الإمام في
عصره : إنما هو الله [عز وجل] (٥) ومولانا المفترق الطاعة بعد الله عز وجل ، ومن
أشار إليه من ولده ، وجعله ولي عهده ، والباقي كلهم لهم المودة في القربى لا
غيرها (٦) .

فلما خرج مولانا ع . م إلى المهديّة لشد ما بالخزائن من الأمتعة ثم رجع إلى

(١) من مرتكزات العقائد الإسماعيلية الأساسية أن على الإمام أن ينص على صاحب الأمر من
بعده من ولده ، لأن النص ركن من أركان الإمامة ، ولا بد للإمام من إقامة حجة لنفسه ،
يستودعه سر الإمامة الذي حمله على عاتقه ؛ وهذا ما يؤكد القائم بأمر الله حين قال لجوزر : لا
يجل للحجة بعد الإمام أن يدفن الإمام حتى يقيم حجة لنفسه ، ولم يجل لي ذلك حتى أقيم
حجتي وقد ارتضيتك لهذه الأمانة دون جميع الخلق .

(٢) سيرة جوذر صفحة ١٣٩ .

(٣) سيرة جوذر صفحة ١٣٩ .

(٤) يسمعه : يستمع في ب

(٥) عز وجل : سقطت في

(٦) لا غيرها : غيرنا في ب

دار ملكه ، واحتاج الأستاذ أن يتحرك من المهديّة أمر مولانا إخوته وأولاده بالخروج للقاءه (١) وجميع رجال الدولة ، ولم يجد (٢) مولانا للأستاذ كيف يسلم على الأمراء / ٢٣٢ / أولاده ، ولا من يقدم منهم ولا من يؤخر ، وكان مولانا مشغول / الضمير في (٣) كيف يكون سلامه عليهم ، وكانت أعين العوام ذلك الوقت تنظر إلى ولد مولانا ع . م الأكبر وهو تميم ، فلما قرب منهم الأستاذ عمل في نفسه على (٤) إقامة الحق وإفراد من خصه الله به ، فقصد الأمير نزار (٥) وسلم عليه [فقبل الأرض بين يديه ثم قبل ركابه . وكان من حق الأمير عليه ما] (٦) كاد أن يسقطه عن سرجه من التواضع ، ثم ركب الأستاذ ولم يلتفت إلى غيره ، ولا سلم على أحد سواه ، ف وقعت في قلوب أولئك خجلة ، ونظر الناس من هذا إلى أمر عظيم ، فمنهم من يصوب رأيه فيما فعله ومنهم من يخطئه ، فلما اتصل بمولانا فعله ، وما كان منه [من ذلك سره] (٧) سروراً عظيماً وقال : لم يزل جوذر موقفاً مذ كان .

ثم لما وصلوا وانصرف الأستاذ بعد السلام على مولانا ع . م ، ولم يخاطبه على ذلك اشتد ذلك على أهل القصر من الحرم وأومأوا (٨) إلى جوذر بلوائم عظيمة [تنبو بها جدوده] (٩) . ولما وقف الأستاذ على ذلك من فعلهم أدركته نفسه إذ لم يخاطبه مولانا على ذلك بشيء ، فكتب رقعة إلى مولانا يصف ما كان وأنه قصد بذلك إفراد صاحب الحق دون غيره إذ لا يسعه في دينه غير ما فعله ويصف [ما

-
- (١) للقاءه : القائد في ب
 - (٢) يجد : يجد في جـ
 - (٣) في : سقطت في جـ
 - (٤) على : من في ب
 - (٥) نزار : عبد الله في ب
 - (٦) فقبل الأرض بين يديه ثم قبل ركابه . وكان من حق الأمير عليه ما : سقطت في ب وجـ وأخذناها من سيرة جوذر ص ١٤٠ .
 - (٧) من ذلك سره : سره ذلك في ب
 - (٨) وأومأوا : وأوفوا في ب
 - (٩) تنبو بها جدوده : يشوبها جدده في ب

٢٣٣ / حل [١] عليه من أهل القصر وغيرهم من أصحاب الآراء/الفاصلة، فلما وقف أمير المؤمنين على رقعته صرف إليه الجواب، وهو:

يا جوذر ! سلمك الله ، والله ما محلك عندنا إلا المحل الذي أحللت نفسك لاتباعك رضى مواليك ولأنك لم تخلط بهم غيرهم ، وبذلك أسعدك الله في دنياك وأخراك ، وقد كان لك من تقبيل أيديهم كفاية عن تقبيل الأرض ، فما نميزك علم الله منهم إلا بما يخص الله به من اختصاصه منهم . وقد أجبته (٢) من ذكرت عليه (٣) واعتذرت أنا عنك بأنك قد سلمت على الجميع أولاً بما ذكرت من تقبيلك (٤) الأرض ، وقد وفقك الله فما تبالي من ساءه أو سره . أتم الله عليك النعم ، ووهب لك السلامة والعافية إن شاء الله تعالى .

ثم أن أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م نوه باسم ابنه عبد الله بن المعز ورفع قدره ، وأعلى ذكره ، وجعله صاحب حضرته ، والقيّم بأمر دعوته ، والسائس لجميع أهل مملكته ؛ وقد كان المعز لدين الله ع . م نوى الهجرة إلى الديار المصرية ، ووافق ذلك خلاف (٥) خزيمة بن محمد بن خزر في جهات البربر ، وجبل أوراس ، واستمال / رعاع الناس ، وبغى في أطراف المملكة ، وثار الذعار ، وأهل الفساد ، والمريدون للبغى في البلاد ، وأراد أن يحيي ما مات بموت الدجال مخلد ؛ فأراد المعز لدين الله أن يقطع (٦) من الفساد دائره ، ويتبع بأوله آخره ويدير (٧) على الذين بغوا في الأرض سوء الدائرة ؛ سيما مع ما أزمع عليه من الهجرة ، لئلا يعم ذلك المغرب ، ويختل أمر المملكة ، ويضطرب .

(١) ما حل : ما حصل في ب

(٢) أجبته : حسبت في ب

(٣) عليه : عليك في ب

(٤) تقبيلك : تقبل في ج

(٥) خلاف : طواف في ب

(٦) يقطع : يطوع في ب

(٧) ويدير : ودار في ب

فخرج أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م بنفسه ، ومعه إبنه عبد الله بن المعز في عساكر عظيمة ، وجنود كثيفة ، وعدة قوية ، لطلب الثائر [المعروف بأبي]^(١) خزر وصلاح أمر المغرب ، وكان خروجه ع . م لسبع بقين من شهر شوال في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة . قال محمود الكاتب الجوذري^(٢) : ولما اعتزم مولانا ع . م على الخروج في طلب الثائر أبي^(٣) خزر أمر الأستاذ جوذر بالخروج إلى المهديّة لإحكام ما بالخزائن التي بها ، وشد الأمتعة إلى المشرق ، وخاض الناس وأكثروا من القول ، بأن الأستاذ هو المستخلف على أفريقية ، وكتب إلى مولانا [صلوات الله عليه]^(٤) يعرف ما اتصل به من ذلك ، ويرغب / إليه في أن لا يفارقه ، إذ السعادة مقرونة بنظره إلى وجه أمير المؤمنين ، فوقع إليه على ظهرها :

يا جوذر ، وقفنا على رقعتك هذه ، وهذا شيء يقوله الجهال من الناس ، ومن لا يعلم ما نحن فيه ، ولا والله ما هذا رأينا فيك لوجه ، أولها : أنا نحب أن لا ندخر عنك نعم الله عندنا ، وأن تكون مشاهداً . والثانية : أنك لست ممن نستقله^(٥) فنحب الراحة منه . والثالثة : كبر سنك في طاعة الله تعالى وطاعتنا . والرابعة : أنك^(٦) لا تجد من يصفو لك على ما تريد من فساد^(٧) أطماع الناس وطباعهم الآن ، فأنت لا تجد معيناً^(٨) ولا عضداً ، ولا من يقوم بين يديك فضلاً عن غير ذلك فلا تحدث نفسك بما يضعف قواك ، فوالله ما تركناك ههنا إلا شفقة عليك

(١) المعروف بأبي : ابن في ب

(٢) سيرة جوذر ص ١٠٩

(٣) أبي : ابن في ب

(٤) صلوات الله عليه : سقطت في ب

(٥) نستقله : نشغله في ب

(٦) أنك : سقطت في ب

(٧) من فساد : لفسد في ب

(٨) معيناً : مغيباً في ب

ورحمة لك ، ونحن نعلم أن لو كنت غائباً عنا لمثل^(١) هذه الغاية^(٢) [من الأحياء]^(٣) إلى اليوم، فطب نفساً، فلن^(٤) تزايدنا حتى تقضي حجك وتزور قبر جدنا محمد (ﷺ) بفضل الله علينا وعليك ، فوحقه ما أملنا فيك في سرنا إلا كالذي ذكرناه فيك ، وأزيد من الخير والجميل ، ونحن نتوحي لأهل هذا الزمان من نرجوه لهم ويصلحوه / له إلى أن يبلغنا الله المراد ، ويرينا الله^(٥) وجه الصواب، وليتنا نجد فيمن نتركه ههنا مثل نيتك وحدبك على دولتنا، والله يخير^(٦) لنا ويختار بحوله وقوته إن شاء الله .

ولما أن خرج مولانا صلوات الله عليه في سفره إلى بسكرة ، وتوجه الأستاذ إلى المهديّة ، اجتاز أمير المؤمنين بعين تعرف بعين كسرى فوقف عليها ، وذكر الأستاذ وقال ع . م :

ذكر الله جوذراً بخير، فإنه كان يسره الوقوف على هذا الماء ، والشراب منه ، هلموا جراراً خضراً، فأتي بها ، وملئت بين يديه وختمت، وأنفذها، وكتب معها رقعته إلى محمد الكاتب نسختها^(٧) : يا محمد! إبعث إلى جوذر سلمه الله تعالى بتوقيعنا هذا تعرفه أنا ذكرناه بعين كسرى ، ذكره الله بالرحمة والعافية ، وأنا أمرنا أن^(٨) يملأ له بين أيدينا من رأس العين حقلين ماء وأنفذناهما إليه ، وبعثنا إليه أيضاً بخمسة دنانير من السكة المباركة المضروبة بمصر على اسمنا بفضل الله وعظيم امتنانه ليراهما ويتبرك بها ، وأرجو أن يمد الله في عمره حتى يحج معنا ونعطيه مما يضرب / لنا ببغداد ، وقد أكمل الله لنا الآمال ، وعرفه ما نحن عليه من السلامة

(١) لمتل : إلى في ب

(٢) الغاية . الساعة في ب

(٣) من الأحياء : حياً في ب

(٤) فلن : ولا في ج

(٥) الله : سقطت في ج

(٦) يخير : نحير في ب

(٧) سيرة جوذر ص ١١١

(٨) أن : في ب

وتتابع النعم ، وما معنا من الجموع التي يستعملها الله فيما^(١) يرضيه على إرغام^(٢) أعدائنا حيثما^(٣) كانوا فليطب نفساً ، فما قبلنا إلا كل خير سيره الله به ، والحمد لله كثيراً كما هو أهله .

ثم سار أمير المؤمنين ع . م من فوره ذلك بعساكره تلك حتى استأصل المفسدين ، وقطع أنجاز الملحدين ، وأمكنه الله من الفاسق مخرمة بن محمد بن خزر فقتله في وقعة عظم بأسها ، واشتد مراسها ، وقتل معه من أتباعه خلق عظيم فخدمت الفتنة ، وقرت وهابت الأعداء ، وقرت واطمأنت القلوب ، واستقرت ؛ ورجع الإمام إلى المنصورية موفقاً منصوراً مؤيداً محبوراً ، وطيف بالرووس في جميع البلدان ، وانقذ منها ع . م . إلى مصر ، ليرغم أولي الشنان ، ويطمئن قلوب أهل الإيمان .

قال الحسن بن ابراهيم بن زولاق^(٤) : وفي شعبان من سنة ستين وثلاثمائة وردت رسل أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م . برأس مخرمة بن خزر ومعه ثلاثة / ٢٣٨ / آلاف رأس من أصحابه ، وطيف بهم في مدينة مصر والقاهرة ، ومعهم شيخ على نجيب يتكلم عليه ، وعليهم ، ويسبهم . وفي الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من شعبان قرىء على منبر الجامع العتيق كتاب المعز لدين الله إلى القائد جوهر بخبر مخرمة بن خزر وأصحابه ، وفي الكتاب الوصية بأهل مصر . وقال محمد بن هاني الأندلسي يمدح أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م ، ويصف الوقعة ، ويذكر

(١) فيما : سقطت في ب

(٢) إرغام : رغم في ب

(٣) حيثما : إنما في ب

(٤) تاريخ ابن زولاق المتوفى سنة ٣٨٧هـ المسمى «فضائل مصر وأخبارها وخواصها» ، أتى فيه مؤلفه على تاريخ مصر منذ عصورها الأولى . وابن زولاق حجة لا يستهان بها في تاريخ الصدر الأول من أيام الفاطميين . أولاً لأنه كان مصري الجنس ومن أهلها وثانياً لأن شهرته قد ذاعت لسعة اطلاعه في مادة التاريخ . وقد ألف ابن زولاق سلسلة من الكتب الأصلية عن تاريخ مصر .

الأمير عبدالله بن المعز فيها^(١) :

كَدَابِكُ ابْنِ نَبِيِّ اللَّهِ لَمْ يَزَلْ
أَيْنَ الْفِرَارُ لِيَاغٍ أَنْتَ مُدْرِكُهُ
هَيْهَاتَ يَضْحِي مَنِيْعٌ مِنْكَ مُمْتِنِعاً
وَلَوْ غَدَا بِخُلُوبِ^(٢) اللَّيْثِ مُدْرِعاً
أَمَّا الْعَدُوُّ فَلَا تَحْفَلُ بِمَهْلِكِهِ
وَأَيُّ مُسْتَكْبِرٍ يَعْيا^(٣) عَلَيْكَ إِذَا
خَافُوكَ حَتَّى تَفَادُوا مِنْ جَوَانِحِهِمْ
مَا يَسْتَقِرُّ لَهُمْ رَأْسٌ عَلَى جَسَدٍ
هَذَا الْمَعِزُّ وَسَيْفُ اللَّهِ فِي يَدِهِ / ٢٣٩
وَهَذِهِ خَيْلُهُ غُرّاً مُسَوِّمَةً
إِذَا سَطَا بَادَرَتْ هَامٌ مِصَارِعَهَا
أَرَدَتْ سَيْوُفُكَ جَيْلاً مِنْ فِرَاعِنَةٍ
هُمْ^(٤) اسْتَبَدُوا بِأَسْلَابِ اللَّيْثِ^(٥) وَهُمْ
مِنْ عَهْدِ طَالُوتَ أَوْ مِنْ قَتْلِ اضْطَرَمَتْ
لَقَدْ قَصَمَتْ مِنْ ابْنِ الْخَزَرِ طَاغِيَةً
إِذْ لَا يِزَالُ مُطَاعاً فِي عَشِيرَتِهِ

(١) ديوان ابن هاني الأندلسي منشورات صادر ص (٢٧٥) .

(٢) بخلوب : بجنوب في ب

(٣) العصل : العطل ففي ب

(٤) كالمحصور : كالمخصوص في ب

(٥) يعيا : يعلو في ب

(٦) يلعبن : يلقين في ب

(٧) هم : وفي ب

(٨) الليوث : الملك في ب

(٩) ديوان ابن هاني الأندلسي ص ٢٧٦

يَكَادُ يَعِصِي مَقَادِيرَ السَّمَاءِ إِذَا
حَسَمَتْ مِنْهُ قَدِيمَ الدَّاءِ^(١) مُتَّصِلًا
[من جاحدي الدين والحق المنير ومن]^(٢)
وَمِنْ جَبَابِرَةِ الدُّنْيَا الَّذِينَ خَلَوْا
قَدْ قَرَّ كُرْسِيُّ عَدْنَانَ وَمَنْبَرُهَا
مَنْ لَا يَرَى الْعَزْمَ عَزْمًا يُسْتَقَادُ لَهُ
مَنْ صَغَرَ الْمَشْرِقَيْنِ الْأَعْظَمِينَ إِلَى
وَطَبَّقَ الْأَرْضَ مِنْ مِصْرٍ إِلَى حَلَبِ / ٢٤٠
وَأوردتْ خَيْلُهُ مَاءَ الْفُرَاتِ فَمَا
فَقَدَ تَوَطَّدَ أَمْرُ الْمَلِكِ فِيهِ وَقَدْ
لَمَّا شَدَّدَتْ بَعْبِدِ اللَّهِ عُرْوَتَهُ
عَرَفَتْ فِي كُلِّ صُنْعِ اللَّهِ عَارِفَةً
وَلَاخْتِيَارِكَ فَضْلُ الْوَحْيِ إِنَّكَ لَا
مُسْتَهْدِيًا بِدَلِيلٍ^(٣) اللَّهُ تَتَّبِعُهُ
وَإِنْ مَلَكًا أَقْرَأَ اللَّهُ قَبْتَهُ^(٤)
لَوْ نَازَعَ النَّجْمَ مَا أَعْيَاهُ مَنَزِلُهُ
قَدْ فِئْتْ مِنْ بَرَكَاتِ الْأَبْطَحِيِّ إِلَى

رَمَى بَعِينِهِ بَيْنَ الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ
بِالْجَاهِلِيَّةِ لِأَهْلِ [بِالْعِدَى هَزَلٍ]^(٥)
عَادِي الْأَيْمَةِ وَالْكَفَّارِ بِالرُّسُلِ
وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ وَحْيَهُ فَتَلِي
بِفَاتِحِ الْمُدُنِ قَسْرًا مَوْمِنِ السُّبُلِ
إِذَا جِبَالُ شَرَوْرَى مِنْهُ لَمْ تَزَلْ
مَنْ فِيهِمَا مِنْ مَلِكِ الْأَمْرِ أَوْ بَطَلِ
خَيْلًا وَرَجُلًا وَلَفَّ السَّهْلَ بِالْجِبَلِ /
صَدْرَنْ حَتَّى وَصَلْنَ الصَّلَّ بِالنَّهْلِ
نَدَبَتْ نَدْبًا إِلَيْهِ غَيْرَ مُتَّكِلِ
أَعَزَزَتْ^(٦) مِنْهُ مَصُونِ الْعَرِضِ^(٧) لَمْ يَزَلِ
فَمَا تَهْمُ بِفَعْلٍ غَيْرِ مُنْفَعِلِ
تَأْتِي الْمَاتِي إِلَّا مِنْ عَلٍ^(٨) فَعَلِ
وَقَادِحًا لَزِنَادِ الْحِكْمَةِ الْأَوَّلِ
بَابِنِ الْإِمَامِ لِمَلِكٍ غَيْرِ مُنْقَلِ
أَوْ نَازَلَ الْقَدْرَ الْمَقْدُورَ لَمْ يَهْلِ
مَا يَفِيءُ إِلَيْهِ الظَّلُّ^(٩) فِي الْأَصْلِ

(١) الداء : الرأي في ب

(٢) بالعدي هزل : بالورى هذل في ب

(٣) من جاحدي الدين والحق المنير ومن : من جحد الرسل والحق المبين ومن في ب

(٤) أعززت : أذلت في ب

(٥) العرض : الأمر في ب

(٦) على : على في ب

(٧) بدليل : دليل في ب

(٨) قبته : فتنته في ب

(٩) الظل : سقطت في جـ

تَوَالَّتِ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ لَهُ
أَلَيْسَ أَوْلَ مَا سَاسَ الْأُمُورَ أَتَتْ
فَالْفَتْحُ (٣) مِنْ أَوْلِ النِّعْمَى (٤) بِهِ وَلَهُ
بِرِيحِهِ أَرْدَتْ الْهَيْجَا بَنِي خَزْرٍ
فَإِنْ تَكَلَّمَهُ (٥) إِلَى مَاضِي عَزَائِمِهِ
الْآنَ لَدَّتْ لَنَا مِصْرٌ وَسَاكِنُهَا / ٢٤
مَا مَكْتُشَا مَعِشَرَ الْعَافِينَ إِنْ لَنَا
فَلَيْتَنَا قَدْ أَرْحَنَاهُمْ وَأَنْفُسِنَا
لِيَعْقِدَ التَّجَاجُ هَذَا الْيَوْمَ مَفْتَحاً
إِلَّا تَخِرُّ لَهُ الْأَيَّامُ سَاجِدَةً
تَكْنَفْتُهُ (١٠) الْمَسَاعِي وَهُوَ يَرْفُلُ فِي
فِيهِ الرَّبِيعَانِ مِنْ فَصْلِ الرَّبِيعِ وَمِنْ

تَوَالِي السَّيِّمِ (١) الْوَكَاةِ الْهَاطِلِ
[عَفْوًا بِمَا] (٢) كَانَ لَمْ يَحْسَبْ وَلَمْ يَخَلْ
عَوَاقِبُ فِي بَنِي مَرَوَانَ عَنْ عَجَلٍ
وَبِاسْمِهِ اسْتَظْهَرَتْ فِي الْغَزْوِ وَالْقَفْلِ (٥)
[تَكَلَّمَهُ مِنْهَا إِلَى الْخَطِيئَةِ الذُّبْلِ] (٦)
[وَلِلْسَوَابِحِ وَالْمَهْرِيَّةِ الذَّمْلِ] (٨)
فِي الْبَيْنِ شَغْلًا عَنِ اللَّذَاتِ وَالْغَزَلِ
أَوْ (١١) اسْتَرَاخَتْ مَطَايِنَا مِنَ الْعُقْلِ
إِنْ كَانَ تَوَجُّجُ يَوْمٍ سَائِرُ الْمَثَلِ
إِذْ نَالَ مَكْرُمَةً أَعْيَتْ فَلَسْمُ تَنْلِ
وَشَيْ الرَّبِيعِ وَوَشْيِ الْمَجْدِ فِي حُلِّ
وَقَائِعِ النَّصْرِ تَشْفِي [مِنْ جَوَى] (١٢) الْغُلْلِ

وسار القرمطي أبو طاهر الحسن بن أحمد الأغمشي (١٢) إلى

-
- (١) الديمة : الديمة في ب
(٢) عفوا بما : عقوبها في ب
(٣) فالفتح : ذا الفتح في ب
(٤) النعمى : النعمة في ج
(٥) والقفل : والثقل في ب
(٦) فإن تكلمه : فإن تكلمه في ب
(٧) (تكلمه منها إلى الخطية الذبل : تكلمه منها الخطية الذبل في ب
(٨) (وللسوابح والمهريّة الذمل : وللسوابق والمهريّن الذلل في ب
(٩) أو : إذا في ب
(١٠) تكنتفه : تكشفه في ب
(١١) من جوى : وجوذي في ب
(١٢) وهو المعروف بالحسن الأعصم الذي تزعم القرامطة بعد وفاة أبيه أحمد بن أبي سعيد سنة ٣٥٩ هـ . ويلقب بابي علي الحسن بن أحمد الأعصم ، وقيل الأغم ، فطالت مدة زعامته من =

الشام^(١) في جيوش عظيمة من العرب والعجم ، ومنه أتباعه القرامطة ، وهذا اللعين الأغشم هو من قوم سليمان بن الحسين الذي دخل مكة ، في سنة سبعة عشر وثلاثمائة ، وخطب له فيها ، ووثب إلى الحجر الأسود فضربه بعمود من حديد حتى ثلمه ، وقال : إنك حجر لا تضر ولا تنفع . كفرأ وعناداً وبغياً في الأرض وفساداً ، فتوجه اللعين أبو طاهر إلى دمشق وفيها جعفر بن فلاح ، فخرج إليهم جعفر بن فلاح ، وكان عليلاً مجاهداً محتسباً نفسه في الله ، يرجو الظفر ، أو الشهادة ، وقد ٢٤٢ / صار أهل الشام عليه / مع القرامطة ، فقتل في تلك الحرب جعفر بن فلاح شهيداً ، رحمة الله عليه ، ودخلت القرامطة دمشق فغلبوا عليها ، وحازوها .

وبلغ قتل جعفر إلى القائد جوهر في ذي القعدة من سنة ستين وثلاثمائة ، وكان قتله لثلاث بقين من شوال^(٢) وسار القرامطة إلى الرملة وفيها سعادة بن حيان عاملاً للقائد جوهر فحازوا الرملة ، وانحاز عنهم سعادة إلى موضع يسمى نايا فتحصن فيه ، وساروا إليه فحاربوه ، وخاطبوه من وراء الحصن أن يسلم إليهم الموضع ويخرج إليهم ، وبذل الأمان له ، فقال لهم سعادة بن حيان : إنما أنا عبد مأمور . فلما أعياهم أمره توجهوا إلى مصر بعساكر جمعة قد اجتمعت لهم من الشام

= سنة ٣٥٩ هـ . إلى سنة ٣٦٧ هـ ، وكثرت وقائعه ، ونفى جمعاً كبيراً من ولد أبي طاهر . ويقال ، اجتمع منهم بجزيرة أوال نحو من ثلاثمائة .

(١) استعان الأعصم في سنة ٣٦٠ هـ بالخليفة العباسي المطيع ، واستمد منه ومن البويهيين المال والرجال ، ووعدهم باسترداد بلاد الشام ومصر من الفاطميين ، على أن يجعل القرامطة عمل الفاطميين في حكم هذه البلاد .

(٢) يقول النويري في نهاية الأرب جـ ٢٣ ورقة ج : فسار الحسن بن أحمد إلى الكوفة ، وراسل بختيار الديلمي ، أحد ملوك الدولة البويهية ، في طلب السلاح والمساعدة . فأنفذ بختيار إليه خزائن سلاح من بغداد ، وكتب له على أبي تغلب بن ناصر الدولة بن حمدان بأربعمائة ألف درهم ، فرحل الحسن من الكوفة ، حتى أتى الرجة . وعليها أبو تغلب بن حمدان ، فحمل إليه المال المسبب له به عليه ، وحمل إليه العلوقة . وأرسل إليه يقول : هذا شيء كنت أردت أن أسير أنا فيه بنفسي وأنت تقوم مقامي فيه وأنا مقيم في هذا الموضع إلى أن يرد إليّ خيرك ، فإن احتجت إلى مسيري سرت إليك . أما مسرح الحرب التي دارت بين الأعصم وجعفر بن فلاح فقد كان على « الدكة » الواقعة على نهر يزيد ، على مقربة من دمشق .

وما والاها من القرامطة، والأغشام الذين لا يعرفون فضل الإسلام ، ولا يميزون بين الحلال والحرام ، وانتهى أمرهم إلى جوهر القائد ، فحفر حول القاهرة خندقاً وبنى القائد جوهر القنطرة على الخليج المعروف بخليج أمير المؤمنين ، وفرق السلاح على الرجال من المغاربة والمصريين ، وركب القائد يوم النحر من سنة ستين / ٢٤٣ / وثلاثمائة في جيوش عظيمة^(١) وصلى صلاة العيد وعاد إلى قصره ، ونحر وفرق الضحايا ، ووهب للناس ، وأحسن إليهم ، وفي آخري الحجة من هذه السنة كبست القرامطة الفرما^(٢) وقاطعوا أهلها على مال ، وأخذوا عاملها عبد العزيز بن يوسف ؛ وفي شهر المحرم أول سنة إحدى وستين وثلاثمائة أنفذ القائد من عنده مراكب فيها الميرة لسعادة بن حيان ، وهو بيافا^(٣) ، وأقبلت عساكر القرامطة في شهر صفر من هذه السنة سنة إحدى وستين حتى بلغت عين شمس ، واستعد القائد جوهر لقتالهم لعشر بقين من صفر ، وأغلق أبواب القاهرة ، وضبط الداخلين ؛ ثم أسرع القائد جوهر لحرب القرامطة ، وأخرج مضاربه^(٤) وخرج معه الشريف مسلم الحسني ، وسائر الأشراف العلويين ، وخرجت الرعية لمعاودة القائد جوهر ، وجاءت القرامطة يوم الجمعة مستهل ربيع الأول فزحف القائد جوهر لقتالهم ، واشتد القتال ولم يتخلف عن القائد جوهر أحد / من وجوه المصريين ، وذوي بأسهم ، وبرز المغاربة إلى القرامطة ، وعظم القتل ، فقتل جبل من الفريقين ، وعادوا إلى القتال يوم السبت ، وأمسى الناس متكافين وباتوا على

(١) عظيمة : عظم في ب

(٢) الفرما : الفرما في ب

(٣) ترك الحسن الأعصم قائدة أبا المنجا وحليفه ظالماً من موهوب العقيلي على حصار يافا ، وقد تحمل جند الفاطميين فيها شيئاً غير قليل من المصاعب والأهوال . المقرئزي : اتعاظ الحنفا ص ١٣٢ .

(٤) هاجم الحسن الأعصم مصر من الناحية الشرقية ، واستولى على الفرما ، مفتاح الديار المصرية ، ثم هاجم القلزم واستولى عليها ، وأسر عاملها الإخشيدى عبد العزيز بن يوسف . ثم أخذ يتقدم في البلاد المصرية ، حتى وصل أمام القاهرة . وكان وصوله إلى عين شمس في شهر المحرم من سنة ٣٦١ هـ .

المصافى، وما زالوا في القتال^(١). ثم أصبح الناس غداة يوم الأربعاء فوقع بينهم قتال شديد واشتد البأس وصبر الناس، وانهمز الأغشم اللعين، ورجع مدبراً إلى الشام، وانتصرت عليه عساكر الإمام، وأعز الله الإسلام، وعاد جوهر ظافراً منصوراً مؤيداً محبوراً، وجاءته الأخبار من الصعيد، أن عبد العزيز بن أهيج، قد نافق ودعا إلى إمامة بني العباس، وكتب إسم المطيع على بنوده، فأنفذ إليه القائد جوهر أربعين مركباً بالرجال والسلاح، وجعل عليها^(٢) رجلاً من وجوه من معه يسمى بشارة؛ وأنفذ في البر تازرف لقتال ابن أهيج أيضاً في عساكر عظيمة، فاستولوا على الصعيد؛ وفر ابن أهيج إلى بغداد متخفياً، وترك جميع ما حازت يده، فغنم وجيء إلى جوهر القائد به، وبرؤوس كثيرة من أصحاب ابن أهيج، فطيف به في أعمال مصر؛ ثم أخرج / القائد جوهر ابن أخيه إبراهيم ومعه أبو محمد في عساكر عظيمة، وعدد وعدة إلى الشام لحرب القرامطة^(٣).

تحرك أمير المؤمنين المعز لدين الله سلام الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وعقبه الأكرمين للهجرة إلى مصر :

وكان خروجه من المنصورية يوم الإثنين لثمان بقين من شهر شعبان من سنة إحدى وستين وثلاثمائة، بعد أن جمع من الأموال ما لم يسمع بملك جمع مثلها، ورحلها صحبته، وسار في هيبة عظيمة، وعدة وجنود جمّة، وجيوش مستعدة، وقد أمر بالدنانير من الذهب فسكت بسبائك، وطبع اسمه عليها، وجعل حمل كل حمل سبيكتين، واستعمل على المهديّة، والمنصورية، والقيروان، ومدن (١) وكانت الحرب سجلاً بين الفريقين، منذ أواخر صفر إلى أن حلت الهزيمة بالقرامطة في شهر ربيع الأول من نفس السنة. المقرئزي: خطط جـ ٢ ص ١٣٨.

(٢) انظر النويري: نهاية الأرب جـ ٢٣ ص ٤٢.

(٣) بعد الهزيمة التي حلت بالأعصم، أرسلت الجيوش المغربية لمطاردته في الشام، فلحقوا به في أذرعات. ولم ير الأعصم ورجاله بدأ من العودة إلى بلادهم في البحرين، تاركين بلاد الشام لبعض أمراء القرامطة، وعلى رأسهم أبو المنجا القرمطي. وكان جيش الفاطميين الذين عهد إليه بمطاردة الحسن الأعصم، بقيادة أبي عمود بن جعفر بن فلاح؛ وقد استعان بقبائل طيء على تنفيذ خططه في بلاد الشام والقضاء على الأعصم. وبظالم بن موهوب العقيلي، الذي فترت العلاقة بينه وبين الأعصم فقلده ولاية دمشق.

أفريقية ، وما يضاف إليها من المغرب ، أبا الفتوح بُلْكَيْن^(١) بن زيري بن مناد الصنهاجي ، (بُلْكَيْن يعني يوسف)^(٢) ، لكن قد شهر اسمه بُلْكَيْن ، وقد ذكرنا لأبيه زيري بن مناد مع الإمام المنصور بالله ع. م من الجهاد أيام مخلد بن كيداد ، وأوصى أمير المؤمنين المعز لدين الله ع. م. / يوسف بن زيري عامله على المغرب وبلاد أفريقية ، بما أراد وجعل جميع الولاية في المغرب^(٣) من تحت يده ، وألزمهم جميعاً طاعته ، وكان من خالص أوليائه وصفوة أهل ولائه .

وهاجر مع المعز لدين الله ع. م من أولاد المهدي بالله ع. م أبو علي أحمد ، وأبو طالب موسى ، وابنا عبد الله المهدي بالله ، وأربع نسوة من بنات الإمام المهدي بالله ، وكانت وفاتهم^(٤) جميعاً في مصر ، ومن أولاد الإمام القائم بأمر الله ع. م جعفر ، وعبد الجبار ، إبننا محمد القائم بأمر الله ع. م ، وأربع نسوة من بنات القائم بأمر الله ، وكانت وفاتهم جميعاً بمصر ، وأخوة المعز لدين الله ع. م ، حيدرة ، وهاشم ، ابنا اسماعيل المنصور بالله ، وخمس^(٥) أخوات لهم ؛ وبمصر كانت وفاتهم جميعاً . ومن أولاد أمير المؤمنين المعز لدين الله ع. م عبدالله رضي الله عنه ، وتميم الشاعر ، والإمام نزار العزيز بالله ، وعقيل ، أبناء الإمام معد المعز لدين الله ، وهاجر معه كثير من أمراته ، ودعاته ، وأعيان / دولته وكان في الهجرة معه القاضي النعمان بن محمد (رضي) وجميع أولاده ؛ واستخلف بأمر المعز لدين الله ع. م في أعمال أفريقية ، والمهدية ، وجميع المغرب القاضي أحمد بن القسم بن أبي المنهال رحمة الله عليه ، وكان القضاة في جميع المغرب^(٦) من تحت يد القاضي أحمد بن القسم ، وهاجر جوذر الأستاذ مع المعز لدين الله ، وجاءته الوفاة بمدينة برقة على ما نذكره .

قال منصور الجوذري^(٧) : فلما اعتزم مولانا على الحركة إلى المشرق جرت بين

(١) بلكين : بالكين في ب

(٢) بلكين يعني يوسف : بكلين يسمى يوسف في ب

(٣) المغرب : الغروب في ب

(٤) وفاتهم : وماتهم في ب

(٥) خمس : سقطت في ب

(٦) المغرب : الغروب في ب

(٧) سيرة جوذر ص ١٤٢ .

الأستاذ جوذر وبين الأمير عبد الله قدس الله روحه مكاتبات ومراسلات كان يؤثر فيها حقه كفعل آبائه الطاهرين . [وكان أول كتاب]^(١) كتب إليه الأستاذ بكتاب يذكر فيه رسمه من البغال التي كان يحمل عليها أثقاله في الأسفار مع مولانا ع. م . فصرف إليه الجواب بدعاء^(٢) وهو :

سلمك الله وأتم نعمته عليك ، وزاد في امتنانه عندك ، وبلغك من رضاه ورضى وليه مولانا وسيدنا أملك ، وأملنا لك عنده وفضله ورزقك الحج معه ٢٤٨ / / إلى بيت الله الحرام وزيارة قبر جدنا محمد إنه كريم منان عظيم الفضل والإحسان . أما بعد فإنه انتهى إلينا كتابك بعد [تطلع وشوق]^(٣) شديدين - يعلم الله - منا إليك . ووقفنا منه على ما حمدنا الله ع. ج. وشكرناه على امتنانه علينا بسلامتك وصحة بدنك وسألناه ضارعين إليه راغبين في الزيادة^(٤) لك من فضله وإحسانه . وقد عرضنا كتابك على مولانا ع. ج. فلما وقف عليه وقع إليك بخط يده المباركة الكريمة بأسفله بما أنت تقف عليه وقد أنفذناه إليك . وحسبنا الله ونعم الوكيل . وفي أسفل الكتاب توقيع من أمير المؤمنين ع. م. هذه نسخته : يا جوذر أسلمك الله ، أقرنا عبد الله سلمه الله - كتابك وسؤالك إياه التذكرة في أمر البغال التي تقدم لك الرسم بأخذها من الإصطبل وتخوفت أن لا يكون لكثرة إشغالنا وما بنا من الحاجة إليها [نساك ونسلمك]^(٥) فلا أوقف الله إليك يوماً ما نسلمك فيه إلى نفسك في أحوال دينك ، ودنياك . فوالله ، لو لم يكن إلا ما نؤثرك به^(٦) على أنفسنا لفعلنا ذلك ولم نتأخر عنه . فطب نفساً / بما حولك الله ووهبك من رضانا - أدامه الله لك . وخرج مولانا ع. م. متوجهاً إلى المشرق فأطلق له البغال

(١) وكان أول كتاب : فكان كتاب في ب

(٢) بدعاء : سقطت في ب

(٣) تطلع وشوق : بعد تشوق في ب

(٤) الزيادة : الذيادة في ب

(٥) نساك ونسلمك : سقطت في ج

(٦) به : سقطت في ب

التي للأحمال وبغال العماريات أيضاً منها واحدة كان يركبها هو بنفسه آثره [صلى الله عليه]^(١) بها ، وفعل فيه وفي أصحابه من الجميل وسعة العطايا ما لا يوصف . قال^(٢) : ولما وصل الأستاذ إلى موضع يعرف بأجدابية وقد حكمت العلة عليه فقال : لقد اشتقت إلى النظر إلى وجه مولانا ، وأراني ضعيفاً^(٣) ولا أقدر أثبت على قدمي لترهل عرض لي [فيهما ، فكيف الحيلة عندك في ذلك ؟]^(٤) فسألته التتقدم قبله والاجتماع بالأمير عبد الله ولي عهد المسلمين في ذلك ، فأذن لي ، ومضيت واجتمعت به - عليه السلام - ووصفت له حاله ، وعظيم شوقه إلى مولانا . فعرف مولانا . ورجع إليّ بالجواب . وقال لي : يأمرك مولانا أن تقدم به إلى هذا الموضع ، وأشار إلى القبة^(٥) التي كان يتغدى فيها بالمفازة المباركة ثم قال : وقف به وهو في العمارية ، لا تنزله منها .

وحدرنني من إنزاله ، وخوفني عقوبة مولانا في ذلك . فرجعت إلى /
الأستاذ وعرفته بما كان ، ففرح بذلك وقويت نفسه . ثم وصلت به إلى الموضع الذي رسم له . فلما حل به قال : إنزلي فاعتذرت إليه أن الموضع الذي يريده ذو غلق وسبيلنا أن نقف في العمارية حتى يفتح الموضع . فقبل ذلك مني . ووقفت في العمارية على بغلة وهو جالس فيها . فما شعرنا بشيء حتى خرج مولانا المعز لدين الله أمير المؤمنين ع . م ، وعليه عمامته وهو متعل ، فأدخل نفسه في جوف العمارية ، وضمه إلى نفسه ضم الأخ للأخ والصديق للصديق . فنظر إلى الأستاذ عند ذلك نظر من أنكر عليّ تركه في العمارية . فقال ع . م : لا سبيل عليه ، فأمرنا عمل . ثم أقبل الإمام ع . م على الأستاذ وسأله عن حاله ، وقال له : لا تضعف نفسك ، فإن الله يمد في عمرك وينسى^(٦) أجلك حتى تشاهد معنا فضل الله الذي

(١) وصلى الله عليه : سقطت في ب

(٢) سيرة جوذر ص ١٤٣

(٣) ضعيفاً : سقطت في ب

(٤) فيهما ، فكيف الحيلة عندك في ذلك : سقطت في ج

(٥) القبة : الحقبة في ج

(٦) وينسى : ينسى في ب

خولناه من ديار الظالمين . فقال الأستاذ يا : مولاي ، والله ، ما لعبدك حال يستوجب بها ما فعلته فيه ، لأنني عبد صقلبي أعجمي لا خصلة لي أمتن^(١) بها إلا أني عبدكم المستضيء / بنور هدايتكم . فقال له : لا تفعل يا جوذر ، إن الله قد فرض طاعتنا فجعلها رهبة ورغبة . فأنت ممن أطاع الله فينا رغبة لا رهبة . ونسيت كل إنسان وتمتعه في داره من الصقالبة الذين كانوا معك في اعصار مواليك الأئمة الطاهرين ورضاك أنت بكونك في ذلك البيت الذي يقرب من الخلاء بقصر^(٢) مولاك القائم بأمر الله ع . م ، لم تختار ما اختاره غيرك من نعم الدنيا ، لكن أراد الله لك السعادة أولاً وآخرأ .

ثم نظر إلى محمد بن عثمان الكاتب ، وكان واقفاً^(٣) معنا ، وأشار بقود الدابة والإنصاف تخفيفاً^(٤) عن مولانا ، مما كلف نفسه الكريمة من الوقوف على قدميه ، فرأه مولانا ، وقال : قف يا محمد ، ودعه فإن في نظره إلينا راحة قلبه ؛ ثم قبل الأستاذ الأرض وقبلنا ، وانصرفنا . فمن ذلك اليوم ما رأى مولانا ع . م . وكانها كانت وقفة الوداع .

ثم لما صرنا بالموضع الذي يعرف بمثلية^(٥) بالقرب من برقة زاد به الضعف وصعوبة الأمر من / العلة . ومع ذلك فكان ذهنه صحيحاً ، لم يتغير عليه من عقله شيء ، دعاني فقال لي : نحن ندخل برقة ، وهو موضع^(٦) كبير ، وبه بعض أهل المشرق ، سيما وصول ابن نصير إلى مولانا في ما يقال ، واسمنا من الدولة الطاهرة كبير بإعزاز مولانا لنا ، والواجب أن نحمل^(٧) عسكرنا بالعدة

-
- (١) أمتن : أمت في ب
 - (٢) بقصر : تبصر في ب
 - (٣) واقفاً : سقطت في ب
 - (٤) سيرة جوذر ص ١٤٤ .
 - (٥) بمثلية : بمثلية في ب
 - (٦) موضع : محلة في ب
 - (٧) نحمل : يحمل في ب

والسلاح الشاك والزي الحسن حتى يكون دخولنا تاماً بهياً^(١) . فاكتب إلى الأمير عبد الله وعرفه ذلك ، واسأله سؤال مولانا بإنفاذ شيء من السلاح والعدة زيادة على الذي عندنا ، وتعرفه أنني أحب الوصول إلى القصر المبارك بهذا الزي ، لكنني لا أستطيع النزول على قدمي ، ويصعب عليّ الأمر في ما كان من فعل مولانا بأجدابية^(٢) . وأخشى أنني [متى وصلت يقول من يحسدنا على فضل مولانا عليه السلام أنني]^(٣) إنما تعرضت بوصولي هذا ما كان من فعله ، ونحو هذا [القول من الكلام]^(٤) وختم الكتاب وأنفذناه مع نجاب كان معنا فعاد الجواب من الأمير عبد الله يقول :

سلمك الله ، وأتم نعمته عليك ، وتابع آلاءه لديك ، ومنع فقدك ، وقضى لك بالحج إلى بيته الحرام مع مولانا ، إنتهى إلينا / كتابك ، سلمك الله ، ووقفنا على جميعه من بعد أن وقف عليه مولانا ، وقبلنا له الأرض . عنك ، وهو يرد عليك [أفضل سلام]^(٥) الله وأطيبه . وأمر لا زال أمره عالياً معظماً مكرماً ، بالكتاب إليك بتعريفك نفسك سلمك الله ، أن أمره نفذ^(٦) إلى نصر الخازن ببعثة الجمال وصدراً كثيراً من السلاح [لا حد له]^(٧) وهو يصل إليك إن شاء الله . فاعمل ، قال لك ، على الوصول فيه ، ويكون إلى الحضرة المباركة ، أي يوم يتهياً لك وأردت الوصول فيه ، ويكون وصولك إلى باب القصر المبارك في عماريتك على رسم [ما فعلته في أجدابية]^(٨) بأحسن زي وأهياه ، ولا تأخذ على نفسك في هذا الباب في أمر العمارية شيئاً ، فليس فيه شيء تأخذه ولا يؤخذ عليك كما قلت ،

(١) بهياً : باهياً في ب

(٢) بأجدابية : بأحد به في ب

(٣) متى وصلت يقول من يحسدنا على فضل مولانا عليه السلام أنني : سقطت في ب

(٤) القول من الكلام : سقطت في ب

(٥) أفضل سلام : من سلاح في ب

(٦) نفذ : سقطت في ب

(٧) لا حد له : ما حد له في ب

(٨) ما فعلته في أجدابية : ما فعلت بأجدابية في ب

فخروجك قال لنا في أجدابية ليس أنت كلفتنا^(١) فتأخذ] فيه على نفسك
أمراً ، [^(٢) ولا يؤخذ عليك ، بل نحن فعلناه من ذات أنفسنا رغبة في افتقارك
ومشاهدة^(٣) حالك ، وهب الله لك أتم العافية وأكمل الصحة والسلامة / بفضله . / ٢٥٤
فاعمل على ما حدونه لك . قال : وأبشر بما رزقك الله من رضاه عنك ، برضى
وليه الذي لم يجد هذا أحد غيرك في العصر الذي أنت فيه ، ومحقوق أنت بذلك
فاحمد الله واشكره تستوجب المزيد من جزيل عطائه ، وعظيم فضله وامتنانه . والله
أسأل حراسة نعمه عندك وتتابعها لديك ومرادفة آلائه عليك بأجل سلامة نرجوها
لك وأفضل صحة تؤملها ، بمنه وفضله والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وكان هذا التوقيع آخر توقيع وصل إليه من الإمام وولي عهده عليهما
السلام ، ووصل نصير إليه بالعدة إلى الموضع المذكور ، وفرق السلاح على
الرجال ، وزاد به أمر الضعف والعلة ولم يقدر أن يوصل به إلى القصر ، فدخل
مدينة برقة إلى الدار التي أخليت له فنزل بها ، ومضيت إلى مولانا فعرفته بوصوله .
فقال : كيف حاله^(٤) . قلت : يا أمير المؤمنين هو ضعيف جداً ، ومع هذا فهو
يشتهي الموت حتى كأنه يعاين الموضع الذي يسير إليه فاشتاق نحوه . فقال ع . م :
إلى موضعه في رحمة الله / وقرب مواليه ، ثم التفت إلى من كان واقفاً بين
يديه ، وكان الأمير عبد الله من الوقوف ، وإسحاق^(٥) بن موسى وغيره من السودان
الخدم . وكان ذلك بعد الفراغ من المائدة ، وقال في ما قال : هذا جوذر المسكين ،
والله إنا لنحصي^(٦) ما وصل منه إلى آبائنا الطاهرين من قبل وإلينا من بعدهم تقرباً
وعملاً لوجه الله فيكون ذلك فوق المائة ألف دينار بلا إقطاع ولا ضياع كثيرة . / ٢٥٥

(١) كلفتناه : ككفتاه في ب

(٢) فيه على نفسك أمراً : عليك نفسك في ب

(٣) ومشاهدة : ومشاهدة في ب

(٤) حاله : الحال في ب

(٥) وإسحاق : وسحق في ج

(٦) لنحصي : حصاه في ب

قال : ثم دفع إليَّ تفاحات كانت بين يديه ، وقال لي : أوصلها إليه ، وقل له : هذه وصلت إلينا من مصر وأرجو الله أن يجيبك ويصح بدنك حتى تشاهدها معنا . فقبلت الأرض وانصرفت وبلغت الحكاية التي كانت منه . فقبل الأستاذ الأرض وحمد الله وأكثر من شكره ، ثم أخذ معي في الحديث فما زال على ذلك وهو في صحة عقله إلى آخر الليل ، فحاله^(١) على أمره . ثم أصبح به الأمر وهو لما به من النزاع^(٢) ، ثم قضى عند الظهر ، وحمل في الليل من مدينة برقة إلى القصر الذي كان به مولانا بموضع يعرف / بمياسر^(٣) . وأمر ع . م بغسله ، وحضر لذلك القاضي النعمان بن محمد ومحمد بن عثمان الكاتب وأنا ، وصلى عليه أمير المؤمنين بالغدو ، ودفن^(٤) بالموضع في^(٥) مسجد بهذا القصر المذكور . وسار أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م حتى دخل الإسكندرية لست بقين من شعبان من سنة اثنين وستين وثلاثمائة .

قال القاضي ابن خلكان في تاريخه^(٦) : وركب المعز في الإسكندرية ، ودخل الحمام ؛ وقدم عليه بها قاضي مصر وهو أبو طاهر محمد بن أحمد وأعيان أهل البلاد ، وسلموا عليه ، وجلس لهم عند المنارة ؛ قال : وخاطبهم بخطاب طويل يخبرهم فيه أنه لم يرد^(٧) دخول مصر لزيادة في ملكه ، [ولا لزيادة ماله]^(٨) ، وإنما أراد إقامة الحق ، والحج ، والجهاد ، وأن يختم عمره بالأعمال الصالحة ، ويعمل بما أمر به جده ، ووعظهم وأطال حتى أبكى الحاضرين ، وخلع على القاضي وبعض الجماعة وحملهم ، وودعوه وانصرفوا . ثم رحل عنها آخر شعبان ونزل يوم

(١) فحاله : حال في ب

(٢) النزاع : النزاع في جـ

(٣) بمياسر : بمياشي في ب

(٤) ودفن : سقطت في جـ

(٥) في : عند في ب

(٦) وفيات الأعيان جـ ١ ص ١٥٢

(٧) يرد : يزر في جـ

(٨) ولا لزيادة ماله : ولا المال في ب

٢٥٧ / السبت ثاني شهر رمضان على مينا ساحل مصر بالجيزة ، واجتمع به /
الوزير أبو الفضل جعفر بن الفرات المذكور أولاً ، وأقام المعز لدين الله هناك ثلاثة
أيام ، وأخذ العسكر في المسير بأثقالهم إلى ساحل مصر ، ولما كان يوم الثلاثاء
لخمس مضت من شهر رمضان من السنة المذكورة عبر المعز ع . م النيل .

قال حيدرة بن محمد بن ابراهيم صاحب السيرة الكتامية الحميرية : ولما دخل
الإمام المعز لدين الله وسار من الجيزة إلى مصر على الجسر فلم يمش معه أحد ركباً
غير القاضي النعمان ، وعسلوج بن الحسن ، من وراء ظهره ، وسائر الناس ماشين
بين يديه ؛ وقال ابن خلكان^(١) : ودخل المعز القاهرة ، ولم يدخل مصر ، وكانت
قد زينت له ، وظنوا بأنه يدخلها ، وأهل القاهرة لم يستعدوا للقائه لأنهم بنوا الأمر
على دخوله مصر ، ولما دخل القاهرة ودخل القصر ، وكلما دخل مجلساً منه خر
ساجداً ، ثم صلى فيه ركعتين وانصرف الناس عنه ، فاستقر أمير المؤمنين ع . م في
قصره بالقاهرة المعزية يوم الثلاثاء لخمس / مضت من شهر رمضان ، سنة
٢٥٨ / اثنين وستين وثلاثمائة . قال ابن خلكان^(٢) : وهو الذي تنسب إليه القاهرة المعزية
لأنه الذي بناها القائد جوهر له يوم الجمعة لثلاث عشرة بقين من المحرم سنة ستين
وثلاثمائة .

وفي ما ذكره أبو بكر جمهور بن علي بن جمهوي الهمداني^(٣) قال ابن حوقل
البغدادي :^(٤) القاهرة استحدثها جوهر الكاتب لأمير المؤمنين المعز لدين الله
ع . م ، وقد ضمت من المحال والأسواق والحمامات والدور الحسان ، والقصور
المشيطة على اقتصارها ما لا تكون في غيرها ، وبها ديوان مصر ، وجامع حسن ،

(١) وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٣٥

(٢) وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٣٤

(٣) الهمداني : المهداني في ب

(٤) المسالك والممالك ج ٢ ص ٢٢

وبها من الرجال والفرسان والخيل ، ما يعجز عنه كثير من البلدان^(١) .

وقد قال ابن خلكان^(٢) : إن الشريف ابن طباطبا لقي المعز لدين الله وقال له : النسب يا مولانا فوعده إلى يوم اجتمع فيه الناس . قال ابن خلكان : فاخترط السيف ، وقال : هذا نسبي ، وبذل الدنانير ، وقال : هذا حسبي . فقالوا : سمعنا ، وأطعنا . ونقول : إن هذا من القول الفاسد ، والكلام الغث البارد ، وأنى يكون ذلك ونسبه معروف مشهور من شجرة / النبوة ، ودوحة الوصاية ، وفرع الإمامة ، وإنما ذلك للعناد والشقاق ، إذ لم يجدوا فيهم مطعناً ، ولا مغنماً فجلّوا بهذه الأقوال ، ومخرقوا هذه المخرقة التي لا يتفق على ذوي العقول ، ولا يقبلها إلا كل جهول ، وكيف والشريف الرضي على جلالته عندهم ، يخاطب بني العباس ويقول^(٣) :

ما مُقامي على المهوانِ وعندي مِقُولُ صَارِمٍ وَأَنْفُ حَمِيٍّ
أحمل الضيم في بلاد الأعادي وبمصرَ الخليفةَ العلوي

(١) ويعزو المقرئ سبب بناء القاهرة بهذه السرعة وإحاطتها بسور ضخمة ، إلى خوف الفاطميين من هجوم القرامطة ، مع أن الإصطدام الفعلي الذي قام بين الفاطميين وبين القرامطة لم يبدأ إلا بعد أن احتل جعفر بن فلاح بلاد الشام في سنة ٣٥٩ هـ . وبالفعل اتخذ جوهر من مدينة القاهرة حاضرة لولايتيه ، ومعقلاً يصد عنه خطر المهاجمين ، ومركزاً لنشر العقائد الإسماعيلية . المقرئ : خطط ج ١ ص ٣٦١ .

(٢) وفيات الأعيان ج ١ ص ٦٠٩ يقول ابن خلكان : لما وصل الخليفة إلى مصر ، اجتمع به بعض الأشراف وسأله أحدهم ، وهو ابن طباطبا : إلى من يتسبب مولانا ؟ فأجاب المعز بأنه سيعقد مجتمعاً يضم كافة الأشراف ويسرد عليهم نسبه . حتى إذا ما انعقد المجلس في القصر ، سل المعز سيفه إلى النصف وقال : هذا نسبي ، ثم غمرهم بالذهب الكثير وقال : وهذا حسبي . والدليل على بطلان هذه الرواية أن المعز لما وصل إلى مصر سنة ٣٦٢ هـ كان ابن طباطبا قد مات سنة ٣٤٨ هـ أي قبل أربع عشرة سنة على ما ذكره ابن خلكان في الوفيات ج ١ ص ٣٢٦ .

(٣) نقلنا هذه الأبيات من ديوان الشريف الرضي لورودها في أصل ب وجد مفككة عامرة بالأخطاء . ديوان الشريف الرضي ص ٩٧٢ . ابن الأثير ج ٨ ص ٨ و ٩ . المقرئ : تعاط الحنفا ص ١٦ .

من أبوه أبي ومولاه مولاي إذا صامني البعيد القصي
لفاً عرقسي بعرقه سيد الناس جميعاً محمدٌ وعليٌّ

وذلك إكرام الأئمة ع . م للحسينيين والحسين حتى ارتفع شأنهم ، وعظم
عند العباسيين مكانهم ، بعد أن كانوا في الدولة الأموية والعباسية يقتلون ،
ويطردون ، ويحبسون ، وبأنواع القتل والعذاب يتوعدون ، فأنقذوا بعد ظهور
المهدي بالله ع . م من الذلة ، ورفعوا حيث كانوا حتى صاروا في الناس كالنجوم
والأهلة ، ومن أراد أن يعرف نسب الأئمة وفضلهم ، وفرعهم الشريف وأصلهم ،
فليقرأ كتاب المصاييح في الإمامة للداعي حميد الدين^(١) فإن فيه شفاء للصدور ،
٢٦٠ / / وجلاء القلوب ، والحجة الواضحة التي لا يدفعها إلا من دفع الحق بعد
بيانه ، وأنكر ضياء الشمس عند عيانه ، يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ،
ويصدوا عن سبيله رعا الأمة من أشكالهم ، وأشباههم ، والله تعالى قد وعد بتمام
النور ، وقال سبحانه في كريم كتابه : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى
الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾^(٢) نسأل الله العصمة ، وأن يثبتنا على ولاية الأئمة الذين
أتم الله بهم الدين ، وأكمل النعمة .

وصار أمير المؤمنين المعز لدين الله في دار ملكه^(٣) وقرار عزه في القاهرة
المعزية ، فسكنها ، واستوطنها ، وجعلها له داراً ، وتبوأها قراراً ، وأصور المملكة
موطدة ، وأسبابها مؤكدة ، والإسلام خافقة بنوده ، قائمة دعائه ، والإيمان ثابت

(١) كتاب المصاييح في إثبات الإمامة للداعي الكرمانى يتكون من مقالتين وأربعة عشر مصباحاً
يشتمل جميعها على مائة وخمسة براهين . المقالة الأولى في إثبات المقدمات وهي سبعة
مصاييح . المقالة الثانية في إثبات الإمامة وجوبها وهي سبعة مصاييح . حقق هذا الكتاب
وقدم له الدكتور مصطفى غالب ونشر في بيروت عام ١٩٦٩ .

(٢) سورة : ٢٢ / ٤٦

(٣) وأصبحت مصر منذ ذلك الحين دار خلافة ، بعد أن كانت إمارة ، تابعة للخلفاء الفاطميين
ببلاد المغرب ، وغدت القاهرة ، بدل المنصورية ، مركز الدولة الفاطمية الشاسعة
الأرجاء . وقد نجح الفاطميون في تأسيس سلطانهم في القاهرة التي اتخذوها حاضرة
لامبراطوريتهم ؛ فغدت المركز الذي انتشرت منه شعائر المذهب الفاطمي .

عموده ، طاهرة مراسمه ، وله ع . م ملك مصر ، والشام ، والحرمين ، وإقامة الخطبة في جميع ما يضاف إلى هذه من الكور والأمصار ، وتحت راياته الحج إلى بيت الله الحرام ، للوافدين من الأقطار ، وله ملك أفريقية ، والمغرب ، / ٢٦١
وطرابلس ، وسجلماسة ، وبرقة ، وصقلية ؛ وقد ظهرت دعوته وانتشرت دعاته في الجزيرتين السندية والهندية ؛ ولم تكن دعوته معدومة في جميع الأقاليم منها ظاهرة ومنها في السر والتقية ، وترك القاضي أبا طاهر محمد بن أحمد بن عبد الله على القضاء^(١) بمصر على ما أبقاه عليه القائد جوهر ، وهو يرجع في جميع أحكامه إلى القاضي النعمان بن محمد ، ويعرض عليه قضاياه ، وينفذها على ما ينظر فيه ويراه .

وأقام عبد الله بن ثوبان ينظر بين المغاربة في القضايا والأحكام^(٢) ، ويوردها عن أمر القاضي النعمان بن محمد في الإلتساق ، والإنتظام ؛ فلما توفي القاضي عبد الله بن ثوبان رحمة الله عليه صرف القضاء بعده إلى القاضي الأجل علي بن النعمان^(٣) ، فجرت الأمور على أحسن العوائد ، وانتشرت بيمن معز دين الله في الدين ، والدنيا الفوائد ؛ قال الحسن بن جعفر الأنصاري رحمه الله في تاريخه^(٤) :
/ ٢٦٢ وكان ابن الأندلسي محمد بن الخير قبل / خروج المعز إلى مصر قد خالف في سنة ستين ، وهرب في أربعة آلاف غلام أكثرهم يركب الخيل من المسيلة إلى فاس ،

(١) وكان قاضي القضاة في مصر وقت الفتح الفاطمي سنة ٣٥٨ هـ أبو الطاهر . وقد تولى هذا المنصب منذ شهر ربيع الأول سنة ٣٤٨ هـ فأقره جوهر الصقلي في منصبه لغرض سياسي فحسب ، وعمل في الوقت نفسه على الحد من نفوذه . الكندي : كتاب القضاة ص ٥٨٤ . وألزم القاضي أن يصدر أحكامه طبقاً لأصول المذهب الشيعي الذي ساد البلاد في ذلك الوقت ، كما اشترك معه في منصبه قاضيان من المغاربة .

(٢) أبا سعيد عبد الله بن أبي ثوبان ، الذي صحب المعز إلى مصر ، تقلد في شوال سنة ٣٦٢ النظر في المظالم الخاصة بالمغاربة ، ثم آل إليه النظر في قضايا المصريين أنفسهم ، وعرف باسم قاضي مصر والإسكندرية . الكندي : كتاب القضاة ص ٣٨٧ .

(٣) بدأ حياته في القضاء ، منذ سنة ٣٦٣ . ابن ميسر ص ٤٤ .

(٤) في تاريخه : من أقواله في ب

وبلاد زناته ، وركب البحر إلى الأندلس ؛ فكتب المعز لدين الله إلى زيري بن مناد الحميري ، وكان يجاور ولايته أن يطلبه حيث يعلم مستقره ؛ فسار زيري خلفه إلى بلد زناته على نحو شهرين من عملها ، وتردى زيري عن فرسه فقتل ، رحمته ورضوانه عليه ، وطائفة ممن معه ، والمعز لدين الله يومئذ بالمنصورية ، ولما صار ع . م إلى مصر كتب المعز لدين الله ع . م من مصر إلى ابنه يوسف بن زيري بعد أن ولاه مملكته بالغرب أن أطلب تارك من زناته ، وأجتهد أن تلقاه يوم كذا وكذا ، وكان محمد بن الخير لما قتل زيري ظن أن ليس في ولده مثله ، فجمع زناته ، وسبقه يوسف بن زيري في سبعة آلاف فارس ، وأربعين ألف راجل ، وصبحه يوسف ، وكانت امرأة محمد بن الخير حسنة الصورة ، فلبست ثيابها ، وتطيبت ، وأخذت خيلها ، ووقفت في نحو ألف امرأة من حواريتها ، وبنات عمها ، ونساء زناته ، وجعلت تحرض بعلمها ؛ وفعل من معها / من النساء في تحريض قومهن / ٢٦٣ فعلها ، وقصد محمد بن الخير البنود وقتل من تحتها ، وكان عامل المعز ع . م يوسف بن زيري قد كمن^(١) له فخرج يوسف في كمينه ، فهزم أصحاب ابن الخير ، فحين رأى الهزيمة في أصحابه جعل سيفه في حلقه ، فإذا به صريعاً ؛ وقال : بيدي لا بيدك يا يوسف . فقيل ان يوسف بن زيري أدركه وبه رمق ، فقال له : أنا يوسف ، وأخذ سلبه ، وسيفه ، وكان السيف عظيماً .

وأصبح يوسف فجمع رؤساء زناته فأدارهم على السيف ، وبسط على رؤوسهم بساطاً ، وجلس عليه ومن معه ، وأكل خبزاً ، وقال : ما فعل أحد كذلك . فطيف برأس محمد بن الخير ورؤوس زناته في الأعمال ، وبعث يوسف بها إلى القاهرة ، فطيف بتلك الرؤوس في أعمال مصر ونواحيها . ثم انها قويت أمر أيدي القرامطة في الشام وجاء اللعين أبو طاهر الحسن بن أحمد بن بهرام المكنى بالأعشم القرمطي وقد أجابه كثير من العرب والعجم من الساعين في فساد شريعة / محمد (ﷺ) وهو يطوي البلاد طياً ، ويأتي من المنكرات شيئاً فرياً ، / ٢٦٤

(١) كمن : أمن في ب

حتى دنا من القاهرة المعزية ، ووصل إلى مسيول الطواحين^(١) في جماد الأول سنة ثلاث وستين وثلاثمائة^(٢) فخرج أمير المؤمنين المعز لدين الله ، ومعه ولده الأمير عبد الله ، وجميع أنصاره وجنوده من المغرب وأهل مصر في سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، فجرت بينه وبين القرمطي اللعين وقائع كثيرة ، وحروب عظيمة مشهورة ، وكان ولي عهد المسلمين عبد الله بن المعز في بعض تلك الحروب يقاتلهم^(٣) ، عن أمر الله ، فهزم القرامطة وقطع عسكره منهم ألف فارس فقتلوا ، وأسر منهم ألف إنسان ، ووصل الأمير بهم نجيم أبيه ع . م ، وولى القرمطي منهم منهزماً ، وأنزل الله على وليه المعز لدينه نصره من السماء ؛ وكانت هزيمته في شعبان من سنة ثلاث وستين^(٤) .

وقد أتى عن القاضي النعمان بن محمد (رضي) في كتاب مؤازرة^(٥) التأويل ، حيث قال : ومنها ما رأى المعز لدين الله قال : رأيت في ما يرى النائم / ليلة الثلاثاء لليلتين خلتا من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وثلاثمائة كأني جالس على مكان من الأرض عال أشرف على قتال يكون أمامي ، وأنظر إلى حملاته

-
- (١) مسيول الطواحين : نهر الطواحين بالقرب من الرملة .
(٢) ظهر القرامطة للمرة الثانية في عين شمس في شهر ربيع الثاني سنة ٣٦٣ هـ ، ثم اجتمعوا أمام الخندق الذي حفره جوهر الصقلي وحاولوا اجتيازه . على أن الخليفة المعز استطاع أن يستميل الطائيين ، وكانوا من أشد جند الأعصم بأساً ، فأرسل إليهم مائة ألف دينار . فلما استعرت الحرب بين الفريقين ، خرج الطائيون ، وتشتت قوة الحسن . ابن حماد : ملوك بني عبيد وسيرتهم ص ٤٦ .
(٣) يقاتلهم : لقاتلهم في ب
(٤) عمل الإمام المعز على جذب العرب الذين كانوا مع القرامطة وعلى رأسهم حسان بن الجراح الطائي ، الذي وعد بالتظاهر بالهزيمة أمام جند المعز ، وقد تفانى حسان بالفداء بوعده وتقهرق أمام جيوش المغاربة ، الذين خرجوا من القاهرة ، وعلى رأسهم الأمير عبد الله بن المعز ، وانقضوا على الأعصم ، وأحاطوا به من كل جانب ، وأرغموه على التقهقر . وأسر الفاطميون من القرامطة أكثر من ألف وخمسمائة . وعاملوهم معاملة المرتدين عن دينهم .
النويري : نهاية الأرب ج ٢٣ ص ٩٦ .
(٥) مؤازرة : وزارة في ب

ورداته ، وبين يدي سيوف أصحاب رسول الله ، إذ بجماعة من الناس تفوق
الناس مناظرهم حسناً ، وكهلاً وزينة^(١) وبهاءً ، فسلموا عليّ وجلسوا حولي ،
وجلس أحسنهم منظراً ، وأفضلهم حظوة ورأياً ؛ وأنا لا أعرف في الوقت إلاّ
الإمام المنصور بالله ع . م ، فإنه يتبسم إليّ ويشير كالمنبه على حال القوم ، وأقرب
من كان عن يميني رجل ربيع^(٢) أسمر ، فقال : ما بال هذه السيوف بين يديك ؟
فقلت : هذه سيوف أصحاب رسول الله (ﷺ) أخرجتها وجمعتها أضرب بها وجوه
الكفرة أحر ، كما ضرب بها بين يدي رسول الله (ﷺ) أولاً ؛ ثم قام ، فقلت :
من أنت ؟ فقال : أنا جدك علي بن أبي طالب ! فقلت : مولاي ! فقال المنصور
ع . م : مولاك ، ومولاي ! ثم قلت : هذه الصيحة التي قال الله : ﴿ إِنْ كَانَتْ
/ ٢٦٦ / الْإِصْحَاقَ وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴾^(٣) قال : هو كذلك . قلت : فيوم
كالיום الذي نودي فيه من أعنان السماء : لا سيف إلاّ ذبي الفجار ، ولا فتى إلاّ
علي ؛ فتبسم ع . م ، ثم مد يده إلى السيف ذي الفقار القديم ، حينئذ قلت : قد
زالت الشبهة في السيف ، فتناوله ، وتقدم فضرب رأس اللعين الأغشم ؛ فحمدت
الله وشكرته بما هو أهله ، ثم قام من الجماعة رجل تام ، فقلت : من أنت ؟ فقال :^(٤)
أنا عمك حمزة ! فقلت : سيدي أسد الله ، وأسد رسوله ! فتبسم ، ثم مد يده وفيها
سيفه فهممت أخذه ، فقلت : يا عم أهذا سيفك الذي لا يضرب به إلاّ أنت ؟ قال

(١) وزينة : وزيره في ب

(٢) ربيع : ربيع في ب

(٣) سورة : ٢٩ / ٣٦

(٤) فقال : سقطت في ب

(٥) يستدل من النصوص التاريخية بأن الإمام المعز لدين الله كان عالماً متشرعاً من متشرعي
المذهب الإسماعيلي ومؤلفيهم ، ضرب في كل علم بسهم وافر . ولا غرو فقد كان متوفراً على
البحث والإطلاع ، لا يجد اللهو إلى نفسه سبيلاً ، وكان ، كعامة الإسماعيلية ، يعتقد أنه
منبع العلم والعرfan ، وأن التعليم من الأئمة هو التعليم الحق . ساهم مساهمة فعالة في
حركة التأليف والتثقيف ونشر الدعوة ، وشجع العلماء والمؤلفين . ويمكننا أن نقول : إن
المعز لدين الله كان أكبر شخصية في العالم الإسلامي في عصره ؛ ولم يستطع أحد من أمراء
عصره أن يصل إلى ما وصل إليه من قوة ونفوذ .

نعم . وتقدم فقطع بضربة واحدة ثلاثة رؤوس ، وأخذ الثلاثة إخوان الأغشم ، ثم قام منهم جعفر الطيار ، وتقدم وبعد وضرب فقتل كثيراً . ثم لم يزل يقوم واحد بعد واحد ويتسمى ويتقدم إلى أن قام آخرهم رجل ، فقلت له : من تكون؟ قال : أنا أبو موسى الأشعري . قلت : ما لك في السيوف بسيف ، ولا أريد أن أدخلك في شيء من هذا الأمر ، قال ولِمَ؟ فتبسم / القوم ، وضحك رجل كان ورائي جالساً / ٢٦٧ فالتفت أنظر إليه وقلت : من أنت يا مولاي؟ فقال : أنا جدك رسول الله (ﷺ) ، فالتفت لأقبل الأرض بين يديه ، فرفع وجهي على جحره فعانقني ؛ فقلت : يا رسول الله الحمد لله الذي جعل لي حظاً في نصرتك ! فقال (ﷺ) : نعم . الحمد لله رب العالمين ، الحمد لله رب العالمين ، الحمد لله رب العالمين ثلاثاً ، فانتبهت بعد أن أتى على قتل الفسقة أجمعين^(١) ، وأنا معانق رسول الله (ﷺ) .

ثم كان الأمر كما رأى المعز لدين الله ع . م ، فلم تزل جنود الله تتبع الفاسقين الطاغين حتى أجلوهم عن الشام ، وأخرجوهم من أعماله بعد أن قتلوا منهم ما لا يحصيه إلا الله ع . ج ، وقتل الأغشم اللعين بعد أن كاتبه أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م ، واحتج عليه ، وأراه آيات جل وعلا ، فأبى إلا عتواً في الأرض ، واستكباراً وبغياً على عباد الله ، وإصراراً ؛ فأراح الله منه العالمين ، ونصر أمير المؤمنين ، وعاد / أمير المؤمنين إلى دار عزه ، وقرار ملكه ، وقد تمهدت له البلاد ، ودان له العباد ، وأصلح الله به الفساد ، فشمّل عدله ، وعم فضله ، / ٢٦٨

(١) يعتقد الناس بأن الأئمة الإسماعيلية كانوا يشجعون على علم النجوم لما له من أثر في توجيه سياسة الدولة ، لذلك اعتمدوا على التنجيم في تنفيذ سياستهم . ويقال بأن الأئمة اختاروا ابن حوشب لرئاسة دعوتهم في بلاد اليمن ، لأنهم عرفوا عن طريق النجوم أنه سيكون له شأن في نشر هذه الدعوة في تلك البلاد . وذكر ابن دقماق في كتابه الانتصار لواسطة الأمصار ج ٦ ص ٣٥ ، أن مدينة القاهرة التي بناها جوهر الصقلي سميت بهذا الإسم لأن أساسها شق على طلوع كوكب المريخ الذي يسمى « القاهرة » . وليست منامات الأئمة وأحلامهم إلا جزء من هذه العلوم الماورائية الحقانية ، والله أعلم .

وأظهر الله على يديه برهان الحق الذي هو أهله^(١) .

وفاة القاضي النعمان بن محمد بن حيون التميمي

وكانت وفاة القاضي النعمان بن محمد بن حيون التميمي رضوان الله عليه ورحمته ، وبركاته عليه ؛ بمصر سلخ جماد الأخرى في سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، والحمد لله ذي الطول والإينعام ، القائل كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذي الجلال والإكرام ؛ وقد ذكرنا من فضائل القاضي النعمان وتأليفاته وذكر مصنفاته ، ما يشهد بفضله ، وعلو مقامه ، عند أولياء الله ، وسني محله .

وفاة الأمير عبد الله بن المعز لدين الله

وتوفي الأمير عبد الله بن المعز لدين الله رضوان الله عليه وقدس الله روحه في أيام أبيه أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م وكان ذلك في إقبال عيد . ففي ذلك يقول أمير المؤمنين المعز ع . م : نحن بنو المصطفى ذوو محن^(٢) أولنا مبتلى وآخرنا ، عجيبة في الأنام ، محتتنا ، صادقنا نالها وبقارنا ، ويفرح هذا السورى بعيدهم / ٢٦٩ / ونحن أعيادنا ما قمنا . وقال أخوه الأمير تميم بن المعز لدين الله نصر الله وجهه :

كلُّ حيٍّ إلى الفناء يصيرُ والليالي تَعْلَهُ وغُرورُ
وإلى الله يرجع الملكُ والمُدُّ ك ، ويُفضي الأمير والمأمور

(١) أنظر رسالة الإمام المعز لدين الله إلى حسن الأعصم في كتاب تاريخ الدعوة الإسماعيلية لمصطفى غالب صفحة (٢١٦ إلى ٢٢٨) منشورات دار الأندلس بيروت .

(٢) هذه الكلمات المبعثرة ، التي نسبها المؤلف إلى الإمام المعز هي أبيات من قصيدة قالها الإمام نزار بن المعز في رثاء ولده :

نحن بنو المصطفى ذوو محن يجرعها في الحياة كاظمنا
عجيبة في الأنام محتتنا أولنا مبتلىً وآخرنا
يفرح هذا السورى بعيدهم طراً ، وأفراحنا ماتمنا

فطويل الحياة نَزْرُ يسير^(١)
دهم الناس صَرَفُهَا المحذورُ
س على من هو الخطير^(٤) الأثير^(٥)
وكذا الرزء بالحقير حقير
ض ولم تهو شمسها والبدور
بر فيه بل يوم مات السرور
ع وقَدَّت على القلوب الصدور
سِرَّهَا^(٨) فيه أذُورُ وخُدُورُ
أَسَدُ السُورْد والغزالُ الغَرِيرُ^(٩)
ورأيت الدموع وهي بحور
بلهيب الأنفاس وهو هجير
ه وروته رحمة وطهور
عنه والحزن والأنام حضور
وتولَّوا والفائز^(١١) المقبور
ليس من سَوْرَةِ الحِمَام نصير^(١٢)

وإذا لم يكن من الموت بدُّ
أي خَطْبٍ جرى^(٢) وأيُّ مصاب^(٣)
كيف لا تأثير المصائب في النف
[وكذا الرزءُ]^(٦) بالعظيم عظيم
كيف لم تسقط السماء على الأر
يوم مات الأمير بل يوم مات الص
يوم بل^(٧) الثرى عليه من الدّم
يوم حَطَّت عمائم وأذاعت
يوم أبكى العيون حتى بكاهُ ال
وسمعتُ الزفير وهو صُراخ
وفي أوان هو [الشتاء فأمسى]^(١٠)
شيعت نفسه ملائكة الل
بمقام غابت وجوه التعزّي
قبروا شخصه وواروا سنه /
كم نصير له هناك ولكن

/ ٢٧٠

-
- (١) يسير : حقير في ب
 - (٢) جرى : أرى في جـ
 - (٣) مصاب : ليالٍ في ب
 - (٤) الخطير : النفيس في ب
 - (٥) ديوان الأمير تميم ص ١٤٨ منشورات دار الكتب المصرية .
 - (٦) وكذا الرزء : وكذا الرؤيا في ب
 - (٧) بلُّ : فل في ب
 - (٨) سرها : شرها في ب
 - (٩) الغرير : الغزير في ب
 - (١٠) الشتاء فأمسى : الشيء واسع في حـ
 - (١١) والفائز : الثائر في ب
 - (١٢) ديوان الأمير تميم ص ١٤٨ منشورات دار الكتب المصرية .

لو تُرَكْنَا أَلَى الْفِدَاءِ فِدَاءُ مِنْ يَدِ الْمَوْتِ عَالَمُونَ كَثِيرٌ
 وَسِيفٌ وَمِثْلُهُنَّ عَيْدٌ وَرِمَاحٌ وَمِثْلُهُنَّ عَثِيرٌ
 قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ وَضَرِيحاً حَلَّهُ ذَلِكَ السَّنَا^(١) وَالنُّورَ

ولاية العهد

وكان الإمام نزار بن معد العزيز بالله بن المعز لدين الله ع. م قد استكمل جلال الفضل والكمال ، وارتقى إلى أعلى الدرجات ، حائزاً من المناقب جميع الخلال ، فنصبه أبوه المعز لدين الله إماماً بعده ، وولاه أمره وعهده ، وفوض إليه حله وعقده ، ونص عليه في محضر^(٢) من كبراء دعائه ، وأهل دعوته ، وعيون أمرائه ، وأهل مملكته ، وكتب بذلك إلى دعائه في جميع الأقطار ، وأعلن بالتوفيق على علوم مقامه والإشهار .

وكان مقام المعز لدين الله ع. م في القاهرة المعزية حتى أحكم عقد الخلافة ، وأطردت^(٣) أمور الدعوة ، وثبتت قواعد المملكة في الشرق والغرب ، وقضى الله على كل معاند بالظفر والغلب ؛ ثم لحق صلوات الله عليه بأبائه الطاهرين ، ووافاه كما وافاهم ريب المنون ، / كما قال الله تعالى في كتابه الكريم المكنون لرسوله محمد الطاهر الميمون : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَأِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾^(٤) . وكانت وفاته ع . م ورضوانه ، ورحمته وبركاته ، يوم الجمعة الحادي عشر من شهر ربيع الآخر ، وقيل الثالث عشر منه سنة خمس وستين وثلاثمائة^(٥) .

(١) السنا : البهي في ب

(٢) محضر : حضر في ب

(٣) وأطردت : وطارت في ب

(٤) سورة : ٣٩ / ٣٠

(٥) كانت ولادة المعز لدين الله معد في ١١ رمضان سنة ٣١٩ هـ ، وبويع بولاية العهد في حياة أبيه في ٧ ذي الحجة ٣٤١ هجرية ، ولما قام بعد وفاة أبيه سنة ٣٤٢ هـ جددت له البيعة ، وفي الحادي عشر من ربيع الأول سنة ٣٦٥ هجرية في يوم الجمعة انتقل إلى جوار ربه بعد أن =

وكانت إقامته في الخلافة منذ توفي المنصور بالله ع . م ، وصارت الإمامة إليه ثلاث وعشرين عاماً ، وخمسة أشهر ، وعشرة أيام ؛ منها مقامه بمصر سستان ، وسبعة أشهر ، وأربعة أيام . وكان مقام جوهر في مصر إلى أن وصل ع . م أربع سنين ، وتسعة عشر يوماً .

ومما قيل في مرثيته ع . م قول الأمير تميم بن المعز^(١) :

كيف لا تعدم الجسوم القلوباً وترى نضرة الوجوه شحوباً
من يعزّي الجياد أم من يسلي مجلس الملك والسرير الكثيبا
فقدوا بعدك القلوب اللواتي شقها وأجب فشقوا^(٢) الجيوباً
وأعزاه وأعزاه حتى يغتدي الدمع بالدماء خضيباً
فليدق غيري الحياة فإني لا أرى للحياة بعدك طيباً

وقيل ان وفاة المعز لدين الله ع . م كانت بهيتس^(٣) . قال ابن ماكولا :

٢٧٢ / بهيتس قرية من قرى مصر ، وكان معه ولي عهده والخليفة من بعده العزيز بالله ع . م ، فأخبر العزيز بالله أنه يموت في ليلته^(٤) تلك ، وأوصاه بما أوصاه ، ودخل إلى محراب المسجد بهيتس فقفى نحوه بعد أن قضى صلاة المغرب ، وكان في ما أوصى ولده الخليفة من بعده أن يحمله إلى القاهرة المعزية ، وأن يدفنه بها ؛ فكنتم العزيز بالله ع . م ، وفاته وحمله معه إلى القاهرة فدفنه بها ، وقد قيل انه حمل تابوت

= نص على إمامة ولده العزيز ودفن في القاهرة . المقريري : خطط ج ٢ ص ٢٧٩ . ابن ميسر : تاريخ مصر ص ٣٤ .

(١) ديوان الأمير تميم من منشورات دار الكتب المصرية ص ٥٧ .

(٢) فشقوا : شق في ب

(٣) وكان الإمام المعز عاقلاً ، حازماً ، سرياً ، أديباً ، حسن النظر في النجابة . فقد عاش للوحدة العربية الإسلامية ، ومات هو يسبح بحمدها ويكبر بفضلها . كيف لا وقد وحد جميع شمالي أفريقية الغربية : وهو طرابلس وليبيا وتونس والجزائر ومراكش ، كما وحد مصر وسورية وبلاد الحجاز واليمن . ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٥٣ .

(٤) ليلته : ليلة في ب

المهدي بالله ع . م ، والقائم بأمر الله ، والمنصور بالله إلى القاهرة ، وفيها أجسادهم الشريفة قد دفنت هنالك^(١) ، وكذلك قيل ان توابيت الثلاثة الأئمة المستورين حملت إلى هناك ودفنت .

وقد أوردنا ما ذكره الواقدي^(٢) من أن أئمة الظهور عليهم السلام ، حملوا تابوت رأس الإمام الحسين بن علي إلى القاهرة ، وواروه بها ؛ إذ قال في خصائص الأئمة : ان خلفاء مصر نقلوه من باب القراديس إلى عسقلان ، ثم نقلوه إلى القاهرة ، وله مشهد عظيم يزار ، فصلوات الله عليهم ، وبركاته ، ورضوانه ، وتحياته ؛ والحمد لله على ما أولانا من / ولايتهم ، وعرفنا من فريضة طاعتهم ، ونسأل الله أن يجعلنا ممن دخل سفيتهم فنجوا من طوفان الضلالة ، وصلى الله على محمد رسوله الذي اختاره الله وآله وسلم ، عليهم أجمعين ؛ وحسبنا الله ونعم الوكيل .

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين ، الحمد لله معز دينه بأوليائه ، وجاعلهم خلفائه في الأرض بعد أنبيائه ، وصلى الله على محمد رسوله المصطفى صفوة أوليائه ، وعلى وصيه علي بن أبي طالب والأئمة الطاهرين من أبنائه الذين فرض الله لكل واحد منهم في عصره أكيد ولائه .

(١) يستدل من أقوال المؤرخين الذين أرخوا للخلافة الفاطمية في المغرب ومصر أن المعز لدين الله عندما قدم إلى مصر نقل أجساد الأئمة في توابيت تم صنعها لهذه الغاية ودفنت تلك التوابيت في القاهرة في مكان أعد ليكون مقبرة للأئمة في قصر الخلافة . ولما استولى صلاح الدين الأيوبي على مصر ، وسقطت الدولة الفاطمية بموت العاضد بعد أن حكمت مصر عصرها طويلاً كان عصر يسر ورشاء ، وتسامح ديني وثقافة ، لم تتمتع به مصر من قبل ، هدم المقبرة وبعثر العظام في الخلاء .

(٢) محمد بن سعد كاتب الواقدي : كتاب تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والترجم والبقاع المباركات .

ذكر جمل وأخبار مما كان في أيام الإمام العزيز بالله نزار أمير المؤمنين

ذكر ما كان في أيام الإمام العزيز بالله نزار أمير المؤمنين بن المعز لدين الله معد ابن إسماعيل ع . م ، وعلى آبائهما وأبنائهما الطاهرين الأكرمين ، ولما أفضت الإمامة والخلافة إلى أمير المؤمنين الإمام نزار أبي منصور العزيز بالله بن معد المعز لدين الله قام بأعبائها ، ونهض بإقامة شريعة جده محمد (ﷺ) وإعلائها ، وحفظ نواحي المملكة وإبانة معالمها ، / ونشر الدعوة وإحياء مراسمها محتذياً لفعل الماضين من آبائه ، واضعاً لكل جبار عن نخوته وإبائه ، وكتب^(١) وفاة والده الإمام المعز لدين الله ع . م ، وكان يكتب إسمه ، ويتكن بولي عهد المسلمين ، وإبن أمير المؤمنين حتى كتب إلى القوم بأمره وأمر أبيه في نواحي مملكته ، والقائمين بخدمته في إعلان دعوته ، وكتب إلى بلكين بن زيري عامل أبيه في نواحي أفريقية ، وجميع الجهات المغربية يعلمه بقيامه في مقام آبائه ، ويأمره بحفظ ما لديه من النواحي والأقطار ، والتحفظ من أعدائه ، وكناه بسيف العزيز بالله ، وكنى ابنه المنصور بن بلكين عدة العزيز بالله ، وإبنه باديس بن بلكين نصير الدولة ، فقام بلكين بطاعته واستماع كلمته ، وحفظ ما ناطه إليه ولي الله من أمور مملكته^(٢) . وكان مولد العزيز بالله بالمهدية يوم الخميس الرابع عشر من المحرم أول سنة أربع وأربعين وثلاثمائة ونشأ على مكارم الأخلاق والطهارة الشاهدة له بطيب الأعراق ، وكان مقبلاً على العمل الصالح ، مجدداً في / ذلك ، لا يلتفت إلى شيء من أمور المملكة ، وما ينضاف إليها من الأمور^(٣) الدنياوية أيام حياة والده ، ووقت أخيه

-
- (١) ولد العزيز سنة ٣٤٤ هـ بمدينة المهديّة ، وقدم إلى القاهرة مع أبيه المعز سنة ٣٦٢ هـ هجرية وعهد إليه أبوه بالخلافة ، فخلفه في شهر ربيع الآخر سنة ٣٦٥ هـ ، وهو في الثانية والعشرين من عمره . يتيمة الدهر للثعالبي ج ١ ص ٢٥٤ .
- (٢) يعتبر عهد الإمام العزيز بالله عهد يسر ورخاء وتسامح ديني وثقافة . وهو مشهور في تاريخ مصر الإسلامية ، لأنه أول من حول الجامع الأزهر إلى جامعة بمعناها المعروف الآن ، بعد أن كان معهداً خاصاً بدراسة الفقه الشيعي وإقامة الصلاة .
- (٣) أجمع المؤرخون الذين عاصروا العزيز بالله على أن عهده كان من أعظم العهود التي مرت =

عبد الله ، والإمام المعز ع . م يشير إليه بالخلافة ، ويعرف خواص أوليائه وأصفيائه ما له من الفضل على بني أبيه كافة ، فلما تناهت من المعز لدين الله مدته ، وآنت عن الدنيا نقلته ، شهر لأمير المؤمنين العزيز بالله أمره ، وأعلى ذكره ، وأسنى قدره ، وناط إليه أمور مملكته ، وصرف نحوه جميع أمر دعائه ، ودعوته ؛ وأعلن أنه الخليفة بعده ، وولاه أمره وعهده ، وجعل إليه حل الأمر وعقده ، فكنتم أمر أبيه حين وفاته ، وأخفاه كما ذكرنا إلا عن خواصه ودعائه ، فلما كان يوم النحر من السنة التي توفي فيها^(١) أمير المؤمنين المعز لدين الله ع . م ، من سنة خمس وستين برز أمير المؤمنين العزيز بالله بحاشيته^(٢) وكتائبه إلى المصلى ، وخطب^(٣) الناس بعد أن صلى ، فذكر بعد أن بدأ بتكبير الله ، وتهليله وحمده ، وصلى على آبائه الطاهرين ، عقب الصلاة وعلى محمد رسول الله جده ، ووعظ الناس ، وذكرهم بتقوى الله ؛ أمرهم ما خص الله به وليه المعز / لدين الله ع . م من النقلة ، وأعلن بما أحل الله له من شرف الإمامة والخلافة لديه ، وعزى نفسه^(٤) عن وفاة أبيه ، وذكر أسوته بمن مضوا^(٥) من آبائه الأطهار الكرام ، وما أعد الله لهم من الكرامة في دار المقام ، وسلم عليه بأمره المؤمنين ، وبويع بيعة العامة في محضر أهل المصلى أجمعين ؛ وكان قد بويع له بيعة الخاصة أوان وفاة أبيه ، وعرف ذلك كل من كان من خواصه وأقربه .

وقال الأمير تميم في ذلك العيد يذكر خطبة الإمام من قصيدة^(٦) .

= فيها الخلافة الفاطمية ، كونه كان ذكياً ، أديباً ، شاعراً عالماً متنبئاً ، وقائداً شجاعاً ، وحاكماً مدبراً ، وخليفة عادلاً كريماً حسن الخلق قريباً من الناس . يجيد عدة لغات . أمه أم ولد واسمها درزاره . النجوم الزاهرة ٤ / ١١٣ .

(١) نقش على خاتمه : بنصر العزيز الجبار ، يتصر الإمام نزار .

(٢) بحاشيته : مقابته في ب

(٣) وخطب : طلب في ب

(٤) وعزى : سقطت في ب

(٥) مضوا : مضام في جـ

(٦) مطلع القصيدة كما وردت في الديوان ص ٤٠٨ ما يلي :

نحن من العيدِ إذ سلّمتَ لنا
برزت كالشمس يومَ أسعدَها
كأنَّ في السُّرْجِ منك منتصيا
في جَحْفَلٍ جَرٍّ من فوارسه
فمن مشيرٍ براحة صُرْفُ
تأملوا من نبيهم خلُقا
حتى إذا ما علوت منبرهم
خوفت بالله من [جئت به] (٣)
تضم (٤) تحميدةً إلى عِظَةٍ
أنت الإمام (٦) المبين وحكمته (٧)
صلِّ عليك الإله من ملكٍ / ٢٧٧

وقال فيه أيضا من قصيدة يمدحه فيها ، وذكر فضله ، وما هيا الله له من مقام
الخلافة (١) :

ففرغتُ نفسي من الغانيات وصيرتُ (١٠) في المجد أعمالها

= الآن قدَّ الفؤاد نصفين فيه وأجرى الدموع نوعين
ديوان الأمير تميم منشورات دار الكتب المصرية ص ٤١١ .

(١) تهنئات : تنيهان في ب

(٢) فيك : منك في ب

(٣) جئت به : جنت به في ج

(٤) مبشراً مسهب : مبيناً أوضح في ب

(٥) تضم : تحطم في ج

(٦) الإمام : سقطت في ب

(٧) وحكمته : وحكمه في ب

(٨) عدُّ يديه : عديده في ب

(٩) ومطلع هذه القصيدة كما وردت في الديوان ص ٣١٥ ما يلي :

وخر ترشفتُ سلسالها وأجريتُ في الشرب جريالها

(١٠) وصيرت : فصرت في ب

بأبيضَ كالبدْرِ طَلَقَ اليَدَيْنِ
هو البَحْرُ تُغْرِقُ أمواجهُ
هو الليثُ تُنْسِكُ أهوالهُ
إمام إذا طاولتَهُ الملوكةُ
وإن^(١) نال في اليومِ أكرومةً
رأيت الإمامَ نِزاراً به
إمام إذا أمرَ الحادثُ
فيحيي الوليَّ ويُرِي العَدُوَّ
من النفرِ العُرْمَنُ تَرَوْنِ
وممن يكون^(٢) غِيَاثَ البلادِ
وممن تراهم غداةَ الهِياجِ
رَفَى بالنبيِّ وألِ النبيِّ
سما^(٥) بالوصيِّ إلى حالةِ
تراه الملوكةُ بعينِ الجلالِ
هو الحيَّةُ الصَّلَّ من سُمَّها
هو المسكُ من [نسبةِ غَضَّة]^(٨)
له شجراتُ عَلَا لم تكن

تُسَابِقُ جَدَّوَاهُ سُؤَالَهَا
بِحَارَ النَّوَالِ وَتُؤَالَهَا
زئيرُ الليوثِ وَأَهْوَالَهَا
إلى فضلِ مَنقَبَةٍ طالها
تناول في الغدِ أمثالها
تُتِمُّ الخِلافةُ أحوالها
تِ أرسلَ حالينِ أرسلها
بِكفِّ تُفَرِّقُ أموالها
خيارَ البرايا وأبدالها
فيبدل بالروضِ إجمالها
مَغاوير^(٣) حربِ وأزوالها
هَضابَ المعالي وأجبالها^(٤)
لو^(٦) النجمُ يَجْهَدُ^(٧) ما نالها
فقد صَغَّرَتْ حالهُ حالها
تُميت وتقتل أصلها
إذا أصبحَ الناسُ صلصالها
تَرى نَبْعَ [نجدِ ولا]^(٩) ضالها

-
- (١) وإن : وا في ب
(٢) يكون : يكونا في ب
(٣) مغاوير : مغاور في ب
(٤) وأجبالها : وأجبالها في ب
(٥) سما : تسمى في ج
(٦) لو : أو في ب
(٧) يجهد : تجهد في ب
(٨) نسبة غضة : نبة فضة في ب
(٩) نجد ولا : يجد ولا في ب

٢٧٨ / ولو واجه الشمس (١) وجه له /
 [إذا أشكلت] مظاهرات الأمور
 يفوق البحار ندى كفه
 نهوضاً بأعباء حمل العهود
 برأي هو الدهر في قدره
 تزلزلت الأرض شوقاً إليه
 وطوقه الله تدبيرها
 ليهن الإمامة ما نلته (٢)
 لكانت تراسله قبل ذا
 وأوحت إليه بأمر الإله
 فجاءته عن عجل وإدعاً
 وزقت إليه بأمر الإله
 وتوجه الله تيجانها (٣)
 وألبس أثواب إعزازها
 تصدّت لأصيد يرعى السوا
 ولو ساسها أحد غيره
 فعاش العزيز لها سالماً
 يُعز على الدهر أنصارها
 ترى نعمة مثمرات الغصون

لأبدت له الشمس إجلاها
 ر أوضح بالرشد إشكالها
 وصب الغمام وتهمالها
 ركوب العظام حمالها (٤)
 يحط من الهضب أو عالها
 فسكن ذو العرش زلزالها
 ومذ (٥) كان المسمى لها
 فقد تمم الله آمالها
 يقيناً ليحمل أعمالها
 قبيل الفطام وأوحى لها
 تسابق في [الغيب إعجالها] (٥)
 فألبسه الله سيربأها
 وأطلع في وجهه خالها
 ليسحب (٦) في العز أذيالها
 م منها ويحفظ أعمالها
 لأخرجت الأرض أثقالها
 يشد عراها وأقفالها
 ويضرب بالسيف خذالها
 إذا قولته في الندى قالها

(١) إذا أشكلت : تشكلت في جـ

(٢) ديوان الأمير تميم منشورات دار الكتب المصرية ص ٣١٩

(٣) ومذ : ومنه في ب

(٤) نلته : أملته في ب

(٥) الغيب إعجالها : العين أعمالها في ب

(٦) تيجانها : سبحانه في ب

(٧) ليسحب : لتسحب في العز في ب

وترجف^(١) منه قلوبُ العدا^(٢) / ٢٧٩
 يُغذي^(٣) الأنامَ / بمعروفه
 يفوق الشموس وإشراقها
 ترى البدرَ والبحرَ في سرجه
 به يقبلُ اللهَ فرضَ الصيام
 أبوكَ المعزُّ هدىَ نوره
 وبصرهمُ بعدَ طولِ العمى
 له آيةٌ في العلا^(٤) لم يكن
 وأنتم شمسٌ إذا ما بدت
 وكم نعم ناعماتِ الغصون^(٥)
 تفاءلتِ النفسُ نيلَ العلا^(٦)
 فمليتَ عمركَ ما تابعتُ
 إذا صولة فيهمُ صالها
 كما غدتِ الأسدُ أشبالها
 ويعلو البدورَ وإكمالها
 وليثَ الحروبِ وربالها
 وحجَّ الحجيجِ وإهلها
 لدى حيرةِ الناسِ ضلالها
 وقومَ بالعدلِ مئالها^(٧)
 عدوٌ ليدرك^(٨) إبطالها
 كفتنا النجومِ وأقالها
 للسنا بلكَ أظلالها
 فصدقتَ بالفعلِ لي فالها
 لنا بكرُ الدهرِ أصلها^(٩)

وصفات الإمام العزيز بالله ع. م ، أسمر طويل ، أشهب الشعر ، عريض
 المنكبين ، حلیم وقور ، كثير العفولا يؤثر سفك الدماء ، وكان نقش خاتمه بنصر
 العزيز الجبار يتنصر الإمام نزار ، وكانت أيام أمير المؤمنين العزيز بالله ع. م^(١٠) أيام

(١) وترجف : وترنجف في ب

(٢) العدا : القرا في جـ

(٣) يغذي : يغدوا في ب

(٤) منها لها : مياها في ب

(٥) العلا : سقطت في جـ

(٦) ليدرك : ليقدر في ب

(٧) الغصون : الضعون في ب

(٨) نيل العلا : بنيل المعالي في ب

(٩) ديوان الأمير تميم منشورات دار الكتب المصرية ص ٣٢١ .

(١٠) وكان العزيز يميل إلى الأبهة ، كما كان خبيراً بالجواهر : ابتدع نوعاً جديداً من العائمات محلاة
 بخيوط الذهب ، وسروجاً معطرة بالعنبر ، واقتنى كثيراً من الطرف يزين بها مواعده . =

دعة ، ونعمة ؛ وقد جلى أبوه الإمام المعز لدين الله ع.م كل غمة ، وكشف كل ظلمة ، ودانت له كل مناصب ، وذل كل معاند وناصب ، وأطراف الملك محمية ، والنواحي البعيدة بتوجيه العساكر العزيزية / مرمية ؛ فكلما رام باغ أن يثور / ٢٨٠
أخفت رأسه ، واذل شماسه ، وانقطعت من الجبن والذعر أنفاسه ، وانهار ولم يقم من بنائه أساسه ؛ وجف قبل أن يبسق غراسه ، مثل ما كان من أبي تغلب بن حَمْدان^(١) . فإنه تطاول للخلاف ، وجمع إليه الزعار من الأعراب الأجلاف ، واستولى على مدينة حلب ، وأغار على الأطراف ؛ فأخرج الإمام ع.م إليه الجيوش ، وغبأ له الكتائب ، وبذل في أخذه أو قتله الرغائب ، ففر قبل أن تصل الجيوش إليه ، وجاءت برأسه إلى أمير الجيش ، وجعلت ذلك قربة لها ، ووسيلة إلى العفو عما أجرمته في اتباعها له ، وسهل الله من أمره ببركة وليه ما كان عسيراً ، وأخفت الله ناره ، فصارت برداً قبل كونها سعيراً ؛ ورد الله سبحانه عليهم كيدهم ، وأوهن قوتهم وأيديهم ؛ وفي ذلك يقول الأمير تميم بن المعز من قصيدة في مدح الإمام العزيز بالله ، ويذكر فيها أبا تغلب^(٢) بن حمدان ، وما صار إليه أوردناها بكاملها ، وتمامها ، لجودة لفظها ، وحسن نظامها ، وهو قوله^(٣) :

/ ٢٨١ لومٌ لثيمٍ كلما اشتدَّ خابٌ / والشوقُ [يُصغى لبعض] ^(٤) العتاب
من لام في الحسب [كثيب الحشا] ^(٥) فإنما أغراه بالاكتساب

= وشغف بجوارح الطير الغربية ، وجلب لذلك الطيور والحيوانات من السودان . وكان مغرمًا بالصيد وخاصة صيد السباع . ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٥٢ .

(١) وأبو تغلب الغضنفر بن ناصر الدولة الحسن بن حمدان كان ملك الموصل وديار ربيعة ، فسار إلى الشام وكان عليها داعية العزيز بالله قسام .

(٢) وأبو تغلب هاجم دمشق فمنعه واليها قسام من دخولها فأقام بظاهرها ثم رحل إلى طبرية بعد مناوشات مع قسام ، ثم حاربه دغفل والفضل في الرملة سنة ٣٦٦ هـ فقتل بالمعركة وبعث برأسه إلى الإمام العزيز بمصر .

(٣) ديوان الأمير تميم من منشورات دار الكتب المصرية ص (٥٨) .

(٤) يصغى لبعض : لا يصغى إليه في ب .

(٥) كثيب الحشا : كتب الحشى في ب .

وَكَبِدًا لَمْ يُوقِ مِنْهَا الْجَوَى^(١)
صَبَابَةٌ تَقْدَحُ فِي مُهْجَتِي
يَا مَنْ تَشَفَى^(٢) بَعْدَابِي بِهِ
لَا زَالَ سُقْمِي وَعَذَابِي عَلَى
لَوْ فَتَشَوْا جِسْمِي مَا أَبْصَرُوا
لَا خَيْرَ فِي الْحُبِّ^(٣) إِذْ لَمْ يَكُنْ
فِي خَدِّ مَنْ يَتَمَنَّى مِنْ دَمِي
كَأَنَّمَا الْإِصْبَاحُ مِنْ وَجْهِهِ
فَمَا رَمَى عَنْ قَوْسِ أَجْفَانِهِ
لَمَّا تَشَكَّيْتُ إِلَيْهِ الْهَوَى
وَزَارَنِي تَحْتَ رِوَاقِ الدَّجَى
يَلُوحُ^(٤) فِي الظُّلْمَاءِ لِالْأَوْهِ^(٥)
مُكْتَبِمًا^(٦) يَغْرَقُ مِنْ ظِلْمَةِ
وَالْبَدْرِ فِي أَوَّلِ إِقْبَالِهِ
فَبَاتَ يُعْطِنِي مِنْ وَصْلِهِ
إِذَا سَقَانِي / الرَّاحِ^(٧) مِنْ كَفِّهِ

/ ٢٨٢

بَيْنَ ضُلُوعِي لِلْجَوَى مَا يُذَابُ
بِإِعْجَابِ الْبَثِّ شَجِيًّا وَالتَّهَابِ
إِنِّي لِأَسْتَعْذِبُ مِنْكَ الْعَذَابِ
سُقْمِ الْمَاقِي وَالتُّنَايَا الْعَذَابِ
غَيْرِ الْأَسَى يَسْرَحُ بَيْنَ الثِّيَابِ
فِي أَنْفُسِ الْعُشَاقِ مَاضِي الْحِرَابِ
رَشْحٌ وَفِي كَفِّهِ مِنْهُ خِيَابُ
لَا حَ^(٨) وَمَنْ خَدَّيْهِ ذَابَ الشَّرَابِ
قَلْبِي بِاللَّحَاطِ إِلَّا أَصَابَ
بِالْأُسْنِ الدَّمْعَ رَثِيًّا وَاسْتَجَابَ
وَاللَّيْلُ فِي صَيْخِ جَنَاحِ الْغُرَابِ
كَالْبَدْرِ فِي مِدْرَعَةٍ فِي سَحَابِ
مُسْتَحْسِرًا^(٩) مِنْ قَلْقِ وَأَكْتَابِ^(١٠)
كَخَطِّ نُونٍ مُذْهَبٍ فِي كِتَابِ
أَضْعَافًا مَا أُعْطِيَ مِنَ الْاجْتِنَابِ
مَزَجْتُهَا لَثْمًا بِرَاحِ الرُّضَابِ^(١١)

(١) الجوى : النوى في جـ

(٢) تشفى : تشفع في بـ

(٣) الحب : الحبات في بـ

(٤) لاح : لوح في بـ

(٥) يلوح : لوح في بـ

(٦) لالأوه : لأن في بـ

(٧) مكتبمًا : مكتبًا في جـ

(٨) مستحسراً : مستحراً في بـ

(٩) وأكتاب : وارتباب في بـ

(١٠) الراح : المراح في جـ

(١١) الرضاب : الوضاب في بـ

خدييه من رقة ماء الشباب
 وحل ضوء الصبح عقد النقاب^(٣)
 كان عذاراً حالكاً ثم شاب
 فحلّه^(٣) عدل نزار فغاب
 أقام أو حث لمجد^(٤) ركاب
 لوائح^(٥) الإقبال من كل باب
 حباك بالحكم وفصل الخطاب
 ورام أن يظفر جهلاً فخاب
 فيها^(٦) وخال الماء لمع السراب
 ومت بالتهديد قبل الضراب
 قد فر من أدنى نباح الكلاب
 ولم تهب منه عزيزاً يهاب
 فعاد مرّاً منه ما كان طاب
 إليك منشوراً فكنت الجواب
 وخلفت جسمك رهن التراب
 مثلك لا يزداد إلا أغتراب /

كأنها^(١) في الكأس ما جال في
 حتى تولى الليل في جيشه
 كأنما الليل بإصباحه
 أو كان مثل الجور في لونه
 قل لأبي المنصور يا خير من
 ويا إماماً قابلت ملكه
 حولك القدرة والنصر من
 إن ابن حمدان عدا رشه
 ظن الذي أخلفه^(٦) ظنه
 فيا أبا [تغلب سوت المنى]^(٨)
 كيف يلاقى الأسد منك أمرو^(٩)
 حازبت بالبغي إمام الهدى
 وكان قد طاب^(١٠) لكم عفو
 وجهه بالبيض كتاباً له
 وعجلت رأسك سمر القنا
 / ٢٨٣ / كذا من [خير عن]^(١١) [سعد

(١) كأنها : كأنما في ب

(٢) ديوان الأمير تميم منشورات دار الكتب المصرية ص (٥٩ - ٦٠)

(٣) فحلّه : فخاف من في ب

(٤) لمجد : لمحمد في ب

(٥) لوائح : لرايح في ج

(٦) أخلفه : أخلف في ب

(٧) فيها : فيه في ب

(٨) تغلب سوت المنى : تغلب سوى أن المنا في ب

(٩) أمرو : أمراء في ب

(١٠) طاب : جاب في ب

(١١) خير عن : خيب من في ب

يا ابن معزّ الدّين أبشّر فقد
وأنحلّ عن [ملكك عقْد] (٢) الأذى
لأنك الغرّة من هاشم
وآبن الصّفّاء والحجّر وآبن الهدى
كفّاك كفّ تنهمي بالثواب
كم من يدٍ أوليتني جمّة
مازلت تُدّنيني وتُعّلي يديّ فعل
فُرحتُ من نُعمائك بادي الغنى
والله ما في جسدي شعرة
مدّت (١) لك الأملاك طوع الرّقاب
قَسراً وذلت لك فيه الصّعاب
والصفو من ساداتها (٣) واللّباب
وآبن نبيّ الله وآبن الكتاب
عفوّاً وكفّ تنهمي بالعقاب
أبت (٤) بنعمائها لخير المآب
فعل كريم الأصل حرّ النصاب
متمّم (٥) الآمال رَحَبَ الجناب
إلاً وشكري لك فيها سخاب (٦)

ونشر العزيز بالله ع. م. علمه ، وأظهر حكمه ، وكان يدخل إلى مجلسه
العزيز والذليل ، والقوي والضعيف ، فهذا يسمع وعظه ، ويأخذ من علمه ،
وهذا يسأل نواله ، فيعطى فوق أمله ؛ وهذا يشكو من ظلم فيعاقب ظالمه بظلمه .

وأمر بالمجالس فقرئت على المؤمنين ، وعملوا الظاهر (٧) والباطن من علم
الدين ، واحتذى حدو أبيه المعز لدين الله جارياً على رسمه ، حاكماً كحكمه ؛ فانتهى
/ ٢٨٤ / به الجور ، وظهر العدل ، وتميز أهل العلو / والفضل ؛ وأقيمت الحجّة ،
واتضححت المحجّة ، ووافته دعائه من أطراف الجزائر ، وتوارد (٨) إلى شريف
حضرتة فمن وارد وصادر ؛ فاجتمع إلى حضرته فيما يقال إثني عشر داعياً من جميع

-
- (١) مدت : همدت في ب
(٢) ملكك عقد : فلك عقْدك في ب
(٣) ساداتها : صفوتها في ب
(٤) أبت : نبت في ب
(٥) متمّم : وتم في ج
(٦) سخاب : يستجاب في ب
(٧) الظاهر : الظهور في ب
(٨) وتوارد : وتزايد في ب

جزائر الأرض الاثني عشرة ، وكان فيهم داع من السند أظهر فضل مولاه ، وبث شكره^(١) على ما أولى ؛ وقد شملت دعوته إلى الهند ، والسند ، وانتشرت في الغور منه والنجد ، فكلهم لاحظ الإمام ع. م ، وعابن لآل أنواره ؛ وأخذوا من علمه ، واغترفوا من تياره ، وعاد كل منهم لنشر الدعوة إلى داره ، بائحاً بإعلان فضل^(٢) ولي الله وإظهاره ، داعياً إليه في جهره وأسراره ؛ عاملاً بشريعة^(٣) محمد (ﷺ) أثناء ليله ، وأطراف نهاره ، حسب ما أمرهم^(٤) ولي الله ، ورتب لهم على ما أخذه عن آبائه عن علي بن أبي طالب أمير المؤمنين ، عن رسول الله (ﷺ) الذين نصبهم الله باختياره .

وكان القاضي أبو طاهر محمد بن أحمد قائماً بالقضاء في مصر وأعمالها ، أيام المعز لدين الله ع. م ، على ما يرتبه له القاضي النعمان بن محمد ، ويجري أمره به ، حتى توفي القاضي النعمان ، فكان / ذلك إلى القاضي أبي طاهر ، وإلى القاضي علي بن النعمان^(٥) ، إذ كان القاضي علي بن النعمان قد أخذ عن أبيه فيما نقله من الفقه عن الأئمة الأطهار عن رسول الله (ﷺ) وعلى آله النبي المختار ؛ وكان القاضي أبو طاهر يرجع إلى القاضي علي بن النعمان حسب ما كان على عهد أبيه ، وجرياً على شاكلته في ما يحكم به ويقضيه ؛ وكذلك كان أمره بقية أيام المعز لدين الله ع. م ، وجرى على ذلك صدرأ من أيام أمير المؤمنين العزيز بالله ع. م ، فحين ثقل القاضي محمد أبو أحمد عن القضاء وضعف جسمه ، وكبر سنه ، ركب إلى أمير المؤمنين العزيز بالله ع. م وسأله إعفاه عن القضاء ، ورجى أن يكون ما كان إليه

(١) شكره : شراكته في ب

(٢) فضل : فضلاله في جـ

(٣) بشريعة : شرعة في جـ

(٤) أمرهم : أراهم في ب

(٥) ولما اقتسم القضاء علي بن النعمان وأبو الطاهر كان لكل منهما شهوده الذين يستعين بهم في أحكامه . وجلس أولها للحكم في الجامع العتيق ، وثانيتها في الجامع الأزهر ؛ وظلت الحال على ذلك إلى شهر صفر سنة ٣٦٦ هـ ، وفيه اضطلع علي بن النعمان بالقضاء عامة . ابن حجر : رفع الإصر ، دار الكتب المصرية بالقاهرة ، مخطوط ٢٢١٥ ورقة ١٩٤ ب .

إلى بعض أولاده؛ فأعفاه، ولي الله، ورد أمر القضاء والدعوة ونشر مجالس العلوم والحكمة إلى القاضي علي بن النعمان حسب ما كان الأمر إلى أبيه، أو أن المعز لدين الله ع. م، وآبائه؛ وإلى القاضي علي بن النعمان بعد تمام عمر أبيه وانقضائه، فجرى على ذلك الأمر، وانتظم واتسق، ورسخ سنخ / الأمصار التي استولت عليها الدعوة العزيرية، وزال الجور والإعتساف بالكلية، وأرجع الناس عن الرأي^(١) والقياس إلى ما ورد في القرآن الكريم، وبنية العترة النبوية بصحة الأسانيد على أساس؛ وقوم الناس في الطلاق والصيام على أثبت منهاج، وأقام الأود في الدين، وثبت الإعوجاج، وقويت الدولة العلوية، وعزت وطربت أعواد المناير بنشر فضائل الوصي، والعترة الطاهرة، واهتزت.

وكانت الأمراء تأتي للحج إلى بيت الله الحرام أيام أمير المؤمنين المعز لدين الله ع. م من قبله، ويأتي لذلك أمراء من قبل بني العباس فتكون الخطبة للمعز لدين الله ع. م، وأولئك لهم ظهور أمر وعلو ذكر، فلما كان أوامير المؤمنين العزيز بالله ع. م دعوة الإسلام، فلم يكن لأحد غيره علم، ولا كان للأمراء البغداديين في التقدم قدم؛ بل ظهرت الجيوش العزيرية، وكثرت، ونفذ بترك الأعلام العباسية ما أمرت؛ ووفد كل حاج من جميع الأقطار إلى البيت الحرام، ولم يمنع أحد عن حضور مناسك الحج ممن اعتزى / إلى الإسلام، لا من أهل دولة بني العباس، ولا من سواهم من سائر الناس، بل منعوا عن تطريز الأعلام بذكرهم، وأمروا أن يطووها بعد نشرهم، وأن لا يعارضوا أمر الدولة العزيرية بأمرهم، فجرت على ذلك المراسم، وقام به الحج أيام المواسم^(٢).

(١) ويقول المقريري بأن العزيز ركب في صفر سنة ٣٦٦ هـ إلى الموضع المعروف بالجنان في جزيرة الروضة على مقربة من جامع عمرو، حيث يعقد أبو الطاهر مجلس الحكم. وهناك استقبال أبو الطاهر وشهوده الخليفة العزيز، وسأله أن يأذن له في استخلاف ولده بسبب ضعفه. ولقد قبلت استقالة القاضي علي الفور، وكان الخليفة كان ينتظرها بتلهف. أورد ابن زولاق هذه الحقيقة التاريخية - الكندي ص ٥٨٧.

(٢) بدأ الفاطميون منذ عهد المعز لدين الله يهتمون ببسط نفوذهم في بلاد الحجاز، لأنهم كانوا=

وفي ذلك يقول الأمير تميم بن المعز مخاطباً العزيز بالله وذاكراً ما انتشر من فضله في البيت والمقام حيث يقول^(١) :

دعا باسمك الداعي بمكة معلناً
وحنّت^(٢) إليك المروتان وزمزم
مسارح آيات القرآن وأربُع
وأرض غدا للوحي بين عراضها^(٣)
وأنت بها يا ابن النبي محمد
فحسبُ العلا والمجد [انك ربها]^(٤)
وأنتك منهلُ الندى بين الهدى
وأنتك للإسلام حرز وللهدى
فداؤك^(٥) مني مُقلة أنت نورها
وصلّى عليك الله يا خير خلقه

فطاب لأهل الموسم الحجّ والنفر
وثوبّ تصرّحاً بك الركن والحجر
بها ظهر الإيمان وأندمغ^(٣) الكفر
مجال^(٤) وللإسلام في أهلها نصر
أحقّ إذا ما بانّت الحجج الزهر
وأنتك في ظلماء كلّ دجى فجر
كريم الثناء ما فيك بخل ولا كير
عماد وللعافين يوم الندى بحر
ونفس بك آستعلت وطاب لها العمر /
وأبقاك ما لاح الضحى وهمى القطر

/ ٢٨٨

وثار أفتكين التركي وكنيته أبو منصور^(٨)، وكان متولياً لدمشق من جهة أمير

= يعلمون أن من يسيطر على الحرمين يتمتع بالزعامة الروحية في العالم الإسلامي كله ،
ويكسب خلافته قوة أمام العالم الإسلامي من ناحية ، وأمام الشعوب التي يحكمونها من
ناحية أخرى . هذا إلى أن في هذا الأمر تقليلاً من شأن الخلافة العباسية ، لأن أمير المؤمنين
حقاً هو الذي يستطيع أن يسطر نفوذه على الحرمين في مكة والمدينة . النفوذ الفاطمي في
جزيرة العرب ص ١٤ .

(١) ديوان الأمير تميم منشورات دار الكتب المصرية ص ١٦١ .

(٢) وحنّت : وخر في ب

(٣) واندمغ : واندفع في ب

(٤) عراضها : عراضها في ب

(٥) مجال : فجال في جـ

(٦) أنك ربها : لك تربها في ب

(٧) فداؤك : فداؤك في ب

(٨) كان أفتكين من الأتراك الذين خرجوا على الدولة العباسية ، واستقل بدمشق في الوقت الذي

وقعت فيه الرملة في أيدي القرامطة . ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ١٥ - ١٦ .

المؤمنين العزيز بالله ، فطغى وبغى على مولانا ، وباع آخرته بأولاه ، وخالف في الشام ، وأظهر البغي على الإمام ع.م ، وكتب إلى عضد الدولة بن بويه الديلمي ، وعضد الدولة يومئذ المملك في بغداد من جهات العباسيين ، والخليفة العباسي في ملكه ليس له غير إسم الخلافة، والمملك والمملكة في يد عضد الدولة كافة ؛ وكان مضمون كتاب أفتكين التركي إليه أن الشام قد صفا وصار في يدي ، وزال عنه حكم العزيز بالله ، وأنتك إن قويتني بالأموال ، وسيرت إلي الرجال ، حاربت القوم في مستقرهم ، فأجابه عضد الدولة الديلمي : غرك غرك ، فصار فصار ، ذلك ذلك ، فاختشى فاختشى ، فعلك فعلك ، بهذا تهدي ! وهي كلمات متشابهة في الخط لا تقرب إلا بالنقط والضبط ، فاستولى أفتكين على نواحي الشام ، ونشر الألوية العباسية والأعلام ، وقوي ظلمه واستطال ، وعظم بغيه وما زخرفه / من الافك والمحال ، فأخرج إليه أمير المؤمنين ع.م العساكر من الخيل / ٢٨٩ والرجال وأعطاهم على حربه ما ينفقون من الأموال فكان كلما خرج عسكر إلى أفتكين أب مغلولاً مهزوماً ، وقتل في الناس قتلاً ذريعاً ، وعظم الخوف ، واضطربت النواحي في البلاد ، وقام لذلك أهل البغي والفساد^(١) .

فخرج أمير المؤمنين العزيز بالله بنفسه ، بعد أن جمع عساكره وقواده ، وأعد عدته وأعداده ، مستعداً للقاء أفتكين متوكلاً على الله ، وهو حسب المتوكلين ، وقد أشار عليه قواده وأهل مملكته أن لا يخرج إلى العدو بشريف نفسه ، وأن وقوفه أولى ، وأنه إن خرج فلا يأمنون هزيمة ، وأن كل من انهزم من أهل مملكته وقواده جيوشه فهو لهم ردة وقوة إن أقام بالقاهرة ، ولم يخرج منها للقاء الجموع الباغية

(١) يذكر التاريخ بأن العزيز لما ولي الخلافة ، كتب إلى أفتكين يستميله إليه ويعدده حسن المكافأة إذ جلا عن دمشق . وقد رد أفتكين على الخليفة العزيز رداً جافاً جاء فيه : «هذا بلد أخذته بالسيف وما أدين فيه لأحد بطاعة ولأقبل منه أمراً» . ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ١٦ . وقد استاء العزيز من ذلك الكتاب ، وحنق على أفتكين ، فسير إليه القائد جوهر سنة ٣٦٦ هـ على رأس جيش عظيم لقتال أفتكين والقرامطة . فلما علم القرامطة بذلك ، وكانوا في الرملة ، فروا إلى الأحساء ، فدخلها جوهر واحتلها .

الخاسرة ، فترك قولهم ظهرياً ، ومضى للحرب رأياً سديداً ، وعزماً قوياً ، ولم يلتفت في ذلك إلى اللوم والتفنيد ، ولا يسمع قول قريب ولا بعيد ، فحين انتهى ع.م / ٢٩٠ م بجنوده وحشوده إلى الطواحين / ، وظهرت منه العطايا للصادرين والواردين ، وواقعت سوابق جيوشه للمعاندين ، وقعت له الهيبة في قلوب المفسدين ، وامتلات من الرعب أفئدة المخالفين ، وجاءت إليه طوائف من أتباع أفتكين ، ملقين بأيديهم تائبين ؛ وولى بقيتهم عن الشام منهزمين ، ولاحت لوائح النصر والتمكين^(١) .

قال الأمير تميم بن المعز وأنشد في الطواحين من ذلك قوله^(٢) :

إذا حان من شمس النهار غروبُ	تذكرُ مشتاقٌ وحنَّ غريبُ
ألا أبلغا القصيرين فالمقسَّ أني	إلهنَّ مُدَّ فارقتهن كتيب
إلى ساحتي دبرِ القصيرِ إلى الربا	فمصرهما حيث الحياة تطيب
منازل لم يُلبسُ بها العيشُ شاحباً	ولم تُلَفَ فيهنَّ الخطوبُ تنوب
هو الوطن النَّائي الذي لم تزل لنا	نفوسُ إليه نُزِعُ وقلوب
وإني لأهوى الرِّيحَ من كلِّ ما بدأ	برياه من ريح الشمال هبوب
وما بلدُ ^(٣) الإنسان إلا الذي له	به سكنٌ يشتاقه وحبيبُ

(١) خاض القائد جوهر معارك عديدة مع أفتكين والقرامطة واحتل دمشق ثم انسحب منها بعد أن طلب الصلح ورحل عن دمشق في ٣ جمادى الأولى سنة ٣٦٦ هـ وجدد في المسير لاقتراب القرامطة منها ، ثم ذهب إلى طبرية . ومنها إلى الرملة فتبعه أفتكين والحسن الأعصم بعد أن انضم إليها أكثر من خمسين ألفاً ، ونزلوا بنهر الطواحين . ثم انتقل جوهر إلى عسقلان فحاصره أفتكين والحسن . ومن ثم تفاوض جوهر مع أفتكين واتفقا على أن يغادر جوهر وجيشه إلى مصر بسلام . ولما وصل جوهر إلى القاهرة ودخل على العزيز بالله ، شرح له حقيقة الحال في بلاد الشام ، واستفحال أمر أفتكين ومن معه . فأمر العزيز بإعداد العدة ، وخرج على رأس جيش كبير مزود بالموث والذخائر ، وعلى مقدمته جوهر . المقرزي : خطط ج ٢ ص ٢٨١ .

(٢) ديوان الأمير تميم منشورات دار الكتب المصرية ص ٥٢

(٣) بلد : بله في ب

إلى الله أشكو وشكَّ بينَ وفرقةٍ
 ترى عندهم علمٌ وإن شطَّت النوى
 لهم كِبدي دوني وقلبي ومُهَجتي / ٢٩١
 فأية حُزني لوعَةٍ وصباية
 وما فارقونا يرتضون^(٤) فراقنا
 لهم أنفسٌ مرضى يقطعها الأسى
 فللشوق في الأكباد منهن رنةٌ
 سيشفين داءَ البعد بالقرب عاجلاً
 وأن ظنونَ الناس إفكٌ وباطلٌ
 تدارك نصرَ الدين من بعدما وهت
 رحيل^(٦) رأى فيه السعادة وحده
 فأمضاه لَمَّا أن أشاروا بتركه
 [يسير به^(٧) قلبٌ على الخطب قلبٌ
 فخابوا وما إن خيب الله ظنَّه
 وحلَّ ديار^(٩) المارقين فأصبحوا
 كأنهم إذ عاينوه مصمماً

لها بين أثناء القلوب^(١) تُدوب
 بأن لهم قلبي علي رقيبٌ
 ونفسي التي ادعو^(٢) بها وأجيب^(٣) /
 وعنوان شوقي زفرةٌ ونحيب
 ولكن ملماتُ الزمانِ ضروبٌ
 علينا وأكبادٌ تكاد تدوب
 وللدمع في روض الخُدود سُكوب
 ويعلمن أنا بالنجاح نثوب^(٥)
 وظنُّ أمير المؤمنين مُصيب
 دعائمه فارتدَّ وهو قشيب
 وأكثرَ فيه طاعنٌ وكذوبٌ
 وكلهمُ ممَّا أتاه هُيوب
 وصدر بما تعيا الصدورُ رحيب^(٨)
 والله في ما أنكروه غُيوب
 وكلهمُ خوفاً إليه مُنيب
 هُسيمٌ أطارته صبا^(١٠) وجنوبٌ

(١) القلوب : الفؤاد في ب

(٢) ادعو : دعاني في ب

(٣) وأجيب : جواب في ب

(٤) يرتضون : يرضى في ب

(٥) نثوب : نواب في ب

(٦) رحيل : دخيل في ب

(٧) يسير به : واني لهم في ب

(٨) رحيب : حبيب في ب

(٩) ديار : بأرض في ب

(١٠) صبا : بها في ب

٢٩٢ / بدا لهم منه إمام مؤيد
 فلم يجدوا غير الإنابة حيلة
 وما كان فيها جيشه غير نفسه
 يؤيده رأي يلوح نجاهه
 حوت أبا المنصور وحدك فضلها
 كذا فليقم بالمجد من كان قائماً
 نهضت بها إذا أعجزت كل ناهض
 وقد ملأت أرض الشام وقائماً
 جليد [الحشا والقلب حين] (٢) تمزقت
 عقدت بها عز الخلافة (٣) بعد ما
 وجددتها من بعد ما لعت بها
 فيا لهف نفسي إذ نهضت بثأرها
 يراك ويدري كيف ضبطك بعده
 سحابك منهل وبأسك متقى
 وداعيك مقبول مجاب دعوته
 وما حاربتك الترك إلا وبينها
 وما جحدوا الحق الذي لك فضله
 ٢٩٣ / فإن يصبحوا تركاً وزنجاً ودليماً
 رعاك الذي استرعاك أمر عياده

عزير لأشباح الخطوب ركوب
 ولو قدروا ما أذعنوا ليتوبوا /
 وعزم أكل للخطوب شروب
 كما لاح غضب الشفرتين قضيب
 وما لامرىء فيها سواك نصيب
 ويين (١) العلامن راح وهو نجيب
 ومزن رداها ينهمي ويصوب
 قبائل من مراقها وشعوب
 من الخوف شبان هناك وشيب
 بدا (٤) في نواحيها ضنى وشحوب
 صروف الليالي والتوين خطوب
 لو أن معز الدين منك قريب
 وأتاك للأمر السقيم طيب
 وحلمك لم تكثر عليه ذنوب
 وراجيك بالمعروف ليس يخيب (٥)
 وبين الهدى والمكرمات حروب
 ولكن بهم عنه عمى وهروب /
 فأنت إمام للنبي نسيب (٦)
 فما لك في هذا الأنام ضرب (٧)

(١) وبين : وييني في ب

(٢) الحشا والقلب حين : الحشى في لب في ب

(٣) الخلافة : الخليفة في ب

(٤) بدا : ودا في ب

(٥) يخيب : نجيب في ب

(٦) نسيب : يسيب في ب

(٧) ديوان الأمير تميم منشورات دار الكتب المصرية ص ٥٥

وقصد أمير المؤمنين ع . م بجموعه إلى الشام ، وهو في عدة موفورة ،
وعساكر كثيرة ، وقد ضم إليه القبائل ، وجمع العساكر والحفافل ، ورايات النصر
عليه خافقة ، والقلوب بنصره وتأييده من الله واثقة ، وبرز أفتكين التركي في جموع
الشام ، وقد اجتمع له كثير من الطغام ، وقد أعجبتة كثرة جنوده ، وما يخفق عليه
من ألويته وبنوده ، فالتقى الجمعان ، واجتمع الفتتان ، وتحامل الفرسان ،
وتلاقى الشجعان ، وتكافح الأبطال ، واشتد القتال ، وعظم الهياج ، وارتفع
العجاج ، فمر أمير المؤمنين أصحابه ، وهز إلى العدو قرضابه ، وحمل عليهم بذى
الفقار ، وحملت العساكر العزيزية ، وتنادت بالشفار ، وكثر القتل في الفجار ،
فولوا الأدبار ، وفروا أشر الفرار ، وتفرقوا ببدأ ، وساقتهم السيوف إلى موارد
الردى ، / ٢٩٤ / ومنح الله الجنود العزيزية أكتافهم / يقتلون ، ويأسرون ، وينصر
الله تعالى ، وفضل وليه عليهم ينتصرون ، فأردوا منهم أسنة وسيوفاً ، وجندلوا
منهم ألوفاً ، وكانت وقعة سارت بها الركبان ، وامتألت من ذكرها في الأقطار ،
والأمصار ، والبلدان ؛ وولى أفتكين على وجهه لا يدري أين يذهب ، وأي وجهة
يأوي إليها لينجو من العطب ، فقطع عليه الطريق ، وغفل ابن الجراح البدرى
وأخذه أسيراً ، وجاء به إلى أمر المؤمنين العزيز بالله مقهوراً ، وقد ربط في عنقه حبلاً
وجمعت يده إلى عنقه ، بعد أن غلنا ، وأشار كل من حضر على أمير المؤمنين بقتل
أفتكين التركي ، ^(١) فأبى ذلك ، وقال : إني عاهدت الله ع . ج عند الخروج إليه

(١) ويذكر ابن القلانسي في ذيل تاريخ دمشق ص ١٩ - ٢٠ أن أفتكين لما دخل على العزيز في
سراجه ، ترجل عن دابته وقبل الأرض بين يديه ، وحل إلى دست قد نصب له ليجلس
عليه . فلم يكن من أفتكين إزاء ما لقيه من العزيز ، إلى أن رمى بنفسه إلى الأرض وألقى ما
على رأسه ، وبكى بكاء شديداً ، وقال : ما استحققت الإبقاء علي ، فضلاً عن العفو
الكريم والإحسان الجسيم . وامتنع عن الجلوس في الدست وقعد بين يدي العزيز ،
وألبسه جوهر من ملابس العزيز وهدأ روعه ، فجدد الدعاء وتقبل الأرض وشكر جوهره
على ما أظهره نحوه من كرم ونبيل . . . وبالغ العزيز في إكرام أفتكين ، فأسكنه داراً
فسيحة ، وأغدق عليه صلواته وعطاياه ، وظل ممتعاً بنعم العزيز حتى مات في سنة
٣٧٢هـ .

إن ظفرت به أن أجعل المن عليه شكراً لله تعالى عند الظفر ، وأن أعفو عنه عفو من قدر ؛ فمن أمير المؤمنين على أفتكين بعفوه ، ومنتته ، ووسعه بفضل كرمه ، ورافته ، وخلط بالخاصة من أهل مملكته ، بعد أن تاب وتصل إلى مولانا من عظيم خطيئته .

وقد ذكر ذلك ابن خلكان في تاريخه حيث ذكر العزيز بالله فقال : وما يدل / ٢٩٥ على عفوه وحلمه ، فعلة بأفتكين التركي حين ظفر به / بالشام ؛ وأقام أفتكين على الإكرام من الإمام يسيراً من الأيام إلى أن مات في سنة اثنين وسبعين وثلاثمائة لسبع خلون من شهر رجب^(١) .

ودخل أمير المؤمنين مدينة دمشق ومعه وزيره يعقوب بن يوسف بن كلس ، وكان له في تلك الحروب بالشام حسن الرأي ، والتدبير ، والجهاد الذي حاز به مع أمير المؤمنين الحظ الخطير ، بعد أن أعز الله وليه ونصره ، وأعطاه وأظفراه ، وأيده بتمكينه وأظفراه ، وقد دانت له البلاد ، وانقطعت جرثومة الفساد ، والتوفيق يرافقه ، والسعد يخدمه ، والنصر والتأييد يصحبه ، ويقدمه ، وقد حفت به العساكر المنصورة ، والبنود المنشورة ، وجنوده قد ملأت الأقطار ، وصارت في البراري كأمواج البحار ، وكان ذلك في شهر المحرم أول سنة ثمانين وستين وثلاثمائة ، وأنشدت الشعراء الإمام ، ومن أنشد أبو حامد أحمد^(٢) حيث يقول من قصيدة مدح فيها الوزير يعقوب بن يوسف ر. ح ورضوانه عليه وهو إسن محمد

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ ص ١٥٢ . المقرئزي : حطط جـ ٢ ص ٢٨١ .
(٢) كان أبو حامد من أهل أنطاكية بالقرب من حلب ، وكان من مشهوري الشعراء . ذكره الثعالبي في كتابه يتيمة الدهر جـ ١ ص ٢٣٨ فقال : هو نادرة الزمان وجملة الإحسان . وهو أحد المداح المجيدين والشعراء المحسنين ، هو بالشام كابن حجاج بالعراق . وذكر ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان جـ ١ ص ٤٨ - ٤٩ أنه أقام بمصر زماناً طويلاً ، وأن معظم شعره قد نظم في مدح أمرائها ورؤسائها ، فمدح من الخلفاء الفاطميين المعز والعزيز والحاكم ، وشاد بذكر جوهر وابن كلس وغيرهما .

قد سمعنا مقاله واعتذاره
والمعاني لمن عنيت ولكن
من غدا دأبه إلى أبد الدهر
عالم أنه عذاب من الله
هتك الله ستره ، فلكم هتك
سحرتني ألاحظه وكذا كل
ما على مؤثر التباعد وإلا
وعلى أنني وإن كان قد عذب
لم أزل لا عدمته من حبيب
ومنها في المدح :

لم يدع للعزیز في سائر الأرب
فلهذا اجتباه دون سواه
لم تشید له الوزارة مجدداً
بل كساها وقد تخرمها الدهر
كل يوم له على ثوب الدهر
ذویدر شأنها الفرار من البخ
[هي فلت] (٤) عن العزیز عداه
هكذا كل فاضل یده ثم

٢٩٧ /

ض عدواً إلا وأحمد نارة
واصطفاه لنفسه واختاره
لا ولا قيل رفعت مقداره
جلالاً وبهجة ونضاره
ر وكر الخطوب بالبذل غاره
ل وفي حومة الندي كراهه
بالعطايا وكثرت أنصاره
سي وتضحى نفاعاً ضراره /

(١) وقد ذكره المسبحي في كتابه تاريخ مصر فقال إن وفاته كانت سنة ٣٩٩ هـ .

(٢) وورد هذا البيت في شذرات الذهب - المجلد ٣ ، على الصورة التالية :

عالم أنه عذاب من الله متاح لأعين النظارة
(٣) ورد هذا البيت في النسخة ب هكذا :

هتك الله ستره فلقد غلکم هتك من ذي تستر أسفاره
(٤) هي فلت : هي اقلت في ب

فاستجره فليس يأمنُ إلاً
 وإذا ما رأيتَه مطرقاً يُعدُّ
 لم يدعُ بالذكاء والذهن شيئاً
 لا ، ولا موضعاً من الأرض إلا
 دوخ الأرض بالشأم وأذكى
 زاده الله بسطة وكفاه

[من تقياً ظلاله] (١) واستجاره
 حيلُ في ما يريدُه أفكاره
 في ضمير الغيوب إلا آثاره
 كان بالرأي مُدركا أقطاره
 لمعاد العزيز حين انتظاره
 خوفه [من زمانه] (٢) وحذاره

ومن قوله فيه أيضاً :

إنّ ربعاً ألفتُه مألوفاً
 [غيرتُ أيداً] (٣) صروف الليالي
 ما مررنا عليه إلا أقمنا
 أليفاً للبكاء فيه كاني
 حاسداً للجفون لما أزالت

كان للبيض مربعاً ومصيفا
 وغدا عنه خوفه مصروفا
 وأطلنا شوقا إليه الوقوفا
 لم أكن فيه (٤) للغواني أليفا
 في معانيه دمعها المذروفا

إلى قوله :

إنّ يعقوب قد أقاد وأفنى
 سلّ سيفاً من البصيرة والرأي
 باذلاً للعزيز دون حماه
 لم يزل دونه يخوض المنايا
 ناصحاً مشفقاً محباً ودوداً

وأعاد الندى وأغنى الضعيفا
 فأغناه أن يسلّ السيوفا
 مُهجة حرّة ورأياً حصيفا
 ويردّ الردى ويلقى الصفوفا
 قائماً في رضاه صعباً عسوفا

(١) من تقياً ظلاله : موقفا ظله في ب

(٢) من زمانه : سقطت في ب

(٣) غيرت أيداً : غيرت أيد في ب

(٤) فيه : سقطت في ب

ليس يخشى فساد / أمرتولاه
 ما رأيناه قط إلا رأينا
 ورأينا قرماً كريماً هماماً
 لذّ طعم الوفاء ، فهو إذا جاد
 خلف من كان فيه شهماً كريماً
 ويريشس الفقير بالبذل والجود
 فأراني الإله طرق الليالي

وأقام الإمام العزيز بالله مدينة دمشق إلى أن تمهد له الشام ، واعتدل أمره
 واستقام ، وارتفع عنه^(١) الجور والظلم ، وظهر العدل ودان بطاعته الكل ،
 وامتألت القلوب من هيئته ، وخافت أغلب الملوك من سطوته ، ثم أقام الولاية ،
 ونصب القضاة ، والدعاة ، ودعا ع . م إلى دار عزه ، وقرار ملكه بالقاهرة ، وقد
 دوخ المعاندين ، وأذل المفسدين ، وقضى الله له بالنصر والتمكين ، وأعز به
 الدين ، وقمع المناصبين والمتعدين ، واستقرت له الأمور ، ودان له الجمهور ،
 فقال الأمير تميم يمدحه بعد عودته من الشام / :

أسهم أصاب القلب أم لحظك الشرُّ
 وماذا الذي في صحن خلدك لائح
 سفرت فحوكت الدجى قبل فجره
 وسقمُ بدا ما بين جفنيك أم سحرُ
 أماء^(٢) جمال جائل^(٣) فيه أم خمرُ
 أشمس أضاءت من نقابك أم بدرُ

(١) عندما أحس أفتكين بالمعاملة التي عامله إياها العزيز حيث خلع عليه ووصله بهبات ،
 وأذن له أن يدخل بلاط الخلافة ضيقاً مكرماً ، قال : لقد احتشمت من ركوبي مع الخليفة
 مولانا العزيز بالله ونظري إليه ، بما غمرني من فضله وإحسانه ؛ فلما بلغ العزيز ذلك قال
 لعمه حيدرة : يا عم ! أحب أن أرى النعم عند الناس ظاهرة ، وأرى عليهم الذهب
 والقضبة والجواهر ، ولهم الخيل واللباس والضياع والعقار ، وأن يكون ذلك كله من
 عندي . هلال الصابي ، مسكويه جـ ٣ ص ٣٨٤ ، ٤٠٣ . ابن القلانسي ص ٢٠ -

لقد أسكرت عينكِ قدكِ فانثنى
 وحمّلتني ما لا أطيقُ من الهوى
 أجوراً على العُشاق والعدلُ ظاهر
 أَلستِ تخافين العزيزَ وقد بدت
 صليّني لتُشفي عُثّي بكِ مثلَ ما
 تباشرتِ الدنيا به وبملكه
 هناكِ قدومُ حقِّه السعد والعلا
 رجعتَ وقد قضيت ما لم يقضه
 بفتح بشرق الأرض والغرب ذكره
 فإن يكِ بدرٌ لم يُقسَ بشبيهه
 نصرت بها التوحيد والحق نُصرةً
 وأرهبْتَ أهلَ الشامِ حتّى تركتهمُ / ٣٠٠
 وسُستهمُ^(٧) حَزماً بما لم يسُستهمُ
 فلو تسمعُ الموتى لناديتُ مُسمعا
 نهضتْ بشارتِ الحسينِ وزيده^(١٠)

كما يثنى بالشارب الشمل السُكرُ
 كما لم يُطيقُ حملاً لأردافكِ الخصرُ
 وظلما لهمُ والحقُ أنجمه^(١) زُهرُ
 خلافتُهُ لم يسقِ ظلمٌ ولا غدر^(٢)
 شفتُ بأبي المنصورِ عُلتها مصر
 وردَ على الأيامِ بهجتها الدهرُ
 ومدّ عليه عزّ سلطانه^(٣) النصر^(٤)
 إمامٌ وما لم يحوِ أمثاله عصر
 تَغنى به الدنيا ويحدو به السُقرُ
 فذى الوقعة الكبرى التي شبيهاها^(٥) بدر
 عزيزيةً صلّى لها المجدُ والفخر
 وليس لهم سرّ^(٦) سواك ولا جهر /
 بمعشاره يوماً زيادٌ ولا عمرو
 يزيد: [بخزي قم]^(٨) فقد أدرك^(٩) الوتر
 نهوضاً به من زينب^(١١) شُفي الصدر

(١) أنجمه : نجم في ب

(٢) غدر : عذر في ب

(٣) سلطانه : سلطانك في ب

(٤) ديوان الأمير تميم منشورات دار الكتب المصرية ص ٢٠١-٢٠٢ .

(٥) شبيهاها : شبيها في ب

(٦) سر : سرد في ب

(٧) وسستهم : وسعتهم في ب

(٨) بخزي قم : تخزي قمر في ب

(٩) أدرك : نغم في ب

(١٠) يقصد زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الذي خرج في الكوفة على بني أمية فقتل

في أيام هشام بن عبد الملك في سنة ١٢١ .

(١١) يعني زينب بنت علي بن أبي طالب التي شهدت مقتل الحسين بكر بلاء سنة ٦١ هـ .

فقاطمةُ الزهراءُ تُفديكُ بأبنها
وإنكَ للسيِّفِ الذي اللهُ ضاربُ
فيا أيها البحرُ الذي موجُه لهُيَّ
فداؤكُ قومٌ طَلَّتْهُمُ^(٢) وعلوتُهُمُ
أراني إذا هذبتُ فيكُ قصيدةً
ويجذبُنِي قلبي إليكَ وهيمتي
وهل أنا إلا ساعةُ أنتِ يومها
وإني لَممزوجٌ بحبِّكَ خِلْقَةً
كلانا لأصلٍ واحدٍ ولمنبتِ
فيا من علاه لي وإن كنتُ عبدهُ
ضميركُ يلقاني بخالصِ ودّه
فإن كنتُ في ذكري^(٤) لفضلكُ مُسْهِباً
أهنيكُ لا أعني سواك^(٥) بأوبة
ولو أن أرضاً هزَّها الشوقُ أقبلتُ

/ ٣٠١

وتسألُ أن تَبْقَى ، ويبقى لك العُمُرُ
به، والهدى المدروسُ من نوره الذكْر^(١)
ويا أيها الغيثُ الذي ملؤهُ تبرُ
أبوهُمُ إذا عدوا أُميَّةً أو صخر^(٣)
يساعدني في مدحكُ النظمِ والنثرِ
ويعذبُ لي في حوكِ شكري لك الفكرِ
ويومٌ من الأيامِ أنتِ له شهر
كما أمتزجتُ بالماءِ في كأسها الخمر
تفسرُ عُصناتنا وما اختلف النَّجرُ
ومن أنا عند الإلتسابِ له شَطْرُ
ووجهكُ ما إن ينقضني منه لي بشر
ففضلُكُ فضلٌ لا يحيطُ به الذكْرُ /
كأنكُ عِقْدٌ وهني من تحته نَحْرُ
إليكُ آشتياً أرضُ مصرِكُ والقصر^(٦)

ورفع أمير المؤمنين ع. م يعقوب بن يوسف بن كلس^(٧) في مقام الوزارة،

(١) الذكْر: الكفر في ب

(٢) طلَّتْهُمُ: كلهم في ب

(٣) ديوان الأمير تميم (٢٠٢ - ٢٠٣) .

(٤) ذكري: نشري في ب

(٥) سواك: سؤال في ب

(٦) القصر: العصر في ب

(٧) كان ابن كلس كما يذكر التاريخ يهودياً ولد في بغداد ونشأ بها ، وسافر مع أبيه إلى الشام ، فأنفذه منها إلى مصر سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة للهجرة ، فاتصل ببعض خواص كافور ، فعهد إليه بعمارة داره ، ورأى فيه النجابة والنزاهة ، فعينه في ديوانه الخاص . ولم تزل حظوته تزداد مع كافور حتى أمر أصحاب الدواوين ألا يصرف شيئاً من المال إلا =

وأباح في أمر المملكة إيراده وإصداره، وأضاف إليه أمر الدولة، وأنفذ في أمرها فعله، وقوله؛ وذلك في اليوم الثامن عشر من شهر رمضان المعظم سنة ثمانٍ وستين وثلاثمائة^(١).

وكان هذا الوزير يعقوب في ابتداء أمره على ما ذكره الرواة، من أهل ملة موسى ودين اليهودية، وهو من أولاد هرون بن عمران؛ ثم أسلم أيام كافور الاختشيدى فحسن إسلامه، وكان ذا فطنة وذكياً، وكان له تفنن في علم التوراة وغيرها من العلوم، ولما وصل القائد جوهر إلى الديار المصرية تعلق بخدمته، وارتفع عنده في درجته، لما رأى فيه من الفطنة وعلو الهمة، وحسن الأدب، والنظر في العلم في كل باب، ثم هاجر إلى أمير المؤمنين المعز لدين الله ع. م إلى أرض المغرب، ولم يزل يسمو صعداً، ويزدلف / علواً مع أولياء الله أهل الهدى؛ وعاد مع المعز لدين الله ع. م حين قدومه إلى مصر فارتفع عنده في الفضل والقدر، حتى جعل المعز لدين الله ع. م له النظر في الوزارة مع عسلوج بن الحسن في بقية أيام المعز لدين الله ع. م، بعد وفاة الوزير أبي الفضل جعفر بن الفضل بن

= بتوقيع ابن كلس سنة ٣٣٦ هـ . وفي شعبان سنة ٣٥٦ هـ أظهر ابن كلس إسلامه وصلى في الجامع، فزادت حظوته عند كافور . ولما كان الوزير ابن الفرات يحسد ابن كلس ويحقد عليه، فقد حبسه ثم أطلق سراحه بعد أن بذل الأموال الطائلة، فتوجه إلى المغرب حيث خدم المعز وعاد معه إلى مصر واكتسب حظوة العزيز وتولى أموره، ثم ولي الوزارة . ياقوت : إرشاد - ٣ ص ٨٤ . ابن حلكان : وفيات الأعيان : ج ٢ ص ٤٦١ .

(١) ووصف ابن منجب الصيرفي علاقة يعقوب بن كلس بالخليفة العزيز، وما حلع عليه من الألقاب وما أسبغ عليه من المنح، كما وصف أثره في العلم والأدب فقال: لقبه بالوزير الأجل، وأمر أن لا يحاطبه أحد ولا يكاتبه إلا به . وخلع عليه، ورسم له أن يبدأ في مكاتباته باسمه على عنوانات الكتب النافذة منه . واعتقل ابن كلس في القصر فأقام محتقلاً شهوراً، ثم أطلقه في سنة أربع وسبعين وثلاثمائة، وحمله على الخيل بالسروج واللحم والثقال، وقرىء له سجل برده إلى ما كان له من تدبير الدولة، ثم قرىء له سجل يهبه خمسمائة من الناشئة وألف غلام من المغاربة، لا رحعية فيهم ولا مثنوية، وإنا ملكناه أعناقهم وحكمناه فيهم . وكان ابن كلس يجلس للمظالم كل يوم بعد صلاة الصبح، فيدخل عليه الناس بظلاماتهم . كتاب الإشارة إلى من نال الوزارة ص ٢٢ .

الفرات، وجعل المعز لدين الله ع . م أيضاً إلى هذا الوزير يعقوب بن يوسف النظر في الأموال، والإفتقاد لها، والإنتقاد؛ ثم ان أمير المؤمنين العزيز بالله ع . م رفعه وأدناه، واختصه وأسناه، وصرف أمر المملكة إليه، وجعل تدبيرها ينفذ على يديه، ولما كان في عيد الفطر من السنة المذكورة عقب إقامة الوزير يعقوب المذكور، خرج أمير المؤمنين العزيز بالله في جحفل جرار وعساكر تضيق لها الأقطار، وقد شهر الوزير يعقوب بالفضل، وقدمه على أولي العقد في الأمور والحل، فقال الأمير تميم / ٣٠٣ ابن المعز يهني العزيز بالله ع . م بالعيد، ويذكر خروجه لقضاء / الصلاة، وإقامة الخطبة، وما رفعه من قدر وزيره يعقوب بن يوسف وزاده لديه من القربة، في قصيدة أنشدت بين يدي العزيز بالله ع . م يقول فيها: (١)

طوى البين عهد الوصل فهو قصيرُ	قفاض له دمع وطال زفيرُ
هنيئاً لك العيدُ الذي أنت للرضي	من الله لمرضيك فيه بشير
برزت كبدر التيمّ تقدّم (٢) جحفاً	تكاد به الأرض الفضاء تمور
فللبيض برق في أعاليه خاطفُ	وللأسد ركض تحته وزئير (٣)
كان الدروع السابغات عليهمُ	لما ألقوها سندسٌ وحرير
وقد منحوك اللحظ من كل جانبٍ	وكلهم صافي الضمير شكور
فمن مقلّة منهم (٤) عليك حبيسةٌ	ومن إصبع فيهم إليك تشير
ولو نطقت أحجار أرض لسلمتُ	عليك المصلّى أو أتتك تسير
فلما بلغت المنبر الطاهر الذي	له بك فضل لا يُنال كبير
تخشعت (٥) للرحمن ثم علوته	خطيباً وكلّ اللحظ عنك حسير

(١) ديوان الأمير تميم مشورات دار الكتب المصرية ص ١٤٢ - ١٤٣ .

(٢) تقدم : قوام في ب

(٣) زئير : زبير في ب

(٤) منهم : فيهم في ب

(٥) تخشعت : تواضعت في الديوان .

فأبدت ما أبدى النبيُّ من الهدى
 واسهبت في حمد الإله بخطبة
 وبشَّرتَ ترغيباً وأنذرتَ^(١) خشيةً / ٣٠٤
 فدمُّ لأبي المنصور يا مُلكُ^(٢) سالماً
 لأنك بالملك العزيز ممَّنَعُ
 أغرُّ إذا ما قابل الخطبَ رأيهُ
 تطلبتَ^(٣) مرضاة الإمام^(٤) فإلتها
 فأنت له في الحرب سَهْمٌ ومُتصلٌ
 كذا الفَرَعُ للأصل الزكي نظير
 تَفَجَّرُ منها للصواب بحور
 بإيجاز قولٍ ما حواه نذيرُ/
 فليست عليك الدائرات تدور
 وأنَّ له يعقوب فيك وزير
 تيسَّرُ صَعْبُ الخطبِ وهو عسير
 وقصَّرَ عنها طالبون كثير
 وفي السُّلمِ للألاء^(٥) يلوح ونور

وكان يعقوب الوزير عند إمامه مقرباً مكرماً معزراً مقدماً ، وله أخلاق
 سنية ، وسيرة صالحة ، وأعمال رضية ، وحسن سياسة وعدل ، ومكارم ظاهرة ،
 وفضل وعلو همة ، مقتفياً في فعله لأثار الأئمة ، متأدباً بأدابهم ، مجهداً نفسه في
 سلوك منهجهم ، واقتفاء آثارهم ، محباً للعلم ، مؤثراً لأهله ، مقدماً لهم في
 قوله ، وفعله .

قال علي بن عبد الرحمن بن يونس المصري المنجم مصنف الزيج المشهور
 الحاكمي^(٦) : لما كان في أيام أمير المؤمنين العزيز بالله أبي المنصور نزار ع . م وعلى
 آبائه الطاهرين ، وأبنائه المتجيين ، وأفضت الوزارة إلى الوزير أبي الفرج يعقوب
 ابن يوسف سيد الوزراء ، ورأس العلماء ، وحكيم / الحكماء ، رغب في / ٣٠٥

(١) وأنذرت : سمطت في ب

(٢) يا ملك : يا ملك في ب

(٣) تطلبت : تطلب في ب

(٤) الإمام : الإله في ب

(٥) لالألاء . للألك في ب

(٦) كان ابن يونس فوق شهرته في علم النجوم يجيد نظم الشعر، ومن شعره:

أحمل نشر الريح عند هبويه رسالة مشتاق لوجه حبيبه
 بنفسي من تحيا النفوس بقربه ومن طابت الدنيا به وبطيبه

تقديم أهل العلم والفضل ، فقرّبهم منه ، وأدنى محلهم على حسب ما في العلم والعقل ، وأغنى فقيرهم ، ووصل غنيهم ، حتى عم أهل الزمان فضله ، وغمرهم نائله ، ووسعهم حلمه ، وقام لهم تديره ، فحدد من العلوم ما دثر ، وأثار منها ما استبهم ، وفتح منها ما انغلق ، وفتح ما ارتق ، على حين غفلة من أهل الزمان ، وفتور منهم ، وتوان ؛ فكثرت الراغب في العلم الطالب له ، فأعلامه منصوبة ، وسبله مسلوكة ، هذا على ما وطد من قواعد الملك ، وأعلى من مناره ، وشرف من بنيانه ، فأمن كل خائف ، واهتدى كل من ضل ، وعاد إلى الحق كل من زل ، فالحمد لله الذي أحياناً في أيامه ، فهي أحسن الأيام ، وأفضل الأعوام ، إذ بها فرغنا لدراسة العلم ، ونظم قلائده ، وتأليف كتبه ، هذا قوله^(١) .

وللوزير يعقوب مصنف في الفقه يسمى مصنف الوزير ابتداء فيه بذكر الطهارة ، ثم الصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، وسائر أبواب الفقه ، ٣٠٦ / الواجبات على مذهب الأئمة / من آل رسول الله عليهم أفضل السلام ، وأسنى الصلاة ، اقتضى فيه فعل القاضي النعمان بن محمد أعلى الله قدره ، في ما ألفه وصفه ، وسلك نهجه ، وجاء فيه بيانات مسائل من الشرعيات والفقهيات ، فهو يعتمد منه ما وافق كتاب دعائم الإسلام ، الكتاب المعروف الذي صنفه القاضي النعمان ، ويؤخذ بما كان فيه من البيانات ، مما لم يذكره القاضي النعمان ، وما كان فيه من شيء يسير يناقض ما أورده القاضي النعمان ، فالرجوع فيه إلى قول القاضي النعمان في كتبه ، ولا سيما كتاب الدعائم ، ومختصر الآثار ، فبذلك بنى الأئمة تابعيهم ، وعلى ذلك المنهج من اتبع آثارهم يقتفيهم^(٢) .

(١) أبي الحسن علي بن يونس المنجم الحصري المتوفى سنة ٣٩٩ هـ صاحب الزيج الحاكمي ، وهو زيج كبير رآه ابن خلكان في أربعة مجلدات ، بسط القول والعمل فيه ، وما قصر في تحريره . وذكر أن الذي أمره بعمله وابتداء له العزيز أبو الحاكم صاحب مصر . وفيات الأعيان جـ ١ ص ٣٧٥ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٤ ص ١٧٩ .

(٢) وكان الوزير أبو الفرج في سنة سبعين وثلاثمائة أحضر جماعة من الفقهاء وأهل العتيا ، =

وقد ذكر ابن خلكان في تاريخه أن الوزير يعقوب بن يوسف عرض مصنفه المذكور على العزيز بالله ، وقال^(١) : وهو ما أخذه عنه وعن آبائه ، فذلك مما أنطق^(٢) الله ابن خلكان به مع تعصبه على الأئمة ، وذلك إقراراً بفضلهم ، وعلو محلهم ، لكون العلم يؤخذ منهم ، ويرجع فيه إليهم ، وعلى ذلك ما ألفه القاضي النعمان بن محمد / وغيره من دعاة الأئمة ، والتابعين لهم فإنهم ينسبون ما يوردونه عنهم ، إذ هم ورثة الرسول ، وقرناء الكتاب ، الذي يرجع إليهم ، ويتعلم منهم ؛ وقد قال النبي (ﷺ) : تعلموا من عالم أهل بيتي ، ومن تعلم من عالم أهل بيتي ، تنجوا من النار . وقال الله ع . ج : ﴿ وَكُوِّرَتْهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾^(٣) وليس ذلك كما أورد ابن خلكان وغيره من المصنفين للكتب ، والموردين للأخبار عن الخلفاء العباسيين والأمويين في ردهم القول إلى من يأتهم بهم ؛ كما روي عن هرون الرشيد العباسي في ما أتى عن القاضي ابن يوسف خليفة أبي حنيفة النعمان بن ثابت ، وذلك قول ابن خلكان : حكى بشر بن الوليد الكندي قال : قال لي القاضي أبو يوسف : بينا أنا البارحة قد أويت إلى فراشي ، فإذا داق يدق الباب دقاً شديداً ، فأخذت إزارتي / وخرجت فإذا هرثمة^(٤) بن أعين ، فسلمت عليه ، قال : أجب أمير المؤمنين . فقلت : يا أبا حاتم لي بك حرمة ، وهذا وقت كما ترى ، ولست آمن أن يكون أمير المؤمنين قد دعاني لأمر من الأمور ، فإن أمكنك أن تدفع ذلك إلى غد فلعله أن يحدث له رأي . فقال : ما لي إلى ذلك سبيل . قلت : كيف كان

= وأخرج لهم كتاب فقه عمله ، وقال : هذا عن مولانا العزيز بالله عليه السلام عن آتائه الكرام . وقرأ عليهم رسالته ، وبعض كتاب الطهارة . وهذا الكتاب يعرف بالرسالة الوزيرية . ابن منجب الصيرفي : الإشارة إلى من نال الوزارة ص ٢٢١ .

- (١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٤٢ .
- (٢) أنطق : انطلق في ب
- (٣) سورة : ٨٢ / ٤
- (٤) هرثمة : هشمة في ب

السبب؟ قال : خرج إليّ مسرور الخادم [وطلب إحضارك ؛ فصحبته حتى دخلنا القصر، فرأينا مسرور الخادم]^(١) واقفاً . فقال له هرثمة : قد جئت به . فقلت لمسرور : يا أبا هاشم خدمتي ، وحرمتي ، وهذا وقت ضيق صدري ، أتدري لم طلبني أمير المؤمنين ؟ قال : لا أدري . قلت : من عنده ؟ قال : عيسى بن جعفر . قلت : ومن قال ما عندهما ثالث ؟ ثم قال لي : مر ، فإذا صرت في الرواق فهو ذاك جالس ، فحرك رجلك في الأرض ؟ فإنه سيسألك ، فقل : أنا . قال أبو يوسف : فدخلت ، وفعلت ذلك ، فقال لي : من هذا ؟ فقلت : يعقوب ، فقال : أدخل . فدخلت ، فإذا هو جالس ، وعيسى بن جعفر عن يمينه ، فسلمت فرد السلام عليّ . وقال : أظننا رو عناك ؟ فقلت : أي والله ، وكذلك من خلفي ، فقال : إجلس . فجلست حتى سكن روعي ، ثم التفت إليّ وقال : يا يعقوب ! أتدري لِمَا دعوتك ؟ / قلت : لا . قال : دعوتك لأشهدك على هذا ، ان عنده جارية سألته أن يهبها لي ، فامتنع ، وسألته أن يبيعها مني فأبى ، والله ، لئن لم يفعل لأقتلته . قال أبو يوسف : فالتفت إلى عيسى ، وقلت له : ما بلغ الله بجارية تمنعها أمير المؤمنين ، وتنزل نفسك هذه المنزلة؟ فقال لي : عجلت عليّ في القول قبل أن تعرف ما عندي . قلت : وما في هذا من الجواب؟ قال : عليّ يميناً بالطلاق ، والعتاق ، وصدقة ما أملك أن لا أبيع هذه الجارية ، ولا أهبها . فالتفت إليّ الرشيد ، وقال : هل له في ذلك من مخرج ؟ قلت : نعم ، قال : وما هو ؟ قلت : يهب لك نصفها ، ويبيعك نصفها ، فيكون لم يبيع ، ولم يهب . قال عيسى : أيجوز ذلك ؟ قلت : نعم . قال : فأشهدك^(٢) اني قد وهبت نصفها ، وبعته النصف الآخر بمائة ألف دينار . ثم قال : الجارية؟ فأتي بها ، وأخذ المال ، فقال : خذها يا أمير المؤمنين بارك الله فيها . فقال الرشيد : يا يعقوب ! بقيت واحدة ، قلت : وما هي ؟ قال : هي مملوكة ، ولا بد أن تستبرأ ، والله ، لئن لم

/ ٣٠٩

(١) سقطت الكلمات المحصورة من ب .

(٢) فأشهدك : فشهرك في ب

٣١٠ / أبت معها / ليلتي هذه إني لأظن^(١) بأن نفسي ستخرج^(٢) . فقلت : يا أمير المؤمنين ! تعتقها وتزوجها ، فإن الحرّة لا تستبرأ . قال : فإني قد أعتقتها ، فمن يزوجنيها؟ قلت : أنا . فدعا بمسرور ، وحسين ، فخطبت ، وحمدت الله تعالى وزوجته إياها على عشرين ألف دينار . ثم ذكر أموالاً جلييلة صارت إلى أبي يوسف من الرشيد ، وعيسى بن جعفر ، والجارية ، اختصرنا ذكرها ، إن لم يكن قصدنا إيراد ذكر^(٣) ذلك ، وإنما ذكرنا ما ذكرناه^(٤) ليتبين فضل أولياء الله ، ورثة رسوله (ﷺ) ، أنهم علماء يعلمون وفقهاء يؤدّبون ، يؤخذ العلم عنهم ، ولا يأخذونه عن هودونهم ، فهذه مسألة قريبة ، ما استغنى مدعي الخلافة عن سؤال القاضي فيها ، والرجوع إليه فيما أشكل منها ، وكيف يقعد مقعد رسول الله ، ويدعي خلافته؟ من يحتاج^(٥) إلى غيره في أقل مسألة من الحلال والحرام ، والقضايا؟ وكيف أراد هذا الجبار أن يقتل رجلاً مسلماً هو ابن عمه ، ويقطع رحمه ، إن لم يبيع ما ملكت يمينه / ٣١١ / أو يهبها / له ، اتباعاً للهوى ، وميلاً إلى شهوات^(٦) النفس الأمّارة بالسوء لمن ضلّ وغوى؟ وكيف يؤمن على أموال أهل الإسلام ، ودمائهم ، وحرائرهم ، وإمائهم؟ وهذه الحجّة الواضحة على أن مستحق الإمامة هو المعصوم في قوله وعمله ، إلا من إتباعه من خطئه وزلله ؛ إذ ليس من عدل الله ، وحكمته ، وفضله^(٧) ورحمته ، أن

(١) لأظن : ظن في ب

(٢) ستخرج : خرجت في ج

(٣) ذكر : سقطت في ب

(٤) تسلم الخلافة أبي جعفر هارون الرشيد بن محمد المهدي سنة سبعين ومائة ، وذلك ليل الجمعة لأربع عشرة حلت من ربيع الأول ، وفي هذه الليلة ولد المأمون . وتوفي موسى الهادي ، ومات سنة ثلاث وتسعين ومائة ليلة السبت لثلاث حلون من جمادي الآخرة . وكانت خلافته بعد أخيه ثلاثاً وعشرين سنة وشهراً وثمانية أيام . بلغ عمره أربعاً وأربعين سنة وخمسة أشهر .

(٥) يحتاج في ب

(٦) شهوات : سوان في ب

(٧) فضله : فضائله في ب

يولي عباده من لا يؤمن أن يضل ، فيضل كثيراً من العباد ، ويزل فيزلون معه عن منهج الهداية والرشاد ؛ نعوذ بالله من اتباع المضلين ، والميل عن ذات اليمين .

وأما قول أبي يوسف فيما أفتى به أنه يبيع نصف الجارية ويهب نصفها فيكون^(١) لا وهب ولا باع ، فهذا خلاف العيان ، وقول كالهذيان ، إذ قد وهب وباع ؛ بل القول في ذلك إن كان أقسم بالله فعليه الكفارة إن خالف ما به أقسم ، لقول رسول الله (ﷺ) : من حلف^(٢) على يمين فرأى خيراً منها فليكفر عن يمينه ، ثم يفعل الذي هو خير ، وإن كان حلف بغير الله فلا شيء عليه مما ذكر . إذ لا يمين بغير الله / من طلاق أو عتاق أو غير ذلك ، وهذا وجه بين المسالك^(٣) ؛ وأما قوله إن أعتقها فلا يستر بها . فهذا قول خطأه بين ، والجهل فيه متعين ، فماذا يقال إن حملت بولد ويكون الآخر في ولده ؟ هل ينسب إلى الأول والآخر ؟ ولا ينكر قولنا إلا جاحد مكابر ، وإنما جعل الله الاستبراء كل أمة ، والعدة للحررة ، لأن يتبين حمل المرأة إن حملت ، ولا يكون الآخر في ولده ، ذال شك ، وبذلك عرفت الأنساب وما جهلت ، وإنما أراد أبو يوسف قبض^(٤) الدنانير ، وهو فيما أفتى به عن خير .

وأيضاً فحكى ابن خلكان في تاريخه أن القاضي أبا محمد يحيى بن يحيى بن كثير بن سلاس بن شمال بن منغايا الليثي ، وأصله من البربر من قبيلة يقال لها مضمودة^(٥) ، مولى بني ليث ، وانتسب إليهم ، أفتى عبد الرحمن بن الحكم الأموي المدعي الإمامة بالأندلس الملقب بالمرتضى ، قال : وذلك أنه كتب إلى الفقهاء يستدعيهم إليه ، فأتوه إلى القصر ، وكان عبد الرحمن المذكور^(٦) قد نظر في شهر

(١) فيكون : كان في ج

(٢) حلف : حالف في ب

(٣) المسالك : المالك في ب

(٤) قبض : قرض في ب

(٥) مضمودة : منصورة في ب

(٦) المذكور : المرفوع في ب

٣١٣ / / رمضان إلى جارية له يجبرها حباً شديداً فعبث بها ، ولم يملك نفسه أن وقع^(١) عليها نهاراً ، ثم ندم ندماً شديداً ، فسأل الفقهاء عن ذلك ؟ فقال يحيى بن يحيى الليثي : يكفر ذلك أن تصوم شهرين متتابعين ، فلما بدر يحيى إلى هذه الفتيا أسكتوا بقية الفقهاء ، حتى خرجوا^(٢) من عنده ، فقالوا ليحيى : كيف أوجبت الصوم ، ولم تفته بمذهب مالك فعنده أنه يخيره بين العتق والصوم والإطعام ؟ فقال يحيى : لو فتحنا عليه هذا الباب سهل عليه أن يطأ كل يوم ويعتق^(٣) رقبة ، لكن حملته على أصعب الأمور عليه لئلا يعود .

ونقول : وبالله ، وبالإسلام والمسلمين ، كيف يكون من يدعي أنه أمير المؤمنين ، وخليفة رب العالمين ، من زل هذه الزلة ، وفعل^(٤) هذه الفعلة ؟ وإن هذا المنكر العظيم الذي ليتشفع ويتبع إن فعله أحد من غوغاء الناس ، فكيف من يدعي الخلافة والإمامة وهو من هذا الجهل وبسوء الفعل بهذه المزية ، والجهالة الكلية؟ وقولهم في مذهب / مالك إنه مخير بين العتق والصيام والإطعام ، قول مخالف لما في مذهب الأئمة ع.م . فقد روى القاضي النعمان بن محمد عن أهل البيت سلام الله عليهم أنهم قالوا^(٥) : جاء عن رسول الله (ﷺ) أنه أوجب الكفارة على من أفطر في نهار شهر رمضان متعمداً ، أو كفارة من أفطر أو جامع في نهار شهر رمضان متعمداً عتق رقبة ، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين ؛ فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً ، ويقضي اليوم الذي أفطره . فهذا الحق المبين ، والقول الثابت^(٦) عن النبي الأمين ، خير الأنبياء وسيد المرسلين ، وعلى آله الطاهرين ؛ وأن الأمة لما قدمت الجهلاء ورضيت بما أخذت من متاع الدنيا ، وقعت في الضلال

(١) وقع : رفع في ب

(٢) خرجوا : خارج في ب

(٣) ويعتق : وينعتق في ب

(٤) وفعل : سقطت في ج

(٥) دعائم الإسلام للقاضي النعمان ج ١ ص ٣١٢ .

(٦) الثابت الثواب في ب

والتضليل ، واستدلت^(١) على معالم الشريعة بغير دليل ، ولو قصدنا إلى إيراد مصائب أئمتهم ، وخلفائهم ؛ والإقتداء بمن ترأس عليهم ، من ضلالهم ؛ لاحتجنا إلى أفراد كتاب ، واتسع القول في ذلك والخطاب ، أفليس منهم القائل : تلاعب بالبرية هاشمي / ؟ ومنهم القائل : اتوعدنا ابن كبشة سيجيء . وكيف حياة أشداد ، وهام هو منهم القائل ، الذي رمى المصحف حتى خرقة ، وقال^(٢) :

أتوعد كل جبار عنيد فها أنا ذاك جبار عنيد
إذا لقيت ربك يوم حشر فقل يا رب مزقني الوليد

وقد كان بنو العباس على ذلك الحال ، وفي هذا الضلال ، وليس منهم من يذكر إلا بإحضار مغنية تجميد الغناء ، وبشرب مسكراً ، وهو قد جعله له ديدناً ، أو مثل ذلك مما رواه الذاكرون لفضائلهم ، الناشرون لمحامدهم ، أوليس قاضيهم يحيى بن أكثم الذي قال له المأمون بن هرون : يا يحيى من الذي يقول : متى تصلح الدنيا ، ويصلح أهلها ، إذا كان قاضي المسلمين يلوط ؟ قال يا أمير المؤمنين هو الذي يقول^(٣) :

أميرنا يرتشي وحاكمننا يلوط والرأس شر من رأس
لا أحب الجور ينقضي وعلى الأمة وال من عباس

فقال المأمون ينفي إلى السند ، وأنه لم يوصف أحد من الخلفاء العباسيين والأمويين بمثل ما وصف به عمر بن عبد العزيز الأموي . وهذا المسعودي قد روى

(١) استدلت : ودلت في ب

(٢) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان . وأمه ميسور بنت نجيد بن أفو ، من بني حباب بويح يوم مات أبوه معاوية . مات بذات الجنب بحوران ، وحمل إلى دمشق ، وصلى عليه أخوه خالد ، ودفن في مقبرة باب الصغير ، وقد بلغ سبعا وثلاثين سنة . وكانت خلافته ثلاث سنين واثني عشر يوماً ، فولي سنة ستين ، ومات سنة أربع وستين ، وصلى عليه ابنه معاوية .

(٣) يقول : سقطت في ب

٣١٦ / في بعض ما أورده ، قال المسعودي^(١) : كان رجل من أهل العراق / أتى
المدينة في وصف جارية قد وصفت له قارئة قوالة ، فسأل عنها فوجدها عند قاضي
المدينة ، فأناه وسلم له أن يعرضها عليه ، فقال : يا عبد الله لقد أبعدت الشقة في
طلب هذه الجارية ، فما رغبتك فيها ، لما رأى من شدة إعجابه بها ؟ قال : إنها تغني
فتجيد^(٢) . قال القاضي : ما علمت بهذا . فألح عليه في عرضها ، فأحضرها
مولها القاضي ، فقال لها الفتى هاتي ، فغنت إلى خالد حتى أناخت بخالد ،
فنعم الفتى يرحى ونعم^(٣) المؤمل . قال : ففرح القاضي بجاريته ، وسر بغنائها ،
وغشيه من الطرب أمر عظيم حتى أقعدها على فخذه ، وقال : هاتي ، بأبي أنت
وأمي ، بيتاً نفقت أرواح إلى القصاص كل عشية أرجى ثواب الله في عدد الخطى ،
فأخذ نعليه^(٤) فعلقها في أذنيه ، وجثا على ركبتيه ، وجعل يأخذ بطرف أذنه ،
والنعل معلقة فيها ، وهو يقول : إهدوني فإني بدنت حتى أدمى أذنيه . فلما
أمسكت . أقبل على الفتى ، فقال : يا حبيبي انصرف فقد كنا فيها راغبين قبل أن
نعلم انها تقول ، فنحن الآن فيها أرغب ؛ فانصرف الفتى ، وبلغ ذلك عمر بن
عبد العزيز ، فقال : / قاتله الله لقد استفزه^(٥) الطرب وأمر بصرفه عن
عمله ، فلما صرف قال : نساؤه طوالق لو سمعها عمر ، لقال : اركبوني فإني
مطية . فبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز ، فأشخصه ، وأشخص الجارية ، فلما
دخل على عمر ، قال له : أعد ما قلت ! فأعاد ما قال . فقال للجارية : قولي ؛
فغنت :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا مقام ولم يسمر بمكة سامر

(١) مروج الذهب للمسعودي

(٢) فتجيد : تجود في ب

(٣) ونعم : ونود في ب

(٤) نعليه : بعليه في ب

(٥) استفزه : استفره في ب

بل كنا نحن كنا أهلها فأبادنا صروف الليالي والجدود العوثر

قال: فما فرغت من الشعر حتى اضطرب عمر اضطراباً بيناً، وأقبل يستعيدها ثلاثاً. ثم أقبل على القاضي: قاربت في بيتك إرجع إلى عملك راشداً.

فهذا هو عمر بن عبد العزيز المشهور عندهم ، بالورع ، والزهد ، والفضل ، يقر على نفسه أنه كاد^(١) أن يقول إركبوني فأني مطية ، وقارب ذلك لغناء جارية سمعه ، ولم يكن ممن قال الله تعالى فيهم : ﴿ وإذا مروا باللغو مروا كراماً ﴾^(٢) بل أصغى بإذنه ، وكاد اضطرابه وطربه أن يخرج عن ذهنه ، وهو ينسبه إلى غيره منهم ؛ كافور بين / حميان ، ولا يختلف في فضله على الخلفاء العباسيين والأمويين إثنان ، فكيف بمن^(٣) يوصف بما يوصف به في حال ، ولا يخطر ذكره بخير على بال ؟ وهؤلاء عندهم أمراء المؤمنين ، وخلفاء رسول رب العالمين ، فلا ينكرون^(٤) منهم هذه المنكرات ، ولا يبالون بما يسمعون من ارتكاب الفاحشات ، مع جهلهم^(٥) الذي في أوديته يتخبطون ، وفي القول بما لا يعلمون يخلطون ، فأين هم عن روي عن القاضي النعمان من^(٦) الفضائل والمعجزات ، وأنت عن غيره في ذلك الروايات عن المهدي بالله ، والقائم بأمر الله ، الأئمة من ذريتهما ، صلوات الله عليهم ؛ فهل شنع عليهم بشيء من هذه الشناعة ، ونسب إليهم من هؤلاء فيه من المجانة والخلافة ؟ وإنما يستند إليهم^(٧) دعواتهم في نطق بعلم وحكمة ، أوتذكر بالآخرة وموعظة ، أو علم لا يرجعون^(٨) فيه إلى غير آبائهم الطاهرين ، الذي روه عن محمد خير المرسلين ، مما يطول شرحه ، ويزكو

/ ٣١٨

(١) كاد : كان في ب

(٢) سورة : ٧٢/٢٥ .

(٣) بمن : بمنان في ب

(٤) ينكرون : يذكرون في ب

(٥) جهلهم : سقطت في ج

(٦) من : ولن في ب

(٧) إليهم : فيهم في ب

(٨) لا يرجعون سقطت في ب

قدحه ، ويتضح للناظرين صبحه ؛ أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع ، أو من لا يهدي إلا أن يهدي ، فما لكم كيف تحكمون ؟ وليس هذا قصدنا / ٣١٩
فنتقصاه ، ونسهب القول فيه ، وإنما عن ذكره ، والحديث ذو شجون فأثبتنا منه ما يستدل به ليعتبره المعتبرون ، ونرجع إلى ما كنا فيه .

قال ابن خلكان^(١) : وكان الوزير يعقوب بن يوسف عند العزيز بالله ع . م . جليل المنزلة ، وذكر له فضائل جمة ؛ ثم أتى بغير ذلك ونقضه ، ممن يحسده ، ويجب الشناعة على متبعي الأئمة ع . م ، والوزير قد وضح^(٢) فضله ، وصح إيمانه ، وعلو درجته عند الأئمة ، وتأليفه في الفقه المأخوذ عن الأئمة مما يشهد بفضله ، وعلو محله ؛ ويدحض الأقاويل المزخرفات ، وينفي الأحاديث المحرفات في عيبه ، وثلبه ، وقد شرف^(٣) الله بالاسلام من دخل فيه من الأنام ، ورفع الله به من دان به من الأمم ، واتصل به من العرب والعجم ؛ وقد كان سلمان الفارسي حين أسلم أقرب إلى النبي (ﷺ) وعلى آله ، وأفضل من أكثر أصحابه ، وجعله من أهل بيته ، وذلك لإخفائه على من أنصف وعرف الحق وبه اعترف ، وعمل الوزير يعقوب بن يوسف على شراء العبيد / الأتراك ، والسودان ، وأسكنهم خلف دار الوزارة ، ويسمى به الموضع الذي أسكنهم فيه حافة الوزارة ، وأضاف إليهم كثيراً من العسكرية ، وقال : إن تغيرت الكتامية فمن ذا الذي يكسر شوكتهم ، ويغل حدهم ؛ وأقام الوزير^(٤) يعقوب إلى نبي الحجة آخر شهور سنة ثمانين وثلاثمائة ، ثم توفي . وكان أمير المؤمنين العزيز بالله ع . م ، قد ركب إليه في علته لزيارته^(٥) ؛ قال ابن خلكان^(٦) : وقال له العزيز بالله ع . م : لو

(١) واتخذ ابن كلس في قصره عدة دواوين ، جعل إلى بعضها النظر في شؤون الجيش والمالية والسجلات وما يتعلق بجباية الخراج ، وعين لكل ديوان ما يحتاج إليه من الموظفين . النظم الإسلامية ص ١٧٢ . وفيات الأعيان لابن خلكان ج ٢ ص ٤٤١ .

(٢) وضح : اتضح في ب

(٣) شرف : أشرف في ب

(٤) الوزير : سقطت في جـ

(٥) لزيارته : للزيارة له في ب

(٦) المقرئ خبط جـ ٣ ص ٩ . ويذكر ابن خلكان أن يعقوب بن كلس كان يجمع عنده =

كان حي يفتدى بشيء لصديتك بأكثر ملكي ، أو كانت الحياة تشتري اشتريتها لك بما في يدي ، فرحة الله على التابعين لأئمة الهدى ، الملتزمين من طاعتهم بالعروة الوثقى ، الذين أتاهم وهم على الطاعة حماتهم ، وقضت عليهم وهم فيها أيامهم ، نسأل الله تعالى أن يمتنا على الثبات ، ولا يقطع بنا عن الثلاث الطاعات ، التي أبانها الله تعالى في محكم الذكر ، بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ (١) .

وكان القاضي علي بن النعمان بن محمد قد توفي رحمة الله عليه ورضوانه في سنة أربع وسبعين وثلاثمائة ، وحمل / نعشه إلى العزيز بالله ع . م فصلى عليه ، وأمر بدفنه ، وأقام مقامه أخاه القاضي محمد بن النعمان (رضي) . / ٣٢١

قال الشريف مصنف كثر الأخبار في السير والأخبار : وتحركت الإفرنج من المشركين إلى الشام ، وبلاد الإسلام في قوة عظيمة وعدة ؛ فخرج العزيز بالله ع . م بنفسه عامداً للقائهم وجهادهم ، وخطب الناس وحضهم على الجهاد ؛ ثم رجعت الإفرنج فرجع من طريقه إلى دار ملكه بالقاهرة . هذا قول الشريف ، وكان رجوع المشركين إلى بلادهم فارين حين علموا نهوض أمير المؤمنين العزيز بالله ع . م إليهم بنفسه ، ونفوذه لجهادهم بجميع جيوشه .

وأخرج أمير المؤمنين جيوشاً كثيرة من رجاله في عدد وعدة ، وقوة وشدة ، وحملهم في أساطيل إلى بلاد المشركين من الإفرنج فغزوهم ، وقتلوا منهم طوائف ، وسلبوا وغنموا غنائم جليلة ، وأموال جزيلة ؛ وقدموا على الإمام العزيز بالله ع . م ، ومعهم الغنائم والسبايا ، ووافق بعد وصولهم عيد الفطر ، وخرج أمير المؤمنين / فصلى العيد ، وأقام الخطبة في جيوش تملأ الفضاء والأفاق ، قد / ٣٢٢

= العلماء ، وكان في داره قوم يكتبون القرآن ، وآخرون يكتبون كتب الحديث والفقہ والأدب والطب ، ويعارضون ، ويشكلون المصاحف وينقطنونها ، وكان ينصب كل يوم خواناً لخاصته من أهل العلم والكتاب وخواص أبناء . وفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٣٤ .
(١) سورة : ٥٨ / ٤

امتألت من شعاع البيض ، وهي كالأصنام قال الأمير تميم من قصيدة في الإمام
العزیز بالله ع. م :

[زنت الخلافة مذ ألبست خلعتهما]^(١) وزدت دولتها عزاً على الدولِ
لولاك كانت بلا جيد ولا^(٢) جيد وبالسماحة وشي الحللي^(٣) والحللي
فالدين غير مهيب إذ نهضت به وفيلق الجود منصور على البخل^(٤)
والكفر في شظف والدين في شرف والجود في سرف والناس في جدل
[وافت إليك جنود الله قد ملئت أكفها من سبايا الكفر والنقل]^(٥)
فأنعم بعيد تركت المسلمين به سلاً وغادرت أهل الكفر في جدل
نصرت ملة جدك اللذي سلفاً حتى غدت بك تستعلي على الملل
لئن أتى العيد من لقياك في فرح

لقد مضى الصوم من مناك^(٦) في ثكل^(٧) برزت فيه بروز الشمس طالعة
وقد [أعاد الضحاء النقع]^(٨) كالطفل والبيض تزهرو^(٩) والأعلام خافقة
والأرض في رهج والجو في وجل^(١٠) فليس يصرف لحظ العين مرسله
إلا إلى سابع في الأرض أو بطل

(١) زنت الخلافة مذ ألبست خلعتهما: رتبت الخلافة بيد البست خلعتهما في ب .

(٢) جيد : جد في ب

(٣) البهاء : العلا في ب

(٤) الحللي : الحل في ب

(٥) البخل : النحل في ب

(٦) سقط هذا البيت من ديوان الأمير تميم ص ٣٤١ .

(٧) مناك : منالك في ب

(٨) ثكل : ظل في ب

(٩) أعاد الضحاء النقع : أعيد الضحى للنقع في ب

(١٠) تزهرو : تزهو في ب

(١١) وجل : زجل في ب

حتى بلغتَ المُصلَّى خاشعاً نسيكاً
 فقامتَ فيهمَ خطيباً مصقفاً لسيناً
 فأبى قلبٌ جليدي لم يرق لهم
 بلاغةً [نبويُّ النظم] (٣) مُحكمها
 أبنتَ الحقَّ ما قد كان مُشتبهاً
 برهانُ صدقِ شفيتَ الأولياءَ به
 نالوا بما سمعوا الزلْفَى فما افترقوا

إلأَ وهُمُ من رضا الرّحمانِ في جُمَلِ
 ومحص الله ما كانوا قد اقترفوا حتى تبروا من الآثامِ والزللِ (٤)

ونص أمير المؤمنين العزيز بالله ع. م على ولده أبي علي المنصور ، وكناه
 الحاكم بأمر الله صلوات الله وسلامه عليهما (٥) وعلى آبائهما الأكرمين ، وأبنائهما
 الطاهرين ، وفوض إليه عهده ، وجعله الخليفة من بعده ، وكان ذلك في شهر
 شعبان من سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة ، وأشهر [ذلك في] (٦) جميع أوليائه الملتزمين
 بدعوته ، وكانت القواد والأمرء من أهل مملكته ، وكتب إلى دعائه في الجزائر

(١) أزمانه : لزمانه في ب

(٢) نثرا : تترى في ج

(٣) نبوي النظم : بنوي نظم في ب

(٤) ديوان الأمير تميم منشورات دار الكتب المصرية ص ٣٤٢ .

(٥) يروي المسبحي في كتابه تاريخ مصر أن الحاكم قال له : استدعاني والدي قبل موته ، وهو
 عاري الجسد ، وعليه الخرق والصماد وقبطني وصمني إليه وقال : وأغمى عليك يا حبيب
 قلبي ! ودمعت عيناه ثم قال : امض يا سيدي فالعب فانا في عافية . واشتد المرض بالإمام
 العزيز وهو في بلدة بلبيس فاستدعى الدعاة والرؤساء ، ومنهم القاضي محمد بن النعمان
 وأبا محمد الحسن بن عمار الكتامي وأمين الدولة ، ونص امامهم على إمامة ابنه الحاكم من
 بعده .

(٦) ذلك في : سقطت في ب

٣٢٤ / يعرفهم أنه القائم بخلافته ، والأمر والنهي في دولته ، وأقام أمير المؤمنين العزيز بالله ع.م ، وأيامه في إقبال ، وملكه في عز لا ينال ، وقد دان له كل معاند ، واستقام كل جائر معاند ، وأهل دعوته يدخلون إليه ، ويستمعون من علوم صلوات الله عليه ، وعدله ظاهر ، وملكه قاهر ، وسعده زاهر ، والخير إليه من الله متواتر ، كما مدحه الإسكندر (رح) بعد أن ذكر أهل البيت صلوات الله عليهم ، فقال^(١) :

سئمت من البين الذي ليس يصدق
 أممّح رهطاً غير رهط محمد
 ولا فضل لي في ذا بل الفضل فضل من

يهم
 أئمة دين الله من قام دينه
 محبتهم فرض على الناس واجب
 هم العروة الوثقى هم منهج الهدى
 ولولاهم لم يخلق الله خلقه
 هم دوحة الدين التي تثمر الهدى
 تجير من الأثام من يستظلها
 بهم قامت الدنيا قديماً وحديثاً / ٣٢٥
 سقاها غمام الوحي علماً فأينعت
 جرت في تخوم المكرمات عروقها
 هم الأصل منها والأئمة فرعها
 إلى أن تسامت بالعزیز ولم تكن
 فباهت على الأيام أيامه التي
 سحائب جود لا يغيب غمامها

يهم الله الأنام ويرزق
 وأنوار هذا الخلق من قبل يخلق
 وعصيانهم كفر إلى النار موبق
 هم الغاية القصوى التي ليس تلحق
 ولم يكن في الدنيا ضياء ورونق
 وباليمين والتقوى تظل وتسبق
 وتحمي من الموت الجهول وتطلق
 وفيهم كتاب الله بالوحي ينطق
 بمكنون علم الله فالدين مونق
 وفوق الشريا فرعها متعلق
 ففي كل عصر نورها يتألق
 بغير أبي المنصور أولى وأليق
 تكاد لها صم الجنادل تورق
 وبحر سباح بالندى يتدفق

(١) تعرف هذه القصيدة بذات الدوحة .

لئن فقد الناس المعز لدينه
تجددت الدنيا علينا بيمينه
ولا الجود ممنوع ولا المجد خامل
تضوع نشر العدل في كل بلدة
ملئت قلوب العارفين محبة
فلا صامت إلا بحبك مضمّر
فضائل مولانا العزيز جليّة
ولما رأيت الشعر قد قل أهله

غرست على بيت من الشعر دوحه / ٣٢٦

لها أغصن في وزنه حين تنسق
فألفت من بيت بيوتاً كثيرة
ولكنها مع ذاك لا تفرق
فتسع وتسع عن يمين ويسرة
على كل حرف منه بيت مغلق
بمدح أمير المؤمنين لأنها
لعمري به من سائر الناس أخلق
عليه صلاة الله ما لاح كوكب
وما ناح في الأيك الحمام المطوق
من اليمين والإيمان لا تتمزق
كسا الدين والدنيا العزيز جلابياً
منها ألسن الأيام بالشكر تنطق
كساعده له الأيام نوراً وبهجة
تحصنه ممن يجيد ويمرق
كسا الدين بالمعروف والجودجنة
فروض ثرى الإيمان بالزهر مونق
كسا الدين والدنيا حدائق نعمة
تزيد على طول الزمان وتسبق
كسا الدين والدنيا نزار جلابياً
مجددة في نعمه ليست تخلق
كسا الدين والدنيا نزار جلابياً
من اليمين والإقبال فالدهر مطرق
كسا الدين والدنيا نزار جلابياً
من اليمين والإيمان فالشك مغلق
كسا الشرق والغرب الإمام غرائباً
من الجود والإقبال فالدهر مشرق
كسا الدين من لا دين إلا بحبه
علواً فسيف الحق بالحق مطلق
كسا الدين والدنيا العزيز جلابياً
بأيامه اللاتي بها العز يورق

كسا الدين والدنيا نزار هداية يبيت بها قلب المعاني يخفق
كسا الدين والدنيا نزار جلايياً ترى النور في أغصانها يتألق
كسا الدين والدنيا نزار جلايياً من اليمس تردى للطغاة وتوثق
كسا الدين والدنيا نزار جلايياً من اليمن والإيمان فالأمر موثق / ٣٢٧

ثم ان أمير المؤمنين ع . م نزار برز ببلييس في سنة ست وثمانين وثلاثمائة ،
وأمر بجمع عساكره ، من النواحي والأقطار ، والجزائر والأقاليم ، وجد عزمه
ع . م على المسير إلى العراق ، وقصد بغداد يريد إحياء دين الإسلام حين انتقصت
سرايره ، وطغت في الخلق جبابره ، وتغلب العجم على العرب ، وبلغت منها المراد
والأرب ، وكثرت الذنوب ، والآثام ؛ وأقبل الناس على الحرام ، حمية منه على دين
جده النبي محمد (ﷺ) حين درست من الدين معاملة ، وكثر جاهله ، وقل عالمه ،
فوفاه ببلييس ما وافى الأنبياء والخلفاء الفاضلين ، من نزول أمر الله المقدر ، وحكمه
الواقع بكل بشر ، وكانت وفاته بعد خروجه من الحمام بعد أن قضى صلاة الظهر
يوم الثلاثاء الثاني عشر^(١) من شهر رمضان المعظم في سنة ست وثمانين وثلاثمائة ،
وله من العمر إثنان وأربعون عاماً وأربعة أشهر ، وأربعة عشر يوماً ؛ وكنم موته ،
وحمله عبده قائد عسكره برجوان حتى أدخله القاهرة ، فدفن في القصر هناك

/ ٣٢٨ / صلوات الله عليه وبركاته ، ورضوانه ورحمته ، وعلى آبائه الطاهرين ،

وأبنائه الأخيار المتجيين ، والحمد لله وسبحان الذي قضى بتزول الحمام على جميع
الأنام ، وقال تعالى : ﴿ كَلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ
وَإِلْكَرَامِ ﴾^(٢) وعلى محمد رسوله أفضل الصلاة ، وأسنى السلام ، حسبي الله ،

(١) مات الإمام العزيز ببلييس ، وكان قد خرج بجيوشه إلى الشام ، في الثامن والعشرين من شهر
رمضان سنة ٣٨٦ هـ ، وهو في الرابعة والأربعين من عمره ، وقد عزا ابن خلكان وفاته إلى
مرصه من حصاة في المثانة وفولنج ، وقال إن طبيبه أخطأ في وصف الدواء الذي شربه وهو في
الحمام ، فمات من ساعته ، ولما اشتدت على العزيز وطأة المرض ، استدعى إليه القاضي
محمد بن النعمان المغربي ، وأبا محمد الحسن بن عمار زعيم كتامة ، واستشارهما في تولية ابنه
المصور أبي علي . وفيات الأعيان جـ ٢ ص ١٥٣ . وهناك رواية أخرى هي أن العزيز توفي
بالقاهرة قبل خروجه إلى الشام . النجوم الزاهرة جـ ٤ ص ١٢١ .

(٢) سورة : ٢٦/٥٥ - ٢٧ .

ونعم الوكيل ، بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه نستعين ، الحمد لله الذي أسبغ نعمه ظاهرة وباطنة ، وجعل آيات دينه بارزة كامنة ، وصلى الله على خير رسول اصطفاه وجعل الأمم لدينه دائنة ، محمد المصطفى الذي جعل الله له فضائل الوحي ومحاسنه ، وعلى وصيه الذي شيعته الخالصة من عذاب الجحيم آمنة ، والفرق الناكثة الخاسرة هي التي لاقته بالمحاربة والمباينة ، وعلى الأئمة من ذريتهما الذين جعلهم الله منابت الفضل ومعادنه ، وجعل رحمته على عباده بإمام منهم بعد إمام ، هامية هاتنة .

ذكر لمع من أخبار ما كان في أوان الإمام الحسن أبو علي المنصور الحاكم بأمر الله بن أمير المؤمنين الإمام نزار العزيز بالله ، صلوات الله عليهما ، وعلى آبائهما ، والخلاصة من / ٣٢٩ / / أبنائهما ، وسلم .

كان مولد الإمام الحسين يوم الخميس الثالث وقيل الرابع من شهر ربيع الأول سنة خمس وسبعين^(١) وثلاثمائة ، ونشأ على الفضل ، والطهارة ، والنبالة ؛ وأتاه الله الحكم صبياً ، وبلغ في صباه مكاناً علياً ، وارتقى إلى ذروة الفضائل ، وغاية الشرف الكامل ، فنصبه أبوه الإمام العزيز بالله أمير المؤمنين في ولاية العهد ، كما ذكرنا في شهر شعبان من سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة . ولما أن نقل الله الإمام العزيز بالله ع . م إليه ، واختاره لديه ، بويع الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين بعد أن أفضيت الخلافة إليه ، سلخ شهر رمضان من سنة ست وثمانين ، وهو يومئذ لإحدى عشر عاماً ، وكان إماماً عظيماً ، جواداً كريماً ، مخوفاً مهيباً ، دانياً من الناس ، قريباً يسمع الشكايا ، وينصف في القضايا ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، ولا يغضي عن الذنوب والجرائم ، ولا يؤخر إنصاف المظلوم من الظالم .

(١) ولد الحاكم بأمر الله بالقصر الفاطمي بالقاهرة المعزية في الرابع والعشرين من ربيع الأول سنة ٣٧٥ هـ . وأمه أم ولد ، وقد كانت حسياً تقول الرواية الكنسية المعاصرة ، جارية رومية نصرانية من طائفة الملكية ، وكان لها أيام العزيز نفوذ عظيم في الدولة . كان عمره بالضبط إحدى عشر عاماً وخمسة أشهر وستة أيام . المقرئ: خطط ج ٤ ص ٦٨ . ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٥٣ .

وكان قاهر السلطان ، ظاهر البرهان ، ينبيء بالكائنات قبل كونها ،
 / ٣٣٠ / قد أطلعه الله من علم آبائه على الأنباء وباطن مكنونها . قال الداعي حميد
 الدين حجة العراقيين أحمد بن عبدالله الكرمانى : في ما أشارت به الأولون ، وبشرت
 به من ظهور الحاكم بأمر الله وعظيم فضله ، وعدله ، وأول ما ينطق بصحة ذلك ،
 وأن المبشر به المنصوص عليه بالعلامة قول إيشاعيا النبي في التوراة مخاطباً للدعاة
 بالرمز بشارة لهم ، حيث يقول^(١) : [كَلِّ ما وديت صبوت هو ربعي بث
 بروشديم]^(٢) أفرح وأشكر رعاة بناء هبوت^(٣) مليكخ بوربولوح^(٤) صديق بيت
 المقدس ، فإن ملكك [ويسوع عوني] هيني^(٥) وروخيت على حمور قد جاك صادق
 مطهر من الأدناس [وعلى عابر بن آثر تون زاهد]^(٦) على حمار الوحش ، والأتن . قال
 الداعي مفسراً : فهل الرعاة إلا الدعاة؟ وهل النبات إلا المؤمنون؟ وهل بيت
 المقدس إلا الإمام؟ وهل ما قاله من العلامة إلا بشارة للدعاة؟ بقوله : فإن
 (ملكك)^(٨) قد جاءك صادقاً مطهراً من الأدناس زاهداً ، راكباً على الحمار وعلى العير
 والأتن ، إلا ما عليه حال الإمام ع . م ؟ فأى دلالة أصدق / وأوقع للحس من
 قيام ما قاله فيه ، من ركوب الحمار وزهده؟ إلى قوله : ثم نقول : قد يقع الظن بأن
 الذي قاله إيشاعياً (ع) من هذه البشارة التي ذكرناها هو بشارة بعيسى ع . م بكونه
 راكباً على حمار ، زاهداً من دون غيره ، والذي يبين أن [الإشارة]^(٩) يقول ذلك في
 هذا الموضع هي بالإمام ع . م . من دون عيسى ع . م ، ويؤيد الحكم ويقطعه ، قول

(١) رسالة مباسم البشارات لحجة العراقيين أحمد حميد الدين الكرمانى ورقة : ١٣ .

(٢) سقطت الكلمات المحصورة من ب

(٣) هبوت : صيون في ب

(٤) بوربولوح : يونولوح في ب

(٥) ويسوع عوني : ويوشع عو في ب

(٦) وعلى عابر بن آثر تون زاهد : راكب على حمار في ب

(٧) هيني : نبي هي في ب

(٨) ملكك : ملك في ب

(٩) الإشارة : البشارة في ب

إشاعيا ثانياً أنه يهلك المفسدين ويغنيهم بريح شفثيه، حيث يقول مخبراً عن أفعال الزاهد الراكب الحمار الذي بشر به: وشوفاط بصدق [ولم وهو جيح بميسور لمعوي] ^(١) ويقضي بالصدق، والعدل للضعفاء والفقراء، ويريح الخواص المتواضعين، أو رص وهكتوا ^(٢) أبرص [سبط سود بردج شفوتو الأرض] ^(٣) ويضرب الأرض بعض فمه وريح شفثيه يوميت روسوع ^(٤) يميت المفسدين، ثم كون عيسى ع. م من هذه الأفعال خالياً من الشهادة العظمى بأن البشارة ليست به، إذ لم يبق في قومه فيقال انه يحكم بالصدق، والعدل، ولم يقتل أحداً، ولا أمات مفسداً، / ٣٣٢ / ولا أمر بذلك فيقال انه قتل، وأمات، وإذا كان ذلك كذلك؛ وخلا عيسى ع. م من أحكام هذه [الأفعال] ^(٥) خلصت هذه [القضايا] ^(٦) التي [هي حكم] ^(٧) إشاعياً بها للحاكم ع. م، بقيام إمارتها فيه، إذ هو الزاهد الراكب الحمار الذي قد أفنى المفسدين ويغنيهم، أبدأ بحركة شفثيه، بقوله: خذوا رأس فلان، أو اقتلوه بعضيائهم، وإفسادهم، [ولم تصح إلا فيه، إن ذلك لشيء عجب] ^(٨). قال: وتأملنا بحثاً عن الوقت والمدة في ذلك ليكون ما يقوم من الشهادة بذلك مؤكداً، لما سبق من الشهادات والبشارات به، فوجدنا ما يحقق ما قلنا قول ذي ينال في [النبي ﷺ] في ^(٩) المدة التي أومى إليها من أيامه التي هي تاريخ الإسكندر بشارة حيث يقول: أسرى هام حكى و[ويكيح ليفي ميم أبلد وشلوشاوب] ^(١٠) طوبى لأولئك ^(١١)

-
- (١) ولم وهو بميسور لمعوي : وهو صيح بسور لغوي في ب
 - (٢) وهكتوا: هنكوا في ب
 - (٣) سبط سود بردج شفوتو الأرض : سبسطسو وروح الأرض في ب
 - (٤) روسوع : روسوم في ب
 - (٥) الأفعال : الأحكام فعلى في ب
 - (٦) القضايا : الأحكام في ب
 - (٧) هي حكم : قضى بها في ب
 - (٨) ولم تصح إلا فيه، إن ذلك لشيء عجب : ولم يصح هذا الشيء عجيب في ب
 - (٩) النبي (ﷺ) في : سقطت في ب
 - (١٠) ويكيح ليفي ميم أبلد وشلوشاوب : يكيح ليوميم ألف وسلوس في ب
 - (١١) لأولئك : لإمام في ب

الموحدين لأيام ألف وثلاثمائة وشلوشيم^(١) وأخمشوا؛ أي طوبى للموحدين في زمن ألف وثلاثمائة وخمسة وثلاثين سنة من زماني، وذلك يصدق ما ذكرناه من جهة كوننا من هذا التاريخ في ألف وثلاثمائة [وسبع]^(٢) وعشرين سنة التي بقي إلى الوقت / ٣٣٣ / المبشر به تسع سنين فهذا القول مما اورده حميد الدين نصر الله وجهه، وأتى بغيره من الشواهد والدلائل، على الحاكم بأمر الله ع.م، من الفضائل، وكان اعتماده ع.م على التقشف، والتزهد، مع ما أتاه الله من ملك، عظيم، وعز ونعيم، حتى انه ركب يوماً وخلفه ألف ألف عنان، على ما أتت به الروايات، وأسنده الثقات؛ فلم يمنعه ذلك عن التكر، ولبس الصوف، والتردد من مسجد إلى مسجد، ليلاً ونهاراً، ومن منارة إلى منارة، وفرق الأموال، وهانت عنده، فكان يعطيها الفقراء والمساكين، وينعم على كل من طلبه، ولم يرد سائلاً سأل، ولا ينجب أملاً أمله^(٣).

ولقد روي أنه خرج وفي كفه شيء من المال منه نقد وغيره، وكانت عادته كل يوم يخرج فيه، فلما كان في يوم وهو داخل إلى باب قصره، وقد كثر الطلاب عليه في أمور الدنيا وحطامها، فرمى بما كان في كفه، وقال: ألا يسأل سائل عن آية من

(١) وشلوشيم : وثلاثمائة في ب

(٢) وسبع : وستة في ب

(٣) عرف الحاكم بأمر الله بالسخاء والبذل، وكان يسرف في العطاء إلى حدود تهدد مالية الخزينة وتثير اعتراض الوزراء ورجال الدولة وبما يؤثر في ذلك أن أمين الأمان الحسين بن طاهر الوران اعترض ذات مرة على إسراف الحاكم في الصلوات والعطايا، وبلغ الحاكم اعتراضه وتوقفه في تنفيذ الأوامر، فبعث إليه بخطه في الثامن والعشرين من رمضان سنة ٤٠٣ بهذه الرقعة المؤثرة: بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله كما هو أهله ومستحقه:

أصبحت لا أرجو ولا أتقي إلا إلهي وله الفضل
جدي نبي، وإمامي أبي وديني الإخلاص والعدل

ما عندكم يفد، وما عند الله باق، والمال مال الله عز وجل، والخلق عيال الله، ونحن أمناءه في الأرض، أطلق أرزاق الناس ولا تقطعها والسلام. الإشارة إلى من نال الوزارة ص ٢٩.

كتاب الله ، أو عن خبر عن رسول الله (ﷺ) . وكان يكثر التفرد بنفسه ، والخروج إلى الفيافي / والقفار ، فيقيم بها اليوم واليومين ، وأكثر من ذلك ؛ ويكمن له الأعداء مراراً في الطرقات ، فإذا أشرف عليهم تحيروا في أمره ، وأسقط ما في أيديهم ، حتى انه ليأمر بعضهم بقتل بعضٍ . ومعجزاته ، وفضائله ، قد ذكرها أهل السير وعرفها الخاص ، والعام . / ٣٣٤

ولقد أتى في الروايات عن بعض الثقات أن رجلاً من أهل الولاية والإيمان أجنه الليل ، وهو في سفر فعرج إلى قرية من ديار مصر ، فدخل مسجداً من مساجدها ، فلما حانت صلاة المغرب اجتمع إلى المسجد من يصلي فيه من جيرانه ، فحين فرغوا من الصلاة أقبل بعضهم على بعض ، وهم يسبون أهل الدعوة أعظم السب ، ويثلبونهم أقبح الثلب ؛ وكان أكثر سبهم يتوجه إلى الحاكم بأمر الله ع . م ، وهم من الناصبة المعاندين لأهل البيت ع . م ، وذلك الرجل المؤمن يسمع قولهم ، وهو كأنه يتقل على الجمر ، ولا يستطيع^(١) شيئاً أكثر من الدعاء إلى الله ع . ج ، والإستغائة به ، وبوليه أمير المؤمنين ، وما زالوا كذلك حتى صلوا العشاء الأخرى ؛ ثم عادوا لما كانوا فيه إلى أن مضى هوي من الليل ، ثم راحوا / إلى بيوتهم ؛ وبات الرجل في المسجد ، فلما كان وقت الفجر توضوا ودخلوا فصلوا ، وعادوا لما كانوا فيه من السب ، والرجل^(٢) المؤمن لا يفتر عن الدعاء عليهم ، وتوجيه اللعن إليهم ، ويتأسف على عدم النصير . وخلو المكان من المعين له والظهير ، فهو كذلك إذ بأمر المؤمنين الحاكم بأمر الله ع . م قد أقبل وحده حتى دخل ، وكان السابون له إثني عشر رجلاً فقام كل واحد منهم إلى سكينه ، وأقبل بعضهم يطعن^(٣) بعضاً ، والإمام قائم بينهم ، وهم يظنون أنه يطعنهم ويطعنونه ، حتى قتل بعضهم بعضاً ، وصاروا في المسجد لقاء . / ٣٣٥

(١) ولا يستطيع : سقطت في ب

(٢) والرجل : وجال في ب

(٣) يطعن : طعن في ب

وخرج أمير المؤمنين ع . م فركب وسار ، ووليه بين يديه . وكثير من ذلك قد وصف عنه صلوات الله عليه ، وكان صلى الله عليه رجبا يمر في الأسواق وحده ، يقيم الحدود، ويزيل المظالم، ويرغم الظالم ؛ وحرم الخمر وشدد في تحريمها ، فلم ينته أكثر الناس عنها ، وأكثروا شربها في الستر والخلوات ، حتى حرم العنب على من يعرف أنه يجيله خمراً . ثم أباح الكرم ، وأدام التشديد على تحريم الخمر ، وكان من أتى منكراً قد يخلو بنفسه / ويفعل ما بدا له من أمره ، فلا يعلم إلاً / ٣٣٦ والإمام قائم على رأسه ، فيقيم الحد أو الأدب عليه بقدر ما احتقبت من الذنب ، واقترب ، وأكسب ، وظهر منه من المعجزات والآيات ما ظهر وأشهر وبهر ، فغالى فيه كثير من الناس ، وادعوا له الإلهية كفعل الذين غلوا في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ع . م والصلاة ، فعظم ذلك عليه ، وعاقبهم بأنواع العقوبات ، وقتل منهم خلقاً عظيماً ؛ نعوذ بالله من الغلو في أئمة الحق ، والتقصير الموديات إلى عذاب السعير .

وكان برجوان هو والوزير بن عمار^(١) قد تغلبا على المملكة ، وأساءا التدبير ، وأفسدا الكتامين والعسكرية ، وبسطا أيديهما في الرعية بالجور ، والظلم ، والعدوان ، والإيثم ؛ وكان أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله ع . م ينهاهما عن ذلك ويعظهما ، فلا يزيدهما قوله إلا طغياناً ، وبغياً ، وعدواناً ؛ وهو ع . م يمهلهما ، ويردد الحججة عليهما ، والموعظة فلم ينتهيا عن بغيهما ، ولا يرتدعا عن غيهما ،

(١) وأوصى العزيز قبل موته بولده ثلاثة من أكابر رجال الدولة : هم : برجوان الصقلي خادمه وكبير خزائنه ، والحسن بن عمار الكتامي زعيم كتامة ، أقوى القبائل المغربية ، وعمار الدولة الفاطمية منذ نشأتها ، ومحمد بن النعمان قاضي القضاة . وسرعان ما نشب الخلاف بين برجوان وابن عمار واشتدت المنافسة بينهما ؛ وظهر ابن عمار بمظهر الطاغية المطلق ، وأغلق بابه إلا على الخاصة والأكابر من كتامة ، وقطع معظم الرسوم والأرزاق ؛ ولما أدرك برجوان خطر ازدياد نفوذ ابن عمار وتأمرة على الخليفة ، كاتب بنجوتكين واستدعاه بقواته من الشام ، فاستعد ابن عمار وأذاع أن بنجوتكين ينوي الخروج والثورة ، وزحف بقواته للقاءه ، فالتقى الفريقان في عسقلان ، وانهمز بنجوتكين ومزقت قواه ، ولكن ابن عمار عفا عنه جمادي الأولى سنة ٣٨٧ هـ . المقرئزي : خطط جـ ٣ ص ٥٧ ، ٥٨ .

فأخربا المملكة ، وأفسدا أهل الدولة ، واستخفا بقول الإمام ع . م وأطغاهما ،
 / ٣٣٧ / أناته عنهما ، / وحلمه عن تعجيل الانتقام منهما . قال زيدان أحد المتولين
 للإمام الساعين في خدمته : كنت ذات يوم قد دخلت فيمن دخل على الإمام الحاكم
 بأمر الله فأومى إليّ أن لا أبرح . قال : فوقفت ناحية . فلما انفض المجلس
 إستدعاني ، فحين قربت منه ، قال : يا زيدان^(١) ! قلت ليبيك يا أمير المؤمنين !
 قال : أفيك خير ؟ قلت : الخير منك يا أمير المؤمنين ، ولأمرك أتبع ، وأنا لا أعلم
 مراده . فقال : إني قد عزمت على قتل هذا العبد السوء برجوان^(٢) ، لأنه قد
 استصغرنى واستصبأني ، فأريد أن تتولى قتله . قال زيدان : فأوجست الأرض
 ساخت بي ، وخفت أن يكون قد أغضبه في أمر من الأمور فأفشى إلى غيري ما
 أفشاه إليّ ، وأن يكون أحد قد سمع الأمر فينقل ذلك إلى العبد برجوان ، فيقطعني
 إرباً ، ويقتل كل صقلي في الدولة ، لما كان له من التغلب ، والبسطة ، ونفاذ
 الأمر ؛ ولم يكن إلا أن قلت لمولانا ع . م : سمعاً وطاعة لأمرك ، وأنا أريد
 / ٣٣٨ / الخلاص ، والإنفلات من يده . فقال لي : إمض / إلى الوقت الذي أمرك
 به . قال : فخرجت ، وأنا أتلفت خوفاً أن يبلغ الأمر برجوان ، ومررت إلى
 موضعي ، فأقمت ليلتي ويومي خائفاً مترقباً لا التذنوما ، ولا أذوق طعاماً وشراباً ،
 ولم أحضر إلى الإمام كالعادة ثاني ذلك اليوم ، ولا ثالثه . ثم ظننت أن ذلك شيئاً
 خطر في قلب أمير المؤمنين لأمر أغضبه ، وأنه قد زال من قلبه وسكت ؛ ومضت الأيام

(١) زيدان الصقلي كان يحمل المظلة الخاصة بالخليفة ، وهو من رجال البلاط المقربين ، ومن أكبر
 خصوم برجوان .

(٢) تشير المصادر التاريخية إلى أن الحاكم استدعى الحسين بن جوهر قائد القواد وعهد إليه بمهمة
 التخلص من برجوان ، وفي ذات مساء طلب الحاكم من برجوان الركوب معه ، وانتظره في
 بستان قصر اللؤلؤة ومعه زيدان حامل المظلة ، فوافاه برجوان هنالك ، وبعد أن سلم سار
 الحاكم حتى خرج من باب البستان ، فوثب زيدان عندئذ على برجوان فطعنه في عنقه
 بسكين ، وانقضت عليه جماعة كانت قد أعدت للفتك به ، فأنخنوه طعنوا بالخناجر واحتزوا
 رأسه ، ودفنوه حيث قتل في ربيع الثاني سنة ٣٩٠ هـ . المقرئزي : خطط جـ ٣ ص ٥ .
 نهاية الأرب جـ ٢٦ ص ٥٢ وفيه أن مقتل برجوان كان سنة ٣٨٩ هـ .

والشهور ، ونسيت الحال حتى كان مثل ذلك اليوم بعد انقضاء عام ، ودخلت في جملة المسلمين ، فأوحى إليَّ ع . م بالوقوف ، وأنا لا أعلم مراده ؛ فلما انصرف أهل المجلس ، قال : يا زيدان ! قلت : لبيك يا أمير المؤمنين . قال : إني قد أزمعت على ما كنت منذ عام ذكرته لك ، وكنت قد أنسيت الحال ، فقلت : وما هو يا مولانا ؟ قال : ما كنت قلته لك من قتل برجوان ، إنه قد مان وخان . فقلت : نعم يا مولانا ! بانبساط ونشاط غير الأول ، لأن الحديث انكتم ، فلم يطلع عليه أحد . فقال ع . م : قد أردت ذلك . فقلت : سمعاً وطاعةً يا أمير المؤمنين ، وقد علمت أنه أمر قد كتبه عن / العالم سنة . فقلت : يا أمير المؤمنين ! تأمرني بأمرك أمثله . فقال لي : وكيف تقدر أن تفعله ؟ وكان ع . م يواصل الركوب إلى القصور ، فقلت : يا مولانا أتقدم إلى عبيدك أصحابي إذا صار بالطريق يرمونه بالرماح فيقتلونه . فقال ع . م : ما هذا من الرأي فإنه يقوم عند ذلك أصحابه وأتباعه عليك ، وعلى أصحابك ، ولا أمن ما يجري في العسكر . فقلت : يا أمير المؤمنين ! فكيف يكون الأمر ؟ فقال : ع . م : أنا أظهر عمارة البستان الكافورية ، المعروف باللؤلؤة ، وأتقدم إليك بعمارته ، وأتيك في كل يوم وهو معي ، إلى أن أمرك به^(١) . فقلت : السمع والطاعة . فلما كان الغد ركب ع . م إلى اللؤلؤة ، وأظهر عمارة البستان ، وقال : أريد أن تتخيروا لي من يصلح لعمارته ، فأشارك كل من يراه . فقال ع . م : من يصلح أنا أعرف من يقوم لذلك ، ويصلح له ؛ ثم قال : آتوني بزيدان^(٢) . قال : فأحضرت إليه ، وتقدم إليَّ بعمارته ، وإنشاء أبنيته في الحال ، فامتثلت أمره ، وتقدمت في الوقت الحي بخط / إلينا ، وزرع رياحين وفواكه ، / وواصلت عمارته ، وأمير المؤمنين ع . م

(١) ولما عاد الحاكم إلى القصر كان خبر مقتل برجوان قد ذاع على لسان خادمه عقيق ، فاضطربت البطانة ، وأشرف الحاكم عليهم ليرى الخبر ، وصاح فيهم زيدان : من كان في الطاعة فلينصرف إلى منزله ويكر إلى القصر المعمور . فانصرف الناس ، وفي نفس المساء اتخذ الحاكم عدته لتوطيد الأمور ، واستدعى الرئيس فهداً من روعه ، وأقره في منصبه ، وصودرت أموال برجوان وكانت عظيمة طائلة ، واختفى أصدقاؤه من الميدان .

(٢) زيدان : سقطت في ب

يطل إلى ذلك الموضع ، وينتقد^(١) عملي كل يوم ، وبرجوان معه ، وسائس
الأساذين ، والقواد ؛ وانقطع عن الركوب إلى خارج القصر إلا في الأحيان .

ولما كان في اليوم الذي أراد فيه قتل برجوان وصل إليّ وحده ، فقال لي :
يكون قتله في غد ، فانظر من تثق به ، وتختاره لذلك . فقلت : أخي جعفر ،
وعددت جماعة . فقال : متى^(٢) يكون دخولهم ؟ قلت : بأمر مولانا . فقال : أما
تستدعيهم فرادى ، أو تقدم إلى كل واحد منهم في أن يكون دخولهم في الليل ،
وتقدم إلى البواب أن يكتهم في بيت يقرب الموضع الذي أمرك بقتله فيه ، ففعلت
ذلك . فلما أن كان من الغد جاءني بسحر ع . م ، ومعه برجوان وحدهما ،
وطاف في البستان حتى أتى العمارة التي قتل فيها برجوان ، وقد وافقني فيها على
الفور ، فاجتاز وتشاغلته عنه ، واستدعاني فأثيت عجباً وأظهرت اني كنت
مشغولاً فلم أعلم به ، وقبلت الأرض ، وجعلت أعتذر ؛ ثم التفت فأمرني سراً
[وأشار إليّ^(٣)] فتركته ع . م وعدت إلى خلفه ، إلى برجوان ، فقبلت رجله
وركبته ، وجعلت أعتذر إليه / إنني اشتغلت بمولانا عن خدمته ، وقضاء
حقه ؛ ثم جسست ثيابه خوفاً من أن يكون عليه شيء من الحديد ، وقلت :
إياك ، وقضيت القماري أن يصيب ثيابك ، وأمررت يدي على جسده . ثم
أدخلت يدي في خفي ، وأخرجت حديدة معي ، ثم انكبيت عليه فطرحته عن
يمينني وضربته على فؤاده ضربة عظيمة ، فصاح : قتلت يا مولانا ! بزعة
عظيمة^(٤) . فبادر حفدته وخدامه ، والمصرف أمرهم إليه ، وضربه الإمام برمح ،
ونزعه عنه ، ورجع إلى الخدم الذين بين يديه وهم يصيحون ؛ غدرأ يا مولانا !

/ ٣٤١

(١) وينتقد : وينتقد في ب

(٢) متى : كيف في ب

(٣) وأشار إليّ : إلى قال في ب

(٤) وعلى هذه الصورة استطاع الخليفة الحاكم رغم حداثة سنه أن يتخلص من برجوان وغيره من
الطغاة الذين استغلوا الظروف وحاولوا السيطرة على الحكم ، بعد أربعة أعوام من ولايته ،
فطوى بذلك مرحلة الحدائث ، واستخلص السلطة لنفسه ، وبدأ حكمه الحقيقي . وكان
الحاكم يومئذ في نحو الخامسة عشرة من عمره .

غدرأ. فصاح عليهم وزجرهم ، وحمل عليهم برمح ، ففروا أجمعين طالبين
القصر ، وقد سقط برجوان^(١) عن بغلته ، وعلاه الصقالبة من عبيد الإمام ع . م
الذين كانوا معي بالسيوف ، ووقعت الصيحة ، حتى خرجت والدة الإمام وأخته ؛
للخوف على الإمام لما يتوقع عند برجوان أو غيره ، فأمرهم بالإمام بالرجوع ، ودخل
القصر ، وأنا ممسك بركابه ، أنا والذي معي . ثم ركب بعد / ذلك الوزير أبو محمد
الحسن بن عمار فلما وصل إلى الإصطبل لقيه هنالك الأتراك فقتلوه . ثم قتل بعده
ابن الحسن بن عسلوج في الحجرة التي كان يسكنها الوزير يعقوب بن يوسف ، ثم
قتل الذين كانوا يوالون برجوان ، والحسن بن عمار ، ومن عاقدهما على النفاق ،
ووضع السيف في الغلاة ، وأهل الأعمال السيئات حتى أتى الكتاميون إلى باب
أمير المؤمنين ع . م كاشفين رؤوسهم ، بباب الفتوح ، مستغيثين بأمر المؤمنين ،
طالبين منه العفو والأمان ، فأمنهم ، وكتب لهم سجلاً بما التمسوه ، وقرىء في
القصر ، وفي جوامع القاهرة . وهذا نصه^(٢) :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله ووليه : أبي علي الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين ابن الإمام العزيز
بالله أمير المؤمنين ، إلى كافة الكتاميين .

سلام عليكم : فإن أمير المؤمنين يحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ، ويسأله
أن يصلي على جده محمد نبيه ورسوله ، وعلى أخيه ووصيه ، وعلى الأئمة الطاهرين
من نسله ، صلوات الله عليهم أجمعين وسلامه .

(١) تذكر المصادر التاريخية أن برجوان استغل منصبه في جمع المال لنفسه ؛ بحيث قدرت ثروته
بأكثر من مائتي مليون دينار ذهب ، وخمسين أردباً من الدراهم الفضة ، واثني عشر صندوقاً
من الجواهر ؛ هذا عدا الأملاك والضياع والخدم والبقر والأنعام والجاموس ، واسطبلات
الخيول ، وأهراء الغلال ، وغير ذلك الثياب ، التي كانت تعد قطعها بالآلاف من المناديل
والقمصان والسراويل ، والتكات ، والآلاف قطع القماش من كل صنف . إبن أبياس جـ ١
ص ٥١ - ٥٢ . صبح الأعشى جـ ٣ ص ٤٧٨ - ٤٧٩ .

(٢) نشر هذا الكتاب الدكتور ماجد في كتابه الحاكم بأمر الله ص (٣٦ - ٣٧) .

أما بعد : فإن أمير المؤمنين لما جبله الله عليه ، وفطره من الرأفة والرحمة بأولياء دينه^(١) / ٣٤٣
 ودولته ومن تحويه مملكته ، بالإحسان إلى محسنهم ، والتجاوز عن مسيئتهم ، لما رأى من جماعتكم مستسلمين ومتصلين مما سلف ، وراغبة سائلة للفقو عنكم ، وترك مؤاخذتكم بما كان منكم ، والإستئناف بكم ما استأنفه آباؤه الأئمة المهديون [صلوات الله عليهم]^(٢) من أوليكم من آبائكم وأجدادكم ، وجرت به رسومكم في النفقة عليكم ، وهبة مسيئكم لمحسنكم ، ومفسدكم لمصلحكم ، عطفته عليكم عواطف رحمة خالقه لكم بعفوه^(٣) عن جماعتكم ؛ فأجاب سؤالكم في إزالة ما استشعرتموه وحذرتموه ، وخفتم أن يكون أمير المؤمنين يواخذكم به ، وعفا^(٤) الله ذو المغفرة ، عفواً لا تثريب بعده^(٥) عليكم ، [كما قال الله وهو أصدق القائلين ، حكاية عن يوسف عليه السلام] ﴿ الْيَوْمَ يَغْفُرُ اللَّهُ لَكُمْ ، وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾^(٦) . ووسمكم من الرضا : بجديد الإختصاص لكم ، بإعادتكم إلى رسومكم ، والتكرمة بما أزال به ميسم السخط عنكم ، وأمنكم على أنفسكم بأمان الله ع . ج ، وأمان رسول الله ، وأمان أمير المؤمنين ؛ فثقوا بذلك واسكنوا إليه ، ولتشرح صدوركم وتطمئن قلوبكم ، / ٣٤٤
 وتراقبوا الله في خلواتكم ، واخلصوا نياتكم ، وليأخذ شيوخكم على شبانكم بكف الاذية ، ولزوم الطريقة المرضية ، واعلموا أن ذلك لكم ما أخلصتم وحسنت طاعتكم ، وليسمع الشاهد الغائب ، إن شاء الله تعالى . وكتب في سنة سبع وتسعين وثلاثمائة .

قال الحسن بن جعفر الأنصاري (رح) في تاريخه : وأول من خالف على الإمام الحاكم بأمر الله ع . م ، أنخوتكين التركي فسير إليه سليمان بن جعفر بن

(١) دينه : سقطت في ب

(٢) صلوات الله عليهم : سقطت في ب

(٣) بعفوه : سقطت في ب

(٤) وعفا : سقطت في ب

(٥) بعده : سقطت في ب

(٦) كما قال الله وهو أصدق القائلين ، حكاية عن يوسف السلام : سقطت في ب

فلاح في عسكر عرمرم ، فأخذه سلمان بن جعفر أسيراً ، بعد أن هزم جيوشه ، وقتلهم ، ووصل به في الأسر إلى [الحضرة الإمامية]^(١) . ثم خالف أبو علاقة بصور فأظفره الله به^(٢) . وثار في أيام الحاكم بأمر الله ع . م رجل يكنى أبا ركوة واسمه الوليد بن هشام وانتسب إلى بني أمية ، من بني مروان^(٣) ، وكان في ابتداء أمره يعلم الصبيان في أعمال برقة ، ويطوف فيها ، ويستغوي الجهال ، ويقودهم إلى الضلال ، ويتزيا بزبي الزهاد ، وهي ممن يسعى في الأرض بالفساد ، ويدعوهم في السر إلى الخلاف ، والمسارة إلى الإجماع على طاعته ، والإئتلاف ، وهو / يأتي القرى والصحاري ، ويطوف في العمران والبراري ، فاجتمع إليه طوائف كثيرة من البربر ، وأرسل الأعراب والأنباط ؛ وأسرعوا إلى إجابته ، واجتمعوا على طاعته ، وصار في جيوش كثيرة ، فدعاهم إلى نفسه فأجابوه ؛ فبايعوه ، وعلى أمره تابعوه ، وتسمى بأمير المؤمنين ، وتسمى بالإمام الناصر للدين ، فاجتمعت إليه القبائل والعشائر ، وصار في جيش عظيم وافر ، وكان يطوف الأحياء مشتملاً على إظهاره ، وعليه مزور ، فحين عظم أمره ، واستفحل واجتمع له من الجموع ما حاول . أعلن أمره في جمادي الأخرى من سنة خمس وتسعين وثلاثمائة ، فجرد سيف بغيه ، وأخاف كل من اعتزى إلى الإمام الحاكم

(١) الحضرة الإمامية : الحضرة المارثية في ب

(٢) في سنة ٣٨٨ اشتعلت الثورة في صور بزعامه بحار مغامر يدعي العلاقة فقبض على زمام الحكم فيها وضرب السكة باسمه ونقش عليها هذه العبارة : عزاً بعد فاقة للأمير علاقة ؛ واستنجد علاقة بالأمبراطور باسيل الثاني ووعدته بتسليم صور ، فبعث إليه المدد في البحر؛ فسارت إلى مياه صور وحدة من الأسطول الفاطمي بقيادة الحسن بن ناصر الحمداني وفايق الخادم؛ وحاصرت صور ونشبت معارك ضارية انهزم بعدها الروم وحلفاؤهم الخوارج ، وسقطت صور في أيدي القوات الفاطمية ، وأسر علاقة ، وأرسل إلى القاهرة فأعدم وصلب سنة ٣٨٨ هـ . ابن خلدون : ج ٤ ص ٥٧ . ابن الأثير ج ٩ ص ٤١ . تاريخ الإنطاكي ج ١ ص ١٨٢ .

(٣) هو الوليد بن هشام بن عبد الملك بن عبد الرحمن الداخل عرف بأبي ركوة لأنه كان يحمل ركوة دائماً معه .

بأمر الله ع . م ، وسار بجنوده نحو مكة من أعمال برقة ، فقتل من فيها ؛ ثم حث السير إلى قرنة ، وكانت مدينة تسكنها ملوسة ، ذات عمران وأنهار ، فحاول أهلها دفاعه عنها ، ومانعوه يومين متوال فيها القتال ؛ وصبروا لكثرة جيوشه صبر الأبطال ، فاجتمع عليهم أهل القرى التي في ناحيتهم والأعراب ، وتولوا قتالهم مع جنود الوليد الأموي فكثروهم ، وأشعلوا بالنيران مدينتهم ، / وصبروا صبر الأبطال حتى استشهد أكثرهم ، وافترق باقيهم في الشعاب ، وهدم أبا ركة قرية ، وأحلها للخوف بعد الأمانة ، واستولوا على ما كان فيها ، وهتكوا حريمها ؛ ثم صار في الحصون والقصور التي تليها يخرب بنيانها ، ويقتل سكانها ، حتى انتهى إلى عيون النظر ، فصلى الجمعة بها ، وخطب لنفسه فيها ، وحض من معه على الجهاد بزعمه ، وأباح لهم الدماء والأموال ، والفروج المحرمة بحكمه ؛ وزحف إلى برقة في جموع حمة العدد وكثرة من الجيوش والجنود فأنتهى إليها ، في أول يوم من شهر رجب ، وضرب أخيبته في ملسله^(١) وزحف من ساعته في جموعه وجيوشه حتى صار إلى مصلى برقة مقابلاً لأبواب برقة القبلية ، فوقع القتال بينه وبين من في برقة ، وقد ذمر أصحابه وشجعهم ، ومناهم ، ووعدهم أنه ذلك اليوم سيستولي على برقة ، ويخطب فيها ؛ فقاتلوا أشد القتال ، وتلقاهم من فيها من الرجال ، والتقى الأبطال بالأبطال ، وكلت أصحاب الوليد أبي ركة ، وكان يوماً شديداً حلبه عظيماً نسه ، وما زال القتال من ضحوة إلى الظهر ، ثم حتى انقضى وقت العصر ، فصبر أهل برقة ؛ ودفعوا / أصحاب أبي ركة ، ولم يبلغ قصده ، ولا أصدق الله وعده ، فعاد إلى مناخه فبات فيه ؛ ثم أدلج قبل أن يتبين الصبح ، فركب في عسكره ، وزحف إلى برقة فكان بينهم قتال شديد ، وضرب

(١) استطاع أبو ركة أن يجمع عناصر حاقدة على الفاطميين بين البربر السنيين القاطنين بها؛ وبين قبائل عربية كانت ببرقة . يضاف إلى ذلك أن قبائل زناتة من البتر ، عدوة الفاطميين وأنصار الأمويين في الأندلس ، كانت قد تسربت إلى طرابلس أثناء النزاع بين يانوس وباديس . وساعد على ذلك أن أبا ركة قد عمل معلماً لأولادهم ، فأخذ يجرّضهم على الحاكم ، وأظهر أن غرضه ليس إلا نصرته الإسلام ، والثار لأصحاب الشريعة ، فانضم إليه أهالي برقة في حرب عسكر والي الحاكم ، وذلك في جمادي الآخرة سنة ٣٩٥ هـ .

يشيب بهوله الوليد ، فصبر أهل برقة ومن معهم من عبيد 'الإمام الحاكم بأمر الله ، وجنوده ؛ ولم يهلهم الأموي ، وما أظهر من عنوده ، فقاتلهم أبو ركة حتى مل الفريقان ، وقتل كثير من الرجال والفرسان ؛ ثم رجع الأموي إلى أخيبته ، وأبكر في اليوم الثالث للقتال^(١) والحرب ، والنهب ، واشتد العراك والضرب ، والتقوى الفرسان ، وصبر الفريقان ، ودارت فيهم رحى الضرب والطعان ؛ فكان فيهم يوم كثر فيه القتلى من الفريقين ، وعابن كل منها طوال الحين ، فحين رأى الأموي صبر أهل برقة رجع إلى مناخه ، وأمسك عن القتال ، وكانت خيله تغير إلى الأطراف ، وتقتل وتنهب في من سلك الطرقات ؛ ثم أتاه الخبر أن لواته قد أجمعوا أن يصلوا بالمادة إلى أهل برقة ، ويشفون بقتال الأموي ما عندهم من الغيظ والحرقه ، وأهل برقة منحصرون ، وبذلك لا يشعرون / ؛ فحين صح عند الأموي أمر أهل لواته ، رأى أن يعاجلهم قبل أن يجتمعوا مع أهل برقة ، فوقع أخيبته ، وسار بجميع جنوده حتى وافى لواته بأرض أسقفه يوم الجمعة للنصف من شهر رجب فلما عاينهم وعابنوه ، حمل عليهم بكثرة من معه ، وحلوا على جنوده يرجون بالشهادة الزلفة ؛ فجردوا السيوف ، وأشرعوا الأسنة ، وأرخوا للجياد المسومات الأعنة ، ودارت من الحرب الرحى ، وسالت على الأرض الدماء ، وانتشرت كتائب الأموي ، وكثرت عساكره ، وكثر القتل في لواته ؛ فرجعوا منهزمين ، وتبعتهم خيل الأموي وعساكره يقتلونهم في الصحاري والتلال ، ويكفرون عليهم في حومة القتال ؛ حتى حال بينهم الظلام ، وتفرقت لواته في الشعاب والأكام ، ثم رجع الأموي إلى برقة لمحاصرتها ، بعد أن استراح من لواته ، وفرج بمن أصابه منهم ، وندم على من فر منهم ، وفاته .

(١) تشير المصادر التاريخية إلى أن أبا ركة بدأ حركته في برقة ، بالاستيلاء على عدة بلاد فيها مثل مكة ، وقرنة ، وتوجه نحو برقة فقاتل أهلها قتالاً شديداً . وفي أثناء ذلك ، جاء عسكر من البربر اللدانيين ، فأسرع أبو ركة بمقابلتهم ، ووقع قتال شديد بينهما ، واضطرها إلى التفرق في الشعاب . ثم عاد لحصار برقة بشدة ، وكان أهلها قد بنوا السور وحفروا الخندق ، ونصب على السور المنجنيقات والعرادات لك السور . ورغم شدة الحصار فقد بقيت برقة صامدة عدة شهور .

وكان أهل برقة أيام غفلته في مسيره إلى لواته قد فقدوا درب مدينتهم ،
 / ٣٤٩ فسدوا منه ما انفرج ، واجتهدوا في الحفر والتوسع في ما حوطها من /
 الخندق ، وما زال أبو ركوة يكرر القتال عليهم بكرة وعشياً فلم يبلغ مراماً في
 قتالهم ، ولم يضع شيئاً ، وكثر الجروح ، والقتل في جنوده ؛ وملوا القتال حين رأوا
 صبر من في برقة من عسكر الإمام ع.م ، وعبيده ؛ فعاد أبو ركوة للعرادات
 والمنجنقات ، وجعل يرمي برقة بالصخور حتى أثر ذلك بالدرب والسور ، فزاد
 ذلك من برقة قوة ، وجلدا ؛ ولم يكلوا صبراً كل ما ازداد الأموي علواً وتمرداً ، وقد
 انقطعت منهم الأخبار لشدة الإنحصار ، واقتصروا في مدينتهم عن الدخول
 والخروج خوفاً من جموع أبي ركوة الأشرار ، وهم ينادون باسم الإمام الحاكم بأمر
 الله ع.م الشعار ، ويبدون من ولايته وطاعته ما يحبون في الاضمار ، خلا طائفة من
 أهل برقة ، قد أسروا النفاق والعدوان ، وكانوا يكتابون الوليد أبا ركوة ويراسلونه
 كل أوان ، فطال أمر الحرب والحصار ، وغلت في برقة الأسعار ، وقل القمح
 والشعير ، وضافت عليهم الأمور ، وماتت الخيل من الهزال ، وذبحوا ما لديهم من
 البقر ، والغنم ، والجمال ؛ وعظم / عليهم الأمر ، واشتد بهم الضر ،
 / ٣٥٠ حتى مضى شهر رمضان وشهر شوال ، وكان أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله ع.م قد
 أخرج عسكراً مع عبده ينال لجهاد الأموي ، والقتال ؛ وكان للأموي في كل جهة
 عيون تأتيه بالأخبار ، فوافاه الخبر في العشر الأواخر من ذي القعدة ، وهو مجدد في
 قتال أهل برقة ، باذل جهده ؛ فحين وافاه الرسول في الليل يخبره بقرب ينال^(١) ومن
 معه . بساعته أمر^(٢) أن يحطوا الغازات ، ونادى في عساكره بالرحيل ، وسار بهم

(١) ولما اشتد الحصار على برقة جهز الحاكم بأمر الله جيشاً من المشاركة والمغاربة بقيادة ينال أحد
 قواد الأتراك . فلما سمع أبو ركوة بأخبار وصول ينال ومن معه ، أضرم النيران في
 المنجنقات والعرادات ، ونادى بالرحيل رافعاً الحصار عن برقة ، قاصداً ينال . ولم يكن
 ينال على معرفة بطبيعة الأرض التي يجارب عليها ، فضلله أتباع أبي ركوة ، وساروا به بين
 التلال العالية ؛ حيث هاجمه أبو ركوة في موضع يعرف بعيون النظر ، بإلقاء الصخور من
 على التلال .

(٢) ينال : نبال في ب

(٣) أمر : سقطت في جـ

قبل الصباح يقود رعيلاً بعد رعيلاً ؛ فأصبحت الغازات قد نقلت ، والعساكر قد أرسلت ، وأهل برقة بأمره لا يشعرون ، وهم من فوق سور المدينة ينظرون ، وقد تركت عساكر الأموي المواشي^(١) والبقر راتعة في مراعيها ، سائمة في مراتعها ، فخاف أهل برقة أن يكون قد ترك كميناً حتى إذا^(٢) خرجوا إليها [أوقع بهم]^(٣) فارتقبوا حتى علا النهار ، وأيقنوا أن عسكر الأموي قد سرى ، فافترقوا خلف تلك النعم وانتهبوها ، ودخلوا جوف مدينتهم وأدخلوها ؛ وقد خفيت عليهم من أي ركة الأخبار ، فلا / يعلمون حيث قصد ولا أين سار ؛ وهو قد سار بجيوشه يقصد ينال^(٤) ومن أتى معه من الديار المصرية ، وأعمل الحيلة بالبدل لأهل البلد ليغدروا بينال ومن معه من الجنود الحاكمة ، فطاووعه أهل تلك النواحي ، وساعده على أن يغدروا بينال ويكايدوه [فتوجهوا إلى ينال]^(٥) وهو يظنهم ناصحين ، وهم للغدر به مضمرون ، فمالوا به عن السهل إلى الوعر ، وأجازوه بين التلال العالية ، والصخور ؛ وجاؤوا بالأموي ومن معه من الشعاب ، وبينال^(٦) ومن معه على غير استعداد لهم ، ولا معرفة بخبرهم ، فما شعروا إلا وهم يردون عليهم ، ويقصدون من الشعاب والتلال إليهم ، فحين عاينهم ينال^(٧) أعياه الأمر ، ولم يجد حيلة غير الثبات^(٨) .

وكان مشهوراً بالشجاعة والإقدام ، ثابت العزيمة إذا تزلزلت الأقدام ، فثبت بثبات من رجى الشهادة ، وظن نفسه عليها ليلبغ من ثواب الله مراده ، وفر عنه جيوشه وجنوده ، وولى جمعه وعديده ؛ ففكر على المارقين كر الرئبال ، ولم يهله

(١) المواشي : الشيا في ب

(٢) إذا : متى في ب

(٣) أوقع بهم : سقطت في ب

(٤) ينال : نبال في ب

(٥) فتوجهوا إلى ينال : فجاء إلى نبال الأدرك في ب

(٦) ينال : نبال في ب

(٧) ينال : نبال في ب

(٨) الثبات : سقطت في ج

٣٥٢ / تهويلهم عند / القتال ، وعطف بعضهم على بعض ، وصرع منهم جماعة ، فخرؤا مجندين على وجه الأرض ، وكان كلما أتته كتيبة كر عليها كالأسد الرئبال ، وكاعت عنه حماتها والأبطال ، حتى كثر العدو من كل ناحية ، وألقوا عليه الصخور من التلال العالية ، فأردوا جواده ، واختار الله تعالى له الشهادة ، فمات شهيداً على طاعة إمامه ، وأتاه على الإخلاص والإيمان ما قدر له من حمामه ، وكر أصحاب الأموي في عسكره يتبعونهم في تلك الأوعار بالقتل ، ويمتزون رؤوسهم في الوعر والسهل ، وغابت الأخبار عن أهل برقة ، إلى اليوم الثالث من ذي الحجة ، وجاءهم الخبر بما كان من قتل ينال ، وهزيمة من معه وأن الأموي قد زاد طغيانه ، وكثر من العساكر ما جمعه ، وأقبل الناس إليه خوفاً من سطوته ، وجاءوا إليه وجلين من عتوه وقوته ؛ فعند ذلك خرج الأولياء والعبيد عن برقة ، وكل من يتوالى الإمام الحاكم بأمر الله ع . م إلى البراري ، والصحاري ؛ ولم يبق في برقة غير الضعفاء الذين لا يجدون حيلة ، ولا يقدرّون سبيلا ، / مستعدين ليلاقوا

٣٥٣ / من المارقين بلاء وبيلا ؛ ورجع الأموي بجنوده إلى برقة بعد أن أرسل إليه أهلها يخبرونه بخروج أصحاب الإمام وعبيده عنها ، وإجلائهم عنها ؛ فترك أثقاله ، وجاء برقة مبادراً ، ودخل قصر الأمانة ببرقة على غفلة ، فأقبل إليه أهل برقة مهئين له بالأمانة ، وطلبوا منه الأمان ، فسلط البغاة بها على من بقي من أهل الإيمان من أتباع الإمام الحاكم بأمر الله ع . م ، فتتبعوهم بالقتل ؛ ثم أضرموا النيران وأحرقوهم بها عتواً على الله ، واستكباراً وتمادياً في البغي وإصراراً . وجاءت عساكره من بعده ، فعاثوا في مدينة برقة وأفسدوا ، واجتمعوا لأخذ أموال الناس واحتشدوا ، وأخذوا الأموال والنساء ، وملاؤا قلب كل مسلم من الأسى ، واصطفى

(١) يذكر التاريخ بأن ينال وقع أسيراً في يد أبي ركوّة ، الذي أمره بلعن الحاكم ، فصق في وجه أبي ركوّة ولعنه ، فأمر به أبو ركوّة فقطع إرباً إرباً . وقد ترتب على هزيمة ينال واستشهاده أن فتحوا أبواب مدينتهم إلى أبي ركوّة في ذي الحجة من سنة ٣٩٥ هـ . بعد أن خرج منها رجال الحاكم وواليه صندل عن طريق البحر ؛ فتوجه بعضهم إلى مصر ، وبعضهم إلى المغرب .

الأموي اللعين لنفسه من الأموال والنساء ، وصار بعد فقره ذا مال وحواري وكساء ؛ وعظم في برقة وما حولها الظلم ، وكثر فيها الفساد والائتم ، وأظهروا السفاح والفجور ، وأتوا بالأمر النكير ، وحازوا ما للناس / من الأموال ، / ٣٥٤ وتغيرت بهم هنالك الأحوال ، فركبوا الخيل السوابق ، ولبسوا الديباج ، وفرشوا النارق ؛ ثم شن الغارات إلى أوجلة وما حولها من النواحي فأوسعوا قتلاً ونهباً ، فالرجال تقتل ، والأموال تغنم ، والنساء تسمى ؛ ثم زاد بالأموي عظيم طغيانه ، وحاول أن ينهض إلى مصر بجميع أعوانه ، مغتراً عامداً له من مدة الإمهال ، راجياً ما لم يؤته الله من الأمال ؛ فخرج الأموي أبو ركة الوليد بن هشام من برقة في أول شهر رمضان^(١) من سنة ست وتسعين وثلاثمائة وقد اجتمعت إليه العساكر، وأتاه كل فاسق وذاعر ، ممن طغتهم أنفسهم في انتهاب أموال المسلمين ، وسولته لهم في الاستيلاء على ما حوته أيديهم ، وجاءت إليه البربر ، وبنو قره ، وغيرهم بجموع كثيرة ، وأظهروا العدد والعدة ؛ واستخلف على برقة رجلاً يدعى ابن ماواس ، فبسط يده بالظلم في الناس ، وسامهم سوم الخسف ، ووقع في برقة القحط^(٢) حتى أكل الناس بعضهم بعضاً ؛ وأقام الوليد بن هشام / الأموي / ٣٥٥ الشماس ينتظر قدوم العساكر وحشدهم من الأطراف ، فأقبلوا إليه يتساربون ، ومن كل جهة يتواردون ، وجاءته عيون^(٣) فأخبرته أن جهة الحمام فيها فاتك بن الأرب القائد في قلة من الرجال ، وكان مقياً في الحمام من قبل الإمام الحاكم بأمر الله فأنهض الأموي جيوشاً كثيرة إلى الحمام مع رجل قدمه عليهم يسمى الجردب ، فوافت فاتك القائد ، وهو في غرة من أمره ، وافتراق من عسكره ، فحين دنوا منه ،

(١) وقد أعلن أبو ركة في برقة مذهب السنة ، وتسمى بأمر المؤمنين الناصر للدين ، ونقش ذلك على سكتته ، كذلك استخلف على برقة رجلاً بربرياً اسمه ابن ماواس ، الذي أساء الحكم ، بحيث أكل الناس بعضهم بعضاً فيها ، واضطر معظم أهلها إلى الخروج منها بنسائهم وأولادهم إلى الإسكندرية . فأرسل الحاكم إلى أبي ركة جيشاً معظمه من المشاركة بقيادة فاتك ؛ فلما سمع به أبو ركة أرسل إليه جيشاً قاتله وهزمه في جهة اسمها الحمام .

(٢) القحط : الحط في ب

(٣) عيون : عيانه في ب

وعلم أمرهم ، ثار فيمن معه إلى الركوب ، ولاقوا^(١) جنود الأموي على كثرتهم ، وكانت بينهم وقعة تصادم فيها الفرسان ، وتلقى فيها الأبطال للطعان ، وصبر فاتك وأصابه صبر الأحرار ، وقاتلوا قتال من لا يركن^(٢) إلى الفرار ؛ فكثرتهم جنود الأموي ، وكبا بفاتك^(٣) جواده ، بعد أن أبلى وقتل كثيراً من الأعداء ، وقدر الله له الشهادة ، فقتل (رح) ؛ وجاء الأموي وكان قد سار خلف الجردب في جيوشه فوافته^(٤) الأخبار ، وهو في الطريق بقتل فاتك ، فوصل إلى الحمام ، واستولى على جهاته ، وكثرت معه العساكر ، و / اجتمعت إليه القبائل ، والعشائر ؛ ووافاه أهل ريف مصر مسارعين إليه ملقين بأيديهم نحوه ولديه ، وسار من الحمام^(٥) إلى بروج فحكم في أهله السيف ، وانتهب ما كان لهم من الأموال ، وأخرب الديار ، وعاث في البلاد أتباعه الأشرار ، وجعلوا المسلمين دار حرب كالكفار ، يقتلون الرجال ، ويتهبون الأموال ، ويسبون النساء والأطفال ، وزاد به طغيانه وأثره ، وعدوانه ومنكره ، فأقبل يقطع من اجتمع إليه من الأعراب والبربر ، ما كان في مصر من الرباع ، وما يسقي النيل من الضياع ، ويكتب لهم بذلك السجلات ، ويضع لهم على الكتب العلامات ، وتوجه به طمعه وبغيه إلى محاصرة الإسكندرية ، فخرج إليه من فيها من عساكر أمير المؤمنين ع. م ، فهزموا عسكره ، وأخذوا أسراً وقتلاً ، وعاد بعد أن أخذته العزة بالإثم قد ملء رعباً ،

/ ٣٥٦

(١) ولاقوا : لقي في جـ

(٢) لا يركن : لا يركب في بـ

(٣) بفاتك : سقطت في بـ

(٤) فوافته : موافقته في بـ

(٥) نهض أبو ركوته إلى مصر في رمضان ٣٩٦ هـ ومعه عساكر كثيرة من كل البقاع ، وقبائل جماعة يجتذها وفرة خيرات مصر ، التي اعتبرها أبو ركوته دار حزب للكفار ، وأباح لجنده حق النهب واستباحة الحرمات . فحاصر الإسكندرية ، ولكن عسكر الحاكم فيها هزموه ، فانتشر جنده في القرى المصرية ينهبونها وينتكون حريمها . واستفحل أمر أبي ركوته ، بعد أن انضمت إليه قبائل من العرب عديدة من ريف مصر ، فكتب لهم السجلات ومنحهم الأراضي والعقارات ، كما اتفق معهم على اقتسام المملكة الفاطمية ، على أن يأخذ أبو ركوته والمغاربة مصر ، والعرب يأخذون الشام .

وذلك ؛ ثم انه اجتمع إليه لفيق من العساكر، وكثر له الجمع الوافر ، وقد عاث أصحابه وأتباعه في القرى حول مصر ينهاونها ، ويقتلون من فيها ، / ٣٥٧ ويهتكون حريمها ، ويخربون نواحيها؛ ثم انه زحف في جيوشه إلى الفيوم، وكانت جماعة من أهل مصر ممن يكرهون الدعوة العلوية، ويتعصبون على الذرية الفاطمية، قد كاتبوه وراسلوه في القدوم عليهم، والورود بجموعه إليهم؛ ووعده المعونة والنصر، وأن يبذلوا معه جهدهم ليملكوه الأمر؛ فحين دنت جيوشه من مصر، ورأى أهل مصر ما هم عليه من الفجور، وبسط الأيدي في المسلمين بالنهب، والسبي، والقتل؛ وأنهم لا يرقبون في أحد أمناً ولا ذمة، ندموا على مكاتبتهم ومراسلتهم، وقالوا: نحن في خفض من العيش، ودعة، وأمان في أيام الحاكم بأمر الله وآبائه ع. م، وحرماننا في ستر وصيانة، وقد دعونا هذا للقدوم، وهو على ما نرى من استباحة الفروج، والأموال، وسفك الدماء، لقد تعجلنا البلاء، وجلبنا على أنفسنا الداهية الدهياء؛ فاجتمعت منهم جماعات، ووصلوا إلى باب أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله، متنصلين من ذنوبهم، فخرج إليهم القائد الحسين بن جوهر، وسألهم عن حوائجهم، فذكروا له أنهم كانوا سب مجيء هذا الخارجي، وأظهروا التوبة مما فعلوه، والالاباة مما تجرأوا عليه / ٣٥٨ / وأملوه، وقالوا: هذه أموالنا مبسوطة، فليأخذ منها أمير المؤمنين^(١) ما أراد، ويبدلها في الجهاد، لدفع هؤلاء الساعين في الأرض بالفساد؛ فأعلم الحسين بن جوهر الإمام الحاكم بأمر الله ع. م بقولهم، فقال له: قل لهم لا حاجة لأمر المؤمنين بأموالكم، وأن الله ينصره ويؤيده، وبمعونته يمهده.

(١) جهز الإمام الحاكم من جديد جيشاً كبيراً من عرب الشام أعداء البربر، وفيه كثير من الترك والديلم والسودان، بقيادة الفضل بن الحسن بن صالح، فهزم أبا ركة في الفيوم، فانسحب إلى الجيزة، فحاربه عامل الجيزة، وأجبره على العودة إلى الصعيد، حيث انضم إليه العديد من عرب الصعيد، فحدثت بينه وبين القائد الفضل بن الحسن موقعة فاصلة في مكان يعرف برأس البركة، فانهمز أبو ركة ومن معه من العرب، وقتل أكثر البربر، وتفرقت الجموع التي انضمت إليه، وجاءت إلى الحاكم تائبه، ولم يفلت إلا نفر قليل من النساء والصبيان حملوا أسرى إلى القاهرة، وأطلق سبيلهم. المقرئ: خطط ٤ ص ٧٠.

وكان أمير المؤمنين ع . م . قد أنفق انفاقاً عظيماً ، وأنفذ خزائن كثيرة في حرب الأموي ؛ ثم ان أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله ع . م . ، أخرج فضل بن الحسن ابن صالح في جيوش عظيمة ، وأموال جلييلة ، وكان خروج فضل بن الحسن بن صالح من القاهرة المعزية غرة شهر شوال ، بعد أن قضى أمير المؤمنين صلاة العيد ، وخطب محض الناس على الجهاد ، ووعدهم أجر الصابرين ، وأن الله تعالى ممكن في الأرض لأولياته الطاهرين ، وجازت العساكر بين يديه من الأتراك ، والديلم ، والعبيد ، وكتامة ، وسائر الجنود ؛ وفتح الخزائن فأخرج الأموال ، وكثيراً من العدة / ٣٥٩ ، والسلاح للقتال ؛ فلما دنا فضل بن صالح بعساكره / من الأموي ، وهو في الفيوم ، وصله الخبر ، ولم يبق بينهم غير مرحلتين فامتلاً بالخوف قلبه ، وعظم رعبه ، وخاب ظنه ، وبعد عنه أمنه . ثم انه عاد إلى حمية الجاهلية ، وأمل أن تعود الفتنة الأموية ، وقال لعساكره : إن معاوية بن أبي سفيان قد غلب على الأمر على علي بن أبي طالب مع ما كان له من الإقدام والشجاعة التي قد علمها الخاص والعام ، وأن الخلافة الأموية قد رجعت كما كانت ، ودنت قوتها ، وحانت ، يشجع بذلك أصحابه ، ويريهم قلة الإكتراث لما نابه^(١) .

واختار سرية من شجعانه ، وأبطاله ، وفرسانه ، وأمرهم أن يشنوا في عسكر فضل بن صالح الغارة ، وأن يأتوه هو ومن معه على غرة ، فوافت عساكر الأموي وسراياه عساكر فضل بن صالح ليلاً ، ورجوا غفلتهم ، فألفوهم حازمين ،

(١) وهرب أبا ركة إلى النوبة ، وكان ملكها قد توفي ، فسلمه ابنه واسمه روفائيل إلى الفضل ، وذلك بناء على هدنة البقط التي كانت قد عقدت منذ أيام عمرو بن العاص ، ونصت على تسليم الهاريين ، ولما وصل الفضل إلى القاهرة ومعه أبو ركة أسيراً احتفل الحاكم بهذا النصر المشهود من مكان مرتفع : فشهّر بأبي ركة على جبل ، وقد ألبس طرطوراً طويلاً ، وخلفه قرد ويده درة . ولما مر الموكب بمنظرة الذهب حيث كان الحاكم يرقبه ، استغاث أبو ركة بالحاكم فلم يصغ إلى تضرعه ؛ ولم يصل إلى ظاهر القاهرة حيث تقرر إعدامه حتى كان جثة هامدة ، فقطع رأسه ، وصلب جسده في الميدان الكبير . نهاية الأرب ج ٢٦ .

والحرس على أطرافهم قائمين ، فوقعت الصيحة ، وابتدر الناس إلى السلاح ، وركبوا الخيل مستعدين للكفاح ، وجالت الخيل بفرسانها ، وفرغت أبطالها إلى / ٣٦٠ / ضرابها وطعانها ، وجالت العساكر الحاكمة ، / والجنود الفاطمية ، على العصاة الأموية ، فأوردتهم الردى ، وقتلوا منهم ما لا يحصى عدداً ، وأتوا إلى أبي ركة منهنزمين ، ولما نالهم من القتل والغل مغمومين ؛ فضاعت به الأرض برحبها ، ولم يدر أين المفر لجيوشه ، وجنود الله في طلبها ، وزالت عن الناس الأوهام الفاسدة ، والأرجاف ؛ وأسكت أهل الشقاق ، والخلاف ؛ وسار الوليد الأموي إلى الصعيد فحين جاز الأهرام عاودته فاسدات الأوهام ، وواعده نفسه أن يطرق الجيزة ، ورجا أن يقتل أهلها ، فجعل إليها قصده وسيره ، ورام أن تكون من العساكر خالية ، وأن تعود له إن غلب عليها الكرة الثانية ؛ فجاءت عساكره قبل الصباح منتشرين في سلبها ، يقتلون من وجدوه من أهلها ، وغير أهلها ؛ فخرج عاملها علي بن فلاح في من كان معه من الروابط فيها ، فوقع بينهم القتال ، واشتدت مقارعة الأبطال ، وصبر علي بن فلاح صبر المحامين عن الدين ، ودحر من معه لقتال المفسدين ، فولت جيوش الأموي على الأدبار ، ولم يركن / إلا إلى / ٣٦١ / الفرار ، وقد قتل خلق من الفريقين ، ودارت بالسيوف والرماح بينهم دوائر الحين ، وعاد الأموي بجيوشه إلى الصعيد ، فأقام بها حتى اجتمعت له الجيوش ، وجاءته من الأقطار ، وقد بث رسله إلى من يرجو نصرته من جميع النواحي والأمصار ، فجاءه من يبغى في الأرض الفساد ، ويروم أن يستولي على أموال العباد ، فاجتمع له سبعون ألفاً بين فارس وراجل ، ووافقت إليه من المعاندين لأهل البيت العشائر والقبائل ؛ فازداد به طغيانه وعناده ، وأعجبته جموعه وجنوده ، فسار بهم في شهر ذي الحجة الحرام قاصداً للفضل بن الحسن بن صالح إلى مستقره بالجيش ، وكان الفضل في بركة الأحبوش^(١) . فبرز إليه الفضل بن الحسن في

(١) عندما قبض على أبي ركة أبدى جزءاً كبيراً والتمس الصفح من الحاكم ، وبعث إليه برقة فيها هذه الأبيات :

فررت فلم يغن الفسار ومن يكن مع الله لم يعجزه في الأرض هارب =

كتائب جمة ، وعساكر لا تنبو عن مهلة ، ولا تفرق للمة ، قد اجتمعوا من جنود
الإسلام والإيمان ، وانفوا لما شاع من الأقوال الغوية ، وما استحلته من الحرام
ناصرين للدين ، مجتمعين على جماعات المسلمين ، فجالت الخيول في الميدان ،
/ ٣٦٢ وتدانت الفرسان / إلى الفرسان ، والتهبت نيران الحرب واضطربت ،
واشدت الوقعة وعظمت ، وقد فغرت المنية فاما ، وأدارت على الأبطال رحاها ،
فشرت الأعلام الحاكمية بالنصر ، وتوصى حاملوها بالصبر ، وامتلأت الأرض من
القتلى ، وخاضت الخيل في الدماء ، وداست الأشلاء ، وفلت السيوف من
الضراب ، ودارت الختوف^(١) بالسلب للنفوس والإغتصاب ؛ فلم يكن لجند
الأموي صبر حين كثر فيهم القتل ، وانقلبوا على الأعقاب ، وفروا مفترقين في
البراري والشعاب ، يقتلون في كل مكان ، ولا يلجأون إلى عصمة ولا أمان ،
ينخطفون حيث يمشون وذهبوا ، ويقتلون جزاء بما احتقبوا ، وغنمت أموالهم ،
وساءت أحوالهم ، وصاروا بين قتيل تأخذه السيوف حيث يفر ويحيى ، وغريق^(٢)
واقع في البحر اللجي ، وآخر يقتله الجوع والظما ، ويتنغي لو يجد نفقا في الأرض
أوسلما في السماء ؛ يفرون فلا يغنيهم الفرار ، ولا يأوون من الأرض إلى قرار ،
وانصرف الوليد الأموي ممعنا في الهرب ، مع بعض من كان معه من العرب ،
/ ٣٦٣ / راجعاً سوء^(٤) المرجع والمنقلب ؛ وأسلم أصحابه وما حوت يده وسار ، وقد
أسلم ما جمعه وحشده ، فقصد أرض النوبة يريد أن يجد النصرة من المشركين ،
ويكون له منهم المانع والمعين ، حتى انتهى إلى صاحب الجليل ، وقد أسلم ما كان له

سوى فزع الموت الذي أنا شارب
كما هز ميت في رحي الموت سارب
فيا رب ظن ربه فيك كاذب
وأخذك منه واجب لك واجب

= والله ما كان الفرار حاجة
وقد قاذني جرمي اليك برمتي
وأجمع كل الناس أنك قاتلي
وما هو إلا الانتقام ويتهى

(١) الختوف : حناب في ب .

(٢) مفترقين : مفارقين في ب .

(٣) وغريق : رقيق في ج .

(٤) سوء : سواء في ب .

من كثير وقليل ؛ وجنود أمير المؤمنين المنصورة ممعنة في طلبه ، متجسدة لأخباره ، وأين قصد في مذهبه ؛ فحين بلغ فضل بن الحسن بن صالح مصير الأموي في الجليل ؛ فتابع الرسل إلى ملكهم في طلبه ، وخوفه جنود الله أن تأتيه رعيلاً بعد رعييل ، وطلب أن يسلم الأموي إليه ، ووعده أن يفيض إنعام ولي الله عليه ، فارسل به صاحب الجليل مع رسل^(١) القائد فضل بن الحسن بن صالح ، وقد غلغل بالحديد ، وأمسكت رجلاه بالقيود ، وجاء مع الرسل إلى الفضل مجيء الذليل ، ففك القائد من أغلاله ، وأمر أن يرفه في طعامه وأحواله .

ورجع القائد فضل بن الحسن بن صالح إلى باب أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله ع. م. - بالقاهرة ، وفي يده الوليد بن هشام الأموي / قد باء بالصفقة^(٢) الخاسرة ، وخسر الدنيا والآخرة ، وكان وصول الجيوش إلى الحضرة الشريفة النبوية مكلوة بالنصر ، ومعها أبو ركوة في ضيق^(٣) الأسر ، لسبع عشر من شهر جمادي الآخر سنة سبع وتسعين وثلاثمائة . فأركب أبو ركوة على جمل ، وقد جعل على رأسه طرطورا كثير الطول ، وهو أمام العساكر المنصورة^(٤) الحاكمة ، والكتائب الإمامية الفاطمية ، وقد اكتشفه طوائف كثيرة من أهل مصر ، فظيف به في مصر ، ثم أتى به إلى القاهرة السعيدة المعزية ، والحضرة الشريفة الحاكمة ، وقد ألبسه الله لباس الصغار^(٥) ، وأذله بعدما كان في العتو والإستكبار ؛ فأمر به الإمام ع. م. ، فضرب عنقه ، ثم رفع الأعواد وصلب ، وأشعل الجذع^(٦) الذي صلب عليه بالنار ، وصار إلى عذاب الله قد باء باللعة والخسار ؛ وكانت وقعة عساكر أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله ع. م. ، مع أبي ركوة الخارجي وأسره وقتله ، سنة سبع

(١) رسل : رسول في ب .

(٢) بالصفقة : بالصفقة في ب .

(٣) ضيق : ضوق في ج .

(٤) المنصورة : سقطت في ب .

(٥) الصغار : الصغر في ب .

(٦) الجذع : الرفع في ب .

وتسعين وثلاثمائة من الهجرة الطاهرة ، على صاحبها وآله أفضل السلام والتحية .

وجاءت بعد ذلك الطوائف التي كانت / اتبعت الأموي على بغيه ، / ٣٦٥
ومساعدته في غلبه ، تائبة إلى باب الإمامة من جرمها ، متصلة من بغيتها ،
وإثمها ؛ فأسبل أمير المؤمنين ع . م . عليهم ثوب عدله ، وعفا عنهم بمنه
وفضله ، وجاءته الوفود من الأمصار ، مهتة بما أناله الله سبحانه وقضى لدولته من
الاعتدار ، فأوسع جميع من أتاه إحسانا وفضلا ، وأعطاهم عطاء جزلا ، وآب كل
إلى جهته ، وقد ملأ من فضل الإمام يديه ، وهو يكثر شكره ، ويشني عليه^(١) .

وقد ذكر حيدرة بن محمد بن إبراهيم حسب السيرة الحميرية الكتامية^(٢) : ان
باديس بن بلكين عامل الإمام الحاكم بأمر الله ع . م بعد أبيه على أفريقية والمهدية ،
ونواحي الغرب الذي لقبه العزيز بالله نصير الدولة ، وصل القاهرة بمصر إلى أمير
المؤمنين الحاكم بأمر الله ع . م في سنة ست وتسعين وثلاثمائة ، وأبو ركوته في قوته ،
فنال باديس من أمير المؤمنين الحياء والعطاء ، وأعانه على حجة ، ثم قال له : كيف
حال هذا الخارجي ببرقة ؟ يعني أبا ركوته . فعظم حاله ، وفتحته وذكر قوته ، وكثرت
جموعه ، وأمير المؤمنين صامت ، / فلما حج باديس وعاد من مكة إلى / ٣٦٦
الحضرة ، واستأذن أمير المؤمنين في المسير ، أخره حتى رأى صنع الله في أبي ركوته ،
وأن الله قد أوهن منه القوة ، وأصاره في يد الإمام الحاكم بأمر الله ذليلا ، بعد
استطالته حقيرا ، بعد جموعه وكثرت ، وحيدا بعد عدده وعدته ، وأطفأ الله تلك

(١) وهكذا تخلص الإمام الحاكم بأمر الله من خطر أبي ركوته ، الذي هدد الخلافة بكاملها بالدمار
والخراب ، وكان ذلك بفضل شجاعة وثبات الحاكم ، ومقدرته الفائقة على القيادة ،
والصبر عند الشدائد ، ولا غرو فقد كان لمساعدة المصريين أكبر عون في هذه الحرب
الدمرة .

(٢) ينقل المؤرخون أن باديس وصل إلى القاهرة في طريقه للحج أثناء ثورة أبي ركوته في ٣٩٦هـ ؛
كأنه أراد أن يتخلص من الموقف الحرج . فسأل الحاكم باديس عن أبي ركوته ؛ فعظم باديس
حاله ، وذكر قوته وكثرة جموعه ، والحاكم صامت . فلما رجع باديس إلى مصر ، واستأذن
الحاكم في المسير ، أخره الحاكم الذي كان قد انتصر على أبي ركوته ، ليشهده احتفالات
النصر ، وربما قصد بتأخير باديس إرهابه ، أو على الأقل عتابه .

الثائرة بعد علو دخانها وخفتها بعد اشتعال نيرانها ، وملك الإمام الحاكم بأمر الله ع . م الموصل ، وسقايها ، والأنبار ، وأقام الخطبة فيهن سنة إحدى وأربعمائة للهجرة الطاهرة^(١) .

قال ابن حوقل البغدادي^(٢) : الموصل مدينة على غربي دجلة ، صحيحة التربة ، والهواء ، ذات نهر يقطعها في وسطها ، وبينه وبين حافة الأرض نحوستين ذراعاً ؛ وهي فرضته لأهل اذربيجان ، وأرمينية ؛ ذات كروم وفواكه ، ونخيل ، وعمل واسع ، يزيد على عمل نصيبين ، وفيه الفنادق والحمامات ، والعمارة الحسنة . والأنبار مدينة بناها أبو العباس السفاح على شرقي الفرات كثيرة النخيل ، والزروع ، والثمار الحسنة .

ولم يبق للدولة الشريفة / معارض ، ولا عارضها في الأقطار / ٣٦٧
عارض ، حتى كان ما كان من الوزير علي بن الحسين المغربي^(٣) ، وكان من وزراء الامام الحاكم بأمر الله ع . م ، فأساء في الرعية السيرة ، ولم يراقب الله في الجهر والسرية ، وبدت منه أفعال مخالفة لأفعال تابعي الأئمة ، وداخله النفاق المبدل له من الرحمة ؛ فحين كثرت ذنوبه ، وظهرت عيوبه ، خاف من الإمام أن يجازيه بأفعاله ، وأن يلحقه من الباغين بأشباهه ، وأمثاله ، وأن يعاجله بعقوبته ونكاله ، فهرب من الحضرة النبوية إلى مكة ، واجتمع بأبي الفتوح بن جعفر الحسيني صاحب مكة ، فحمله على الخلاف ، وأطمعه بمملك مصر ، وأن يكون له فيه الأمر . فادعى

(١) أعلن صاحب الموصل ، ابن المقلد العقيلي الملقب بمعتمد الدولة طاعة الحاكم ودعا له في الخطبة في جميع أعماله من الموصل إلى الكوفة .

(٢) ابن حوقل : المسالك والممالك ج٢ ص ٥٧ .

(٣) هرب الوزير علي بن الحسين المغربي الذي غضب عليه الحاكم لسوء تصرفه ؛ إلى مكة واجتمع بأبي الفتوح ، فحمله على الخلاف ، فأعلن الخطبة لنفسه ، وتلقب بأمر المؤمنين الراشد لدين الله ، ونزع ما كان بالكعبة من ذهب وفضة وضرب نقوداً باسمه ؛ كما استولى على المدينة من الحسينيين . وكان ذلك حوالي سنة ٤٠٠ هـ . المقرئزي : خطط ج٣ ص ٢٥٥ - ٢٥٦ ؛ ج٤ ص ٧٢ .

أبو الفتوح الإمامة ، وأمرة المؤمنين ؛ وكان أبو الفتوح قد جمع أموالاً جمةً وأكثرها مما ناله من إنعام الأئمة ، فهي التي زادت في طغيانه ، وحملته على بغيه وعدوانه ، فكتب أبو الفتوح حسان بن الفرّج بن عقل الطائي ، واجتمع به ، فضمن له أن يقوم / بنصرته ، ويجمع عرب الشام على طاعته ، فعند ذلك نهض أبو الفتوح إلى الرملة من أعمال الشام ، واستدعى العرب لحرب أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله ع . م ، فأجابه إلى ذلك خلق عظيم ، وخطبوا له ، وأنفق عليهم ما جمع من الأموال شيئاً بعد شيء حتى أتى على جميعها ؛ ولم يبق له شيء منها ، فحين صفرت^(١) راحتاه من المال تفرق^(٢) عنه العرب ، ورفضه الرجال ؛ فلما رأى ذلك حسان بن الفرّج عزم على القبض على أبي الفتوح ويصل به إلى حضرة أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله ع . م ، ويجعل ذلك كفارة^(٣) لخطيئته ، ومفتاحاً لباب قبول توبته ، فلما علم بذلك والد حسان الفرّج بن دغفل ، وصل إلى أبي الفتوح فيين له حقيقة^(٤) الأمر ، وأوصاه بالحزم من ابنه حسان في السر والجهر ، فتعلق به أبو الفتوح وسأله أن يخلصه ويرسل من يسير من حماة العرب معه ، حتى يوصله إلى مكة المشرفة ، ففعل له ذلك الفرّج^(٥) بن دغفل ، وأرسل معه من أوصله إلى مكة ، كما سأل ؛ فحين وصل أبو الفتوح إلى مكة جمع الناس ، وخلع / نفسه ، وتبرأ مما ادعاه لنفسه من أمر الإمامة وأقر بها^(٦) للإمام الحاكم بأمر الله ع . م ، عند الخاصة والعامة ؛ ثم وفد ذلك إلى حضرة أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله متنصلاً^(٧) مما اقترف ، طالباً للعفو عن ما قدم وأسلف ، فصفح^(٨) الإمام عن إثمه ، وعفا عنه بفضله

-
- (١) صفرت : صفر في ب .
 - (٢) تفرق : تعرف في ب .
 - (٣) كفارة : كرامة في ب .
 - (٤) حقيقة : سقطت في ب .
 - (٥) الفرّج : الفرّج في ب .
 - (٦) وأقر بها : وقال لها في ب .
 - (٧) متنصلاً : منفصلاً في ب .
 - (٨) فصّح : سقطت في ج .

وحلمه ، وأمر له بالكساء والحملان ، ووصله بما أوفر له الظهر من الإِنعام والإِحسان ؛ وأرجعه إلى مكة ، وأقره على ما كان عليه ، وأسدى المعروف اليه ، فانصرف مثنيا بلسان الشكر ، معترفا بما أولاه الإمام ع. م من الإِنعام والبر . وأما علي بن الحسين المغربي فإنه على ما قدم ، وكتب إلى أمير المؤمنين ع. م ، يتنصل من الذنوب الموبقات ، وكتب هذه الأبيات :

[سلامٌ ملء أسماع الندي^(١) يفيضُ حياً عليه من الحيِّ
 ويعبق فيه رياً الشوق حتى أبلى^(٢) جفونَ سامعه بريِّ
 تجوز به ملائكة كرام على قصر الامام أبي علي^(٣)
 تحية نازح يزداد شوقاً لدى خطرات ذي البين الوصي^(٤)
 وما يعتدّ من ذنب ولكن تهيّب سطوة الليث الجريِّ
 وخاف بأن يلمّ به عقابٌ على حقّ من الملك الأبيِّ / ٣٧٠
 فشعشع ورده ماءً رويّاً^(٥) فلم ير ماء دجلة بالرويِّ
 يُوكّلُ بالمغارب لحظّ عين تفيض إذا رأت أصل العشيِّ
 وترفع كشحة الزفرات حتى تكادُ تُقدُّ سردَ السَّابريِّ
 كأنّ لم أمش في الإيوان زهواً مكين الخطو مأمولَ النجىِّ
 وألثم تربه فيما تولى هناك لفيصل الخطب الجليِّ
 أيا ملكاً يشحُّ البحر خوفاً لساكبِ فضله العذب الهنيِّ
 مؤالاةً على الأيام كانت لكم تدعى لآل المغربيِّ
 فهل بعد التفرق من زمان يضم قوادم الشمل القصيِّ

فجاد عليه أمير المؤمنين بالعفو والصفح ، وأمره أن يسرع الوصول إلى حضرته لبلوغ النجح ، فعاجله واردات الحدثان ، ومات في أمد عند صاحب

(١) سلام ملء أسماع الندي : سلام ملا سماع الندي في ب

(٢) أبلى : ابتل في ب .

(٣) الوصي : الوحي في ب .

(٤) ماء رويّاً : مرحا فيهم في ب .

ميافارقين عبد العزيز بن مروان .

وكان أيضاً من القائد الحسين بن جوهر ، والقاضي محمد بن عبد العزيز بن النعمان ، ذنب خافاً أن يعاجلاً بتبعته ، وأن يحلّ بهما الإمام الحاكم بأمر الله مخوف سطوته ، لما علماه من كونه ماضي العزائم ، لا تأخذه في الله لومة لائم ؛ ففرا إلى بني فروة ، ومعهما من الأموال ما أوقرا به كثيراً من الابل والبغال ، وأودعا بمصر مائتين / ألوف ، وكل ذلك مما ناله وآباؤها من يد الأئمة المألوف ، فأضجر الإمام ع . م ما ناهما من الطيش والعجل ، وسمع ع . م وقد ركب ، وهو يتمثل^(١) :

أَلْفْتُ السَّرَى حَتَّى كَأَنَّ نَهَارَنَا هُوَ اللَّيْلُ وَاللَّيْلُ النَّهَارُ لِمَنْ يَسْرِي
كَذَا الْأَسَدَ لَا تَهْدِي وَتَحْتَ ضَلُوعِهَا ضِعَاثُنْ حَتَّى تَشْتَفِي مِنْ ذَوِي الْوَتْرِ

وكتب كتاباً بيده العالية إلى قائد القواد الحسين بن جوهر ، وأرسل به رجلاً من فرسان كتامة ، بالورع والدين يشتهر ؛ فلما وصل إلى الحسين بن جوهر ، وناوله الكتاب ، قام من ساعته فقرأه هو والقاضي محمد بن عبد العزيز بن النعمان ؛ وقال له : ما ترى أن يكون الجواب ؟ فقال القاضي : ما لهذا الكتاب جواب ، إلا أن نصل إلى باب أمير المؤمنين ، ونلقي أنفسنا في يده ، وتتنصل مما

(١) اشترك حسين بن جوهر مع فهد في النظر في أمور الدولة ولقبه بقائد القواد في جمادي الأولى ٣٩٠هـ . ثم ولاه الوساطة وحده بعد قتل ابن العداس . ولكن الحاكم صرف ابن جوهر عن النظر في الأمور في شعبان ٣٩٨هـ . وأمره بلزوم داره ، فأحس الحسين بالخوف ، فهرب بأولاده وصهره إلى جبل المقطم ، وبقي ثلاثة أيام ، ثم هرب إلى نواحي الإسكندرية عند قبائل بني قرة ، التي كانت أبدت أباركوة . وبعد أن شمله عفو الحاكم ودخل القاهرة بموكب مهيب وأعيدت إليه مكانته وأمواله ، لم يفلت من القتل في جمادي الآخرة سنة ٤٠١هـ . كما قتل أولاده الذين هربوا إلى الشام ، وكتبوا باسيل ملك اليونان . أما القاضي محمد بن عبد العزيز بن النعمان فقد حدثت له فضيحة تتعلق بحضور مجلس شراب ، فخاف من الحاكم وهرب مع حميه ابن جوهر ، فلما عاد قتله مع ابن جوهر في سنة ٤٠١هـ . ولاية مصر ص ٥٩٩ - ٦٠٣ .

أسلفناه إلى الله تعالى ، وإليه . ودفع القائد إلى الرسول ألف دينار من العين ، فقال الرسول : آخذها وقد أخذت من أمير المؤمنين حين مسيري مثلها بكلتا اليدين ؟ / ٣٧٢ / لكنني / أسألك انتساخ هذا السجل الشريف ، الذي أزعجكما حين وقفتما على عالي علامته ، وليس هو مما كتب في ديوان الإنشاء ، فأطلب من هنالك شريف نسخته ؛ فدفعها إليه ، وهو هذا أوردناه بجملته :

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد : فإنك بأمر المؤمنين ظهرت ، وبسقياهم^(١) بنت ، وأغصانها أقلتك ، ودوحاتها أظلتك ، وعهدا تميمتك ، وعقدها ذخيرتك وغنيمتك ، وكم لأباء أمير المؤمنين على آبائك نعم^(٢) أمثالها ، وفيهم عوائدها وبواديا وأشكالها فاشتروهم من أيدي^(٣) التجار ، وملوكهم أزمة الأحرار ، وأعطوهم أعتة الكبار ، وجعلوا أعقابهم ملوك الأقطار ، وأعلام الأمصار ، فصاروا رؤساء بعد أن كانوا أذنا ، وصدروا بعد أن كانوا أعقابا ، فقادوا جموع^(٤) العساكر ، ورقوا رؤوس المنابر ، وسكبوا^(٥) رقاب الدهر ، وحكموا في الأموال والدماء بناقذ الأمر ، وأبقى ذلك أمير المؤمنين ووفره ، وأفاض بسجاله وأدره ، ولم / يقتصر بك على ذلك حتى جذب بضيعك من مطارح العبيد ، إلى مطالع الأحرار الصبيد ، فعقد لك الوزارة والقيادة ، وجللك رداء العز والسيادة ، وألقى إليك مقاليد الأمر ، وبسط يديك في البدو والحضر ، وأعطاك ما لم تسم بك إليه همة ، وخولك ما لم يبلغ^(٦) بك إليه أمنية ، وفضلك على كثير من مواليه ، وعصبه وأذنيه

(١) وبسقياهم : وبسقياء نعمه نبت في ب .

(٢) نعم : نعمة في ب .

(٣) أيدي : سقطت في ج .

(٤) جموع : سقطت في ب .

(٥) وسكبوا : وركبوا في ب .

(٦) يبلغ : بلغ في ب .

وأقاربه ، وعظم خطرك وقدرك ، وأنفذ صيترك وذكرك ، تنهي وتأمّر ، وتورد
وتصدر ، وتنفع وتضر ، وتسوء وتسّر ، وصرت بشدة أمرك ، ورفعة قدرك ،
جباراً عظيماً ، وسلطاناً قويماً ، تمضي ما شئتّه ولا تناقض وتملك ما أردت ولا
تعارض ، ولم يدر أن مثل إحسانه إليك يكفر ، ومثل متجره فيك يخسر ، فبطرت
عيشك ، ونسيت أمسك^(١) ، وجهلت نفسك ، وخنت ولي نعمتك ، وعصيت
مالك ناصيتك ، فاستبدلت بشعار الطاعة جلباب العصية ، وركبت بمركب
العبودية مركب الحرية ، وأوضعت وأوجفت قائد الضلالة والجهالة ، ونقضت
العهد ، / وحللت العقد ، وخيل إليك بسوء نيتك ، وسقم طويتك ،
الغدر الذي وليت عليه ، وظننت أن أمير المؤمنين - وبعض الظن إثم - حال عما^(٢)
عاهدك ، وبدأ^(٣) له في ما عاقدك - وحاشاه عن ذلك وما عسى يخفر الله لك أن
تقول إذا [تناقلت زلتك]^(٤) [الألسن العادلة ، وبثت حديثك الأندية الحافلة ، وما
عذرک إذا قيل لك لم خرجت ، وقلدت نفسك عارا^(٥) لا يدحضه الاعتذار ، ولا
يعفيه الليل والنهار ، ولم يثلم لك مال ، ولا يغير لك حال ، ولم تبتز ثوب
الكرامة ، ولم تسلب ظل السلامة ، نعوذ بالله العظيم من نعمة تتعري عن
جلبابها ، ومرهبة^(٦) تسلخ من إهابها ؛ ومع ذلك فتدعي أنا نبتغي لك الغوائل ،
وننصب لك الحبائل ، ونقصد منك المقاتل ، ونشره إلى حيازة مالك ، ونسارع إلى
استزامة حالك ، لا عن دلالة تقيّمها وتظهرها ، ولا عن حجة تدلي بها ونكرها^(٧)
إلا إرادة أن يتداول الناس دعواك ، ويتفاوضوا شكواك ، فيخيل في نفوسهم ،
ويقرر في قلوبهم ، أن لك رخصة في ما ارتكبتّه ، وفسحة فيما اجتبتته ، وبالله لو

(١) أمسك : اسمك في ب .

(٢) عما : سقطت في ب .

(٣) وبدأ : وبدل في ب .

(٤) تناقلت زلتك : تنازلتك في ب .

(٥) عارا : سقطت في ب .

(٦) ومرهبة : وموهبة في ب .

(٧) ونكرها : وركنها في ب .

٣٧٥ / كانت التهمة / منك بناواقعة ، لكانت طاعتك لنا أزين من مخالفتنا ، كيف وعلام الخفايا والغيوب ، والمطلع على الضمائر في القلوب ، يشهد عليك باستحالة ما تذكره ، وتناقض ما تضممه ، ولو كان أمير المؤمنين يريد بك سوءا ، ويبغي لك مكروها ، لكان مرامه أيسراً ، وطريقه أحضراً ، ولأخذك جهرا ، وأسرك قهرا ، ولم يراقب فيك أمرا ؛ فإن الله أقدره ، والله تعالى القدرة التي لو رام بها البر لأغرقة ، والبحر لأحرقه ، أو الجبل الراسي لدكدكه ، والفلك الدوار لأمسكه ؛ فإن نزلت عن مطية العصيان ، وخلعت خلعة الطغيان ، واستقلت عثرتك ، واستغفرت ذنبك ، فأتيت إلى باب مولاك ، ورجعت إلى آخرتك وأولاك ، وجدته عليك عطوفا ، وبك رؤوفاً ، ولعذرك ممهداً ، ولجريتك متخمداً ، فيسحب ذيله على ذنوبك ، ويسبل ستره على عيوبك ، ويشملك أمانه الذي [لا يمسه ^(١) بوفر] النار ، وتصرف عنه آيات ^(٢) الليل والنهار ، ويردك إلى سبيل وفاتك ، ويعيد إلى أرضك صوب سمائك ، ويعطف / عليك بالحفظ والاستقامة إليك ، والشح

٣٧٦ / عليك ، ورفع الظنة عنك ، وإلقاء كلام الموحشين منك ، فيرد اقطاعك ورسومك ، ويراعي أمورك ، وحقوقك ، فتسعد ^(٣) وأخيك ، وتحمي نواحيك ، وتزداد على ما كنت تحويه ، وتعطى أكثر مما ترومه وتبتغيه ، وتكون في أيامه مرفهاً مبجلاً ، وفي دولته ^(٤) معززا مفضلاً ، مرفوعاً عن بذله الخدمة ، محمولا على جلاله الحرمة ، مساحماً فيما تطلبه وتهواه ، مسوغاً ما تقترحه ^(٥) وتتمناه ، مشفعا فيما تلتمسه ^(٦) ، مجاباً إلى ما ترومه وتفعله ؛ فإن أبيت إلا الإياء والعلو [والجموح والعتو] ^(٧) فما أهون انتسافك ، وما أيسر اختطافك ، وما أقرب ما تلتف عليك

(١) لا يمسه بوفر : لابسه يوقى في ب .

(٢) آيات : افات في ب .

(٣) فتسعدا : فتشند في ب .

(٤) دولته : دوله في ب .

(٥) تقترحه : تقترحك في ب .

(٦) تلتمسه : تلتبسه في ب .

(٧) والجموح والعتو : العلو والجماح في ب .

الحيائل ، وتحيط بك الغوائل ، وتساورك المنية ، وتحيط بك الأمنية ، وقد أعذر من أنذر ، والسلام على من أبصر وفكر .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبيه ، وعلى آله الطاهرين ، وسلم تسليماً .

ولم يلبث القائد حسين بن جوهر ، والقاضي محمد بن عبد العزيز بن النعمان ، بعد ورود سجل أمير المؤمنين أن قدما تائبين متصلين / مما قدما حين امتطيا مطايا العجلة إلى بني قرة ، وزائلا أبواب الإمامة ، وشريف تلك الحضرة ، ونزل الوزير أبو الفرج القسوري في لقائهما ، ورجال الدولة على تكاثرها^(١) وتوافرها ، وأعيان من بقي من الدولتين المعزية ، والعزيزية ؛ وطوائف من الإخشيدية ، والكافورية ؛ والعساكر الوافرة الحاكمة ؛ فكان ذلك اليوم كما ذكر من الأيام المشهورة ، وشق^(٢) القائد الحسين بن جوهر البلد وعلى رأسه الرايات الحاكمة خافقة منشورة ، والوزير إلى جانبه ، والجموع والعساكر العظيمة محددة به .

ولما أن بلغ درب الكرد لقيه هنالك خزان بيت المال ، وصاحب الاصطبلات مع الشدادين ، فأفرغ عليه ، وعلى القاضي من الحلل^(٣) الموشية المذهبة ، المنظومة فيها الدرر والجواهر المعجبة ؛ وقد عرضت بعد فراغها من الخياطة على أمير المؤمنين فارتضاها ، وأمر أن تحمل إلى القائد فيعطها ، وأن يكسو^(٤) معه القاضي / من بديع كساها ، وقيدت لهم الخيل بالسروج المذهبة المجرسة^(٥) ، وانتهوا إلى الحضرة الإمامية ، في جلاله^(٦) لهم عن ما خافوه ، وحاذروه^(٧) ، مؤنسة . وحمل إلى

- (١) تكاثرها : تدابرها في ب .
- (٢) وشق : ورشق في ب .
- (٣) الحلل : الحلال في ب .
- (٤) يكسو : يكسيان في ب .
- (٥) المجرسة : المجرسة في ب .
- (٦) حلاله : سقطت في ج .
- (٧) وحاذروه : وحذروا في ب .

دورهم ما كان أخذ عليهم من بيوت^(١) الأموال ، وعادوا إلى الإكرام من فضل أمير المؤمنين ، والإجلال .

وظهرت لأمر المؤمنين الحاكم بأمر الله ع . م ، فضائل لم يسمع بمثلها ، ودلائل ظاهر بيان فضلها ، ومعجزات بهرت الأبواب ، وآيات لا يشك فيها إلا أهل الزيغ والإرتياب ، فغلا فيه من غلا ، وسفل بذلك من حيث^(٢) ظن أنه علا ، ووقع في أهل الدعوة والمملكة الإختباط ، وكثر الزيغ والإختلاط ، فجرد أمير المؤمنين السيف / في الغالين والمقصرين ، واشتدت الظلمة على الشاكين المتحرمين ، وأعرض ولي الله عنهم ، وأغلق أبواب رحمته ، فعم الإمتحان في الحضرة ، فشملت مع قرب النور عظيم ظلمته ، حتى ورد إلى الحضرة الشريفة النبوية الإمامية ، ووفد إلى الأبواب الزاكية الحاكمة ، باب الدعوة الذي عنده فصل الخطاب ، ولسانها الناطق بفضل الجواب ، والبراهين المضيئة ، والدلائل الواضحة الجلييلة ، مبين سبل الهدى للمهتدين ، حجة العراقيين أحمد بن عبد الله ابن حميد الكرمانبي ، قدس الله روحه ، ورضي عنه ، ولا حرمانا نور بيانه ، والإقتباس منه ، مهاجراً عن أوطانه ومحله ، ووارداً كورود الغيث إلى المرعى بعد محله ، [فحل ببيانه]^(٣) تلك الظلمة المدلّمة ، وأبان بواضح علمه ونور هديه فضل الأئمة ؛ وكان ما وصفه في ترجمة رسالته التي سماها بمباسم البشارات ، وأقام فيها على فضل الحاكم بأمر الله واضح الدلالات ، حيث يقول : أما بعد فإنني لما وردت الحضرة النبوية مهاجراً ، وللسدة^(٤) العلوية زائراً ، ورأيت السماء /

(١) بيوت : نبوات في ب .

(٢) يذكر التاريخ أن الحاكم ألغى ما جرى به الرسم من مواكب الصلاة في الجوامع في أيام الجمع من شهر رمضان وفي العيدين . بل ألغى كل ما يتعلق بالذهب من الاحتفال بأعياده ، وأبطل مجالس الدعوة العامة والخاصة ، وما كان يؤخذ لها من مال الخمس والزكاة والفقرة والنجاوى . المقرئزي : خطط جـ ٢ ص ٢٢٣ . واستمرت هذه التدابير أن صحت مدة ثلاث سنوات . ولكن ابن خلدون يقول : إنه زعم لا يقبله ذو عقل ، ولو صدر من الحاكم شيء منه لقتل لوقتته .

(٣) فحل ببيانه : فحل ببيانه في ب .

(٤) وللسدة : للسيدة في ب .

قد أظلت بسحاب عميم ، والناس تحت ابتلاءٍ عظيم^(١) والعهد في الرسوم السالفة قد نقض ، وعن أولياء الدين بما كسبت أيديهم قد أعرض ، والرسم في عقد مجالس الحكمة جريا فيهم بالإحسان قد رفض ، والعالي منهم قد اتضع ، والسافل منهم قد ارتفع ، وشاهدت أولياء الدعوة الهادية بسط الله أنوارها ، والناشئين في عصمة الإمامة وأولي ولائها ، قد حيرهم ما يطرأ عليهم من هذه الأحوال ، التي تشيب لها النواصي ، وبهرهم ما تجدد لهم من الأسباب التي^(٢) لا يهلك بها إلا أولو النفاق والمعاصي ، وهم يومئذ يمجج بعضهم في بعض ، ويرمي كل واحد منهم صاحبه بفسق ونقص ، تتلاعب بهم الأفكار الردية ، وتتداولهم الوسواس المردية ؛ ثم لا يعلمون ما أظلمهم من الدخان الميين ، ولا ما ألم بهم من الامتحان المستبين^(٣) فصار البعض منهم في الغلو مرتقين^(٤) إلى ذراه ، والبعض في النكوص على أعقابهم تاركين عصمة الدين وعراه ، والقليل منهم قد تزعزع أركان اعتقادهم ، وما قبلوه من الدين باختيارهم ، و / ارتيادهم ، وهم على شفا انحلال ، وحؤول ، واختلال ؛ واعناق أولى الطرفين^(٥) من الأبالسة إلى اختلاسهم^(٦) ممتدة ، وهمها^(٧) في اضطيادهم عن اعتقادهم محتدة ، والأحاد منهم قد رضوا من أنفسهم لأنفسهم ، إذا تخلصت نفوسهم^(٨) مكتفين بقوله تعالى : ﴿ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾^(٩) حملني فرط الشفقة في الدين على أن أناجي الأخوان المستضعفين من دون من فسد جوهره ، بما حدث فيه من المقال ، وانعكس عنصره بما تشرب^(١٠) قلبه

/ ٣٨١

(١) بسحاب عميم ، والناس تحت ابتلاء عظيم : سقطت في ب .

(٢) تشيب لها النواصي ، وبهرهم ما تجدد لهم من الأسباب التي : سقطت في ب .

(٣) المستبين : المتين في ب

(٤) الغلو مرتقين : العلوم تقين في ب .

(٥) أولى الطرفين : ولي الطريقتين في ب .

(٦) اختلاسهم : اختلال أسهم في ب .

(٧) وهمها : وهمهم في ب .

(٨) نفوسهم : سقطت في ب .

(٩) سورة : ١٠٥ / ٥ .

(١٠) تشرب : نشرت في ب .

من ماء المحال ، وصار كالفضة المحرقة التي لا تعود إلى فضيتها بصناعة ، ولا إلى حالها الأولى ، وأن تعنى بفضل جهد واستطاعة ، بما يكون تقوية لقلوبهم ، وتثبيتاً لأقدامهم ، من بيان إقامة الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين ع . م ، وصدقها . له ، والبشارات الواردة من الأنبياء ع . م والحكماء بحقها ، وما ينجز الله تعالى له من وعده ، ويقربه من الأمر من قبله لبعده ، والكلام على الأسباب العارضة ، وأنها ليست إلا لما يريد الله تعالى من تصديق قول أنبيائه ، بقيام ما قالوه مقام الصدق ، وما هي إلا إمارات تقوم مقام النص ، بأنه ولي الحق ، ليزدادوا إيماناً ، وبالله تعالى وبوليّه ع . م إيقاناً ، هو قوله . ثم أورد في هذه الرسالة من الدلالات والإشارات ، من الأنبياء والحكماء ، ومن نبينا محمد خاتم الأنبياء ، ما يبان بالحق ، ويظهر الصدق ، وذلك موجود مشروح يعرفه من نظر إليه فسلك سبيل العدل والانصاف ، ومال عن طريق المين والخلاف ؛ ثم ان أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله ع . م ، بعد أن أعرض عن أهل دعوته ، وأغلق عنهم أبواب رحمة ، جزاء بما كسبت أيديهم ، وعملاً بمقتضى الحكمة فيهم ليمتحنهم بذلك ، فيتميز المؤمنون بالإخلاص ، ويبقى المنافقون في الحيرة والانتكاص ، فنظر إليهم نظرة نعشهم بها من الخمول ، وأفاض عليهم من فضله وكرمه المأمول ، وفتح لهم أبواب علومه وحكمته ، واسجل لهم سجل رحمة .

وخطب أختكين^(١) الضيف في الدعوة لهداية أولي الشك والارتياب ، وإفادة من هداه الله بقدر الاستحقاق ، / والاستيجاب ؛ ولقبه بالصادق المأمون .
والداعي حميد الدين أحمد بن عبد الله هو أساس الدعوة الذي عليه عمادها ، وبه علا ذكرها ، واستقام منارها ، وبه استبان المشكلات ، وانفرجت العضلات ،

(١) يعتبر أختكين الضيف من أقطاب الدعوة الكبار ، كان يعمل مع البويهيين الشيعيين بالعراق ، ثم هاجر إلى مصر ، ولقب بالعضدي نسبة إلى عضد الدولة البويهي ؛ الذي كان يعتقد في إمامة الفاطميين . فعينه الحاكم داعية للدعاة ، ومنحه لقب الصادق الأمين . وقد بذل أختكين جهده في تنوير الدعاة بحقيقة الدعوة ومنزلة الإمام الحاكم فيها ، النجوم الزاهرة : ج٤ ص ٢٢٢ .

وقد ذكر ذلك حميد الدين أعلى الله قدسه في بعض رسائله حيث قال^(١) : أما بعد فإن أبناء الدعوة الهادية بسط الله أنوارها ، لما عمتهم المحنة يأمساك السماء عن القطر^(٢) ، وملكتهم الخيرة بوقوف الأرض عن تربية البذر ، وشملهم الضر باستيلاء القحط ، وتداولتهم أسباب الخبط ، وعضتهم نواجذ الإمتحان ، وتنكرت لهم صروف الزمان ، فبهت أعقلهم ، وتحير أحلمهم ، وضعف رجائهم وأملهم ، فاستياسوا^(٣) ، وظنوا أنهم قد هلكوا ، جاءهم نصر الله بنظر وليه وابن بنت نبيه سلام الله عليه وعلى آبائه الطاهرين - إليهم - رحمة لهم ؛ فأضاء لهم ما كان مظلماً ، وأنار لهم ما كان مستبهماً ، وكان ذلك اختياره سلام الله عليه ، وعلى آبائه الطاهرين^(٤) ، من بينهم أصدقهم لهجة ، وأأداهم أمانة ، وأقومهم ديانة ، وأثبتهم الطاعة قدماً ، وأقدمهم في الهجرة قدماً^(٥) ، ذلك أختكين الضيف ، حرس الله عليه جمال الطاعة ، فجعله باباً لرحمته ، ولقبه بالصادق المأمون داعي الدعاة ، ليجمع شملهم ، ويحفظ نظامهم ، فتباشروا بتجدد المهوبة في ذلك لهم ، وعظمت المنّة بالمنحة فيه لديهم ، وشكروا الله تعالى ولوليه في أرضه ع . م ، وكانوا مجلسه^(٦) يحضرون ، وبعضهم مع البعض يتذاكرون ، إلى قوله : والداعي حميد الدين هو حجة المقام الأعظم ، المين لما استبهم ، والموضح لما أشكل ، ولم يفهم وهو من العلماء الذين لا يجارون ولا يسلك معهم في أمم ، وهو بين العلماء كالعلم ، وله تأليفات تحتوي على فنون من العلوم والحكم ؛ مما استفاده عن الأئمة الطاهرين ع . م ، مما وجدنا من تأليفه ، ووقفنا عليه من تصنيفه ، كتاب راحة العقل^(٧) أربعة أجزاء في التوحيد ومعركة الملائكة وعلوم مراتبها ، وسمو صفاتها ،

(١) قال : مال في ب

(٢) القطر : المطر في ب .

(٣) فاستياسوا : سيباسوا في ب .

(٤) الطاهرين : سقطت في ب .

(٥) قدماً ، وأقدمهم في الهجرة قدماً : سقطت في ج .

(٦) مجلسه : مجلس في ب .

(٧) حقيقه وقدم له الدكتور مصطفى غالب منشورات دار الأندلس بيروت .

والدلالة على أوائل الموجودات ، وأسرار الطبائع والشرائع ، وذكر فضل ثواب الله / ٣٨٥
تعالى للعاملين العالمين ، وما ترتقي إليه / النفوس العالمة من الثواب الأبدي
مع النبيين ، والصديقين ، والشهداء ، والصالحين ، في درجات الجنات ،
وأطباقها العاليات ، ومنازلها الساميات ، وكيف يكون عذاب المعذنين ، وإدراك
نار الجحيم ، وورود النفوس الهاوية في العذاب الأليم ؛ وذكر القيامة والنشور ،
والبعث الذي فيه اجتماع الأول والأخير ، ما قامت دلائله ، وظهرت فضائله ، وهو
سر أولياء الله المكنون ، وعلمهم المحفوظ المصون ؛ ثم له كتاب الرياض^(١) في
الإصلاح بين الشيخين أبي يعقوب وأبي حاتم ، في ما أورد أبو حاتم في كتاب
الإصلاح ، وأبو يعقوب في كتاب النصرة ، في شرح ما قاله الشيخ حميد في كتاب
المحصل نضر الله وجوههم جميعاً ، برحمته وأعلا قدسهم في جنته ، وفي كتاب
الرياض المذكور فصل الخطاب ، وإبانة الحق المتجلي عن الارتباب ، وله الرسالة
الدرية^(٢) في معنى التوحيد جواباً لمسائل ألفت إلى اختكين الضيف ، لتكون
/ ٣٨٦ إلى الإمتحان ذريعة ، ولما يبسط الشغب مزيعه ، وله الرسالة الموسومة
بالوضعية في جواب من يقول بقدوم الجوهر ، وحدوث الصور . وله الرسالة الموسومة
باللازمة في الصوم في شهر رمضان وحينه ، ودلائل وقته ، وأوضح براهينه . وله
رسالة الروضة في معنى الأزل ، والأزلي ، والأزلية ؛ وبيان التوحيد لله ع . ج عن
الصفات اللاتئة بخلقه ، والتنزيه له سبحانه بحض البيان وحقه . وله الرسالة
الموسومة بالزاهرة في رسالة وقعت إلى بعض السائلين ، ونسبت إلى الداعي أبي
يعقوب نضر الله وجهه ، وإن تلك لا من نظم الشيخ أبي يعقوب ولا من صيغة
ألفاظه ، وإن العبارة فيها ليست من عبارته ، ولا المورد فيها من اعتقاده ، لما فيها
من ركافة المباني ، وإحالة المعاني . وله الرسالة الحاوية في الليل والنهار في جواب
ما أورد السؤال في أيها كان بالقبلة قبلاً ؟ وبالبعدية بعداً ؟ ورسالة مباسم

(١) حممه عارف تامر من منشورات دار الثقافة بيروت .

(٢) حققها الدكتور محمد كامل حسين من منشورات دار الفكر مصر .

٣٨٧ / البشارات^(١) بالإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين ع. م. / وعلى آباءه الطاهرين ، وأبنائه الأكرمين . والرسالة الواعظة^(٢) تجمع مواعظاً وأجوبة عن مسائل المارق عن الدين حسن الفرغاني الأجدع . والرسالة الكافية في الرد على الهاروني الحسيني الزيدي ، في مسائل عدة تجمع إثبات الإمامة للحاكم بأمر الله أمير المؤمنين ع. م. ، ألفها للنائب عنه الداعي بكرمان والعراقيين ، رحمة الله عليه ، وهو عبد الملك بن محمد المازني ، وكتبها إليه من القاهرة المعزية ، والحضرة الشريفة . والرسالة الوضية في معالم الدين وأصوله ، وهي مقاتلان في العبادة لله تعالى العملية . ومن الموجود لسيدنا حميد الدين كتاب العقائد ولباب الفوائد . وله كتاب تنبيه الهادي والمستهدي في العظة ، والتشويق ، والترهيب بالموت والتحذير ، والحث على العبادة والترغيب ، في طلب الزلفى عند الله تعالى ، والسعادة ؛ وفيه وصايا الأئمة ع. م. لأشياعهم ، وفضل الإيمان ، وما فيه للنفس من نيل الكمال ، الذي هو العفو والغفران ، وبيان / فرائض الإسلام ، من الطهارة

٣٨٨ / والصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، والجهاد ؛ وما فيها من المنفعة للنفس ، والترغيب في العلم ، والتأويل ؛ وفيه إقامة الحججة على الفرق من أهل الإسلام ، وبيان ما عليه كثير منهم من فساد الاعتقادات ، والتنبيه لأمر من يجب أخذ الدين منه وافتراس طاعته ، وافتخار المعتصمين بحبل الله تعالى وطاعة أئمة دينه ، بأمر الله تعالى ، وأمر رسوله ، ومخالفة غيرهم ، وبيان وجوب أخذ العهد والميثاق ، والدخول تحت شرائطه . ومن الموجود في تأليفه الجزء الثاني من معاصم الهدى . والإصابة في تفضيل علي على الصحابة . وله كتاب الخزائن في فنون العلم ، والتأويل . وكتاب المصابيح^(٣) في الإمامة جاء فيه بالبراهين الواضحة ، والدلائل البيّنة في دفع قول المعطلين ، وإثبات الإلهية لله تعالى مبدع العالم الجرمانسي

(١) نشرها وحققها الدكتور مصطفى غالب في كتابه الحركات الباطنية في الإسلام منشورات دار الكاتب العربي بيروت .

(٢) نشرها وحققها الدكتور محمد كامل حسين من منشورات جامعة فؤاد القاهرة .

(٣) حققه الدكتور مصطفى غالب من منشورات دار حمد بيروت .

والجسماني ، لا إله إلا هو ، وإبانة مراتب الأنبياء والأوصياء ، القائمين بعدهم ، وإثبات النبوة ، والوصاية ، ودلائل الإمامة ؛ وأنها بالعقب ، والنص ؛ ومن المستحق بعد الرسول / صلى الله عليه لها ، ومن الخالي من فضائلها ، وفيه براهين مضيئة ، ودلائل عقلية . وله كتاب الأقوال الذهبية^(١) في كتاب وقع إليه محمد بن زكريا الرازي ، فوجده فيما تصدى له^(٢) بزعمه من الطب الروحاني ، لا كهو فيما نشأ^(٣) عليه من الطب الجسماني ، لكونه في هذا^(٤) كفارس في ميدانه ، وكونه في الطب الروحاني كحاطب ليل يجمع ما لا يدري ، وهكذا^(٥) الأطباء الروحانيين ؛ لكون^(٦) تلك رتبة الأنبياء المؤيدين من السماء ، الهادين إلى سبيل ما يكون به الكون في الحياة الدائمة ، والبقاء . ومن كتبه^(٧) التي لم توجد في اليمن ، وقد ذكر أنها من^(٨) تأليفاته : رسالة الفهرست ، رسالة المفاوز والحدائق ، تاج العقول ، كتاب ميدان العقول في المعاد ، كتاب النقد والإلزام ، اكليل النفس وتاجها ، كتاب المقاييس ، المجالس البغدادية والبصرية ، الرسالة التأويلية ، الجزء الأول من معاصم الهدى ، والإصابة في فضل علي على الصحابة . فتلك تسعة وعشرون كتاباً تنسب كلها إليه في تأليفها وتنسيقها ، وله فيها الدلائل العقلية ، / والبراهين الواضحة الجليلة ، التي لا تدفع إلا بالبهت والمكابرة ، ولا ينكرها إلا أولو الجحدلما يرون بأعينهم الباصرة ، فأقام الداعي أحمد بن عبد الله الكرمانى ما أفاد وأزال عنها ما شملها ، من طعن الباغين في الأرض بالفساد ، وأبطل قول أولي الغي والاحاد ، وهدى إلى اتباع من لم يحل الله كل عصر منهم

(١) حقه الدكتور مصطفى غالب من منشورات دار مجبو بيروت .

(٢) تصدى له : قصد إليه في ب .

(٣) نشأ : شاء في ب .

(٤) لكونه في هذا : سقطت في ج .

(٥) وهكذا : وذلك في ب .

(٦) لكون : يكون في ب .

(٧) ومن كتبه : سقطت في ج .

(٨) ذكر انها من : ذكر في ب .

من إمام هاد ، وقامت الدعوة الشريفة الحاكمة على ساق ، وجرت أمور أهلها على انتظام واتساق ، وزهرت مصابيح الهدى بنور وإشراق ، وعمت الدعوة أكثر الأقطار والآفاق ، وقام السيف والقلم ، ورفع بآل محمد ع . م العلم ، والعلم .

وأمر الإمام الحاكم بأمر الله إلى مدينة النبي ع . م بعض من اختصه ، ففتح بيت الإمام جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين سلام الله عليهم ، وقد دلهم الإمام الحاكم ع . م على علامات في البيت ، فلما فتحوه أخرجوا كتباً فيها كنوز من علم الأئمة ع . م ، والصلاة ، ومصحفاً ؛ ومالاً وسلاحاً ، وذلك معروف مشهور ، وقد ذكره الشريف الحميري الحسيني في كتابه المعروف بكنز /
الأخبار ، في السير والأخبار ، وذلك في سنة عشر وأربعمائة من الهجرة الطاهرة النبوية ، وقد اجتمع عليه كثير من أهل التواريخ ، وأقروا بصحة الروايات فيه ، وهل ذلك إلا مما توارثه من علمهم الأئمة الصادقون ، وعرفوا خبيثة جدتهم الصادق الأمين ، لتظهر باستخراجه معجزة الإمام الحاكم ، ويتبين أنه الخالف له ، الذي هو في مقامه من الإمامة قائم^(١) .

/ ٣٩١

وأذن المؤذنون^(٢) أو ان خلافة أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله ع . م ، فنادوا في أذانهم بعد الشهادة أن محمداً رسول الله أشهد أن مولانا علياً ولي الله ، تأكيداً لنداء للنبي (ﷺ) في يوم الغدير : من كنت مولاه فعلي مولاه . وذلك اعلان بموالاته الرسول ، وولاية وصيه الذي نص عليه ، وأشار إليه (ﷺ) . ثم نادوا في الأذان محمداً وعلياً خير البشر ، وعترتهما خير العتر . إبانة لفضل رسول الله (ﷺ) الذي فخروا بفخره ، وعلوا من المجد إلى أعلى قدره ، ولم يكن أقرب إليه من أخيه ووصيه علي بن أبي طالب / ، وابنته فاطمة الزهراء ، وسببوية الحسن

/ ٣٩٢

(١) وقد بذل أحتكين جهده في مؤازرة حجة العراقيين أحمد حميد الدين الكرمانى ودعم حملته على الغلاة ، وأرسل إلى المدينة بأمر الإمام الحاكم بأمر الله يبحث عن كتب جعفر الصادق - جد الأئمة الفاطميين - في سنة ٤١٠ ؛ فوجدت في دار جعفر كتب فيها كثير من علم الأئمة .
النجوم الزاهرة ج٤ ص ٢٢٢ .

(٢) المؤذنين في ب .

والحسين ، والأئمة الطاهرين ، الذين اختارهم الله من ذرية رسوله ، وجعلهم هداة خلقه ، إلى نهج سبيله . وقد سئل عبد الله بن العباس من أولى القربى ؟ فقال : علي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ؛ فلم يدع ذلك عبد الله بن العباس مع فضله ، وعلمه ، وقربته ؛ وعترته الرجل رهط^(١) الأدنون . وهم يروون عن أبي بكر بن أبي قحافة أنه قال : نحن عتره رسول الله . ولعمري ، ما كان أبو بكر من قرابة الرسول (ﷺ) إلا أنه من قريش ، وذلك بعيد^(٢) إذا نسب ، وعلي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، أولى وأدنى من كل من صحب واقترب ، وقد قال الكميت :

بني هاشم رهط النبي محمد بهم ولهم أرض مراراً وأغضب

فدل على أنهم قرابته ، وقد ذكرنا من أولي القربى ، وما أتى عن ابن عباس في ذلك من البيان ، وقد أنكر كثير من العوام أن علياً خير البشر فلا تسلم ذلك في علي ، لأن البشر أنبياء ، وهو قول جهلوا^(٣) صوابه ، ولم يعلموا أسبابه ، وهو قول / مكابرة ، وحجة قائلة داحضة دائرة ، وقد اجتمع جميع المسلمين أن أمة محمد خير الأمم ، لقول الله تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾^(٤) وفي الأمم قبلهم^(٥) أنبياء مرسلون ، وأولياء مفضلون ، فإن قالوا ذلك على الاستعارة والتعظيم ، قلنا كما قالوا ، وخاب كل معتد أثيم ، وقد قال النبي (ﷺ) وعلى آله في صحيح الرواية عنه عن حذيفة بن اليمان وغيره : إني مخلف فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي ، كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق . وقال (ﷺ) : علي خير البشر ، من أبي ذلك فقد كفر . فكفى بهذا دليلاً لمن جعل سبيل الحق له سبيلاً ، والأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس .

(١) رهط : ربط في ب .

(٢) ذلك بعيد : ذبيل في ب .

(٣) جهلوا : توجهوا في ب .

(٤) سورة : ٣ / ١١٠ .

(٥) قبلهم : قبلهم في ب .

فقد جاء عن الأئمة ع . م بيانها ، وقد ذكرنا ذلك في هذا الكتاب ، وفي الرواية المسندة عن علي بن الحسين القاري في القصر المعمور بالقاهرة ، قال : كنت مع مولانا الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين ع . م بالقرافة ، عند مسجد يعرف بالقفاعي ، وهو قائم ع . م ، إذ سمع / صيحة عظيمة وجلبة ، فقال لبعض الركابية : إمض فأنظر ما هذه الصيحة^(١) والجلبة واخبرني بها ؟ فمضى الغلام ، وعاد ، فقال : يا مولانا ! هم أهل اطغيج ، وهم مفترقون فريقين . فقال ع . م : أحضرهم إلي . فمضى الغلام فأحضرهم ، فإذا فيهم أسود متعلق برجل ، وقد ضيق عليه ، فقال له مولانا ع . م : أطلق الرجل . فأطلقه ، فقال للأسود : من تكون ؟ فقال : أنا الخطيب بأطغيج . قال له : ومن الرجل^(٢) الآخر ؟ قال : هو الداعي . قال : فأني شيء جرى بينكم ؟ قال : يا مولانا أظهر في بلدنا ما لم نسمعه^(٣) قط ، قال : وما هو ؟ قال : أذن فقال في أذانه محمد وعلي خير البشر ، ولا يجوز أن يكون علي خير البشر ، لأن في البشر آدم ، ونوحا ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ولا يجوز أن يكون هو خير من هؤلاء الأنبياء أصحاب الشرائع . فقال مولانا ع . م : لعمري ان هذا ما هو في أصول الأذان ، وإنما أحدثه سعد الدولة بن حمدان ، ولكن سأبين لك أيها الشيخ أن علياً^(٤) خير البشر مع النبي ﷺ . هل قرأت أيها الشيخ من الحديث / شيئاً ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين كثيراً . فقال ع . م : هذا خبر أورده لك فان كان صحيحاً فصحيحه ، وإن كان باطلا فأبطله ، حتى أورد لك غيره . فقال : نعم يا مولانا . قال : حدثنا ابن خلاد شيحة بن سويد يرويه عن المأمون عن أبيه الرشيد ، عن أبيه المهدي ، عن أبيه المنصور ، عن عبد الله بن العباس ، قال : اجتمعنا في بعض الأيام عند رسول الله ﷺ وهو يحدثنا ويفقهنا^(٥) في ديننا إذ أتته ابنته فاطمة

/ ٣٩٤

/ ٣٩٥

(١) الصيحة : الصاححة في ب .

(٢) الرجل : سقطت في ب .

(٣) نسمعه : سماعه في ب .

(٤) علياً : علانا في ب .

(٥) ويفقهنا : ويفقه في ب .

الزهراء ، وعيناها تهملان بالدموع ، فوثب (ﷺ) وقال : يا بنية ما يبكيك ؟ قالت : يا أبتى فقدت ولديَّ الحسن والحسين ، وخشيت قلبي يتصدع لفقدتهما يا أبتاه ! قال : فرمق (ﷺ) إلى السماء بطرفه ، وترعزع ، ودعا^(١) إذ هبط عليه جبرائيل الأمين سلام الله عليه ، فقال : يا محمد ! لا ترم السلم ، يقربك السلم ، وهو يقول لك : ولدك الحسن والحسين مضيا إلى حضرة بني النجار، فلعبا^(٢) بها ، فغشيها النوم ، فبعثت اليها ملكاً من الملائكة شقيقاً رفيقاً ، فوطىء لهما جناحه الأيمن ، وغطاهما بالأيسر فأدركهما ، / وخذهما ؛ فمضى رسول الله ﷺ ، وأصحابه معه إلى حضيرة بني النجار ، فرأى الحسن والحسين ع . م ، نائمين ، والملك قاعد يحفظهما بأمر الله ع . ج ، فاحتملها على كتفيه ، فقال أبو بكر : دعني يا رسول الله أحمل عنك ! قال : ذرهما فنعم المطي مطيهما ، ونعم الراكبان هما ، وأبوهما خير منهما ، فحملها على عاتقه ، وجعل يسرع في المشي ليبشر فاطمة حتى وصل إلى المسجد ، فأصاب جماعة من الناس قد فزعوا لذلك فقال (ﷺ) : أيها الناس ! ألا أخبركم بخير الناس أبا وأما ، هما هذان الحسن والحسين ، أبوهما علي وصي أفضل الوصيين ، وأمهما فاطمة الزهراء إبتني أفضل نساء العالمين ؟ ألا أخبركم بخير الناس جداً وجدة ، هذان الحسن والحسين ، عمهما جعفر الطيار في الجنة ، وعمتها أم هانئ بنت أبي طالب ، ما أشركت بالله طرفة عين ؟ ألا أخبركم وجدتهما رسول الله ، وجدتهما^(٣) خديجة أول من آمن بالله وبرسوله ؟ ألا أخبركم بخير الناس خالاً وخالة ، / هذان الحسن والحسين ، خالهما القسم ابن رسول الله ، وخالتها زينب بنت رسول الله ؟ ثم قال : اللهم إنك تعلم أنها وأباهما وأمهما وجدتهما وجدتهما وخالهما وخالتهما ، وعمهما وعمتها ، وشيعتهما ومحبيهما ، في الجنة . أصبح هذا الحديث ؟ فقال : أي والله يا أمير المؤمنين ، وانه لمن عيون الأخبار . قال أمير المؤمنين : وفي هذا الحديث أن رسول الله (ﷺ)

(١) ودعا : وراعى في ب .

(٢) فلعبا : فلاعبا في ب .

(٣) جدتهما : جداها في ب .

قال في ملا^(١) من أصحابه ؛ ولداي هذان إماما حقاً قاما أو قعدا ، وأبوهما خير منهما . قال : نعم . قال : وقال : ولداي هذان سيدا شباب أهل الجنة . الخبر صحيح يا شيخ أم لا ؟ فقال : صحيح يا أمير المؤمنين . قال : أوليس في الخبر قول رسول الله (ﷺ) / أن أهل الجنة شباب لا يهرمون ؟ قال : نعم . قال : صحيح ذلك ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال له : يا شيخ ! ففي الجنة آدم ، ونوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، أم لا ؟ قال : بلى يا أمير المؤمنين . فقال : يا شيخ ! فإذا كان الحسن ، والحسين ، سيدا شباب أهل الجنة ، وأبوهما خير منهما . فقد ثبت أن علياً خير البشر مع النبي (ﷺ) . فقال الشيخ : عند ذلك آمنت ، وصدقت . ثم التفت مولانا الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين إلى الداعي ، فقال : أيها الشيخ ! أذن كيف شئت ، فلن يعارضك أحد . ثم قال : إذا دخلت مدينة أهلها عور ، فأردت السكنى معهم ، فغمض عينك الواحدة . وانصرف القوم ، وطلع مولانا أمير المؤمنين ع . م ، إلى القاهرة .

والحمد لله رب العالمين ، وكما غلبت الشيعة من خالفها أوان الإمام الحاكم بأمر الله ع . م ، أظهروا سب من تقدم على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، ومن خالفه ، وبيانه ، وحاربه ، وسموهم بأسمائهم ؛ حتى / كثر سب أبي بكر ، وعمر وعثمان ، وطلحة ، والزبير ، وغيرهم ؛ في ذلك الأوان ، وظهر من السر إلى الإعلان ، فجهر به على المنابر ، وتحدث به البادي والحاضر ، وعلق على المنابر ، والألواح ، وأبواب الحمامات ، وحيث يكون اجتماع الجماعات ، فأنكر ذلك الإمام الحاكم بأمر الله ع . م ، وأنشأ هذا المسطور ، وأمر بقراءته على البادين والحضور ، وأجرى كل أحد من الناس على مذهبه ، وأن يظهر ما في ضميره ، ويعلن به ، وكان سجله^(٢) .

(١) ملا : ملائك في ب .

(٢) يؤكد المقرئ أن هذا اللعن كان من رأي جماعة المصريين ، الذين كتبوه بالأصباغ في سائر المواضع على أبواب الحوانيت والبيوت وسائر المساجد ، وعلى المقابر أو حتى في الصحراء =

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله ووليه أبي علي الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين ، إلى كل حاضر وباد .

أما بعد : فإن أمير المؤمنين يتلو عليكم آية من كتاب الله المبين ، ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ . مضى أمس بما فيه ، وجاء اليوم بما يقتضيه الصلاح والإصلاح بين الناس أصلح ، والفساد والإفساد بينهم مستقبح ؛ إلا من شهد الشهادتين أحق أن / ٤٠٠ / لا تنفك له عروة ، ولا توهن له قوة . بحي على خير العمل يؤذن المؤذنون ولا يؤذنون ، ويخمس الخمسون^(١) ، ويربع المربعون في الصلاة على الجنائز ، ولا يعترض أهل الروية فيما هم عليه صائمون ، ولا ينشتم السلف ، ولا يبغى الخالف على من قبله خلف ، تلك أمة قد خلت ، لها ما كسبت ، ولكم ما كسبتم ، ولا يسألون عما كانوا يعملون . معشر المؤمنين ، نحن الأئمة ، وأنتم الأمة ، عليكم أنفسكم ، لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ، إلى الله مرجعكم ، فينبئكم بما كنتم تعملون .

والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على رسوله سيدنا محمد وآله الأكرمين .

وقوله : لا يسب السلف . كقول بعض آبائه الأئمة ع . م ، في وصيته لشيعته : لا تكونوا سبائين ، ولا عيابين ؛ وكقولهم : حدثوا الناس بما يعرفون ، ودعوا ما ينكرون .

= مبالغة . والواقع أن الحاكم لم يكن مسؤولاً عن لعن السلف وسبهم في عهده ، وعلى العكس كان يأمر بمحوه ، ويؤدب بالعقاب من يسبهم إلى حد قتله . وينقل عن الحاكم قوله : لا يسب السلف لقول بعض آبائه الأئمة - في وصيته لشيعته - ولا تكونوا سبائين ولا عيابين . وهذا السجل الذي أصدره الحاكم ، ليقرا في كل مكان على جميع الناس ، في رمضان ٣٩٨ هـ ، يظهر فيه منع الحاكم سب السلف . خطط جـ ٤ ص ٨٩ - ٧٠ ؛ ١٦٠ ، ١٨٥ .

(١) الخمسون : الخمسون في ب

٤٠١ / وكان يتصدق / على الفقراء والمساكين ، ويغدق عليهم الأموال ، ويعطيهم من يده بلا حاجب ، ولا حاجة^(١) لهم إلى ذل السؤال ، وكل من هاجر إلى الحضرة الطاهرة قوبل بالقبول ، وأعطى فوق الأمل والسؤال ، حتى كثر المهاجرون ، وأمّ إلى أبواب ولي الله الطالبون ، فرجع الناظر بالديار المصرية إليه ع . م ، كتاباً يقول فيه : إن لم يغلق باب القبول عمن هاجر إلى الدعوة النبوية ، لم يبق أحد في مشارق الأرض ومغارها ، إلاّ وهاجر إليها ، وكان ما يدفع إليهم يستغرق فضول الإرتفاع ، فوقع الإمام الحاكم بأمر الله ع . م على رقعته^(٢) :

الغربة مذلة الأعناق ، والفاقة مرة المذاق ، والمادة من الله الرزاق ، فأجرهم على عوائدهم في الإنفاق ، ما عندكم ينفد ، وما عند الله باق .

٤٠٢ / فلم يقطع ع . م تلك العادة ، ولا اصدار بغير النجح والربح قصادة ، وكان من عادته ع . م أن يقعد في طاقة / من طاقات قصره على ربع الليل يفرق الصدقات على السائلين ، وكانوا يعرفون ذلك الوقت فيجتمعون فيه ، وكان ذلك دأبه ، وتلك آدابه وكرمه ع . م ، مذكور ؛ وهو بالشجاعة معروف مشهور ، فإنه كان يسير وحده في القرى والفلوات ، وربما لقيه بعض المعاندين ، واجتمعوا له راصدين ، فحين يعاينوه تملأ الهيبة قلوبهم ، وصدورهم ؛ ويبطل خوفه أمورهم ، فكان يقتل كثيراً منهم بحسامه ، ويأمر بعضهم بقتل بعض ، فلا يقدر على التخلف عن أحكامه .

(١) حاجة : حوج في ب

(٢) لم يكن الحاكم مثل ملوك زمنه يعمل على إمتلاء خزائنه ، بل كان يفرقها على الفقراء والمساكين ، والإنعام بها على كل من يطلبها باستحقاق . فكان في خروجه اليومي يحمل في كفه شيئاً من المال يفرقه ، كما كان من عادته أن يجلس في شبك « طاق » من شبابيك القصر في وقت محدد ليفرق الصدقات ، فيأتيه الفقراء الذين يعرفون وقت جلوسه ؛ وكان ذلك دأبه ، وتلك آدابه . ولم يكتف بتوزيع المال ، وإنما وزع الكساء بكثرة ، فظهر في عهده ما عرف : بطراز العامة ، وطقى على طراز الخاص . ويشهد له المؤرخون بأن يده لم تمتد إلى أخذ مال أحد إطلاقاً .

وأمر ع. م أبا الحسن علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الأعلى بن يونس الشامي المصري الحاكمي ، فعمل زيجاً في الحساب ، وفي علم النجوم ؛ أصل فيه الحاكم بأمر الله ع. م أصوله ، وكان إلى ما أشكل عليه دليله ، وكان هذا الزيج المصنف أفضل زيج عمل ، وخبره في ذلك العلم ، وزاد على الزيج الحاكمي في استخراج التقاويم ، المأمون العباسي / ، فأكثر العلماء من المنجمين يجعلون عمدتهم^(١) على الزيج الحاكمي في استخراج التقاويم ، والنوهرات ، ومعرفة الكسوف والحادثات ؛ ومن الإمام ع. م استنباط علمه ، وهو الذي دل على ابن عبد الرحمن بن يونس الحاسب على ما غاب عن فهمه ؛ وكل علم يوجد فعنهم ع. م أخذ مبتدأه ، ومنهم من أداه .

وقد ذكر أن أصل الأعراب ما أصله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لأبي الأسود الدؤلي حين اختلط^(٢) العرب والعجم ، وكثر الخطأ في المشكل والكلام ؛ وكذلك روى القاضي النعمان بن محمد في كتاب الحروف أن الخليل بن أحمد كان في أيام الإمام الصادق جعفر بن محمد ع. م ، وأنه الذي أمره أن يصنع^(٣) علم العروض في أوزان الشعر ، والكلام ؛ وأصل له فيه الأصول ، وأراه الأعلام ، فعنهم أصل العلم وفرعه ، ومنهم أخذه وجمعه ؛ وعلم النجوم فهو من العلوم النافعة لمن أراد النظر في الحساب ، والمواقيت^(٤) في الليل والنهار ، والتفكر في عجائب^(٥) خلق الله ع. ج والإعتبار ، / ليعلم ما لله جل وعلا من عظيم القدرة ، وما في ذلك من توحيده^(٦) جل جلاله ، وكان ذلك له من العبرة ، وليس

(١) عمدتهم : عرادتهم في ب

(٢) اختلط : اختط في ب

(٣) يصنع : يصانع في ج

(٤) والمواقيت : الأوقات في ب

(٥) عجائب : عجيب في ب

(٦) توحيده : وحده في ب

هو كل علم الأئمة ع. م ، بل علمهم علم الآخرة ، وقدرة الله تعالى ، وما في شرائع الأنبياء ، وأسرار الحكماء ، وتوحيد الخالق جل وعلا ، لا كما يظن من الخلائق الأغمار أن علم النجوم هو كل علمهم ، ومنتهى فهمهم ، إن ذلك لضلال مبين ؛ وإنما علمهم من علم أنبياء الله المرسلين .

فقد أتى عن القاضي النعمان بن محمد (رضي) قال^(١) : ذكر الإمام المعز لدين الله ع. م [وأنا بين يديه]^(٢) يوماً التنجيم والمنجمين ، فقال : من نظر في علم النجامة^(٣) ليعلم عدة السنين والحساب ، ومواقيت الليل والنهار ، وليعتبر بذلك عظيم قدرة الله جل ذكره ، وما في ذلك من الدلائل^(٤) على توحيد جل ذكره ، ولا شريك له ، فقد أحسن وأصاب ، ومن تعاطى بذلك علم [غيب الله]^(٥) والقضاء بما يكون ، فقد أساء وأخطأ .

ولقد كان المنصور بالله ع. م ، من أعلم الناس بها ، ولقد قال لي غير مرة : / ٤٠٥ / والله ما نظرت فيها إلا طلباً لعلم توحيد الله / سبحانه ، وتأثير قدرته ، وعجائب خلقه ، ولقد عاينت ما عاينت من الحروب وغيرها ، فما عملت بشيء - والحمد لله رب العالمين - من ذلك [باختيار من دلائل]^(٦) النجوم ولا التفت إليه . ثم قال ع. م : أتاني بعض المنجمين بكتاب ألفه يذكر فيه خلق آدم وكيف كانت الكواكب يوم خلقه الله تعالى ، وما دلت عليه مما [آل أمره]^(٧) وأمر ذريته إليه ، ورأى أنه قد أتى في ذلك بفائدة ، وعلم سبق إليه ؛ فلما وقفت على كتابه ، سألته فقلت : هذا خلق آدم قد ذكرته ، وكيف كانت الكواكب يوم خلقه الله تعالى ، وما دلت عليه؟ فيما زعمت فهل كان قبل آدم شيء؟ قال : نعم ، قد كان قبله ؛ قلت :

(١) المجالس والمسائرات جـ ٢ ص ٣٠٢-٣٠٣

(٢) وأنا بين يديه : سقطت في ب

(٣) النجامة : النجوم في ب

(٤) الدلائل : الدليل في ب

(٥) غيب الله : الغيب في ب

(٦) باختيار من دلائل : في اختيار من علم في ب

(٧) آل أمره : سقطت في ب

فما كان قبله ، وما كان ، وكيف كانت هذه الكواكب قبل ذلك ، وما دلت عليه ، قبل خلق آدم؟ فلم يجر جواباً ، وقال : هذا شيء ما ظننت أنني أسأل عنه . قلت : وهذا الذي تكلفته^(١) وجئت به ما سألت عنه [أيضاً فكيف تكلفته]^(٢) فعجبت من قوم يتبهون بما لا يعلمون ، ويتعاطون ما لا يدركون ، وحسبهم لو أخذوا عن أولياء الله ما / يعطوهم إياه ، ويسألوهم عما ينبغي لهم أن يسألوهم عنه ، ولم يتكلفوا ما لم يتعبدوا به ، ولا كلفوه ، ولا سألوا عنه .

وروى القاضي النعمان قال^(٣) : وأقحط المطر أو ان الحرت ووقت الحاجة إليه ، وكان المنجمون قد ذكروا أنها تكون سنة جذب وقحط ، فما [كانوا بأوشك]^(٤) من أن أتى الله ع . ج ، من الغيث والمطر والسقيا ، بما لم يروا عن بعيد مثله ، ودام أياماً ، حتى خاف الناس من أجله ، وحضرت مجلس المعز ع . م ، في وقت ذلك ، فذكر عنده قول أصحاب النجوم ، وما قالوه . فقال ع . م : ما كان هذا الغيث إلا تصديقاً لقول رسول الله (ﷺ) في الخبر المأثور عنه لما أمطروا بالمدينة فجعل بعض الناس يقولون : أمطرنا بنجم كذا . وقال قوم : أمطرنا بفضل الله ورحمته ، فقال رسول الله (ﷺ) : أصبح الناس اليوم رجلين : رجل مؤمن [بالله كافر بالكواكب ، ورجل مؤمن]^(٥) بالكواكب كافر بالله . ثم قال المعز ع . م : لقد أجمعوا كلهم على ما أجمعوا عليه من القحط والغلاء ، فجاء / الله ع . ج ، بخلاف ما أجمعوا عليه ، وما كان إجماعهم غلطاً على ما قاله أصحاب النجوم ، بل كل قوهم وما جاء من المتقدمين منهم ، دل على ما قالوه ، وما تكلموا به ، إلا على ما قاله الأوائل ، وما هو في الكتب بلا اختلاف بينهم فيه . ولكن جاء الله جل اسمه بخلاف قوهم تصديقاً لرسوله (ﷺ) وعلى آله ، وتكذيباً لمن ادعى علم

(١) تكلفته : كلفته في ب

(٢) أيضاً فكيف تكلفته : سقطت في ب

(٣) المجالس والمسائرات : ج ٢ ص ٣٠٢ - ٣٠٣ .

(٤) كانوا بأوشك : فما كان أوشك في ب

(٥) بالله كافر بالكواكب ، ورجل مؤمن : سقطت في ب

غيبه الذي لم يطلع عليه إلا من ارتضى من رسله ، وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ع . في كلام ذكر عنه : أيها الناس ! إياكم وتعلم النجوم ، إلا ما يهتدي به في البر والبحر ، فإنها تدعو إلى الكهانة ، والمنجم كالكاهن ، والكاهن كالساحر ، والساحر كالكافر ، والكافر في النار .

فقد أمروا بتعلم علم النجوم للاهتداء بها في البر والبحر ، لمعرفة علم الحساب والسنين والأوقات ، وأصل ذلك كله للنظر^(١) في خلق الله تعالى ، وعظيم قدرته ، والإستدلال / على توحيده ، لا على الإعتقاد أن ذلك دين يدان به ، أو أن للكواكب فعل بغير أمر الله سبحانه ، وقضائه وقدره ، وأن بمعرفة ذلك يكون له شريكاً في عينه ، فذلك كما قالوه سلام الله عليهم ، كفر وضلال ، وإفك ومحال ، وإنما حضوا على علمه بمعرفة حساب الأيام ، والسنين والدلائل^(٢) على عجائب خلق الله .

نرجع إلى ما كنا فيه قال حيدرة بن محمد بن ابراهيم صاحب السيرة الكتامية : وكان علي بن عبد الرحمن بن يونس صاحب الزيج الحاكمي ، وراصده وحاسبه على الإسناد عن النبي (ﷺ) ، عالماً بالفلسفة ، والهندسة ، وعلم المنطق ، وعلم الهيئة ، وكان له شعر حسن ، وقد ذكره ابن خلكان في تاريخه ، وذكر علمه ، قال : وكان مع علمه كثير البله^(٣) والتخلف ، فمن ذلك أنه كان يدخل إلى حضرة الحاكم بأمر الله ويقف عنده ، ونعله^(٤) معلق في يده ، فيبتسم الحاكم بأمر الله إذا نظر إليه . وقال حيدرة بن محمد بن ابراهيم / : ومن أخباره أنه ابتاع^(٥) داراً بالقرايين بمسجد عبد الله ، وجعل عليها لوحاً^(٦) منقوشاً ،

(١) للنظر : فنظر في ب

(٢) الدلائل : سقطت في ب

(٣) البله : الأبله في ب

(٤) ونعله : وفعله في ج

(٥) إبتاع : باع في ب

(٦) لوحاً : سقطت في ب

وأذهب نقشه فيه^(١): هذه الدار بجميع حقوقها إلى آخر ما يكتب في ألواح الدور ،
لعلي بن عبد الرحمن بن يونس بن عبد الأعلى الحاسب ، مولى ترف المولدة
المغربية ، والدار من فضل الله ، وفضل العزيز بالله ع. م ، وجزيل عطائه .

وبلغ ذلك العزيز بالله ع. م ، وذلك على عهده ، فركب فيمن يختص به في
خفية وعبر^(٢) ظهراً وقرأ اللوح واستظرفه ، فلما حضر مائدته في غد ، وانقضى^(٣)
الطعام ، قال له أمير المؤمنين ع. م العزيز بالله : يا أبا الحسن ! أنازعك أحد في
جاريتك ترف ؟ قال^(٤) : لا والله يا أمير المؤمنين . قال : ففي الدار ؟ قال لا .
قال : فبحياتي عليك إقلع اللوح عنها ، واعفنا من كونه . ففعل ذلك .

ومن شعر علي بن عبد الرحمن الحاسب المقري المذكور^(٥) قوله :

أأفقد هبات النسيم بسحره وأهجر إخواني فأسكن ملحدًا
فيا ليتني من قبل كوني لم أكن ويا ليتني إذ كنت كنت مخلدًا / ٤١٠

وأنشد أيضاً له :

ومن أعجب الدنيا سلامة ظالم وعزة ذي بخل وذلّ كريم
ومن كان في عزّ فصار لذلةً فقد ذاق في الدنيا عذاب جحيم
ومن أعظم البلوى كريمٌ أصابه قضاءً فأصبح تحت حكمٍ لثيم

(١) وفي سنة ٤٠٤ هـ نهى الحاكم أن يسترشد الناس بالنجوم ، وأن يباشروا علم الفلك ، وأمر
بنفي جميع المنجمين عن البلاد ! فاستغاثوا بقاضي القضاة مالك بن سعيد الفارضي ، وتابوا
على يديه ، لأن الحاكم عد ذلك جريمة ، وبذلك ألغيت عقوبة النفي . أبو المحاسن :
النجوم الزاهرة جـ ٤ ص ١٧٩ .

(٢) وعبر : وعبرة في ب

(٣) وانقضى : وقضاة في ب

(٤) قال : سقطت في ب

(٥) المذكور : الذكر في ب

وقال متغزلاً :

غنت وأخفت صوتها في عودها فكأنما الصوتان صوت العود
غيداءُ يأمرُ عودُها فيطيعها أبداً فيتبعها أتباعٌ ودودٌ
أندى من النوارِ صُبحاً صوتُها وأرقُّ من نشرِ الثنى المعهود
فكأنما الصوتين حين تمازجا ماء الغمامة وابنة العنقود

وله في مثل ذلك :

يجري النسيم على غلالة خده وأرقّ منه ما يمرُّ عليه
ناولته المرأة ينظرُ وجههُ فعكستُ فتنةً ناظره إليه

قال حيدرة صاحب السيرة الكتامية الحميرية : وله ديوان كبير يشتمل على ستة آلاف بيت ، فمع هذا من شعره مع فضله ، وسمو ذكره يكون ذلك اللوح المكتوب على داره بفرضه واختياره ، وإنما أوردنا ما أوردناه ، لذكر فضل الإمام الحاكم بأمر الله ع . م ، وإنشاء الزيج الحاكمي بأمره ، واستمداد مؤلفه من فيض بحره . / ٤١١

ومن سجلات أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله ع . م ما كتبه إلى هرون بن محمد^(١) الداعي باليمن رحمة الله عليه ورضوانه^(٢) .

(١) هو الداعي هارون بن محمد بن رحيم تولى الدعوة في اليمن في عهد العزيز ، وبعد موته خلفه داعية آخر اسمه يوسف بن أحمد بن الأشج ، ثم خلفه سليمان بن عبيد الله بن عامر الزواحي ، وعلى يده قويت الدعوة الإسماعيلية في اليمن ، مما مهد إلى دعوته الدولة الإسماعيلية في اليمن من جديد في المستنصر بن الظاهر .
(٢) ونشره حسين همداني نقلاً عن عيون الأخبار في كتابه : الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص ٣٠١ ملحق رقم ١ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين .

من عبد الله ووليه الإمام ، المنصور بالله أبي علي ، الحاكم [بأمر الله]^(١)
أمير المؤمنين ، إلى هرون بن محمد .

سلام الله عليك ، فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ،
ويسأله أن يصلي على جده محمد^(٢) خاتم النبيين ، وسيد المرسلين ، (ﷺ) وسلم
تسليماً .

أما بعد : فالحمد لله الذي نعمه لا تحصى على من أطاع وعصى ، فذو
الطاعة لما به من نعمة يملاً ، وذو^(٣) المعصية إلى أمدّها له يملاً يستفيد هذا بشكره
[رحمة ورضواناً]^(٤) ، كما يستزيد ذلك بكفره إثماً وعدواناً ، وكل سوف يؤتى
كتابه ، ثم لا شك يوفي حسابه . فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً
سيراً ، وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثوراً ، ويصلي سعيراً .

وإن الذي كتبت به يا هرون بن محمد عنك وعن المؤمنين بأرض / ٤١٢
اليمن ، على يد المعروف بأبي الخير بن محمد بن يوسف ، بتاريخ يوم الإثنين لثماني
ليال خلون من شهر^(٥) شوال سنة تسعين وثلاثمائة ، قد وصل . فأما ما شرحت من
خبر من طلب ما لم يكتب له ويقسم ، فأمره لا بد أن ينقم^(٦) ، وذكره بعار له سوف
يرسم .

(١) بأمر الله : سقطت في ب

(٢) محمد : سقطت في ب

(٣) وذو : وذا في ب

(٤) رحمة ورضواناً : رحمة في ب

(٥) شهر : سقطت في ب

(٦) ينقم : ينقسم في ب

وأما ما ذكرت إنفاذه على يد رسولك من قرابين المؤمنين ؛ فهو من الذهب وزن تسعين درهماً ومن الورق ألفا درهم . فالله يتقبل لمن عمل ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن ، فلا كفران لسعيه ، وإننا له كاتبون . وعليك أن تسلك بالمستجيبين الواجب ، وتتجنب بهم كل طريق مجانب ، لكتاب الله وسنة رسوله جدنا محمد ، والمأخوذ عن آبائنا الأئمة المهديين [صلوات الله على النبي]^(١) وعلى وصيه وعليهم أجمعين ، والمسموع من أفواه المحققين^(٢) ، لا المأخوذ عن ألسن المتخرصين^(٣) ، وليكن فتواك للمستفيدين في الحلال والحرام ، من كتاب الدعائم ، دون سواه من الكتب المفتعلة .

وأما ما سألت إنفاذه إليك من الدواء المبارك ، فسيأتيك منه ما يجب في وقته على [يد من يوثق بتأديته]^(٤) وأمانته . وقد كتب إلى الحضرة [مظفر بن زياد كتاباً ذكر حامله أنه ضاع منه في طريقه ، وسئل عما تضمنه ، فحكى أن الذي يحفظه منه استدعاء من يأخذ عليه من الحضرة]^(٥) فأجيب إلى الرجوع / إليك في هذا / ٤١٣ إذ كنت منه قريباً ، ولما هذه سبيله منصوباً . فاعرف ذلك ، واطلع ما عند مظفر وفقه الله ، وطلع الحضرة إن شاء^(٦) الله ، والسلام عليك ورحمة الله .

وكتب لعشر ليال خلون من ذي القعدة من سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة .
والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين ، وسلم عليهم أجمعين .

وكانت أيام الإمام الحاكم بأمر الله ع . م طاهرة ، ومعجزاته باهرة ، أظهر فيها

(١) صلوات الله على النبي : سقطت في ب

(٢) المحققين : المحققين في ب

(٣) المتخرصين : المتخرصين في ب

(٤) يد من يوثق بتأديته : يد مريوش بتأديته في ب

(٥) مظفر بن زياد كتاباً ذكر حامله أنه ضاع منه في طريقه ، وسئل عما تضمنه ؛ فحكى أن الذي

يحفظه منه استدعاء من يأخذ عليه من الحضرة : سقطت في ب

(٦) إن شاء : سقطت في ب

البيئات ، وأقام البراهين والآيات ، ما يكثُر ويبهَر ، ويشرق^(١) فيه نور الحق ويزهر ؛ وكانت دولته قاهرة للدول ، بالغاً فيها وليه الأمل ، خافقة فيها في الشرق والغرب الأعلام ، ظاهراً فيها عز الدين والإسلام .

ونصب ولده الإمام الظاهر لاعزاز دين الله ، وولاه عهده ، وجعله الخليفة القائم بأمر الله بعده ، وكتب بذلك إلى الجزائر ، والدعاة القائمين^(٢) بها ؛ ونشره في البادي والحاضر ليعلقوا من ولايته . ثم كانت غيبة الإمام الحاكم بأمر الله ع . م ليلة الإثنين ليلتين بقيتا من شهر شوال سنة إحدى عشرة وأربعمائة ، فإنه خرج / ٤١٤ / كما كان يخرج إلى البراري ، فلم يعلم أحد بأمره كيف كان ، ورفع الله إليه سلام الله عليه ، وصلواته ورضوانه ؛ وعمره ست وثلاثون عاماً ، وسبعة أشهر . وكانت ولايته ، وأيام خلافته ، خمساً وعشرين سنة ، وستة عشر يوماً . لأن مولده بقاهرة مصر آخر الليل من ليلة الخميس الثالث ، وقيل الرابع من شهر ربيع الأول سنة خمس وسبعين وثلاثمائة . فالحمد لله على ما قدر على الأنام ، من نزول الحمام ، وجعله حتماً على كل فاضل ومفضول جارياً ، وحكماً ماضياً على الخاص والعام ، وعلى محمد النبي ، ووصيه أمير المؤمنين علي ، وأهلها أفضل الصلاة والسلام ، حسبنا الله ، ونعم الوكيل^(٣) .

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين . الحمد لله الذي جعل دينه ظاهراً وباطناً ، وفضل أوليائه بارزاً

(١) ويشرق : وشارف في ب

(٢) القائمين : القادرين في ب

(٣) اختلفت الروايات حول غيبة الحاكم بأمر الله ، فيزعم البعض بأن أخته ست الملك هي التي دبرت قتله ، وهناك من يزعم أن من رافقه أثناء خروجه من القاهرة هما اللذان قتلاه . بينما يرى أتباعه الحاكم اختفى في سنة ٤١١ هـ أي غاب عن عيون الناس لكثرة الجهل والمفاسد ، وسيعود إذا زالت المفاسد المنتشرة في العالم . وقد كان اختفاء الحاكم ليلتين بقيتا من شوال سنة ٤١١ الثلاثاء ، وعمره يومئذ سبع وثلاثون سنة ، بعد أن أمضى خلافته خمساً وعشرين سنة ، وستة عشر يوماً .

وكامناً ، ودعوتهم من الضلال حراماً آمناً ، وصلى الله على محمد رسوله الفاتر من كان بدينه دائناً ، ومن أتباعه وأتباع وصيه كائناً ، وعلى وصيه الذي لم يزل لأهل الشرك والكفر ضارباً طاعناً ، علي بن / أبي طالب الخاسر من كان على أوليائه طاعناً ، وعلى الأئمة من ذريته الناجي من كان لهم موالياً ، والهاالك من كان لهم مبايناً ، الذي جعل الله في كل عصر منهم إماماً هادياً ، لمن اهتدى بهدائه بالثواب ضامناً ؛ وسلم عليهم أجمعين .

ذكر خلافة الإمام علي بن الحسين بن نزار الظاهر لاعزاز دين الله أمير المؤمنين ابن الحاكم بأمر الله بن العزيز بالله ونبين مما كان في أيامه عليه الصلاة والسلام وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين :

وقام الإمام علي الظاهر لاعزاز دين الله أمير المؤمنين^(١) ، ابن الإمام الحسن المنصور الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين ، بعد غيبة أبيه ، وعلى آبائهما ، والظاهرين من أعقابهما ، وكانت ولادته في عهد أبيه الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين ، بكرة الأربعاء لثلاث خلون من شهر رمضان سنة خمس وتسعين وثلاثمائة ، فكان على الفضل والطهارة منشؤه ، وكان الزهد والعبادة عادته وهجيره ، حتى أفضى إليه أبوه ع . م . بأمره ، وجعله ولي عهده الخالف له بعد انقضاء عمره ، فبويع بيعة الخاصة / ٤١٦ / يوم غيبة أبيه ع . م ، وقد اندمج من مكنون علمه على ما غاب عن الأنام ، ولم يطلع عليه إلا من اختصه الله من رسول ، أو وصي ، أو إمام . فكنتم أمر أبيه ع . م من غيبته في شهر شوال سنة إحدى عشر إلى شهر صفر من سنة إثني

(١) كانت ولادة أبو هاشم الظاهر في ليلة الأربعاء ، في اليوم العاشر من شهر رمضان سنة ٣٩٥ هـ ، وولي الخلافة بعد اختفاء أبيه بأيام ، وذلك في شهر شوال سنة ٤١١ هـ ، إذ كان الناس يرجون ظهوره ، ويتبعون آثاره ، إلى أن تحققوا عدمه ، فأقاموا ولده الظاهر في يوم النحر من السنة المذكورة ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٦٧ . وكان الظاهر حين ولي الخلافة في السادسة عشرة من عمره . وقد قامت عمته ست الملك بالوصاية عليه في الفترة الأولى من حكمه ، فأظهرت كفاية ممتازة في إدارة شؤون البلاد ، وبذلت العطاء للجنود ، وظلت تشرف على أعمال الدولة إلى أن توفيت في سنة ٤١٥ هـ .

عشرة . ثم أظهر أمر غيبته ، وما رفعه الله إليه من دار كرامته ، وبايعه أهل مملكته ، وجميع المتصلين به من أهل دعوته ، وعمره يومئذ سبع عشرة سنة ، وأشهر . وكان قد كتب إلى دعائه في الجزائر ، وإلى جميع أقطار ملكه الأكابر ، وأعلمهم بما اختار الله لوليه الحاكم بأمره ، وأمرهم بضبط ما لديهم من المملكة ، وحفظ كل منهم لثغره ؛ وأقام ع . م دعائم الإسلام ، وقام بدعوة الإيمان خير قيام ، وأنفذت بأمره القضايا والأحكام ، ونشرت بيمينه وسعد دولته الأعلام ، وأمات البدعة ورفض قائلها ، وأحيا السنة في جميع أقطار مملكته ونواحيها ، ثابتة في جميع الأعمال ، والناس بعز دولته آمنون ، وفي ظلها قائلون ، وأبوابه ودعائه لفضله / ٤١٧ / ناشرون ، وبلسان الدعوة إليه قائلون .

وخطب له ع . م ، أيام حياته في مصر ، وجميع أعمالها ، وفي الحرمين ، وفي القيروان ، وأعمال أفريقية ، وما ينسب إليها من البلدان ، والمهدية ، وبرقة ، وغيرها من أطراف الجزائر ، والأمصار ، ودعائه في الجزائر داعون إليه ، دالون^(١) عليه ؛ منهم من هو بدعوته مجاهر ، وفضله وعلمه شاهر ؛ حيث كانت أعلامه منشورة ، وأتاح الله ظهوره . وحيث التغلب في الستر والكتان ، كما يجري ذلك في جميع الأعصار والأزمان ، ولم يعانده ع . م معاند ، ولا ثار في أطراف مملكته حاسد ، ولا سفك^(٢) دم ، ولا حدث حادث ، ولا نجم ناجم ؛ بل كانت المملكة مشيدة ، والدعوة به راسخة موطدة ، والبلاد ساكنة ممهدة ، والأيام ضاحكة مستبشرة ، والأحكام في كل صقع منتشرة .

وكان الفرغاني حسن الأجدع ممن قال في وقت الحاكم بأمر الله ع . م بالغلو، وخرج عن دعوة أولياء الله بالكبر والعتو^(٣) ، وأمهل في أوان الحاكم بأمر الله ع . م أن يقطع بسيف نغمته عنقه ، / ويجري عليه من الأحكام ما أجراه على أمثاله / ٤١٨

(١) دالون : دلوا في ب

(٢) ولا سفك : ولا رد في ب

(٣) والعتو : والعتق في ب

من أهل الزندقة ، وإملاء له وإمهال ، لتقوم^(١) الحججة عليه ، ويجري في العتق والضلال إلى ما جرى إليه .

وكان الداعي الأجل حميد الدين أحمد بن عبد الله الكرمانى (قس) وهو حجة الإمام الحاكم بأمر الله ووليه ، القائم بنشر العلم بين الأنام ، قد قدم إلى المارق الفرغانى المواعظ ، وأقام عليه حجة الحق ؛ فعل المحامى عن الدين المحافظ ، وكتب بالرسالة الواعظة أيام الحاكم بأمر الله ع . م ، وكتبت هذه الرسالة عن الداعى حميد الدين سنة ثمانٍ وأربعمائة ، في فسطاط مصر ، وهي تتضمن الوعظ له ، والتذكير والتحذير أن يصير بما هو عليه من الغلو والعتو شر مصير ، وفيها أجوبة سؤال سأل عنه أراه فيه نهج^(٢) الحق والصواب ، وأبان له الصدق فيما أصدره إليه من الجواب ، فقال له في الرسالة الواعظة ، بعد حمد الله ، والشناء عليه ، والصلاة على نبيه ، محمد والطاهرين من آله ، سلام الله عليهم وصلاته .

أما بعد : فقد رفقتك وصلت أوضح الله لك منار الهدى ، / وعاد بك إلى الطريقة المثلى ، ووقفت على ما ضمنت من مسائلك التي تنطق عنك بالكفر والإرتداد ، وتشهد^(٣) عليك بفساد الإعتقاد ، فكانت في اختلال مبانيها ، وفساد معانيها ، على حالة لا يصدر مثلها ، إلا عن تمييز مختل ، واعتقاد^(٤) معتل ، فلم أر الإجابة عنها ، والنص على ما يتضمنه من الكفر منها ، إلا بلبين القول ، وحسن التلطف ، وسلوك طريقة الوعظة والتعطف ، إذ كانت المواعظ للأنفس العليلة دواء ، وبذلك أمر الله ع . ج سيد المرسلين ، وخاتم النبيين ، محمد (ﷺ) وعلى آله الطاهرين ، بقوله جل من قائل : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾^(٥) أي ادع من كان من أهل الحكمة ، ويؤمن بالحكمة ، ومن كان من

(١) لتقوم : لتقام في ب

(٢) نهج : منهاج في ب

(٣) وتشهد : وشاهد في ب

(٤) واعتقاد : وعقد في ب

(٥) سورة : ١٦ / ١٢٥

أهل الجهالة ، والضلالة بالموعظة الحسنة ، فقلت رجاء أن ينجع فيك فترعوي ، وعن الفتنة التي أنت فيها تشني ، وقلت لعل وعسى ، وتذكر وتحشى ، فتصبح بقبولها وقد جملك ظاهر الإسلام ، ونورك باطن الإيمان ، فما زادتك العظة / ٤٢٠ / إلا في غيك استمراراً ، ولا لين القول ، والتلطف بك إلا في ضلالك تمادياً واستكباراً ؛ فظللت تواصل برقاعك تارة ، وتراسل على لسان أتباعك أخرى ، تطلب أجوبة ما كتبتك ظناً منك أنه حق يتبع ، وأن الطريق إلى إبطاله ممتنع^(١) ، وأنا أعطيك ثانياً قبل تتبع ما كتبت ، وإظهار الكفر فيها أوردت .

وأورد الداعي أحمد بن عبد الله نصر الله وجهه مواعظ مذكرة ، وبينات في ما أوردته وأصدره ، وأتى بقوله من الكفریات ، وأجاب عنها بما يدحضها مما استفاده عن أولياء الله ، الأئمة الهداة ، حتى انتهى إلى قوله في الرد على ما صرح به من كفره ، وبيان إفكه ، وغلوه ونكره ، فقال (رضي)^(٢) : وأما قولك وقول أصحابك ان المعبود تعالى هو أمير المؤمنين سلام الله عليه ، فقول كفر تكاد السموات أن ينفطرن منه ، وتنشق الأرض ، وتخر الجبال هدا ؛ إن دعوا للإله المعبود^(٣) جل وتعالى غيراً ، وندأ فيا لجسارة على الله تعالى حين^(٤) جعلوا له سبحانه شريكاً ، ما أعظمها وجرأة على الله حين جعلوا المعبود / غيره تعالى ما أفضعها ، لقد قالوا قولاً عظيماً ، وافتروا إثماً مبيناً ، وأن ذلك إلا كفر محض^(٥) ؛ فما أمير المؤمنين إلا عبد لله خاضع ، وله طائع ، يسجد لوجهه الكريم ، ويعظمه غاية التعظيم ، وباسمه يستفتح^(٦) ، وعليه في أموره يتوكل ، وأمره إليه يفوض ، والله تعالى قد فضله على خلقه ، وجعله من جهة رسوله محمد (ﷺ) خليفة له في أرضه ،

(١) ممتنع : تمتع في ب

(٢) رضي : سقطت من ب .

(٣) المعبود : العود في ب

(٤) حين : حيناً في ب

(٥) محض : رفض في ب

(٦) يستفتح : يفتح في ب

ووسيلة لعباده إلى جنته ، وأوجب طاعته على عباده ، وهو سلام الله عليه ، يتبرأ
 إلى الله تعالى ممن يعتقد ذلك فيه ، وكيف يكون معبوداً وهو جسم ذو أبعاد^(١)
 مؤلفة ، ونفس ذات قوى مكلفة ، يأكل ويمشي وينام ، ويستيقظ وتطرى
 عليه الأحوال المتضادة ، من رضى وسخط ، وغم ومسرة ، وسقم وصحة ، كغيره
 من البشر ؛ وهو ع . م ينفي ما تنسبه^(٢) أنت وأصحابك إليه عن نفسه ، كلا إن
 المعبود ليس إلا الله سبحانه ، الإله الذي يسجد له أمير المؤمنين سلام الله عليه ،
 ويوحده^(٣) ويسبحه ، وعن النعوت والصفات يقده ، وله يسجد من مضى من
 النبيين / والأوصياء ، والأئمة وتابعيهم ؛ وإياه نعبد ، وله يسجد من يخرج / ٤٢٢
 إلى الكون منهم ، مادام عقل ، وفاض عدل ، الذي خلق السموات بأفلاكها ،
 والنجوم بأنوارها ، والأركان بطبائعها ، والمواليد على أجناسها ، لا تسجدوا
 للشمس ، ولا للقمر ، وأسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون . وأما
 قولك وقول أصحابك ان الشريعة^(٤) والتنزيل والتأويل خرافات ، وقشور
 وحشو ، لا يتعلق بها نجات ، وأنهم^(٥) لا يوجهون وجوههم إلى القبلة لأنها حائط ،
 ولا يسجدون إليها فهو شقاوة تدعو إلى حر النيران ، وكفر من عمل الشيطان ،
 وارتداد عن الإسلام ، وخروج من أهل الإيمان ، وكيف يكون التنزيل المستنير ،
 والتأويل المنير ، والشريعة الغراء التي هي أس العبادات ، وبها ينال الفوز
 والسعادة ، قشور وحشو ، ولا تطلب حكمة إلا كانت لها مجرا ، ولا يلتبس نور في
 معرفة إلا كانت في أفقها بديراً ؟ أم كيف تكون كذلك ، وهي سبب الخيرات^(٦)
 / ٤٢٣ / الجسمانية ، ومجمع السعادات النفاسنية ، ومنبع البركات القدسانية ،

(١) أبعاد : بعضه في ب

(٢) تنسبه : تساه في ب

(٣) ويوحده : يجده في ب

(٤) الشريعة : الشرعة في ب

(٥) وأنهم : وهم في ب

(٦) الخيرات : الخير في ب

وبها توطد مهد الأمن والإستقامة ، ومن جهتها^(١) فاض نور العدل والسلامة ،
 ويسببها عرف الآباء والأمهات ، وبشراؤها علم البنون^(٢) والبنات ، وبأحكامها
 استتب أمر العبادات ، وبسننها انحفظ الحريم ، وباستعمالها عز الكريم ، ولأجلها
 أنسدت أبواب الفتن ، وبركتها انظفت نيران الأحن ، وعليها ثياب العامل ، يوم
 تبيض وجوه وتسود وجوه ، كلا إن كتاب الفجار^(٣) لفي جحيم ، وأن قولك لقول
 سقيم ، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب^(٤) لنا من لدنك رحمة ، إنك أنت
 الوهاب ، ولولا اسبال أمير المؤمنين ستر الأمن على المؤمن ، والمنافق والمسلم ،
 والكافر حتى استوت الأقدام، فيه لكان الجواب عن ذلك التكيل بك؛ ثم قطع
 الوثين منك ، وتجريد^(٥) حد السيف عليك، لكن الأمر لله تعالى، ولوليه ع. م. ولا
 تحسبن الذين كفروا وإنما غمي لهم خيراً لأنفسهم ، إنما غمي / لهم ليزدادوا
 ٤٢٤ / إثماً ، ولهم عذاب مهين . ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه ، حتى يميز
 الخبيث من الطيب ، وما كان الله ليطلعكم على الغيب ، ولكن الله يجتبي من رسله
 من يشاء ، ما آمنوا بالله ورسله ، وأن تؤمنوا وتتقوا فلکم أجر عظيم ، وبعد فإني
 أنصحك ، ومن نكال الدنيا والآخرة أحذرك ، وإياك وهذه المقالات^(٦) الشنيعة ،
 فلا تعتبك إلا البعد من الله تعالى ، قبل أن يضيق بك عرصة الإمهال ، ويثمر لك
 ما أنت فيه من الضلال ، عالماً أن الدنيا وما فيها إلى انقضاء ، ودثور ، والإنسان
 من بينها إلى حشر^(٧) ونشور ، والويل لمن أفنى عمره في ما لا يرضي الله تعالى ولا
 وليه ، فيضل ويفسد ، وإذا قيل لهم : لا تفسدوا في الأرض . قالوا : إنما نحن

-
- (١) جهتها : وجهتها في ب
 (٢) البنون : البنان في ب
 (٣) الفجار : الفخار في ب
 (٤) وهب : ذهب في ب
 (٥) تجريد : تجديد في ب
 (٦) المقالات : القالات في ب
 (٧) حشر : حسر في ج

مصلحون . إلا أنهم هم المفسدون ، ولكن لا يشعرون . جعلنا الله وجماعة^(١)
المؤمنين التابعين للحق وأهله ، من الثابتين على عهده ، والقائمين بطاعته ،
ولوليه . / ٤٢٥ / وختم^(٢) لنا بالحسنى ، وحفظنا من مصارع الهوى ، / وحشرنا^(٣) مع
الأبرار المتقين ، في جوار^(٤) رب العالمين بمنه .

هذا من قول الداعي حميد الدين أحمد بن عبد الله (قدس) ، وقد أبلغ في
الإحتجاج ، ووعظ في الإستقامة على سواء المنهاج ، فلم يرتدع المارق الفرغاني
عن غلوه ، وتمادى^(٥) في بغيه وعتوه ، يظن ما كان من اعوجاجه هو المستقيم ،
ويحسب اعتقاده صحيحاً ، وهو العليل^(٦) السقيم ، ولم يزل في دعوة أولياء الله
يغير ويفسد ، ويدخل بالإضلال مع كل ملحد ، حتى كثر من اتبعه على كفره
العظيم ، وضلاله المورد لأمثاله ، وإشكاله في عذاب الجحيم ، من الغلو في
الأئمة ، والإعتقاد المخرج له ولاتباعه من النور إلى الظلمة ، فردع عن ذلك فما
ارتدع ، واستتيب فما تاب ، ولا أقلع ، ومضت وهو على ذلك الأيام ، حتى قضى
أمر الحاكم بأمر الله ع . م ، وأفضى الله بأمره إلى ولده الظاهر لإعزاز دين الله الإمام
ابن الإمام ، وما برح ع . م ، وفضلاء أوليائه يردعون / الفرغاني عن اعتقاده
الخبيث ، ويمنعون^(٧) في سوقه وأشياعه إلى الهدى السوق الخبيث ، وهم في
طغيانهم يزدادون ، ولقائدهم إلى الهدى لا ينقادون ، فحين كثر عتوهم ، وظهر
غلوهم ، وازدادوا إمعاناً في الفساد ، وضلوا وأضلوا عن سواء السبيل الرشاد ، أمر
أمير المؤمنين الظاهر لإعزاز دين الله ع . م ، بقتل حسن الفرغاني الأجدع ،

-
- (١) وجماعة : جراحة في ب
 - (٢) وختم : وحلم في ب
 - (٣) حشرنا : حشرنا في ب
 - (٤) جوار : سقطت في جـ
 - (٥) وتمادى : وأدى في ب
 - (٦) العليل : القليل في ب
 - (٧) ويمنعون : وينعون في ب

وأصحابه ؛ وصاروا بكفرهم^(١) ونكروهم إلى لعنة الله ، وأليم عذابه ، وطهر الله الأرض من رجسهم ، وأطلع سعد دولته المنورة بإخمد نجسهم ؛ ثم بسط أمير المؤمنين الظاهر لإعزاز دين الله لأولياته بساط الرحمة ، والرفقة .

وأقام القاضي قاسم بن عبد العزيز بن النعمان (رح) في القضاء والدعوة بباب الخلافة ، وأمره بإقامة الدعوة^(٢) والهداية ، وقراءة مجالس الحكمة ، ونشر علوم التأويل لأهل الولاية ، وأن يقيم من أوامر الدعوة العلوية الفاطمية ما / ٤٢٧ اندرس ، ويمحو^(٣) ما أثره / فيها أولو البغي ، ويبين ما انظمس .

وكتب سجلاً بذلك أنشأه إلى جميع أهل دعوته ، وأمر كل داع من دعائه ، أن يتلوه على من كان من المؤمنين في ناحيته ، وذكر فيه قتل الكفرة من أصحاب الأجدع بعد قتله ، وتتبعه في الأقطار ، وتلك سنة الله الجارية في مثله ، وهذا نصه وفصه^(٤) :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله ووليه علي بن الحسين الظاهر لإعزاز دين الله أمير المؤمنين ، ابن الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين ، إلى كافة أولياء الدولة^(٥) وجنودها ، وسائر أهل الملة من رعاياها وعبيدها ، سلام عليكم ، فإن أمير المؤمنين يحمده إليكم الله الذي لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصلي على جده محمد خاتم النبيين ، وسيد المرسلين ، وعلى آله الطاهرين الأئمة المهديين .

أما بعد : فالحمد لله الغامر طولوه ، القاهر^(٦) صوله ، الصادر عن الحكمة

(١) بكفرهم : كرههم في ب

(٢) الدعوة : الرعاة في ب

(٣) ويمحو : ويلحق في ب

(٤) وفصه : سقطت في ب

(٥) الدولة : الدالة في ب

(٦) القاهر : الناصر في ب

والمعرفة فعله وقوله ، الذي خلق الخلائق ابتداءً واقتداراً ، وكلفهم العمل بطاعته ابتلاءً واختباراً ، وانتجب منهم المرسلين ، وجعلهم شموساً للأمم ، وأقماراً ؛ وأنجب أئمة الحق المهديين ، / وصيرهم^(١) مصابيح في الظلمة وأنواراً ، موجد^(٢) الموجودات ، ومالك ملكوت الأرض والسماوات ، مقدر المقادير الجارية ، والمتعالى بعظمته عن أن تحيط^(٣) به حدود الصفات ، فما يجده لسان ، ولا تدركه عيان ، ولا يتصوره جنان ، ولا يجوزه مكان ، ولا يخفى عليه أسرار ولا إعلان ، ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو ، خالق كل شيء فاعبدوه ، وهو على كل شيء قدير ، والحمد لله الذي رضي لمن ارتضاه من عباده دين الإسلام ، وأيده بالأعوان والأعظام ، وأنار^(٤) بهديه سدف الظلام ، وابتعث نبيه محمداً سيد الأنام ، فأكمل بمبعثه الصنائع ، ونسخ بشريعته الشرائع ، وأطلع من مشكاة نوره النجوم الطوالع ، واختصه بالقرآن العزيز ، والذكر الحكيم الوجيز ، أوضح^(٥) المعجزات برهاناً ، وأكثرها آية وشاناً ، وأثبتها على تصرف الأزمان دليلاً وبياناً ، وأمره أن يهدي الجن والأنس ، ويزيل ببرهانه غمرة الشك واللبس ، فحين قام بحقه ، وبلغ ما أمر به عجز عن معارضته البشر ، وأنشدت مطالع^(٦) القول فيه على المبطلين / إلا من أطلقه الجهل والأشر. أنه فكر وقدر، فقتل كيف قدر ، ثم قتل كيف قدر ، ثم نظر ، ثم عبس^(٧) وبصر ، ثم أدبر واستكبر ، فقال : إن هذا إلا سحر يؤثر ، إن هذا إلا قول البشر ، دفعاً للحق^(٨) وتخرصاً ، والحق أغرأ بلج ماثور الأثر ، ولما وجبت^(٩) الحججة على الثقلين ، ووضح الصبح

(١) وصيرهم : وصارهم في جـ

(٢) موجد : واجد في بـ

(٣) تحيط : حاظ في بـ

(٤) وأنار : ونور في بـ

(٥) أوضح : ضوح في بـ

(٦) مطالع : مطلع في جـ

(٧) عبس : عاس في بـ

(٨) للحق : حقيقه في بـ

(٩) وجبت : جابت في بـ

لذي عينين ، نص بالخلافة على السابق^(١) إلى الإيمان ، والناطق بالحكمة والبيان ،
 والمعصوم من عبادة الأوثان ، والمخصوص بخير النسوان ، والمتوج بغرر^(٢)
 المناقب ، والمفرج لهم^(٣) النوائب ، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، الذي بأهل به
 سيد ولد آدم غواة ضلوا في عبد الله ورسوله عيسى بن مريم ، وقال له مستوزراً
 مستخلفاً ، أنت مني كهرون من موسى فاجتباها بالرفع على الصحابة والاثافة ،
 وخصه بمزية الإمامة والخلافة ، وأوجب بولايته الهداية ، وأعطاه بوحى من الله
 الراية ، وجعله المفزع والغاية ع. م ، وعلى الأئمة من ذريتهما الذين اصطفاهم على
 الخلق ، وأوضح بهم / مناهج الحق ؛ والحمد لله ولي المنايخ ، وميسر
 المناجح ، وموفق أمير المؤمنين للأفعال المشتملة على المنافع والمصالح ، صنعاً من
 الله ع. ج. جيلاً وسمياً ، وتأييداً هداه به صراطاً مستقيماً ، ذلك الفضل من الله ،
 وكفى بالله عليماً ؛ وأن أمير المؤمنين بموقعه من آيالة الأمة ، وموضعه من وراثة آبائه
 الهداة الأئمة ، الذي جمع^(٤) الله بهم الشتات ، وأحيا بعلمهم الموت ، ونور
 بحكمهم الظلمات ، وحل بحججهم الشبهات ، لا يالو حرصاً في ما حاط^(٥)
 الدين ورفع مناره ، وأعز جانب المؤمنين وحمى ذماره ، وعمر قلوب المؤمنين
 بالذكرى النافعة ، وشرح صدور^(٦) المستبصرين بالحكمة البارعة ، وأقام حجة
 الإيمان بكل مكان ، ونهج محجة الرضوان^(٧) لكل قاص ودان ، إعزازاً للدين الذي
 هدانا الله بأضوائه ، وشرفنا بسنائه ، ووطد بنا قواعد بنائه ، وانتجينا لتشييده
 وإعلائه ، نظر للعارفين الذين اهتدوا بهدينا ، وسلموا إلينا فسلموا ، ونالوا معالم
 الدين والدنيا / فظفروا ، وغنموا أولئك هم بررة العباد ، وعمدة سبيل

-
- (١) السابق : سبق في جـ
 (٢) بغرر : غرر في جـ
 (٣) لهم : وهم في ب
 (٤) جمع : جوع في ب
 (٥) ما حاط : أحاط في ب
 (٦) صدور : صور في جـ
 (٧) الرضوان : العوان في ب

الرشاد ، ونحن أولياؤهم في الحياة الدنيا، وفي الآخرة وهداتهم ، ولكل قوم هاد ، وإن للفترات أحكاماً معلومة ، وأقساماً من المصالح مفهومة يزيد الله بها المهتدين هدى واستبصاراً ، والمضلين ضلالاً وخساراً ، ولم تزل أئمة الحق يجرون أمر الحكمة في الإِطلاق والمنع ، والإِباحة ، والحصر على ما يوجب الصواب ، ويحتمله الألباب ، وتقضيه المصلحة في الأوقات ، وتستدعيه نوازع المطالب والرغبات ، وقد كان^(١) باب الحكمة مفتوحاً وكنز الرحمة ممنوحاً ، وشرع العلم للطالبيين مباحاً ، ومفتاح الرحمة مقبولاً^(٢) مباحاً ، وبحر الحكمة مسجوراً متاحاً إلى أن أمر مولانا الحاكم بأمر الله ع.م بإغلاق بابها لما رآه من المصلحة . بحكم مشاهدته الأمور ، وسياسة الجمهور ، وإذ كان للكلام في عصره حكم ينفرد بقضيته ، ويتوحد بمزيتة ، بذلك جرت أحكام أئمة الهدى على مر الزمان ، والله جل جلاله كل يوم هو في شأن .

وما / أفضى الله إلى أمير المؤمنين بخلافته ، وصير سعد العالمين في ضمن إيلائه ، وأعلا بسط قدرته وتمكينه ، وجعله^(٣) الظاهر لإعزاز دين الله كامل الحال في ذلك تأمل المؤيد حكمة المسدد عزمه ، الكاشف بهداية الله لغوامض الأشياء علمه ، فوضح له أن السبب فيه والداعي إليه ما كان اعتمده جهله ، مرقوا عن الدين وفسقوا^(٤) عن أمر الأئمة الراشدين ، من تحريف الكلم عن مواضعه ، وتأول ما يسمعون من العلم بغرائب الجهل وبدائعه ، إغراقاً في قول المحال ، واعتقاداً للكفر والضلال ، فحلاهم الله عن موارد شربهم ، وجزاهم ذلك بكفرهم وغيهم ، ورفع العلم تنزيهاً له عنهم لعظيم دينهم ، كما رفع التابوت عن كفر بني إسرائيل ، وفيه سكينه من ربهم ، لا جرم إنا تتبعناهم في الأقطار

(١) كان : سقطت في ب

(٢) مقبولاً : قبل في ب

(٣) وجعله : جاعله في جـ

(٤) وفسقوا : وفاقوا في ب

وبوأناهم مباء^(١) الخزي والصغار، ووضعنا في من ظفرنا به منهم سيف الحق الذي أمضى الله مضاربه، وجعل هؤلاء الكفرة ضرائبه، حتى أثمت حلائلهم، وخلت منهم منازلهم، واعتبر بمصائبهم المعتبرون؛ / فتلک^(٢) بيوتهم خاوية، بما ظلموا، إن في ذلك لآية لقوم يعلمون؛ قاتلهم الله من فسقة أصروا على الكفر ومرتعهم وخيم، فذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم.

ولما تجلت الغمرة، وتولت الفترة، ونكص الشيطان على عقبه مثيراً^(٣) مدحوراً، وأسلم حزبه إلى الهلكة، وتولى منهم خاسراً مدبراً، ولم يكن له فئة ينصرونه من دون الله، وما كان منتصراً؛ وأذن الله تعالى في زوال الفتنة المضلة وانقراضها، ورجوع عزائم الإرشاد إلى منازلها وأعراضها، عزم أمير المؤمنين على مداواة البصائر من عللها وأمراضها، وعمارة العلوم التي ترتع خواطر المحققين في رياضتها، فأمر داعي الدعاة ثقة الدولة، وأمير الأمراء قاسم بن عبد العزيز محمد ابن النعمان سلمه الله، ووفقه وأعانته، بفتح باب الحكمة لطالبيها، وقراءة المجالس في قصور الخلافة، بحيث جرت الرسوم المتقدمة في قراءتها فيها إذ كان ثقة أمير المؤمنين وأمينه، وداعيه الذي استوضح مذهبه الحميد ويقينه، ومواليه الذي استنصح / معتقده الرشيد ودينه، مع ما له من التمييز مما لسلفه في خدمة الدعوة الهادية من الخصائص الماثورة، والمآثر المذكورة، والسوابق المشكورة، فأرشد بهم سلفاً إئتمنهم أئمة الحق على سرائر الحكمة، وأنجز به خلفاً جرى على شاكلتهم في تأدية الأمانة بإخلاص الخدمة، وأوعز إليه أمير المؤمنين بالإقبال على المخلصين، والإشتغال على الأولياء المتخصصين، وتعريفهم^(٤) مكانهم من حنو أمير المؤمنين، وجميل رأيه القاضي لهم بجزيل الحظ في الدنيا والدين، وأن يدأب في شحذ خواطرهم، وإرهاق بصائرهم، والرفع من نظائرهم، وإذكار ناسيهم،

(١) مباء : مبوء في ب

(٢) فتلک : فذلك في ج

(٣) مثيراً : مثيراً في ب

(٤) تعريفهم : تحريفهم في ب

وتنبيه^(١) ساهيهم ، وإجابة داعيهم ، وإيجاب حق ديانتهم ، ومن يرضي مذهبه ،
ويزكي أدبه ، حتى ينتهي ذلك إلى ما رسم له ، وأمر به ، بمشيئة الله وعونه .

وهذه معشر المؤمنين رحمكم الله تعالى متجددة عليكم ، ومنه منساقة إليكم ،

/ ٤٣٥ / ولقد كنتم قبل اليوم بمثابة قوم كانوا على ضفتي / نهر عذب ، ماؤه سائغ

شرابه ، مريع جنباه ، تشربون منه النهل والعلل ، وتشفون^(٢) الأوصاب

والعلل ، فريد وعز وارده ، وامتحنوا بجزره بعد مدة ، فظلوا عطايفاً إلى

الورود ، وكابدوا مشقة^(٣) الظمأ إلى أجل معدود ، وأقاموا برهة من الدهر يغادون

شدة الأزل والمحل ، فلما كابدوا^(٤) مشقة الظمأ إلى أجل معدود ، وأقاموا يتسوا من

الغوث ، ويقنطوا من نزول الغيث ، نشأت سحائب الرحمة فبشرت بالخصب

والنعمة ، وأذنت بزوال الغمة ، وأسلبت جوداً من وابلها هاطلاً ، وأفاضت من

وجودها رياً شاملاً ، فعاد ذلك النهر إلى امتلائه ، وعادوا إلى استقاء مائه ، ورتعوا في

مرتع كلاته ، وابتهجوا بسوايغ فضل الله تعالى وجسيم عطائه ، فأنتم اليوم بمنزلة من

سقى من عطش شديد ، وأدنى من أمد بعيد ، وأعطى سوله من حد سعيد ،

فارتبطوا نعمة الله بشكره ، وازدلفوا إليه بمواصلة ذكره ، وانتبهوا في طاعة ولي

أمركم ، وإمام عصركم ، إلى حدود أمره ، / وأقبلوا على علوم الأئمة سلام الله / ٤٣٦

عليهم بقلوب سليمة ، وعقائد مستقيمة ، وصدور عامرة^(٥) بالتقوى ، وأذان واعية

للذكرى ، ونفوس مستعدة لما ينجيها في الدار الأخرى ، وتجنبوا مقاصد من حاد عن

الواجب وجنف ، وإياكم وإطلاق هجر القول في أحد ممن سلف ، تلك أمة قد

خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ، ولا تسألوا عما كانوا يعملون ، واعلموا ان

المؤمن الموقن^(٦) من أقبل على شأنه ، وأمن الناس من بوادر يده ولسانه ، وتبرى من

(١) تنبيه : سقطت في ج

(٢) تشفون تشفعون في ب

(٣) مشقة : شقة في ب

(٤) كابدوا : كادوا في ب

(٥) عامرة : عابرة في ب

(٦) الموقن : الواقف في ب

القبيح بجهد، وذكر القول الجميل في صدره وورده، ودفع بالتي هي أحسن، وقصد من الأمور ما هو أحمد ذكراً، وزين وتورع عن محارم الله تقدس اسمه، وزجر نفسه عن كل ما يورط أمره ويوبق إثمه، وهذه أقسام من نكب عن جوازها حار أين سلك، وأين عدل عنها إلى اضدادها ضل بل هلك، فليكن طلبكم العلم تديناً لا تعصباً، وتادباً لا توصلاً إلى التقرب^(١)، وتسبباً، فإن العلم إذا أخذ بحقه، وقصد مقصد الانتفاع في الدين به زكت ثمرته، وعمت منفعته، وتضاعفت مثوبته، وإذا استفيد لتناول الخطام والتكبر به / على العوام شملت مضرتة، وانعكست مصلحته، وهدمت فائدته، وكان علمه مبدياً جهله، وكان حجة عليه لا له، وأمير المؤمنين يحرم على كل منكم تحريف^(٢) ما سمعه من العلم والإقدام على تأويله من تلقاء نفسه، والرجوع في استنباطه وتفسيره إلى رأيه وجدسه، فإن فاعل ذلك مأثوم، والمعترض له مأثوم، محروم؛ ونستعين بالله ونهتدي بهداه، ونسأله أن يوقفنا^(٣) لما يجبه ويرضاه، ويقطع بأسيا فنادبر من اتخذ إلهه هواه، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، فاعلموا معاشر دولتنا، وجنود مملكتنا، وبساتر رغبتنا ما أعلمناكم في سجلنا هذا لتزيد في بصائرکم في اكتساب الحسنات، واجتناب السيئات، واعملوا بها يقربكم إلى الله ع. ج تنأه زلفى^(٤) ويجزل لكم برحمته الحظ الأجل الأوفى وما تفعلوا من خير يعلمه الله، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى، إن شاء الله.

وكتب لخمس خلون من شعبان سنة سبع عشرة وأربعمائة، وصلى الله على رسوله سيدنا محمد وآله الطاهرين، وسلم عليهم أجمعين، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

نفذ هذا / السجل إلى الأقطار، وقرىء على المنابر في الأمصار، / ٤٣٨

(١) التقرب: القرايب في ب

(٢) تحريف: تحويف في ب

(٣) يوقفنا: يرفقنا في ب

(٤) زلفى: زكا في ج

ونشر أمير المؤمنين الظاهر لاعزاز دين الله عدله ، وعرف كل من الناس فضله ، وقامت به قواعد الملة ، واستقامت الأمور على ساق ، وأخذ الله ناجم البغي والعدوان ، وانتظمت له الأحوال ، ونال به أهل دعوته الأمال^(١) ، وأكثر عليهم من الإنعام والأفضال ، ودانت^(٢) جهات المملكة ، ولم يعانده فيها معاند ، خوف الجزاء والهلكة ؛ وأيد الله به دينه ، وأظهر حججه وبراهينه ، وظهرت دعوته بشيراز ، وأرض فارس ، والأعواز ، على لسان داعيه هبة الله بن موسى المؤيد في الدين (قس) ، والدعوة هناك متقدمة على مر الأيام على عهد أئمة السمرع . م قبل الظهور ، وانفتحت واتسقت للظاهر لاعزاز دين الله الأمور ، وهابته ملوك بني العباس ، ومن تعلق بهم ، وخافوا أن يقضي الله بزوال ملكهم وعطبهم ، وفيه يقول الداعي المؤيد في الدين هبة الله بن موسى الشيرازي الفارسي نصر الله وجهه ، حيث يقول^(٣) :

٤٣٩ / قَدْ عَزَّ دِينَ اللَّهِ بِالظَّاهِرِ
نَجَلُ الْإِمَامِ الْحَاكِمِ الْمُجْتَبَى
شَمْسُ الضُّحَى [بَحْرُ النَّهْيِ وَالْحِجَا]^(٤)
أَشْرَقَتْ الْأَرْضُ بِأَنْوَارِهَا
وَأَبْرَزَتْ رَايَاتِ حَقِّ لَهَا
جَاءَتْ سَيُوفُ اللَّهِ مَسْلُولَةً
تُجْرَعُ الْأَعْدَاءُ مَا جَرَّعُوا
مَوْلَى الْأَنْامِ الْبَاطِنِ الظَّاهِرِ/
وابن الإمام الطَّيِّبِ الطَّاهِرِ
شَمْسٌ بَدَتْ^(٥) مِنْ قَمَرِ زَاهِرِ
وَأَصْبَحَتْ مَيْمُونَةَ الطَّائِرِ
يَنْقَادُ صَرْفُ الْفَلَكَ الدَّائِرِ
مِنْ غَرْبِهَا تَفْتِكُ بِالْغَايِرِ
عَشِيرَةَ الصَّادِقِ وَالْبَاقِرِ

(١) الأمال : سقطت في ب

(٢) ودانت : ورامت في ب

(٣) القصيدة الرابعة عشرة من ديوان المؤيد في الدين ص ٢٣٨ .

(٤) بحر النهى والحجا : بدر الدجى والندى في ب

(٥) بدت : سقطت في ب

قل لبني العباس أصبَحْتُم
 قد انقَضَتْ دَوْلَةٌ أَوْثَانِكُمْ
 أَيَسْتُمْ عُودَ الْهُدَى بَرْهَةً
 مَنَابِرُ الْإِسْلَامِ قَدْ عَطَلْتُمْ^(١)
 وَلَيْسَ يَعْلَمُهَا لَهُمْ خَاطِبٌ
 عَادَتْ إِلَى آلِ أَبِي طَالِبٍ
 مِنْ عَلِيٍّ مُسْتَضْعِفِي قَوْمِهِمْ
 وَأُورِثُوا الْأَرْضَ بِرِغْمِ الْعِدَى^(٢)
 قَدْ وَضَحَ الصُّبْحُ وَجَنَّ الدُّجَى
 يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ يَا خَيْرَ مَنْ
 مَنْ ذَا يُجَارِيكَ^(٣) وَضَوْءَ الضُّحَى
 أَمْ مَنْ يُيَاهِيكَ وَعِزَّ الْوَرَى
 عِزُّ سِنِيٍّ [مَنْ لَدُنَّ]^(٤) آدَمَ /
 مَا ضِيكُمُ أَشْرَفُ مِنْ قَدْ مَضَى
 يَا ظَاهِرًا وَجْهَ الْهُدَى^(٥) نَاصِرَ
 يَا غَيْثَ رَاجِيهِ وَيَا غَوْثَهُ
 يَا مَلْجَأَ الضُّعْفَا وَمُنْجَاهَهُمْ

/ ٤٤٠

ما لكم في الأرض [من ناصير]^(١)
 وأصبحت مقطوعة الدابر
 فعاد غصبا زهرة الناظر
 من سمة الطائع والقادر
 من فاجر ينمي إلى فاجر
 تستبدل^(٢) الغامر بالعامر
 وحق سوء المكرب بالماكر
 فما لهم في الناس من قاهر
 فهل لضوء الصبح من سائر^(٣)
 أنشئ من باد ومن حاضر
 مقتبس من نورك الزاهر^(٤)
 مكتسب من [نورك القاهر]^(٥)
 يتركه الأول للآخر
 كذلك الغابر في الغابر
 مستبشر من وجهه الناصر
 وجاره من دهره الجائر
 ويا مقبلا عشرة العائر

(١) من ناصر : بأنوار في ب

(٢) عطلت : طهرت في ب

(٣) تستبدل : بدل في ب

(٤) العدى : الهدى في ب

(٥) سائر : سائر في ب

(٦) يجاريك : يباريك في الديوان

(٧) الزاهر : الباهر في الديوان

(٨) نورك القاهر : عرك الوافر في الديوان

(٩) من لدن : من له دا في ب

(١٠) الهدى : التقى في ب

أنتَ الذي قد قمتَ من أحمدٍ
 سيِّك^(٢) عيشَ للموالي كما
 أنتَ الثُّرَيَّا والوَرَى كالثُّرَى
 علِّمكَ بَحْرٌ وعلُّومُ الوَرَى
 يا صفوةَ الأبرارِ يا خيرَ من
 يا بلدَ الله الأَمين الذي
 يا جابِرَ الحقِّ الذي كسَّروا
 وكاسراً باطلَ ما أبدعوا
 صلَّى عليكَ اللهُ سُبْحانَه
 وابنُ أبي عمرانِ إن كان في
 غيرَ مَلومٍ إنما مدْحكم

ويروى لأَمير المؤمنين الإمام الظاهر لا عزازدين الله ع. م ، في عيد الغدير ،

قوله :

عيد في يوم الغدير المسلم
 يا جاحدي الموضع^(٥) اليوم / ٤٤١
 ما لذوي الإسلام^(٦) عيد مثله
 وأنزل اللهُ تعالى جده
 اليوم أتممت^(٨) عليكم نعمتي

وأنكر العيد المرید المعجم
 وما جاء به المختار تباً / لكم
 فالمصطفى اختار به مولاكم
 اليوم أكملت^(٧) لكم دينكم
 فنحمد الله ومنه^(٩) النعم

(١) حقاً : حتماً في ب

(٢) سيِّك : سعيك في ب

(٣) قصوى : أقصى في ب

(٤) يسمع : سمع في ب

(٥) الموضع : الوضع في ب

(٦) الإسلام : السلام في ب

(٧) أكملت : أكلت في ب

(٨) أتممت : أترت في ب

(٩) ومنه : وله في ب

قد سمعوه ورأوا مكانه
أول ما خولفَ في أسامة
لو سير الجيش الأسامي لَمَا
ولا ثنى الأول عطفني بيعة
قا أقيلوني فما أقاله
مَهْدَهَا لنفسه في غيره
فأعرضوا عنه وصموا وعموا
يا أمةً تعجبُ منها الأممُ
بُويعَ إلا الهاشميُّ العلمُ
جذَاءَ ما فيها ليثيمٍ قَدَمُ
ثانيةً بل كلهم قد ظلموا
تالله ما يفعلُ هذا مسلمُ ا

وولد الإمام المعد المستنصر بالله ع . م بالقاهرة ، وكان والده الظاهر لا عزاز
دين الله ع . م ، يتوسم فيه الفضل على صغر سنه ، ولاحت^(١) فيه لوائح من فضل
الله الذي يؤتيه من يشاء بطوله ومنه ، فقلده الخلافة من بعده ، وجعله ولي عهده ،
ونصر عليه بالإمامة وتوجه^(٢) تاج الفضل والكرامة ، وكتب بذلك ، إلى دعائه
وولاته في جميع الجزائر ، وأشعر به في البادي والحاضر ، وجعل الأبواب ،
والحجج ، والدعاة حوله ؛ بعد أن عرفهم بشرفه وفضله ؛ ثم اختار^(٣) الله سبحانه
لوليه / الظاهر لا عزاز دين الله ما لديه ، ونقله^(٤) جل جلاله إليه ، وكانت
وفاته قدس الله روحه وصلى وسلم عليه ، وواصلنا ببركاته في شهر شعبان سنة سبع
وعشرين وأربعمائة ، وكان عمره ع . م يوم وفاته اثنتان وثلاثون سنة ، وولي الخلافة
وله سبع عشرة سنة ، وأقام في الخلافة والإمامة خمس عشر عاماً وجاءته الوفاة ،
عليه السلام ، والرضوان والصلاة ، وهو في بستان بقرب القاهرة يسمى عين
الشمس ، وحمل إلى القاهرة في محفة على ظهر بغلة^(٥) ، والجرجاني الوزير يساير
المحفة حتى دخل به قصر القاهرة قبل أن يشعر أحد بموته ، فأرسل الإمام المستنصر

/ ٤٤٢

(١) ولاحت : ولوحت في ب

(٢) وتوجه : وتوجه في ج

(٣) اختار : خيار في ب

(٤) ونقله : سقطت في ب

(٥) ظهر بغلة : ظهور بغلات في ب

بالله معد أبو تميم القاضي محمداً بن القاسم بن عبد العزيز بن محمد بن النعمان^(١) لخواصه ، وأبوابه ، ودعاته ؛ فحضروا الصلاة عليه بعد غسله ، ودفن بالقاهرة عند^(٢) آباءه ع . م ، وبركاته ورحمته عليهم أجمعين ، وعلى آبائهم وأبنائهم الطاهرين ، والحمد لله ولا إله إلا الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وعليه نتوكل ، وبه نستعين .

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الحميد الشكور ، مبدي الأشياء ، والذي إليه تصير الأمور ، / ناصر دينه بأوليائه الذين أتاح لهم الظهور ، الجاعل لأوليائهم العصمة عن الإصرار على المعاصي والظهور ، وصلى الله على رسوله الذي أنزل معه النور ، محمد الموحى عليه ، والطور وكتاب مسطور ، وفضله على من أنزل عليهم التوراة والإنجيل والزابور ، وعلى وصيه علي بن أبي طالب سيف الله المشهور ، وبحر حكيمته المسجور ، وبيت رحمته المغمور ، وحجته الدامغة^(٣) لكل جاحد وكفور ، وعلى الأطهار من ذريتهما الذين جعلهم الله شفعاء شيعتهم يوم ينفخ في الصور ، وافترض طاعتهم على البادين والحضور ، وجعلهم نجوم دينه التي تطلع وتغور ، وسلم عليهم أجمعين ، سلاماً يبقى بقاء الدهور .

ذكر نبذ من الأخبار مما كان في أوان الإمام أبي تميم معد المستنصر بالله أمير المؤمنين بن علي الظاهر لإعزاز دين الله ع . م ، وعلى الأئمة من أبنائهما الطاهرين ، وآبائهما الأكرمين :

مولد الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين بقاهرة مصر بكرة يوم الثلاثاء السادس عشر من شهر رمضان^(٤) المعظم ، سنة عشرين وأربعمائة ، وبويع له بالخلافة يوم

(١) النعمان : سقطت في جـ

(٢) عند : عن في ب

(٣) الدامغة : الدمغة في ب

(٤) ولد أبو تميم محمد بن الظاهر يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر جمادي الآخرة سنة =

٤٤٤ / نقله أبيه الإمام الظاهر لإعزاز دين الله / أمير المؤمنين ، في شهر شعبان سنة سبع وعشرين وأربعمائة ، وذلك أن الجرجرائي^(١) الوزير لما أدخل إليه أباه الظاهر لإعزاز دين الله ع . م ، كما ذكرناه بعد وفاته ، أمر صلى الله عليه الوزير علي بن أحمد الجرجرائي الملقب نجيب الدولة ، فأحضر الأمراء ، وأمرهم بالعودة في مجلس دون الستر ، والإمام المستنصر بالله ع . م قاعد على مرتبة الخلافة خلف الستر ، وهو يومئذ لسبع سنين من العمر ، وقد لبس قميصاً طول كفه إثني عشر ذراعاً ، قال الجرجرائي للأمراء : إن مولانا الظاهر لإعزاز دين الله شديد العلة ، وهو خلف الستر بحيث يسمعكم ويراكم ، وقد عقد عهده ، والخلافة بعده ، كما قد علمتم لولده ، المستنصر بالله فبايعوا له ، فحين عقدوا البيعة ، أمر نجيب الدولة الأستاذين فجردوا السيوف ، ثم قال : إن مولانا أمير المؤمنين الظاهر لإعزاز دين الله ، قد نقل إلى ما نقل إليه جده محمد رسول الله ، والإمام علي بن أبي طالب ، والأئمة من ذريتهما ع . م وسلامه ؛ ثم رفع الستر عن الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين ع . م فبايعوه مرة أخرى ، وقبلوا الأرض بين يديه ، ومدوا كفه فقبلوه ، وحدثهم ووعظهم ، ووعدهم بكل ما يرجونه ، ويأملونه ، وكان ع . م ممن أتاه الله الحكيم صبياً ، وورثه الله علم آبائه ، وجعله ولياً^(٢) .

ويروى أن ع . م أراد المعلم أن يمسك يده ويعلمه الكتابة ، فقال له : إرفع يدك يا معلم ، فإنها يد لا تعلوها يدا وكتب ع . م بأحسن خط ، ولم يتوف والده ع . م إلا وقد أتاه الله كمال الفضل ، وبرع في العلم ، حتى وقف دونه العلماء ،

= ٤٢٠ هـ . وبويع له بالخلافة في يوم الأحد النصف من شعبان سنة ٤٢٧ هـ ، وهو في السابعة من عمره ، وظل في الخلافة ستين سنة وأربعة أشهر . وكان أطول الخلفاء عهداً .
(١) يذكر ابن خلكان بأن الظاهر لم يتمتع بالخلافة مدة طويلة ، فقد مرض بالإستسقاء ، وتوفي ليلة الأحد منتصف شعبان سنة ٤٢٧ هـ . ولما علم وزيره الجرجرائي بذلك ، أخذ البيعة لابنه أبي تميم الذي تلقب المستنصر . وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٦٧ .
(٢) وقد أقر المستنصر علي بن الجرجرائي وزير أبيه في الوزارة ، وكان الحاكم قد أمر بقطع يديه من المرافق ، فاتخذ القضاعي كاتباً له . وظل الجرجرائي في الوزارة إلى أن توفي سنة ٤٣٦ هـ فخلفه أبو منصور صدقة بن يوسف الفلاحني .

في مقام ذوي التخلف والجهل ، وكان علمهم عند بحرہ بالشاد ، وتلك مخائل الأئمة من الأزل ؛ ان الأنبياء الذين جعلهم الله هداة العباد .

قال القاضي محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي : وهو الإمام الكريم ، الرؤوف الرحيم ، العادل الحكيم ، لم يرد قط سائلاً سائله ، ولا خيب أملاً أمله ، ولا قال لا ، في شيء سئل فيه ، حتى ان خادمين من خواص خدمه تواضعاً بينهما ألف دينار على أن هل قال لا قط، وسألاه ؟ فأشار بسيفه أن لا ولم يلفظ بها / ٤٤٦ لسانه ، ومن كرمه أنه ما أجاز أحداً جائزة ، / ومات وله ولد إلا ورثها إبنة ، [وأضاف جائزة ^(١) أبيه إلى جائزته ، وأن عظمت . ومن كرمه أن أحد وزرائه أراد التوفير على الخزانة ، فحط من أرزاق أهل الصلوات ، بعضها توفيراً من الوزير ؛ فلما انتهى العلم إليه ع . م ، أنكر ذلك إنكاراً شديداً وأعادها إلى أربابها ، وأضعفها لهم بأمثالها ، ومن رأفته ورحمته ، أنه ما بلغه علم مستوجب للقتل إلا فكه وفداه ^(٢) من ماله ، وأطلق سبيله من حباله ، وما يعرف من بره وطاعته لوالدته ، أنه لم يخرج لها قط عن رأي ، ولا خالف عليها في شيء ، ولم ينسب إليه ع . م شيء من سفك الدماء التي جرت في أيامه ، بل إلى الوسائط ؛ ولم يكشف أحد من المخالفين لمذهبه ^(٣) على ما ينحو ويذهب إليه ، ولا اعتراض على أحد في فطر ولا صوم ، ولا غير ذلك في الدين ؛ ومن عدله أنه لم يتمكن أحد من خدام دولته فرأى منه ما يوحشه ، ولم يرقط أكثر منه سباحاً ، ولا أدر منه عطاء ^(٤) لمن يستحق ، ومن لا يستحق ؛ لا يحمله تضاييق الأموال على ظلم أحد من الرعية ، / ولا يلجئه تقاصر الإرتفاعات ^(٥) على مخالفة نفسه عن ما ألفها من حسن السجية ، بل يأمر بالتشديد ، ويخاف سوء المعاملة .

(١) وأضاف جائزة : وأضيف جوائز في ب

(٢) وفداه : وأداه في ب

(٣) لمذهبه : ذهبه في ب

(٤) عطاء : عطى في ب

(٥) الارتفاعات : سقطت في ب

ولقد اضطرب الجنود إلى أمور أنفذ فيها ذخائر الملك ، وأخرج مخبآت الخزائن ، ولم يعلم أن أحداً أصيب^(١) في الفضة بدرهم واحد فما فوقه من قبله ، لا على سبيل فرض ولا غيره ، ولا صودر أحد في دولته ، ولا تعرض لمراث ميت في أيام ولايته مع الشدائد التي جرت ، والخلاف الذي وقع ، وهو لم يؤخذ أحداً بجرم ، ولا أقدم على سفك دم ، بل يرجع في كل الأمور إلى الأخلاق لنبوته ، والعواطف الإمامية ، ويأخذ فيه بقول الله تعالى : ﴿ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾^(٢) فهذا قول الله تعالى عليه ، إذا انتهينا إليه .

وقال الداعي الأجل المؤيد في الدين عصمة المؤمنين ، هبة الله بن موسى السليمانى الداعي بشيراز ، وما يليه حين انتهت إليه الأخبار ، بوفاة الإمام الظاهر لإعزاز دين الله ، وقيام المستنصر بالله :^(٣)

<p>الله يَنْصُرُ رَأْيَهُ الْمُسْتَنْصِرِ وَيُتِمُّ نَوْرَ أَبِي تَمِيمٍ جَالِيَاً وَيُدَيْمُ دَوْلَتَهُ وَيَجْبُرُ كَسْرَنَا السَّيِّدِ الْمَوْلَى الْمَوَارَى فِي الثَّرَى [نور من العقل يصدع نوره عاف الحصار الضيق الحرج الذي وسمّا إلى العليا من الأفق الذي</p>	<p>بالله ، مولانا الإمام الأطهر^(٤) بِسَنَاهُ أَغْسَاقِ الظَّلَامِ الْأَكْدَرِ/ في الظاهر [القمر البهي الأنور]^(٥) [لما ثوى غض الشباب الأخضر]^(٦) ومن النبي الهاشمي وحيدر^(٧) زُحَلُّ يَلِي تَدْبِيرَهُ وَالْمَشْتَرِي هُوَ [نجلها وشبيهها]^(٨) في الجوهر</p>	/ ٤٤٨
--	---	-------

(١) أصيب : صاب في ب

(٢) سورة : ٣ / ١٣٤

(٣) القصيدة السابقة من ديوان المؤيد في الدين ص ٢٢١ .

(٤) بالله ، مولانا الإمام الأطهر : بالله مولانا الإمام الأزهر في ب

(٥) القمر البهي الأنور : الغصن الرطيب الأخضر في الديوان

(٦) لما ثوى غض الشباب الأخضر : غض الشباب بنور وجه أقرم في الديوان

(٧) ورد هذا البيت في الديوان هكذا :

غصن من القلم المد وصنوه ومن النبي الأبطحي وحيدر

(٨) نجلها وشبيهها : شكله وشبهه في ب

قد كان مَحْمُولاً فَاصْبَحَ حَامِلاً
لكن تحرّقت القلوب لفقدِهِ
وتصاعَدت نحوَ الجفُونِ دِمَاؤُنَا
صَلَّى الإِلَهَ عَلَى مُقَدَّسِ رُوحِهِ
وَأَدَامَ^(٣) مَوْلَانَا مَعْدَأً بَاقِيَا^(٤)
أَهْلًا بِطِيبِ زَمَانِ مَوْلَانَا الَّذِي
زَمَنٌ يُبَشِّرُنَا بِخَيْرٍ مُّقْبِلٍ
أَمْعَدُ عُدَّةً عَبْدِهِ وَعِمَادَهُ^(٥)
أَشْبَهْتَ عَيْسَى فِي الَّذِي أُوتِيَتْهُ / ٤٤٩
إِنْ أَثْمَرَ الْجِدْعُ الْيَبِسُ بِفَضْلِهِ
فَكَمَثَلِهِ الدُّنْيَا تُنِيلُكَ مُلْكُهَا
لِلَّهِ شَأْنٌ فِيكَ [يُظْهِرُ أَمْرَهُ]^(٦)
[وَاللَّهُ يُنْجِزُ فِيكَ]^(٧) صَادِقٌ وَعْدِهِ
أَنْتَ الَّذِي يَعْنُو الزَّمَانُ لِيَأْسَهُ

- (١) كمثل الوايل المنحدر : بفرط تنزل وتحدّر في الديوان .
(٢) في التراب معفر : في ثراه مطهر في الديوان
(٣) وأدام : وأعاش في الديوان
(٤) باقياً : خالداً في الديوان .
(٥) ببهاء عزته وشر مدبر : ترى لا محالة مدبر في الديوان .
(٦) وعماده : وعتاده في ب
(٧) وسناده : وعتاده في الديوان
(٨) من النعما ولما تقصر : وتلك سجية من حيدر في ب
(٩) رطباً فأحرى به المسيح وأجدر : رطباً فأحرى به كذاك وأجدر في ب
(١٠) ورد هذا البيت في النسخة ب هكذا:
أو ألفت الدنيا إليك قيادها فلسوف تملكها فديتك فأصبر
(١١) يظهر أمره : جدّ معظم في الديوان .
(١٢) والله ينجز فيك : أن ينجز الرحمن في الديوان ص ٢٢٢ .
(١٣) فتلبسه لباس مسخر : فتحكم فيه كالتسخر في ب

بمهند ماضي الغرارِ وأسمر
بجيادها من أدهم أو أشقر
[وتزل كل معاند متجبر]^(١)
شوق البلاد إلى السحاب الممطر
ببيان زين العابدين وجعفر
في الاعتزال [به وقول]^(٢) المٌجبر

فتجد دابرَ كلِّ ضيدٍ كاشح
وتخوض أودية الدماء خيوله
وتؤم ما بين الفرات ودجلة
فبارض بغداد إليك تشوق
وتزيل لبس الشافعي ومالك
وقياس أصحاب القياس وما أتى
ويقول فيها :

بك في الأنام أجراً ذيلَ تبخر
والسُّر درعي والأمانة مفخر
ملكٌ تَبِينُ^(٥) ذاك للمُستبصر
[لكن لي في الجسم قلبَ غُضنفر]^(٦)
ضعفت قوى جِلدي لبأس مُسيطر
ويصمهم في كل صُقع مخبري
لما أقمتُ وسرتُ أيَّ تطير
مِن بَعْضهم لي حتفَ ذاك المعشر
أجفَى فما أنا بالأذى بمفكر^(٨)

إني ابن موسى عبدك القن^(٣) الذي
العلم سيفي والرِّشاد مطيَّتي
أنا آدمي في الرواء^(٤) حقيقتي
جسمي حمولٌ للنوائب كلِّها / ٤٥٠
ما راعني من صائلٍ صولٍ ولا
يعمي عداة بني عليٍ منطري
فلقد تطير بي النواصب كلُّهم
[فتخالني إما]^(٧) مررتُ بمعشر
[قد طاب لي في الله أن أودي وأن

(١) وتزل كل معاند متجبر : للفتك بالدجال ذاك الأعور في الديوان .

(٢) به وقول : وترهات في ب

(٣) القن : القز في ب

(٤) الرواء : الدواء في ب

(٥) تبين ذاك : تعين ذاك في الديوان .

(٦) لكن لي في الجسم قلب غُضنفر : أبدا وفي جسدي فؤاد غُضنفر في ب

(٧) فتخالني إما : يدنو بقربي إن في ب

(٨) ورد هذا البيت في النسخة ب هكذا :

أنا بالذي لاقيه يفكر

في الله إن أودي وإن أجمع فما

وصلى عليك الله يا ابن محمد ووصيه وابن الصفا والمشرع^(١)

وكان في أوائل أيام الإمام المستنصر بالله ع . م ، قصة سكين ، وابن عاني . وكان سكين اللعين قد تشبه بالحاكم بأمر الله ع . م ، ومخرق على الناس ، فأدخل على عقول أقوام من جهلاء الناس بذلك ، وسخر بهم ، وعاهدهم وعاقدهم على النصر ، وكان يركب حماراً ، ويتزيا بزبي الحاكم بأمر الله ع . م ، فأقبل يوماً حتى دخل قصر القاهرة من بعض أبوابه ، فلما انتهى إلى داخل القصر ، ونزل موضع لم يكن الحاكم بأمر الله ع . م ينزل منه ، وعرفه الخدم ، وثبوا عليه فأمسكوه ، وأمسكوا ابن عاني / معه ، وكانا يظهران السحر ، ويستعملان أموراً شنيعة تخالف حكم الشريعة ، فأمر الوزير علي بن أحمد برميها بالنيل ، بعد أن أمسكا وأوثقا ، فرميا حتى هلكا ، ووقى الله شرهما ، وأبطل سحرهما ، وأنزل بهما مكرهما . قالوا : وكانت في القصر نخلة يوجد في علم النبوة للمخزون أنها تنقص لأمر عظيم ، فانقصت النخلة حين دخول سكين القصر ، فاشتد خوف الذين عند الإمام المستنصر بالله ، وخشوا أن يناله مكروه ، فأحاطوا به ، وقد أخذوا أهبة الإمتناع ، فدفع الله ببركته الشرف المكر ، وجل الأمر .

وكان صالح بن الزرقلية أمير ذبي كلاب ، قد ظهر نفاقه ، وأعلن شقاقه ، وجمع إليه العربان ، وأظهر الخلاف على إمام الزمان ، فخرج إليه الثوبيري أمير الجيوش من حضرة الإمامة في عدد وعدة ، وحجرت بينهما حروب عدة ، وأقاما على ذلك مدة ؛ ثم أظهر الله قائد جيوش وليه وأظفره ، وأعلا أمر عبده المستنصر به وأظهره ، فقتل صالح بن الزرقلية في عدة من أصحابه وخواصه ، ولم يجد سبيلاً / إلى مناصه ، وأتى قائد الجيوش برأسه إلى الحضرة الشريفة المستنصرية ، فطيف به في الأمصار ، وكان للظالمين سوء عقبى الدار ، وتمهدت لأمر المؤمنين المستنصر بالله ع . م البلاد ، ودان له العباد ، وانتشر عدله في الحاضر والبادي ،

(١) سقط هذا البيت من الديوان ص ٢٢٣ .

ونادى باسمه في الخطبة في جميع الأمصار المنادي ، فكانت مملكته في مصر والحرمين ، والشام وبلاد الغرب كافة^(١) ، وملك داعيه الأجل الأوحده علي بن محمد الصليحي اليمن عنوة ، وأظهر له فيه الدعوة ، وظهرت دعوته في شيراز ، وأرض فارس ، وخطب له فيها الداعي المؤيد في الدين أياماً ، وأعلن باسمه ، واستجاب له الملك برهة . ثم تغير عليه ، وكذلك خطب له في بغداد والكوفة أياماً ، وسنذكر من ذلك كله إذا انتهينا إلى موضع ذكره .

وأظهر الداعي المؤيد في الدين الدعوة بشيراز ، وأرض فارس ، وكور الأهواز ، لأمر المؤمنين المستنصر بالله ع . م ، في سنة تسع وعشرين وأربعمائة ، واستجاب له أمم كثيرة / من الديلم ، فعلاً أمره ، وارتفع صيته وذكره ، وكان آبلؤه من قبله متقدمين في الدعوة إلى الأئمة من آل محمد ع . م ، وعليهم من أوان الستر ، وقبل ظهور الإمام المهدي بالله ع . م ، حتى أطلع الله شمس الخلافة من غربها ، وأضاءت البلاد مشرقة بها ، وفي ذلك يقول الداعي المؤيد في الدين مخاطباً للإمام المستنصر بالله ، من قصيدة يقول فيها^(٢) :

وأن ابن موسى وآبائه معاهد ودهم^(٣) عامرة
فقد خدموكم وما نَشُرَّت لواء الفتوح يدُ ناشرة

(١) امتد سلطان الفاطميين في القسم الأول من عهد المستنصر على بلاد الشام وفلسطين والحجاز وصقلية وشمال أفريقية ، وكان اسمه يذاع على كافة منابر البلاد الممتدة من المحيط الأطلسي غرباً إلى البحر الأحمر شرقاً ، وكذا في صقلية واليمن والحجاز والموصل ، بل في بغداد نفسها عاصمة العباسيين نحو من سنة . ولكن بعض هذه البلاد لم يلبث أن خرج من سلطان الفاطميين ؛ فقد خرجت بلاد المغرب سنة ٤٤٣ هـ ، وفي سنة ٤٧٥ هـ زالت سلطة الفاطميين من بلاد المغرب الأقصى التي استولوا عليها من الأدارسة سنة ٣٤٧ هـ واستولى روجر النرمندي على صقلية التي كانت تابعة للفاطميين ، وخلع أمير مكة والمدينة طاعتهم في سنة ٤٦٢ هـ .

(٢) من القصيدة الحادية والأربعون من ديوان المؤيد في الدين ص ٢٨٧ .

(٣) ودهم : حقهم في الديوان

وكان الداعي المؤيد في الدين نضر الله وجهه ، له بلاغة لسان ، وفصاحة وبيان ، وعلم عظيم القدر ، كأنما يستملي في ما يفوه به من البحر ، فانتشرت الدعوة في أيامه فظهرت ظهوراً لم يكن وقت آبائه ، واستعلن ذكرها وأظهر أمرها ، واجتمعت له أسم كثيرة من الديلم ، لما رأوا من فضله ، وعلمه ، وزهده ، وورعه ، وحسن حاله ، وحميد خصاله ، وكان إن صمت فورعه وزهده قدوة ، وإن نطق فعز بيان وقوة ، وسوف نذكر من ذلك في زمان الملك / أبو كاليبجار ، وهو يومئذ ملك شيراز وأعمالها ، وصاحب مدنها ورجالها ، وقد كان نشأ مع أستاذ له مغرق في بغضه أهل البيت ع . م ، والعداوة لشيعتهم ، ومن ينضاف إلى جملتهم ، وكانت حاشيته كذلك من الأتراك على العداوة ، والبغضاء لأهل البيت قد جبلوا ، وفيها علوا ونهلوا ، فكان يأخذ من أقوالهم ، ويصغي إلى انتحالهم ، على ما كان للملك من عقل وجودة رأي وفهم ، [فهؤلاء كشفوا للملك]^(١) أمر الداعي المؤيد في الدين ، وقالوا انه إلى صاحب مصر يدعو ، ونخاف أن يغلب^(٢) على أمرك ، ويكون له أقطار ملكك ، وأكثروا من التشايع ، والقول الذي لا يفوه به إلا كل جاهل رقيق ؛ فلم يزل هذا الحديث يدخل في سمعه ، ويجافيه عن التمهيد على مضجعه .

قال الداعي المؤيد في الدين نضر الله وجهه^(٣) : فلما كان يوم^(٤) عيد الفطر من سنة تسع وعشرين وأربعمائة ، كنت بيوم قبله مستعداً له في تحصيل سجدات له ، وفرش وآلة يصلي عليها المصلون ، ولا يستغني عنها المتعبدون^(٥) ، فرفع الخبر بأنني استجمع الجموع للصلاة / والخطبة في غد ، وأضرب في ساحة دارى المضارب والغارات ، وأن في ذلك مراغمة للملك ظاهرة ، ومخالفة حاضرة ، فنشأ

(١) فهؤلاء كشفوا للملك : فهو لوالدي الملك في ب

(٢) يغلب : غالب في ب

(٣) السيرة المؤيدية : للمؤيد في الدين ورقة ٣ مخطوطة في مكتبة المحقق الخاصة .

(٤) يوم : سقطت في ب

(٥) المتعبدون : المعبدون في ب

من هذه الجهة [سوء رأي]^(١) عظيم ، وقع به على القصد والنفي عزم وتصميم ،
قال :

ولما كان في غد وهو العيد اجتمع الجمع^(٢) الكثير من الديلم للصلاة فصليت
بهم ، فلما أتممت عطف^(٣) عليهم بالوعظ والإنذار ، وقلت : تخفى^(٤) عليكم
صورة الوقت والأعداء في الشدة والكثرة ، فإنهم عاكفون على تقبيح الجميل من
آثارنا ، ونسب العظائم إلينا من حيث اننا^(٥) المبرزون في تحمل أثقال العبادات
والقيام بالمفروضات والمسئولات^(٦) فينبغي أن تزموا أنفسكم وتحسنوا أفعالكم
وأعمالكم وتتقوا الله حق تقاته ، وتحفظوا من أن يتعلق أحد عليكم باختلاف
عيب ، أو يجد^(٧) لسان مساع إنطلاقاً فيكم بثلب ، وعليكم بالصبر والصلاة إن
الله مع الصابرين .

قال : ولما كان عشية ذلك اليوم كان الناس يطلبون الهلال على جاري
/ ٤٥٦ / عاداتهم في مثله ، فغم عليهم ساعة ، وتباشروا / هذه الجهة ، إذ كانوا
صاموا تسعة وعشرين يوماً ، وطلبوا أنهم يكملون [في غد]^(٨) العدة ثلاثين^(٩) ،
ويستطون أيديهم وألستهم فينا لافطارنا قبلهم بيومين ، ليكون ذلك أبلغ في
التشجيع ، وأعون على ما يروونه من التشجيع ، فما كان إلا هنيهة إذ ظهر الهلال ،
فجفت ألستهم في أفواههم ، وماتت قلوبهم في أجسادهم من فرط الغيظ والحق .

(١) سوء رأي : سوارى في ب

(٢) الجمع : الخلق في السيرة المؤيدية ورقة ٥

(٣) عطف : عكفت في السيرة المؤيدية المنشورة في القاهرة دار الفكر .

(٤) تخفى : تخاف في ب

(٥) أننا : أنا في ب

(٦) المسئولات : المنسوبات في ب

(٧) يجد : يجبر في ب

(٨) في غد : سقطت في ب

(٩) من المعروف أن الفاطميين وأتباعهم لا يصومون حسب رؤية الهلال ، بل لهم تقويم خاص
بحيث يكون شهر رمضان ثلاثين يوماً بصورة دائمة . الرسالة اللازمة لشهر رمضان :
للكرماني ، المجالس المؤيدية : للمؤيد في الدين الشيرازي .

ولما كان في الغد سعوا إلى مصلاهم فصلوا ورجعوا ، وباعاتهم ^(١) موفورة على ذكرنا ونصب الأشرار علينا ، إلا أنه لم يكن في ذلك اليوم شيء . قال : ولما كان في غد استدعاني وزير المملكة بهرام بن مافنة ^(٢) بن شهل الملقب بالعدل ، (رح) وهو كامل في عقله ، مبرز في فضله ، مصلح في جميع أحواله ، مهذب في تصرفاته وأعماله ، فقربني وأذناني ورحب بي ، وهو كاره لما يريد من مواجهتي به من القبيح ، عارف أن ذلك في غير وجهه ولا مكان وجوبه ، إلا أنه كان مأموراً من جهة من لا يخالف أمره ، ولا ينافي رسمه . فقال : تعرف عنايتي بك وإشاري الجميل لك ، [وأنتي لا أشير] ^(٣) عليك إلا بما فيه مصلحتك ، وأرى أمرك قد تجاوز في الفساد حده ، وبلغ أمدته ، ولقد كان السلطان [أمس في] ^(٤) عامة الطريق من داره حين ركب إلى المصلى [وإلى أن عاد ،] ^(٥) في حديثك وممثلةً من الحق عليك ، وقال في حديث كثير إنك إن لم تدع هذا البلد ولم تمض لوجهك ، أنفذ من يفعل بك كذا وكذا مشيراً إلى القتل ، سوى أنه يتحاشى عن تصريح القول فيه ، فانظر هل بقي بعد ذلك غاية ، أم هل وراءه نهاية . ثم إنه كان حضر الغداة قاضي البلد واجتمع إليه القصاص وأهل المسجد وقالوا : عجز ^(٦) الصبر [فيما يأتيه] ^(٧) فلان عنك من نشر البدعة ، ورفض السنة ، وأنا نجتبع ونقصد باب السلطان ونستدعي منه رخصة ، فنهجم على داره بالقلع والحريق والقتل ، وجميع ما نستطيعه من الفساد . قال الوزير : فأجبتة : أن ذلك ليس بالهين ، فإن هذا الأمر يؤلف بين كلمة الديلم عامة ، ومتى حرك ساكنه

(١) وباعاتهم : وساعاتهم في ب

(٢) هو الوزير أبو منصور بهرام بن مافنة الملقب بالعدل ولد سنة ٣٦٦ هـ وتوفي سنة ٤٣٣ هـ .

إبن الأثير جـ ٤ ص ٣٤٤ .

(٣) وأنتي لا أشير : وإني مشير في ب

(٤) أمس في : أمر في ب

(٥) وإلى أن عاد : سقطت في ب

(٦) عجز : عيل في ب

(٧) فيما يأتيه : بثه في ب

انتبهت عين الفتنة بإراقة الدماء ، واستباحة الحريم ، وتعدى إلى مفاعيل . قال :
 وكان جواب القاضي إنه إن استنجد بهؤلاء الديلم ، استنجد خصومهم بغيرهم -
 يعني به الأتراك - ثم قال لي : لو لم يكن في هذا الكلام مع مقت السلطان الذي
 لاقرار عليه ولا ثبات معه إلا حديث العامة وهيجانهم لكان التقدير فيك وفي
 / ٤٥٨ / عقلك أن لا تكون أصل الفتنة ، وأن لا تختار أن تصير سبب الفساد
 والنائرة ، فالأولى أن تستخير^(١) الله تعالى في الخروج من البلد في هذه الساعة لأضم
 إليك عدة من الفرسان يخرجون بك إلى حيث توحي قصده من البلدان .

فأجبتة وقلت : إن^(٢) الأمر أمركم والمملكة لكم ، ولكل كلام جواب ، غير
 من يقول لأحد في داره أخرج من داري فلا جواب له ، ولكني أفكر في قولكم
 أخرج من ديارنا ، فلا أدري أهو مشبهى أو مشبهكم ، ومستحقي أو مستحقكم ،
 لأنني أنظر نفسي فلا أعرف لها عليكم كدا^(٣) ولا ثقلاً ، إذ لا حظ لي في خيركم ،
 ولا ذكر لي في ديوان عطايكم ، ولا رزق في حال من الأحوال من جهتكم ، وأرى
 كل من دب ودرج من قاض وفقه وعالم وكاتب وجميع طوائف الناس ممن له
 مداخلة لداركم ولقاء لمجلسكم محظوظين منكم ، بين ما يأخذونه أخذاً ، أو
 ينالونه بتوقيعكم معيشة ورفقاً ، وصحيفتي^(٤) بيضاء من جميع هذه الوجوه ،
 وسوى هذا فأنتم أعرف^(٥) الناس بقضاتكم وعدولكم وعلماء مساجدكم فيما هم
 / ٤٥٩ / مرتهنون^(٦) به من المعائب ، / وما يشوبهم من المناقص وذميم الشوائب ،
 ولا تعرفونني توسمت بسمه من سيات معائبهم ، أو أشبهتهم في شيء من مناقصهم
 ومثالبهم ، فإني لم أزل بالسداد والرشاد علماً ، وباستشعار [البر والتقوى]^(٧)

(١) تستخير : تميز في ب

(٢) إن : سقطت في ب

(٣) كدا : كلا في ب

(٤) وصحيفتي : وصحفاً في ب

(٥) أعرف : من في ب

(٦) مرتهنون : متهمون في ب

(٧) البر والتقوى : الستر والتقوى في ب

مقدماً ، ولولا تبرحي بزينة التشيع لا اتخذت^(١) العامة تراب [نعلي كحلاً^(٢)]
 لأعينها ، وماء ظهور في شفاء لسقمها . وغير ذلك فإن هم الجميع حيازة ملك^(٣)
 وإقامة دخل وإضافة درهم إلى درهم ، ولم يلقني إنسان شغلت بشيء منه فكراً ،
 أو قصرت عليه من عمري يوماً ، بل كانت الدنيا في عيني مرفوضة ، وأعراضها
 لدي مهينة ، وأسباب مطامعي مقطوعة ، فأخرجكم من هذه سبيلة من دون تعلق
 عليه بعيب يشينه ، أو تبرم^(٤) بمؤونة له عليكم يثقلكم باستحقاق مني ، وأنا من
 الوجهين بريء ، وباستحقاقكم بأن لا تستوجبوا كوني لديكم ومقامي بين
 ظهرانيكم . ومعلوم أنه إذا كانت مؤونتي هذه المؤونة فكل مقصود يقبلني وكل
 أرض تحملني ، ولست أقيم عندكم ما أقيم إلا / عصبية للدين الذي أدين
 الله تعالى به ، ومحافضة عليه من وهن يحل بساحته ، ولولاها لكان أكبر باعث على
 التخلي عنكم نفسي ، وأدعى داع إلى مفارقتكم قلبي ، لأستريح^(٥) من مغادة الذل
 ومرأوحته ، لا سيما ومعلوم أن لي مولى يقصده القاصد متوسلاً إليه بسطور من
 خطي ولفظي فيكرم مثواه ، ويكفيه ما أهمه من دنياه ، فلو قصده بنفسه لكان
 يتقاصر حظي عنده دون حظ من يقصده بكتابي ، فليس الخروج يرهيني ولا شيء
 دون ما قدمت ذكره يمنعني ، وأنا أجتهد [إن شاء]^(٦) الله [تعالى وأصوب]^(٧)
 وأصعد في كفايتكم أمري ، وتوليه^(٨) هذه النعم التي لي في دياركم ظهري ، ليزول
 شغل قلوبكم . فأما القاضي وتجردّه للجهاد ، فليت الحديث كان معه ومع العامة
 الذين يفرعنا^(٩) بهم حتى كان يرى الأعاجيب ، ولكننا أمر السلطان في الوسط

/ ٤٦٠

(١) لا اتخذت : لا اتخذ في ب

(٢) نعلي كحلاً : فعلي كحلها في ب

(٣) ملك : ملكك في ب

(٤) تبرم : برم في ب

(٥) لأستريح : لا أريح في ب

(٦) إن شاء : شيء في ب

(٧) تعالى وأصوب : وأصوت في ب

(٨) وتوليه : توليته في ب

(٩) يفرعنا : فرعنا في ب

يضعف المنة ، وقصده يهد ركن^(١) الثبات والمكنة ، والقاضي إذا لا يأسى على أمواله
الموفورة ، وضياعه المدخورة ، وتنازعه / نحو الجهاد نفسه ، ودينه عليه / ٤٦١
عمى ، لم لا ينشط له من لا يملك من الدنيا شبراً ، ولا يحوي إلا قوتاً قشفاً
وطمراً ، وهو على بصيرة من ربه ، فليتكم خليتم بيني وبينه حتى كان يجرب كلانا
بخته ، والسلام^(٢) .

وعاد الداعي المؤيد في الدين نضر الله وجهه إلى بيته ، وجعل يفكر أي جهة
يقصد ، وأي أمر يعتمد ، مع كون الطرق مشحونة بالأعداء ، إن عرفوا السبيل
الذي يقصد إليها ، أعملوا له فيها الغوائل^(٣) ، وتلقوا لقطع السبيل وإتيان
المنكرات ناصبين الحياثل ، لا سيما مع الوصمة التي وقعت من السلطان ، وخروجه
من بلده على غير قرار ولا اطمئنان ، ثم عاد إلى مجلس الوزير ثاني ذلك اليوم
معرفاً^(٤) له بقضيته وخوفه أن يكون على أيدي الأردال ورود منيته ، فيكون على
نفسه جانياً ، وإلى إلقائه إلى التهلكة^(٥) دانياً ، وقال أين أقف في موضعي ، أوطن
نفسي على أن أقتل مظلوماً ، فلا أكون عند الله وعند الناس ملوماً ، وتكون / ٤٦٢
اللائمة عائدة إليكم ، وواقعة عليكم ، فما لي عن مكاني براح ، ولا غدو ولا
رواح ، دون أن تمدوا لي في النظرة سبعة أيام ، لأحتال في الخروج ، وأقضي وطرا فيما
أعده من عدة السفر ، وأخذ له من الزاد ما يسهل . فأجابه الوزير واشترط^(٦) عليه
أد يخلق عن الديلم بابه ، ولا يسعف من يريد إليه منهم لحاجة ، بإجابة . فخرج
الداعي من عنده وحال بينه وبين من يتصل به من الديلم لقصده ، وتوفر على
الدعاء إلى الله ع.ج ، والإتهال إلى الله أن يكشف عنه ما يجده من البلاء ،
فاستجاب الله دعاءه ، إذ كان مخلصاً ، وسبب رفع المحنة عنه بما شاء تعالى منقذاً
مخلصاً ؛ وجمع قلوب^(٧) الديلم له ، فتذاكروا ما يجري عليهم من السلطان ، وأنهم

(١) ركن : ركه في ب

(٢) السيرة المؤيدية : للمؤيد في الدين الشيرازي مخطوطة ورقة ١١ .

(٣) الغوائل : الغائل في ب

(٥) التهلكة : الهلكة في ب

(٤) معرفاً : معروف في ب

(٧) قلوب : قلب في ب

(٦) واشترط : وشارط في ب

مقصودون بذلك من بين أهل الأديان على اقامتهم لشرائع الإسلام ، وفرائض الإيمان ، وقالوا : هؤلاء فرق المسلمين ، واليهود ، والنصارى في دينهم قاطنون ، وفي قرارهم آمنون ، / ونحن نقصد من بين الناس بالوهن ، وتغلي لنا مراجل القلوب الحرى^(١) بالإحن ؛ واجتمع منهم عدد كثير ، وقالوا : نركب الأهوال ، ونقطع الآمال ؛ فحين بلغ ذلك الملك كاليجار أمر الوزير بإخمد تلك الثائرة ، وقطع جرتوم المكابرة ؛ فبادر الوزير يستحضر القاضي وم^(٢) القاضي وهو في طريقه إلى الوزير بين جموع الديلم ، وهم يصيحون عليه ، ويرجعون كل منكر من الفحش إليه ، فما خلص منهم إلا بعد الشدة ، ولا خلص إلا بعد أن ظن ألا خلاص من تلك الورطة ، فلما صار عند الوزير أغلظ عليه في القول والتعنيف ، وقال له : هذا الشغب على السلطان فعلك ، فلا تنطق^(٣) بعدها في المؤيد بحرف ؛ وأرسل إلى الداعي المؤيد في الدين أن أظهر أمرك ، ولا حرج عليك ، وافتح بابك لمن قصد إليك ؛ ففتح الداعي بابه ، وأعاد في نشر الحكمة والموعظة الحسنة خطابه ، وجرى على ما عليه عادته ، وأتيحت له من كرم الله إرادته ، وما زال حتى جرت بينه المراسلة وبين السلطان ، وانتهى بعد ذلك المشافهة والخطاب ، والدنو بعد نهاية / البعد والاقتراب ؛ وكان مما أوصى به الداعي المؤيد في الدين إلى السلطان مع بعض من يدنو إليه من كبراء الديلم ، أن قال له : إن هذا الأمر الذي أتولاه ، ما أنا أبدعته ، ولا في أيامي أحدثته ، فإنه قديم نقضت عليه السنون ، واندرج في معرفته أو مشافهته الملوك ، ولو علم أنه يوقع ملكاً ، أو يحدث فساداً ، لما نامت عيون محولة ملوك^(٤) بني بويه عن إحالته ، وتغييره وقصر باعه ، وقص أظافره^(٥) ، ولما كان أكثرهم يؤثره لنفسه ديناً يلقي^(٦) الله تعالى به ويتبرج بزينته ، ولكن

(١) الحرى : الحرب في ب

(٢) وم : ومن في ب

(٣) تنطق : تلتطف في ب

(٤) ملوك : سقطت في ب

(٥) أظافره : أظافر في ب

(٦) يلقي : يلقي في ب

[المقبحين قبحوا] ^(١) الصورة بحضرة الملك ، ولو أنه استقصى الأمر لوجد قدماؤه ^(٢) أكثرهم بذلك دائنين وبشعاره منادين ، فأما ما انتهى إلى عالي مجلسه من اعتقادي [كان البروز] ^(٣) إلى الصحراء بالصلاة والخطبة فإن ذلك ما جال في خاطري ، ولا هجس في خلدي ، وإني لأرجو أن أكون أبلغ ما يجري به القال من ذلك في ظل دولته وبركة إيالته ، وسوى هذا فإن الملك نشأ في سماع كلام المخالفين والطاعنين علينا ، وتلقن منهم [كل شيء مما يزيغنا في عينه ، ويثقلنا] ^(٤) على كريم قلبه ، وقد انتشر الذكر في كونه من / وفور العقل والكمال بحيث يوجب ^(٥) عليه أن يسمع كلامنا ، ويصغي لحجتنا ، ثم إن وضح له شيء مما ينسب إلينا من الكفر والتعطيل ، كان وسيع العذر عند الله تعالى وعند نفسه فيما يقصدنا به من القتل والنفي ، فاعلاً للشيء في وجوبه واستحقاقه ، وإلا وجب عليه الإستحلال عما مضى وتلافي ما سبق بالحسنى .

/ ٤٦٥

قال المؤيد في الدين فنفذت هذه الرسالة وعاد الجواب دفعة ودفعتين بما كان [يتهدأ كلما] ^(٦) عاد من التحريش ، ويشتمل على الكلام اللطيف ، فعن لي أن أكتب رقعة أودعها ما يجمع [بينه وبين هذه من] ^(٧) كلام محق لا يتحاشى في الله ولا يحابي ، وأنها ^(٨) عن الظلم الذي ضاق عن الصبر على مضضه إهابي ، قال : فكتبتها وأصدرتها ، وهناك فضل معرفة بالألفاظ الجزلة والمعاني الراقية ، فوقف عليها وقوف مستعجب بها ومستحسن لها ، وأصدرها إلى حضرة الوزير مقرونة

(١) المقبحين قبحوا : المقيمين فجوا في ب

(٢) قدماؤه : قدماءه في ب

(٣) كان البروز: سقطت في ب

(٤) كل شيء مما يزيغنا في عينه ، ويثقلنا: سقطت في ب

(٥) يوجب : يجب في ب

(٦) يتهدأ كلما : يتهرب كل في ب

(٧) بينه وبين هذه من : سقطت في ب

(٨) وأنها : وأبته في ب

برسالة في استدعائي والتلطف بي والتسكين مني ، والمخاطبة لي على أن أقف في الأمر الذي أقوم به حيث بلغت ، ولا أتجاوز به حد الأسرار إلى الإظهار ، فاستدعاني الوزير / وأكرمني وبذل الجميل لي ، وقال لي ما قدمت^(١) ذكره من القول / ٤٦٠
فأجبت : بأنني قد أخرت هذا الأمر من حيث تظنونني قدمته ، ووضعته من حيث تحسبونني رفعته ، والدليل على ذلك أن والدي^(٢) كان في هذا البلد متسماً^(٣) بهذا الإسم ، مرتسماً بهذا الرسم ، وكان له من المكنة واليد والقدرة ما كان يغنيه عن أن يبطاً عتبة باب ، أو يقاسي ذل حجاب ، فكان الوزير أبو غالب الواسطي الملقب بفخر الملك وزير الوزراء ، الذي كان ما كان باتساع مكتبته^(٤) وانبساط يده ، نازلاً في هذه الدار التي تنزلها ، فلم يعهد والدي^(٥) قط داخلاً إليه ولا مسلماً عليه ، ووجد الوزير غير دفعة يزوره ليلاً في بيته ويغشاه في منزله ، وأنا طول الدهر على الأبواب طائف ، وعلى الزورات^(٦) عاكف ، فلو أمكنني التعزز أكنت أختار التذلل ؟ وجرى في مثل هذا كلام طويل وخرجت ساكن القلب ، واثقاً بحسن كفاية الرب سبحانه .

قال : وكان السلطان أزمع الخروج للتصيد^(٧) عشية / ذلك اليوم ، ولم يكن أكتحل بنظري قط ، لأنني كنت ألزم الزاوية وأطلب العافية ، ولا [أوثر أن ينثلم]^(٨) ديني أو يسجد لغير الله جيبني ، [وكانت صورتني في]^(٩) التقاعد عن

-
- (١) قدمت : تقدم في ب
(٢) والدي : والذي في ب
(٣) متسماً : مسمى في ب
(٤) مكتبته : مكته في ب
(٥) والدي : والذي في ب
(٦) الزورات : الدويرات في ب
(٧) للتصيد : للتصديق في ب
(٨) أوثر أن ينثلم : أوثرته ينثلم في ب
(٩) وكانت صورتني في : سقطت في ب

الخدمة تقبح زيادة تقبيح ، وأنسب فيه إلى كل أمر فظيع ، قال : فحدث نفسي بالتعرض لموكبه والنزول والدعاء ، ليرق قلبه ، ويندم عن سوء الرأي همه ، فوقفت في بعض الصحارى له ، ولما دنا نزلت وتخضعت^(١) ودعوت ، فسأل عني ، فقيل فلان ، فرسم أن يقدم مركوبي^(٢) لأركبه ، فارتفعت ضجة المطرقين والركابية بين يديه [بذلك ، وقدم لي مركوبي]^(٣) وركبت ووقفت مكاني أنتظر عودة الوزير^(٤) من تشييع ركابه ، فلما عاد ذكر أنه قال فيك خيراً ، وأثنى عليك ثناء حسناً ، واستخبرني هل سكنت بالغددة منك ، وأديت رسالته إليك قال : فقلت نعم .

قال : وغاب الملك أياماً ثم رجع ، ولما كان يوم رجوعه تلقيت ركابه قدر فرسخين ، ونزلت وخدمت ودعوت ودخل البلد ، ورسم للوزير تبرعاً استحضاري / ٤٦٨ إلى عالي مجلسه أي وقت حضر ، ففعل ذلك ، وكننت أحضر ، / وسبب الإقتراب يعمر^(٥) ، ثم رسم مناظرة عدة من المخالفين مكاتبة ، فتناوبت بيننا وبينهم ابتداءات وأجوبة ، فكان يقف عليها ويميز بين الصحيح والسقيم منها ؛ وهي رسائل طويلة قد أتى سيدنا المؤيد في الدين نصر الله وجهه بجملتها وأورد جميع قصتها ابتداء وجواباً فأعجب الملك أبو كاليجار قول المؤيد في الدين ، وما أورد من واضح حجة ، وتبين له سوي منهجه ، وسأله أن يعفيه مما كان سبق منه إليه بسوء التعليم ، وأفصح له كل أفاك أثيم ، وكان أكثر المناظرة مكاتبة لا مشافهة لتخرج^(٦) المؤيد في الدين نصر الله وجهه عن المخاطبة صونا للعرض [مما يخلط

(١) وتخضعت : وخضعت في ب

(٢) مركوبي : مركبي في ب

(٣) بذلك ، وقدم لي مركوبي : سقطت في ب

(٤) هو محمد بن علي بن خلف أبو غالب الواسطي المتوفى سنة سبع وأربعمائة : النجوم الزاهرة

ج ٤ ص ٢٥٧ . وفيات الأعيان لابن خلكان ج ٢ ص ٢١٥ .

(٥) يعمر : يعم في ب

(٦) لتخرج : لتخرج في ب

بالمشاهدة في المناظرة من سوء الآداب] (١) . ثم اني قصدت أن يكون ما يدور بيننا من الكلام يتجسم بالكتابة لتبقى فائدته لتأمله، [(٢) وينقدح في حضرة الملك من نيران الأتى ، فسكن جأش الملك واطمأن قلبه ، وتبين له صدق المؤيد في الدين ، ووضوح حجته ، وقال للمؤيد في الدين إني [أسلمت نفسي وديني إليك وإني راض بجملة ما أنت عليه] (٣) وأدخل في دعوتك ، وأكون من أولياء / أئمتك فكان

الداعي المؤيد في الدين يحضر حضرته ليلة كل جمعة فيقف عنده حتى يمضي هزيعاً من الليل ، فيبدأ بقراءة ما تيسر من القرآن ، ثم يثني بيباب من كتاب دعائم الإسلام ، ويسأله الملك عما يريد بيانه فيجيبه فيه ، ويوضح برهانه ، ويختتم القول بالخطبة لمولانا أمير المؤمنين المستنصر بالله سلام الله عليه ، ثم للملك أبو كاليجار شاهنشاه ، وينصرف كل إلى منزله ، فطالت عند الملك يد المؤيد في الدين ، وارتفع قدمه ، ونطق بلسان الحق فمه وقلمه ، وكان الملك كل يوم يزداد به إعجاباً ، ولحقه إيجاباً ، ويندم على ما فرط منه بكونه سمع فيه زوراً محالاً ، وكان يحسب ما هو عليه من الحق ضلالاً ، وكان يثني عليه عند وزيره العادل ، وكان يذكر حسن ما هو عليه من الأخلاق والشئال ، فقال له الوزير : سبحان الله بيننا كنت تبغض هذا الرجل البغض الذي يضيق عنه جلدك حتى صرت تحبه هذه المحبة التي يقصر دونها وصفك ، / وإن هذه سعادة لا تنكر مثلها من سعادات مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ع . م ، فمن سعاداته أن حصل لهذا الرجل من القبول عندك ما انتهى إلى هذا الحد . فأجابه الملك بقوله : إننا أصحاب أذن ومهما وجدنا الناس مجتمعين على القدح في إنسان ونسبه إلى الكفر والضلال فلا لوم علينا أن نصدقهم ونقبل منهم ، ونحن نحمد الله الذي أيقظنا من سنة الغفلة ، وردنا من الأقدام إلى الشبهة .

وقال الداعي المؤيد في الدين نصر الله وجهه بمدح الملك أبو كاليجار حين لحظ

(١) مما يخلط بالمشاهدة في المناظرة سوء الآداب: لما يكون من البداء في ب .

(٢) سقطت الكلمات المحصورة داخل قوسين من ب .

(٣) سقطت الكلمات المحصورة داخل قوسين من ب .

إليه بعين مودته ، ورفع على من عاداه وأشاعوا كلمته ، حيث يقول^(١) :

لَحَظْتُكَ حَيْثُ خَلَلْتُ عَيْنُ اللَّهِ
يا مالكا ملك الزمان بملكه
يا من كَسَا التاجَ الجمالَ وطلما^(٢)
وإذا بدأ فوق السرير جيته
وله أقرؤا مُذْعِنِينَ بآئه
إنني اعتصمت بحبل^(٣) آل محمد
ملك الملوك بِمِينُ آل محمد
سَعْدِينَ^(٤) ذلك أَجْلاً خَلَفِي كما
لا زال جُلُوبُ الميامين رأيه /
يا أيها الملك الذي أنشاه في
ضِيَعَتْ عمرا قد تقضى لي ولم
والعذر اني كنت فيه مفزعا
ما المال همي بل بقاؤك سرمدا
من أميرٍ في الخافقين وناهي
فَعَدْتُ به الأرضُ السماءَ تباهي
قد كان زَيْنَ مَفَارِقِ وَجِبَاهِ
وَسَمَ الملوكُ له الثرى بِشِفَاهِ
مَوْلَاهُمْ طُرًا بلا إكراه
في الدين والدنيا بشاهنشاه
غَوْتُ العباد عِمَادَ دين الله
ذا عاجلا في العالمين تجاهي
العالي وجللاء الخطب داهي
عَلِيَّائِهِ ربي^(٥) بلا أشباه
أَعْلَيْتُ [بخدمته وإنسي]^(٦) ساهي
زورا ببطشة ساخط جباه
موفور مالي ما بقيت وجاهي

ثم انه كان سبب الوحشة بين المؤيد والسلطان أبو كاليجار أن المؤيد في الدين هجن إليه شرب الخمر ، وأورد في ذلك من المنع والحظر ، كقول النبي (ﷺ) : لعن الله الخمر وعاصرها ومعتصرها ، وبابعتها وشاربها ، وساقبها ، وأكل ثمنها ، وحاملها ، والمحمول إليه ، إلى غير ذلك من آيات القرآن ما لا يختلف فيه من كلام النبوة اثنان ؛ وكان قوم مع الملك ينادمونه ويجمعون معه في مثل ذلك ، وفي

(١) القصيدة الحادية والخمسون من ديوان المؤيد في الدين ص ٢٩٩ .

(٢) طالما : ظل ما في ب

(٣) بحبل : بجذ في ب

(٤) سعدين : سعدون في ب

(٥) ربي : فعلا في ب

(٦) بخدمته وإنسي : تجد منه فأين في ب

الضلالات ، والعكوف على المجون والخلاعات ، فكبر عليهم في ذلك الأمر وعظم ، عليهم فيه الضر ، وقالوا : هذا الإنسان يريد أن يستأثر بالسلطان دوننا والأولى أن نحتال في أمره حتى نبعده عنا ، فسعى منهم كثير في إدخال الوحشة بين الداعي والسلطان ، وسعوا في جلب المكر والخداع من كل جهة ومكان ، وكان منهم / ٤٧ / رجل قد قرب من السلطان ، وزاد في البغي والعدوان ، فسعى في الإفساد بين الداعي والملك بجهد ، وجاء بمنكر^(١) من القول ، وزور لفته ببغيه وحسده ووافق ذلك وفاة الوزير العادل ، وقيام وزير ممن يرى غير رأي الشيعة ، ويرى مناصبة^(٢) أهل البيت له فالشريعة ، فكان ذلك مما قوى البعد بين السلطان وبين المؤيد في الدين ، مع أن السلطان بفتنته ، وثبات رأيه وعقله ، قد علم من الداعي المؤيد في الدين ما تحقق أنه عين^(٣) الصواب ، وعرف أن الساعين عليه متحاملون في كل الأسباب ، إلا أنه يؤثر رضی خاصته مع رضی العامة الذين عليهم المعول ، وهم عمود المملكة الأطول .

قال المؤيد في الدين نصر الله وجهه :^(٤) وكنت أقوم بالمحاجة^(٥) عن ذلك والدفع بما هو أحسن وجرى بيني وبين الملك يوماً فصل عجيب وقلت : إني أرى قوماً تعاونوا على فساد حالي عندك ، وأطعمتهم نفوسهم أنهم بتسوقهم يبلغون المبلغ الذي يريدون فيما^(٦) يجعل حظي عندك / منقوصاً وعقد أمري محلولا ، ويردون الحال في الوحشة جزعاً ، والأمر الذي يشرعون فيه هو من باب الممتنع ، وضربت له مثلاً وقلت : بلغني في الأمثال السائرة أن رجلاً كانت صنعتة كسر الحطب من الصحارى ونقله إلى المدينة وبيعه ، وكان ذلك معاشه وكان لا يخلو من

(١) بمنكر : نكر في ب

(٢) مناصبة : نصب في ب

(٣) عين : عان في ب

(٤) السيرة المؤيدية للمؤيد في الدين الشيرازي ص ٣٨ .

(٥) المحاجة : الحججة في ب

(٦) فيما : إن في ب

شظف عيش ومقاساة ضر، وأنه أتى عليه في خلل الشتاء يوم في غاية البرودة فكلما هم بالتوجه لطلب^(١) معاشه ثنت وجهه وصدته^(٢) البرودة، ولم يجد [في بيته]^(٣) مع ذلك ما يقتاته ويقتات به أطفاله ، فأجهدهم الجوع ، وقالوا له : نحن مضرورون بالجوع فجاهد^(٤) نفسك وابلغ طرف صحراء المدينة ولا تتبعد عساک أن تظفر بشجرة تكسر منها مقدار ما تشتري بثمانه لنا طعاماً نطعمه ، فقام الرجل ولم يبعد حتى لحق مثل ما وصفوه من شجرة فزحف إليها بفأسه للقطع ، فنودي منها لا تقطع وانظر كم يحصل لك في كل يوم من كسبك هذا فاحضر كل غداة وخذه [هنيئاً مهنتاً]^(٥) قاراً وادعاً قد كفيت التعب والنصب ، فقال الرجل : محصول كسبي في اليوم [درهمان]^(٦) أو ثلاثة ، قالوا : قد حصل لك ذلك من غير تعب ، وكان الرجل يقصد الموضع في كل يوم فيأخذ القدر الميسر له فينفق البعض ويدخر^(٧) البعض حتى صلحت حاله واستقام أمره ، وحملته الجدة على مركب البطر وقال في نفسه : ما لي أغدو كل يوم إلى هذه الشجرة وأخذ منها درهمين أو ثلاثة على سنة الكدية ، وما أظن إلا أن تحت الشجرة كتراً مكنوزاً وقد تسلط عليه جني أو شيطان [يمانعني عنه ،]^(٨) ولو أنني توصلت إلى قطع الشجرة واستخلاص المال من تحتها وتحصيله في منزلي لكان خيراً من التوجه ، كل صبحه لدرهم آخذه ، فجعل في نفسه أنه^(٩) يأخذ فأسه غداة غد ويمضي إليها ويخرج الكنز من تحتها ، فلما كان في الغداة تجهز على هذه النية فعلا الشجرة بفأسه كي يقطعها ،

(١) لطلب : سقطت في ب

(٢) وصدته : صدمه في ب

(٣) في بيته : بابته في ب

(٤) فجاهد : فجالد في ب

(٥) هنيئاً مهنتاً : هنيئاً في ب

(٦) درهمان : درهماً واثنين في ب

(٧) ويدخر : ويؤخر في ب

(٨) يمانعني عنه : سقطت في ب

(٩) أنه : إن في ب

فقيل له : يا إنسان شجرة أفضت بك من المسكنة والمجاعة إلى الثروة والحال الحسنة لم تكافئها^(١) بالقطع ؟ ولم تعلقها بالفأس ؟ فقال : اغربوا عنكم هذا الكلام فإنه لا بد لي من قطعها لاستخراج ما تحتها ، فقيل له : إذا كان لا بد من ذلك فدونك وإياها ، فلما رفع يده بالفأس ليهوي بها^(٢) في الشجرة جفت يده في الهواء / ٤٧٥
والفأس فيها وبقيت لا تنزل ولا تنضم ، فقيل : يا جاهل إنما كان لك السبيل على قطعها حين لم تعرفها ولم تعرف الخاصية التي فيها ، وبعد معرفتك لها فلا سبيل لك عليها . وكذلك أنت أيها الملك فلا سبيل لك عليّ بعد أن عرفنتني وعرفت خاصتي .

وما زال الدخيل بين الملك والداعي المؤيد في الدين حتى جرت الوحشة بعد الأنس ، وأكثروا على الملك من اللبس ، وخوفوه خليفة بغداد على قربه من داره ، وقالوا إنه ومن معه من الأتراك والديلم يسعون في الإستيلاء على ملكك ، واغراق فلحك ، وصاحب مصر منك بالمكان البعيد وهؤلاء يكونون إليك أقرب من جبل الوريد حتى جال ذلك في أنفاسه ومال إليهم برأسه .

قال المؤيد في الدين نصر الله وجهه : فصاروا عليّ يداً واحدة فيما^(٣) كانوا عليه ، وكنت لا أفكر بهم اشتداداً مني بمعونة^(٤) الله تعالى إذ كنت مجاهداً في سبيله ، وقائماً بنصرة آل رسوله (ﷺ) لا يستفزني^(٥) حرص ولا طمع ، واني منقبض [عما تبسطوا]^(٦) [له فيه من طلب]^(٧) دنياهم ، متجمع . قال : فقضى من القضاء / أنني توجهت إلى الأهواز وكنت قد احتويت على مسجد / ٤٧٦

(١) تكافئها : تكافئها في ب

(٢) بها : فيه في ب

(٣) فيما : إذا ما في ب

(٤) بمعونة : يعون في ب

(٥) لا يستفزني : لا يشعرنني في ب

(٦) عما تبسطوا : عن بسطوا في ب

(٧) له فيه من طلب : سقطت في ب

شعث^(١) بها كانت تأويه الصوفية وأهل النصب . قال : ^(٢) فعكفت على عمارته إلى أن جعلته بهجة للنواظر ، وكتبت على دور محرابه أسماء النبي (ﷺ) وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، والحسن والحسين فصاعداً إلى جعفر الصادق ، واسماعيل بن جعفر ، ومحمد بن اسماعيل ، ووصلتها باسم المهدي والقائم والمنصور فصاعداً إلى مولانا الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين ذهباً على ألواح ساج يكاد يخطف الأبصار من لآلئه^(٣) وحسنه من المدى البعيد ، فرأى أهل تلك^(٤) المدينة من ذلك ما لم يعهدوه ، وشاهدوا منه ما كادوا^(٥) يكذبون عيانهم فيه ، ثم لم أكتف بذلك حتى أقممت الأذان بحميّ على خير العمل من فوق سطحه فبلغت القلوب الخناجر وصادفت فيها مثل وقع^(٦) الخناجر ، قال : فوقفت وتركت^(٧) مديدة ثم قلت في نفسي ما قال القائل :

[انتهز الفرصة أما مرت فرمما طلبتها فأعيت]^(٨)

وقلت لمن كان يحضرنى من الديلم إنني أريد إقامة صلاة / الجمعات في هذا المسجد مشفوعة بالخطبة لمولانا الإمام المستنصر بالله ع . م ، فهل عندكم من مساعدة عليه ، فقالوا : افعل ما ترى . فلما كان يوم الجمعة أمرت عشرين نقيباً^(٩) يصعدون [إلى سطح المسجد ويؤذنون بحمي على خير العمل ، فقامت ضجة في

-
- (١) شعث : سقطت في ب
(٢) السيرة المؤيدية ص ٥٥ .
(٣) لآلئه : لآلئه في ب
(٤) تلك : سقطت في ب
(٥) ما كادوا : وكدوا في ب
(٦) وقع : تواقع في ب
(٧) وتركت : سقطت في ب
(٨) ورد هذا البيت مثوراً ومغلوطاً في ب
(٩) نقيباً : رجلاً في ب

المدينة شغلت الناس عن [١] المسجد الجامع ، وفاض الديلم عن الموضوع فيضاً حتى ضاقت المنافذ والمسالك بدوابهم ونجائبهم وعلمائهم ، وكان الأمر جارياً على هذه المثالة في كل جمعة والدنيا تموج بأهلها خوفاً وكلاماً كيف كان سبب هذا؟ وكيف تم؟ وما يجري هذا المجرى؟ وكان بالأهواز قاض يعرف بابن المشتري^(١) كان السلطان أبو كاليجار^(٢) أرسله إلى الخليفة ببغداد [قبل ذلك]^(٣) فحمل على يديه اللواء واللقب ، فوقع في الحريق من هذه الأحوال وكتب ابن المشتري إلى بغداد كتاباً ينعي فيه خلافة بني العباس ويذكر دثور ذكرهم^(٤) في الرسوم الدائرة كل ذلك ليثير^(٥) من الخليفة ومن يتعلق به من ملوك بني بويه الحمية ، ويحرضهم على محو ذكر آل النبي (ﷺ) بشيراز والأهواز بالكلية ، ويشير عليه أن يتلافى نفسه قبل فوت التلافي^(٦) ، / وأن يصانع أبو كاليجار^(٧) بأنفس ما يجده في ملكه ، وأعز ما احتوت عليه يده ، وأن يشترط عليه تسليم المؤيد في الدين إلى يد رسوله مكبلاً بالحديد ، وأنه إن لم يفعل ذلك صالت عليه التركمانية ، وحازت مملكه ، وما إليه من الرعية ، فما كان إلا قليل حتى وصل ابن مسلمة إلى البصرة رسولاً من العباسي إلى أبو كاليجار^(٨) وكان وزير العباسي في ذلك الوقت ، وحين علم الملك أبو كاليجار^(٩) بورود ابن مسلمة إليه من الخليفة العباسي جمع من بحضرته ، وقال

(١) سقطت الكلمات المحصورة داخل حاصرتين من ب وجد فأخذناها من السيرة المؤيدية ص ٥٥ .

(٢) هو أبو الحسن عبد الوهاب بن منصور بن المشتري قاضي خوزستان وفارس ، وكان شافعي المذهب توفي سنة ٤٣٦هـ . (ابن الأثير ج ٩ ص ٣٦٠) .

(٣) أبو كاليجار: كالنجار في ب

(٤) قبل ذلك: سقطت في ب

(٥) ذكرهم: ملكهم في ب

(٦) ليثير: ليثور في ب

(٧) فوت التلافي: اتلاف نفسه في ب

(٨) أبو كاليجار: كالنجار في ب

(٩) أبو كاليجار: كالنجار في ب

(١٠) أبو كاليجار: كالبخار في ب

لهم : هذا رسول الخليفة قد ورد فكيف الحيلة في المؤيد ، وبأي حجة نحتج عليه ونوجه الشر إليه ، وما الذي نلقاه به ، أو نحتج عليه بسببه ، هذه والله حيرة ودهشة ، وأمر لا يعلم كيف يصير عقباه ، فقال بعض القوم للملك وهو أشدهم على المؤيد في الدين عداوة ، وأعظمهم في الغلظة والقساوة : عندي في هذا المخرج ، وهذا فلان العلوي يقوم الليل ويصوم النهار ، وهو زيدي المذهب ، وله خلطة بالصوفية والقصاص [وأصحاب الحديث]^(١) والرأي أن نعزم عليه ٤٧٩ / / في مناظرة المؤيد ونحن نجتهد أن نفجر المؤيد ونكشر عليه القول ، وهو ذو عزة في نفسه ، فلعله يحمله الغيظ على الخروج من آداب المناظرة ، فيجعله الملك عليه من الحججة ؛ وما زالوا بالسلطان حتى أجابهم إلى ما طلبوا وأسعفهم بما أملوا ، وأحضر الملك العلوي والزمه المناظرة ، وجاءت رسل الملك إلى المؤيد في الدين نصر الله وجهه ، فقالوا : إن فلاناً العلوي يدعوكم إلى البراز في مناظرته على مذهبك ، وإن السلطان يريد اجتماعكم ليسمع ما يجري بينكما ، فقال لهم المؤيد في الدين : سبحان الله ، لا تعرب بعد هجرة ، ولا مزيد^(٢) على ما دار بيني وبين خصومي من مناظرة وقف الملك على سطورها وعرف تقواها من فجورها ، ولكن هذا عنوان رأي فاسد ، وهو ابتداء سؤال محالة وارد ، فوقع التعيين على ليلة من الليالي ، وحضر السلطان ، وحضر العلوي ، والمؤيد في الدين ، وذلك في أوائل شهر رمضان .

٤٨٠ / فقال المؤيد في الدين للعلوي : أيها الشريف إنني أريد / أن أحدثك بحديث في نفسي قبل المناظرة . قال الشريف : وما هو ؟ قلت^(٣) : بلغني أن علويا غزا في جملة الغزاة الروم ، فأحيط بهم وملكوا وفي السجون والمطامير وردوا ، فلما كان يوم من مشاهير أيامهم التي يعظمونها ويقربون القربان^(٤) عندها ، أخرجوا

(١) وأصحاب الحديث : والرأي في ب

(٢) ولا مزيد : ولا زيد في ب

(٣) قلت : قال في ب

(٤) السيرة المؤيدية ص ٦٠

الأسارى فأطلقوهم إلا العلوي فإنه ضرب ضرباً وجيعاً ، ورد إلى حبسه ، حتى حال الحول ، ورجع مثل ذلك اليوم فأطلق الأسارى وعملت به العادة في إيجاعه ضرباً وردة إلى الحبس ، فكان تألمه^(١) من اشتباه وجهه^(٢) ذلك عليه وموجب^(٣) فعله به أشد من ألم الضرب والمكروه الذي كان يناله وتمادى به الأمر إلى اليوم الثالث من السنة الثالثة ، فحين رأى المثالة فيه محفوظة والسنة [بضره ورده]^(٤) في الحاضرة قائمة استغاث ، وقال : يا قوم ألا تدلونني على وجه اختصاصي بهذه العقوبة من بين قوم كانت قصتي وقصتهم واحدة فأولئك من عليهم بالإطلاق^(٥) وأنا باق يجدد عليّ العذاب في مثل كل / يوم أطلقوه فيه من الوثاق ، ثم أضربوا رقبتني بعد أن تشعروني بمقتضى قصتي ، فحمل إلى الملك أو بعض أصحابه وسأله : من الرجل ؟ فقال : علوي . قال : ما معنى قولك^(٦) علوي ؟ قال : المعنى فيه أنني أنتسب إلى علي بن أبي طالب . قال : ومن علي بن أبي طالب ؟ قال : أخو محمد رسول الله ووصيه ، قال الرومي : فكيف جرى حال علي هذا بعد موت محمد ؟ قال : قتل . قال الرومي : أقتلناه نحن ؟ قال : لا . قال : فمن ؟ قال : المسلمون . قال الرومي : أفكان له أولاد وذرية ؟ قال : نعم وأجلهم الحسن والحسين اللذان كانا من بنت رسول الله ﷺ . قال : فما قصتهما ؟ قال : سمّ الحسن وقتل الحسين وسبي أهله وذريته . قال الرومي : أنحن الفاعلون ذلك بهم ؟ قال : لا . قال : فمن ؟ قال : المسلمون ، قال الرومي : فأنت يا إنسان ، طوائلك في المسلمين وأبوك وأهلك ممن قتلوهم ، وأتيت^(٧) تغزو الروم الذين لا جنانية لهم عليك ، لأي معنى ؟ فهذا وجه معابقتك الذي سألت عنها وتحيرت

-
- (١) تألمه : سقطت في ب
(٢) وجه : سقطت في ج
(٣) وموجب : ووجوب في ب
(٤) بضره ورده : برده في ب
(٥) باق : سقطت في ج
(٦) قولك : سقطت في ب
(٧) وأتيت : وأنت في ب

٤٨٢ / لاشتبه وجهه / موجبها . وكذلك أنت يا شريف وطوائلك مع الحشوية
والقصاص الذين هم الهادمون لمجدك والمنتقصون لأبيك وجدك ، وأنت تزرع
المحبة في تربتهم ، وتميل إلى جهتهم ، وتزحف بسلاحك وعدتك إلى قتالي ،
وتجمع حولك وقوتك ، إلى نزالي وأنا غصة في حلق^(١) القوم ، وشرقة لاشتھاري
بنشر فضائل أهل بيتك وإقامتي عمد قومك فما هذا لك بعلامة خير. قال: فاصفر
وجه العلوي وتلجلج لسانه ولم يدر كيف يقوم ويقع ، فقال الملك : أغربوا عن
هذا التوبيخ والتقريع وأثبتوا على مسألة تتكلمون عليها . فقلت : أيها الملك معلوم
عند هذا الشريف وعند أمثاله أنني أصلح أن أكون مسؤولاً ، لأنه لا يمكنني أن أبوح
بحقيقة ما أسأل عنه ، فإنني بزعمهم باطني ، واعترافهم بكوني باطنياً يمنع من
مطالبتهم^(٢) بحقيقة ما أعرفه فيجعلوني بالكشف عنها مثلهم ظاهرياً ، وإنما أصلح
أن / أكون سائلاً فيردون الجواب الذي لا منعة دونه عندهم ولا حجاب .

٤٨٣ / قال العلوي : أو ما سمعت قول رسول الله ﷺ من سئل عن علم [عنده
فكتمه]^(٣) ، ألجمه الله تعالى بلجام من نار . قلت : الله أكبر قد حصل ما نتكلم
عليه إن الله تعالى أعطانا من حيث العقل بصيرة بها نستبصر ، كما أعطانا من حيث
المشاهدة بصرأ به نبصر ، وقد عرفنا من شأن النار أنها تفرق الأجزاء وتحلل الأجسام
المتجمعة ، واللجام من النار الذي هو مجموع من جوهر منها^(٤) يفرق أجزاء ما
تسلط عليه ، ويحللها ليس يكاد يتمنى^(٥) لي ولا لمن له عقل ، وكلام رسول الله
ﷺ الحق الذي لا يشوبه باطل ، وعسى أن يكون ضرب فيه مثلاً يحتاج الشريف
أن يستصحه ويعرف المعنى الذي تقوم عليه بينة العقل منه ، فأما على مقتضى
تصوره فيه لا يصح . فقال : أما تؤمن بقدرة الله سبحانه ؟ قلت : كيف لا أؤمن

-
- (١) حلقوم في ج
(٢) مطالبتهم : مطالبتهما في ب
(٣) عنده فكتمه : فيكتمه في ب
(٤) منها : سقطت في ب
(٥) يتمنى : فيعني في ب

بقدرة الله سبحانه وهذه السموات المبنية المرفوعة السمك^(١) والأرض المدحوة / ٤٨٤
الوسيلة العرض وما بينهما جميعاً من صنائع حكمته وقدرته . غير أنه / لما لم
أجد فيها اللجام من النار تعجبت مما قال الشريف فطفقت أطلابه بالبينة عليه .

قال فأخذ الشريف لا يمر ولا يجيء في الجواب ، وتقطعت به الأسباب ،
حتى صار القوم الوقوف من الحاشية والأستاذين يتضحكون منه ويستهزؤون^(٢)
به ، والقوم المدسوسون^(٣) لتذليقي^(٤) والكلام في نوبتي والقصد لإحماء صدري
حاضرون يهيمون في كل واد ، وأنا لا أعابهم ولا أنصب لهم ، معرفة مني بكونهم
مدسوسين ، وعلى تذليقي محمولين ، فقال الملك : دعوا هذا الباب وتكلموا في أمر
الصيام ووجوبه على الرؤية^(٥) أو على غير الرؤية . فقال العلوي : يحكى عن رسول
الله ﷺ أنه جمع أصابعه الخمس وقال : نحن قوم^(٦) أميون لا نعرف^(٧) الحساب ؛
الصوم مرة هكذا حتى استوفى في العدة ثلاثين في ست مرات ، وأنه جمع الأصابع مرة
ثانية فلما انتهى إلى الآخر نقص واحداً من الأصابع ، ثم قال : ومرة هكذا .

فقلت حاشا^(٨) لله أن النبي ﷺ وعلى آله الذي شرفه الله بالمعراج ،
/ / ٤٨٥ / وأراه ما وراء الحجاب يكون به من العي واللكن وإن كان أمياً أن لا يفصل
ثلاثين من تسعة وعشرين بلسانه فيغني عن جمع الأصابع وتحريك اليد هذه

(١) السمك : السمكة في جـ

(٢) ويستهزؤون : ويتهزؤون في ب

(٣) المدسوسون : المدسوسون في ب

(٤) لتذليقي ؛ لتفتري في ب

(٥) الرؤية : الرواية في ب

(٦) قوم : سقطت في ب

(٧) نعرف : نحسب في ب .

(٨) حاشا : حشي في ب .

الذفعات الكثيرة مما يقوم به راعي البقر والغنم، ثم ان النبي (ﷺ) وعلى آله قال :
أنا بطرقات السماء أعرف منكم بطرقات الأرض ، فلو أنه (ﷺ) وعلى آله ، على
كون هذا الكلام العظيم محصوراً مثبتاً ، يتكشف السماء في طلب^(١) رؤية الهلال
لقام الناس لموافقته يقولون فأين هذا من قولك^(٢) بالأمس إنك بطرقات السماء
أعرف منا بطرقات الأرض ؟ وسوى هذا فلو كان طلب الهلال شيئاً يتعين وجوبه
ولزومه لكان ذلك لنا خاصة ، ولكان هو (ﷺ) بالغني عنه لكون جبرائيل
يعتاده^(٣) بالوحي ينزل عليه ، ولكان سؤاله جبرائيل هل أهل الهلال أولى به من
التكشيف للسماء لطلبه ، وفي مضماره التشكيك في أمر نفسه^(٤) وتعليل نزول
الوحي عليه . ولو وجد واحدنا السبيل إلى ملك من الملائكة يستفتيه ويستجيزه
عن مغيبات الأمور أكان يتكل على نفسه في الطلب والاجتهاد؟ وهذا ما لا / ٤٨٦
يقوم عليه دليل ولا برهان . قال : فخزى العلوي من هذا الجواب خزيا قام وهو
يتعثر بذبوله وانصرف كل منا إلى داره .

وغشي الملك من غواشي^(٥) الحيرة والحشمة إن غدر بي وشراني بضمن بخس
ما لم يسعه جلده فيه واتبعني نصف الليل بأستاذ من حضرته محتشم صعد وصبوب
في الاعتذار عنه وتقطيع الخجل مترسلاً منه ، ولما لم يجد الذين أغروا بين السلطان
وبين المؤيد في الدين مغمزاً يدخلون به معه في المناظرة، وكلما راموا ربحا ابوا
بالصفقة الخاسرة ، عادوا للجري في غير ذلك الميدان ، وشنعوا عليه عند الملك
بالأشانيع أنه استجمع الديلم ، ويريد أن يفعل ويفعل ، واكثروا في ذلك المكر^(٦)

(١) طلب : سقطت في ب .

(٢) قولك : دعواك في ب .

(٣) يعتاده : يقاد به في ب .

(٤) نفسه : أمره في ب .

(٥) غواشي : سقطت في ب .

(٦) المكر : المرا في ب .

والجدال ، وبقي الملك حائراً مخافة^(١) بلوغ الخليفة العباسي بعض ما أمله مع ما اصطنع إليه ، ووجه من الهدايا والألطاف له ، وخاشيا من إبعاده له بتسليط التركمانية عليه ، ومع هذا خوف الله سبحانه ضمير قلبه ، ويحتشم^(٢) أن يقصد المؤيد في الدين بمكروه ، ولم يظهر منه / ما يعتد عليه به ، وهو قد أخذ منه الصفة في حفظه والمدافعة عنه ، وبايعه للمستنصر بالله ع . م ، ثم ان الهوى غلب عليه فيما رامه ولم يملك العقل زمامه ، مع كثرة ما يتصل به من قول الساعين بالنميمة ، الرامين المؤيد في الدين بالأمور العظيمة ، وأنه يجمع الجموع ، ويطن غير ما يظهره من الكلام المصنوع ، وكان بين المؤيد في الدين ومن يكرهه في حضرة الملك منافرة كثر فيها منهم التشنيع ، وقام الملك من مجلسه معرضاً لما سمع منهم هذا الكلام الفظيع ، واجتمع أهل النميمة بالقاضي وغيره ، وحملوا العامة القيام على السلطان ، والنداء إليه ، والصياح نحوه ، والإرجاف عليه ، في أنه قد أنقذ الله الإسلام بالملك حين أعرض عن هذا الانسان ، وأبعده منه بعد القرب الذي منه كان ، فحشدوا العامة ، وجمعوا الجمع العظيم من العامة والرعايا ، فاصطفوا يوم الجمعة من دار الملك إلى المسجد الجامع يصيحون بالشكر للملك والدعاء على ما كفى به الإسلام عن عادية هذا الإنسان ، ويرموناه / بالزور والبهتان ، وارتحف قلب الملك لما سمع من صياح العامة وأنها قد اجتمعت كلمتهم على هذا الرجل بتوجيه الملامة ، فحين انفض العامة وافترقوا أرسل السلطان إلى المؤيد في الدين اثنين من بعض خواصه من الأستاذين يقول : لا شك أن هذه الصيحة التي كادت أن تحرق الأرض ، وتشق الجبال ، وقعت في مسامعك ، وعلمت أن هذه الأمم التي لا يحصيها عدد إلا الله سبحانه أعداؤك وخصماؤك ، وكانوا أعداءنا فيك أيام كنا نقربك وندنيك ، وينبغي الآن^(٣) أن تأخذ لنفسك وتبغني سبيل نجاتك ، وتأخذ أي صوب شئت . قال المؤيد في الدين : فقلت لها : قولاً للملك خف رباً

(١) مخافة : إثارات في ب .

(٢) ويحتشم : وحشم في ب .

(٣) الآن : سقطت في ب .

إليه إيابك وعليه حسابك ، واذكر أيامي عندك ومعك ، فانك لا ترى فيها^(١) شيئاً تدمه وتنكره^(٢) ، ولي في رقبتك من أمانة الله تعالى ما هو لازم لك لزوم القلادة ، فلا يخلصك أحد من عهده ولا ينجيك شيء من تبعته . وأما النفي فليس ذلك مما ترعيني به ، إذ كانت هذه النعم التي / أتقلب فيها من ابتداء أيام مملكتك / ٤٨٩ وإلى هذه الغاية قصداً بالروح والمهجة وسؤماً . بسوء العذاب في كل حين وساعة ليست مما يضيق على إنسان أن يوليها^(٣) ظهراً ، ويملك عنها^(٤) صبراً ، والسمع والطاعة لأمرك . ثم ان السلطان أرسل إلى المؤيد في الدين قوماً من أجله أصحابه يعتذر إليه ويقول انه ورد كتاب الخليفة البغدادي بالعظائم ، فانظر فيه واعذرني فما كلفني إلا ما تنشره من مطاويه ، وكان في كتاب صاحب بغداد سب الأئمة الطاهرين ، وتلقبهم بالمغاربة ، والطعن في أنسابهم ، والقول بالمنكر والزور ، والتواعد للملك أبو كالجار^(٥) بتسليط التركمانية عليه ، فحين وقف المؤيد على الكتاب رمى به عنه ، وقال : لا أعرف خليفة غير المستنصر بالله ، وهذا الكتاب لا حاجة لي بالنظر فيه^(٦) . ثم وصل ابن المسلمة^(٧) رسول البغدادي ، وصحبه الهدايا من ثياب السقلاطون الرفيعة ، والأكسية الحسنة البغدادية ، وتمائيل الكافور وغير ذلك ؛ ثم وأكثر ما اقترحه تسليم المؤيد في الدين / إلى يده ، / ٤٩٠ ليحكم فيه بحكمه ، ويفعل فيه برأيه ، فحماه الله من بأسهم ، ولم يبلغهم ما في أنفاسهم بفضل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، والأئمة من ذريته الطاهرين ، وأرسل ابن مسلمة صاحب الخليفة البغدادي إلى المؤيد في الدين يلاطفه ، ويقول له : إنني أتعرف خبرك ، واتغمم لما نالك ، وأنه استقر في نفسي ذكر فضلك في

(١) فيها : فيه في ب .

(٢) تدمه وتنكره : تزمه وتفكره في ب .

(٣) يوليها : يوليه في ب .

(٤) عنها : عنه في ب .

(٥) أبو كالجار : كالنجار في ب .

(٦) السيرة المؤيدية ص ٦٥ .

(٧) المسلمة : سلمة في ب .

نفسك وعلمك ورجاحتك ، غير أن تجاهرك بأمر تستنفر^(١) به العامة^(٢) على نفسك ، وتقيمهم على ساق في معاداتك ، وتستخصم معه الخليفة ، لانسان بمصر لا يضرک ولا ينفعک ، مما ليس له مدخل في العقل ، ولا يليق صدور^(٣) مثله عن العقلاء الفهاء ، وينبغي أن تنزع عن هذا الرأي . وما أشبه ذلك من القول ، فأجابہ المؤيد في الدين ، وكان من قوله : ان الأمر الذي أنا بصده أمر دعائي إليه التدين^(٤) به ، واعتقاد اكتساب مرضاة الله سبحانه فيه ، وليس اعتقادي في هذا الإنسان الذي هو بمصر وقلت إنه لا يضرني ولا ينفعني ، كاعتقادك في مرسلك ، ولست أقف موقف المعتذر إليه^(٥) / في ذلك ، وان قتلت ألف قتلة ، ولم يكن لي في خدمة الملك فائدة فيصبو قلبي إلى الرجوع لتلك الفائدة .

وما زال الملك يرسل إلى المؤيد في الدين بالأقوال المحرجات ، ويحضه^(٦) على الخروج عن كور مملكته لطلب الخلاص والنجاة ، حتى وافق المؤيد في الدين رجلاً من أمراء البوادي ، يسمى منصور بن الحسين^(٧) ، فخرج المؤيد في الدين إلى ناحية لتنظفي الثائرة التي من أجله شب وقودها ، وقام على ساق عمودها ، وشرح لمنصور ابن الحسين قصته ، وما يعاني من السلطان مدته ، فبشره بما يسره ، ووعدته إن وصل السلطان الأهواز أن يسعى في الاستصلاح ، ويدفع عنه الملك شره ، فحين وصل الملك الأهواز سار إليه الأمير منصور بن الحسين شارحاً لقصة المؤيد في الدين وخاطبه في أمره ، وما يتصل به من المعتدين ، فأفضى إليه الملك بجميع السرائر في

(١) تستنفر: تستفز في ب .

(٢) العامة : العالم في ج .

(٣) صدور : صدر في ب .

(٤) التدين : التدبير في ب .

(٥) إليه : سقطت في ب .

(٦) ويحضه : وحضه في ب .

(٧) هو منصور بن الحسين الأسدي الذي ملك الجزيرة الديسية بجوار خوزستان سنة ٤١٨ هـ . وقطع خطبة جلال الدولة البويهية وخطب للملك أبي كاليجار (ابن الأثير ج ٩ ص ٢٦٠) ومن هنا نفهم الدالة التي كانت لمنصور على أبي كاليجار .

ما احتالوا على المؤيد في الدين من المكر ، وما وجهوه إليه من الأمر ، وشرح قصة المؤيد في الدين لمنصور ، كما كان له شرحها ، وبينها له مبرهنة وأوضحها ، / ٤٩٢ / وقال : إن إقبالي على هذا الرجل يباعد بيني وبين الخليفة ، واني لذلك منه أوجس في نفسي الخيفة ، وكان قد وافق وفاة ملك بغداد الذي هو أبو طاهر^(١) ، وتأكدت رغبة أبو كاليجار^(٢) في تملكها ، وكان ذلك شيئاً لا يبلغه إلا بنظر الخليفة إليه ، ونصره له ، فصار على ذلك يداريه ، وهو يعلم أن قول المؤيد في الدين هو الحق الذي لا شبهة فيه ، ولكنه يداري صاحب بغداد ، ويتقيه .

وأقام المؤيد في الدين سبعة أشهر في البادية مع أمير الحلة منصور بن الحسين ، وكان منصور المذكور يكتب إلى السلطان في شأن المؤيد في الدين ، ويشرح له قصته ، ويسأله أن يقوم معه في نقض كيد الكائدين ، فكان من جواب السلطان له أنك من الشفقة على ملكنا ودولتنا بحيث لا تعتمد لأحد هواة فيها ، وترى مراعاة زامنا^(٣) في هذا الباب أمس من مراعاة زمام^(٤) كل نزيل عليك ، ومستند إليك ، وقد عرفت صورة المؤيد في الدين أبي نصر أحسن الله توفيقه ، واننا كل يوم في صداع من جهة الديلم باحتجاجات باطلية يشبشون / بها ظاهراً / ٤٩٣ / وهو مغزاهم وغرضهم منها باطنا ، ثم انه قامت رغبتنا في بغداد وامتلاكها وليس يكاد يتم الغرض فيه إلا بالمجلس الخلفي الامامي ، وإذا استقر به العلم أن هذا الإنسان مقيم بفناء حضرتنا على جملته كان ذلك ردماً في وجه ما نؤثر بلوغه ، وحاجزاً بيننا وبينه ، وقد انتهى إلينا أنه على معاودة الأهواز ، فالله الله أن توجده سبيلاً إلى ذلك فإنه إن عاود وقعت فتنة نصلي بنارها ملياً .

(١) الأمير جلال الدولة بن بهاء الدولة فيروز بن عضد الدولة بويه بن ركن الدين الحسن ولد سنة ٣٨٣هـ ومات في شعبان سنة ٤٣٥هـ . (ابن الأثير ج٩ ص٣٥٢ ومختصر الدولة ص٣٢٠ ولكن صاحب النجوم الزاهرة يقول في ج٥ ص٣٧ انه توفي في شعبان سنة ٤٣٦هـ .)

(٢) أبو كاليجار : كالنجار في ب .

(٣) زامنا : ذمتنا في ب .

(٤) زمام : سقطت في ب .

فحيثُ خرج المؤيد في الدين هبة الله بن موسى عامدا للكوفة وزيارة مشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، والحسين بن علي ع . م ، وعلى الطاهرين من أهما ، وقد نوى بعد ذلك التوجه إلى الجهات المصرية ، والمصير إلى الأبواب الشريفة المستنصرية ، فقصده الكوفة وتبرك بقبر أمير المؤمنين ع . م ، وبقبر الإمام الحسين بن علي ع . م ، والتوجه بهما إلى الله تعالى أن يرفع غلته ، ويشفي كربته ، ويتصر له من قوم سعوا له بالباطل ، ونصبوا له الحبائل ، فلم يكن إلا أياما قليلة بعد انتهائه إلى الحضرة الشريفة المستنصرية حتى دمر الله / الباغين عليه ، وأخلى منهم الديار ، وجعلهم طعمة للسيوف وأكلة للدمار ، وذلك أن خواص الملك أبي كالجار تأمروا أن يسقوه سماً فمتى هلك أقاموا أحد أولاده الصغار ، ورجوا أن يكون الأمر أمرهم ، والتقديم والتأخير لهم ، فجاءوا صبياً من استاذيه وعبيد مملكته فاعلمه قصتهم ، وقال له : إن الملائمة يتأمرون بك ليقتلوك ، فتتبعهم السلطان قتلا ونفيا ، ومنهم من قطع أعضائه قبل قتله عضوا عضوا ، وكانت تلك معجزة لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب حين لاذ عبده المؤيد في الدين وأخلص بالدعاء عند قبره ، والتوسل لديه ففضى الله على الظالمين الذين اجتمعوا عليه بالتدمير ، ورماهم بالنار العنقير ، وقال الداعي المؤيد في الدين بالكوفة قصيدة^(١) :

ويا ليت شعري كيف قد أدرك العدى^(٢) يتفرق ذات البيّن فينا المباغيا
أإخواننا صبراً جميلاً ، فإنني غدوتُ بهذا في رضى الله راضيا
وفي آل طه إن نفيتُ فإنني لأعدائهم ما زلتُ والله نافيا
فما كنتُ بدعاً في الأولى فيهم نفوا

(وحسبي) ^(٣) أن أغدو لجندب ثانيا /

/ ٤٩٥

(١) القصيدة السابعة عشرة من ديوان المؤيد في الدين الشيرازي ص ٢٤٥ .
(٢) ويا ليت شعري كيف قد أدرك العدى : ويا ليت كيف شعت في درك العدى في ب .
(٣) وحسبي : ألا فخر في الديوان ص ٢٤٦ .

بلغتُ به في بعض همّي الأمانيا
هي الدين والدنيا بِحَقِّ كما هيَا
وصيُّ السذي قد أرسلَ الله هاديا
[ومن خصه للخلق مولى وواليا]^(١)
لقول النَّصارى في المسيح مُضاهيا
أصلِّي عليه في خُشُوع تواليا
ويا طيب إكبابي عليه مُناجيا
يشير دُموعا فوق خدي جَوَاريا
فدتَ نفسي المقتولَ عطشانَا صاديا
[لنا أسوة تهدي الولي المواليا]^(٢)
[إلى القصد كان]^(٣) العزم للصدر شافيا
لِنفسي وألْفى بابن^(٤) الأَنس دانيا
كما منه أَلْفى نَاجِمَ النَّحسِ هاويا
أَجَلُ بِلُ سما^(٥) فوق السَّمَاكينِ عاليَا

لئن مسَّني بالثَّقفي فُرْحُ فإني
فقد زُرتُ في كوفان للمجدِ قَبَّة
هي القَبَّةُ البيضاءُ قَبَّةُ حيدر
وصي النبي المصطفى وابن عمه
ومن قال قومٌ فيه قولاً مُناسبا
فواحبذا التطوافُ حَوْلَ ضريحه
ويا حبذا تعفيرُ حدي فوقه
أناجبي وأشكو ظالمي بَتَحْرِقِ
وقد زرت مشوى الطُّهر في أرض كربلا
ففي عشر ما نال الحسين ابن فاطم
ولي عَزْمَةٌ إن تَمَّ اللهُ أمرها
حُلُولُ بيباب القصر يشفي لُبَانة
فأونِسُ فيه نَجْمُ سَعدي طالعا
بيابِ غدا^(٥) حيثُ السَّمَاكِ حلولة^(٦)

لمولى الورى المستنصر الكاشف الدجى

وصفوة من يغدو^(٨) على الأرض ماشيا /

/ ٤٩٦

ومن ضمَّت الدنيا من وطأ الثرى
إمامٌ يمدُّ الشمس نورُ جبينه
وأشرف من أجرى العتاق المذاكيا
كما جودُ كفيه يمدُّ الغواديا

(١) ومن خصه للخلق مولى وواليا : ومن قام مولى في الغدير وواليا في الديوان .

(٢) جاء الشطر في الديوان هكذا : لِمثلي مسألة لئن كنتُ ساليا . ص ٢٤٦ .

(٣) إلى القصد كان : كفاني تمام في الديوان .

(٤) بابن : نائي في الديوان .

(٥) غدا : ثوى في الديوان .

(٦) حلولة : علوه في الديوان .

(٧) سما : غدا في الديوان .

(٨) يغدو : أمسى في الديوان .

حَوَى كُفَّهُ فَيُضْ نَوَالٍ وَحِكْمَةٍ
 وَلَا يَأْسَ مِنْ رُوحِ الْإِلَهِ^(١) بَأْنَ أَرَى
 فَأَنْفُضُ عَنِّي كُلَّ هَمٍّ يَبَابُهُ
 فَيَا شَامِتَا بِالتَّقْيِ لِي كُفَّ إِنِّي
 أَلَّ عَلَيَّ كَمْ وَكَمْ فِي وَلَائِكُمْ
 وَكَمْ قَدْ طَوَيْتُ الْبَيْدَ فَيَكُمُ مَسَافِرًا^(٢)
 فَلَمْ يُثْنِ وَجْهَ الْعَزْمِ لِي عَنْ وَلَائِكُمْ
 وَأَنْتُمْ عِمَادِي فِي مَعَادِي وَعَدْتِي
 وَأَنْتُمْ [هَدَاةَ الدِّينِ يَهْدِي بِهَيْدِكُمْ] ^(٣)
 أَغْيِشُوا وَلِيَا خَاضَ فِي بَطْشِهِ الْعِدَى
 وَفَكَوَا ابْنَ مُوسَى مِنْ ضَنْيِ الْهَمِّ وَالْجَوَى
 وَكُونُوا لِمَنْ أَذَاهُ خَصْمًا فَإِنَّهُ
 عَلَيْكُمْ سَلَامٌ اللَّهُ يَا آلَ أَحْمَدِ

/ ٤٩٧

غدا بهما يُجِي العِظَامَ الْبَوَالِيَا
 عَلَى جَدِّ عَزْمِي فِيهِ جَدًّا مُؤَاتِيَا
 وَأَخْتِمُ مِنْ أَيَّامِ عُمَرِي الْبَوَالِيَا
 عَقَدْتُ بِهِ فَوْقَ الْمَعَالِي مَعَالِيَا
 قُصِدْتُ وَكَمْ فِيكُمْ لَقَيْتُ الدَّوَاهِيَا
 وَكَمْ بَتُّ مِنْ رُوحِي عَلَى الْيَأْسِ طَاوِيَا
 وَكَيْفَ أَرَى عَنْكُمْ لَوْجَهِي ثَانِيَا
 وَمَثْوَى رَجَائِي كَيْ تَغْيِشُونَ رَاجِيَا
 [إِلَى نَهْجِهِ الْوَضَاحِ مِنْ كَانَ غَاوِيَا]^(٤)
 بِحَبِّكُمْ بَحْرًا مِنْ الْهَمِّ طَامِيَا
 فَقَدْ صَارَ مِنْ لَبْسِ الضَّنَا مِتْلَاشِيَا
 عَلَى عَجَلٍ لَا شُكَّ يَلْقَى الْمَهَاوِيَا
 مَدَى الدَّهْرَمَا تَبْدُو النُّجُومُ سَوَارِيَا /

ثم ان الداعي المؤيد في الدين نصر الله وجهه ، بعد أن شفى صدره
 بالزيارة ، وبلغ منها مراده متبركا بقبة حل فيها شريف جسد أمير المؤمنين علي بن
 أبي طالب ، وزيارة ابنه الحسين بن علي ع . م ، توجه إلى قرواش^(٥) صاحب
 الموصل ، وهو في ملك وعز وقوة وبأس ، وعزم وبسطة وسطوة ، وهذا قرواش

(١) ولا يأس من روح الإله : فلا بأس من فضل ربي في ب .

(٢) مسافراً : مروعا في الديوان ص ٢٤٧ .

(٣) هداة الدين يهدي بهديكم : كتاب الله يثبت راشداً في الديوان .

(٤) إلى نهجه الوضاح من كان غاويًا : محققا ويمحو مبطلا عنه غاويا في الديوان .

(٥) هو أبو المنيع قرواش بن المقلد أمير بني عقيل وكان الخليفة الحاكم بأمر الله أول من
 استماله فخطب له بيلاده ثم رجع عن ذلك ولقبه الخليفة القادر العباسي بمعتمد الدولة ثم
 عاد فدعا للفاطميين وتوفي سنة ٤٤٢ هـ (النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٤٩ تاريخ مختصر
 الدول ص ٣١١) .

هو الذي مدحه بعض الشعراء بعد هجو ، فقال :

وليل لوجه البر فبعدي ظلمة وبرد اعانيه وطول قرونه
فسريت به والنوم عنني مشرد كعقل سليمان بن فهد ودينه
على أولق فيه التفان كأنه أبو جابر في خبطه وجنوبه
إلى أن بدا وجه الصباح بنوره كعزة^(١) قرواش ونور جبينه

وهذا الشعر مما وصف فيه حسن التخلص في الهجاء ، ثم إلى المدح ،
وشبه فيه عزة قرواش بنور الصبح ، وكانت قد انتهت إلى قرواش من الحضرة
النبوية المستنصرية خلع شريفة تقضي^(٢) له بالشريف ، وألقاب كريمة ترفع قدره
في المكان الزليف ، فوافاه المؤيد في الدين ، ورجا أن يشحذ في ولاء أهل
البيت عزاره ، / ويدله على سبيل التوبة التي يرخص بها^(٣) أوزاره ، فوجده
قد طبع الشيطان على قلبه ، ومال بما صار إليه من الدولة النبوية إلى العباسي
متقربا به ، فحينئذ أعرض عنه المؤيد في الدين وتوجه إلى باب امامه ، وألم
بحضرتة^(٤) الشريفة ليشفي ببرودها حر أوامه ، فجرت أمور في سيرته ذكرها يطول
شرحها ، ويبعد غورها ، من امتحان يقضي له في رتب الإيمان ، بالعليا في
المكان الأطول ، لقول النبي (ﷺ) أعظم الناس امتحانا في الدنيا الأنبياء ، ثم
الأولياء ، ثم المؤمنون الأول فالأول ، والأفضل فالأفضل ، وسوف نذكر قصة
وروده إلى الحضرة ، وما كان على يديه من ظهور أمر الإمام المستنصر بالله ع . م
بيغداد وغيرها ، وكيف أتاح الله نصره ، وبذكر ما انتهى إليه عند أولياء الله من
المقام الأسنى ، والقدر الذي قصر عنه كل ولي ، بعون الله سبحانه وفضله ومنه ،
والحمد لله حق حمده ، / وصلى الله على محمد خير رسله ، والخلفاء الطاهرين من

/ ٤٩٨

/ ٤٩٩

(١) كعزة : كغزة في ب .

(٢) تقضي له : تقاضي به في ب .

(٣) يرخص : يصحف في ب .

(٤) بحضرتة : خضرتة في ب .

بعده ، وسلم وكرم وشرف وعظم ، وحسبنا الله ، ونعم الوكيل .

كان الفراغ من نساخة هذا السبع السادس من عيون الأخبار في اليوم الثامن من شهر ذي القعدة إحدى شهور سنة ثمانية وأربعين ومائتين بعد الألف ، من الهجرة ، صلوات الله عليهما في عصر داعي الله الأمين في بندر سورة في القبة المنورة ، نسخ من الكتاب الذي نسخ من الأصل ، بخط مصنفه وقل بحسب الطاقة قدس الله روحه ، ونور ضريحه ، ورزقنا شفاعته ، آمين ، بخط الأقل عبيد عبيده ،

الراجي عفوره حميد بن علي حسين محسن الجيل اليعبري .

الفهرست

٥	مقدمة
٩	السبع السادس من عيون الأخبار
١٨٤	تحرك المعز لدين الله للهجرة إلى مصر
٢٠٠	وفاة الأمير عبدالله بن المعز لدين الله
٢٠٢	ولاية العهد
		ذكر جمل وأخبار مما كان في أيام الامام العزيز
٢٠٥	بالله نزار أمير المؤمنين
		ذكر لمع من أخبار الإمام الحسن أبو علي
٢٤٨	المنصور الحاكم بأمر الله
٣٠٤	ذكر خلافة الإمام علي بن الحسين بن نزار